٢٠

مركز تفكر للبحوث والدراسات

السُّبُلُ المَرْضِيَّة

لِطَلَبِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّة

دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية

أحمد سالم



الإصدار الثالث

(٢٠)

السُّبُلُ المَرْضِيَّةُ

لِطَلَبِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية

أحمد سالم

مركز تفكر للبحوث والدراسات

السُّبُلُ المَرْضِيَّةُ

لِطَلَبِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية
دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية

احمـد سـالم

الترقيم الدولي: 978-614-8020-03-09
قياس الصفحة: ١٧×٢٤ سم
عدد الصفحات: ٦٧٢ صفحة
الطبعة الأولى
(١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)

مركز تفكر للبحوث والدراسات
هاتف: ٠٠٢٠١٠٩٠٨٢٦١١٦٤
بريد إلكتروني: tfakkor@gmail.com
الموقع: www.tfakkor.com

دار العصمية للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٢٠١٠٠٥٢٢٦٤٠٤

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز تفكر للبحوث والدراسات
سالم/ احمد
السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية (دليل شامل لدراسة العلوم الإسلامية)، احمد سالم
٦٧٢ صفحة، ١٧×٢٤ سم
١. العلوم الشرعية. ٢. طلب العلم. أ. العنوان.

ISBN: 978-614-8020-03-09

عِرْفَانًا بِالْجَمِيلِ

الْحَمْدُ للهِ يُؤْتِي الْفَضْلَ مَنْ يَشَاءُ، وَالشُّكْرُ للهِ يُسْبِغُ نِعْمَتَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ الْقَائِلِ: **«لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»**.

وبعدُ:

فعرفانًا بجميل مَن كانوا لي في موضع الأب والأخ والشيخ والمربي أهدي هذا الكتاب، إلىٰ مَن غرسوا الغرس ورعوه حتىٰ أنبت، إلىٰ الشيخ محمد عبد الباقي، والدكتور صالح محمد علي شعبة من وفاء الحق وشذرة من شكر الصنيع.

وكتب

أحمد سالم

المحتويات

العِلْمُ هو أعظمُ اللَّذَّاتِ، وَالحاجةُ إلىٰ طلبِه في الدنيا وجهد هذا الطلب = هو أَلَمُه الذي ينقص لذَّته.

وفي الدنيا: أعظمُ العِلم وأشبهه خلوصًا من ألم الطلب = أن تتلقَّاه من فمِ نبيٍّ تُصاحبه، ويحمل عنك عناء تلقي الوحي، وهذا ركن من أركان شرف الصحبة.

وأعظمُ نعيمِ الجنَّةِ: هو العلمُ، وهو فيها خالصٌ عن ألَمِ الطلب بإطلاق. وأعظمُه هو عينُ اليقينِ، وأعظمُ عينِ اليقينِ = رؤيةُ الله -سبحانه-؛ فإنَّه الحقُّ، وكلُّ حقٍّ فهو منه، ولا يبقىٰ في النفس مجهولات تطلب علمها بعد أن تتنعم برؤية ربها.

* عن ابن وهب قال: حدثني مالك بن أنس أن رجلًا قال لرجل من أهل الخير، وسأله عن طلب العلم فقال: **إن طلب العلم لحسن، ولكن انظر إلىٰ الذي يلزمك من حين تصبح ومن حين تمسي فالزمه، ولا تؤثرن عليه شيئًا.**

* ومن رواية ابن وهب أيضًا قال مالك: **نقرأ، ونمزح، ونفرح، ونلعب.**

ديباجةُ الكتابِ

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ؛ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أمَّا بعدُ: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبَعْدُ . . .

فإنَّ الناس قد تكلَّمُوا فأكثروا عن فضل العلم وأهميته، وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر والجزاء، وانطلق طُلَّابُ العلم علىٰ إِثْرِ هذا في الطلب راجين رضا الله، وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر العظيم.

---

(١) آل عمران: (١٠٢).

(٢) النساء: (١).

(٣) الأحزاب: (٧٠، ٧١).

وعلىٰ الرغم من التَّضَخُّم الكمِّيِّ الظاهرِ في أوساط طُلَّاب العلم إلَّا أنَّ المراقبين المصلحين وجدوا أَنَّ النتائج، والثمرات أقل بكثير من المتوقع من هذه الأعداد من الطلاب، ممَّا حَدَا بهم إلىٰ محاولة تلمُّسِ أسباب هذا العجز في التوازن.

فوجدوا أنَّنا نستطيع حصر الأسباب المُعِيْنة لطالب العلم علىٰ الوصول إلىٰ مُبتغاه والاندراج في سلك العلماء في الأسباب التالية:

(١) توفيق الله -تبارك وتعالىٰ-.

(٢) اتباع المنهجية الصحيحة في طلب العلم.

(٣) الهِمَّة العالية.

(٤) الظروف المحيطة بالطلب (من التفرغ للطلب وعدمه، توفير الشيوخ وقلتهم، والقدرة المادية وعدمها . . . إلخ).

(٥) الاستعداد الفطري وتوفر الملكة، (وإنَّما أخرتها -علىٰ أهميتها- إذ ربما تقعد بالطالب موهبته، فَتجْبُرُ ذلك وتُقِيمُهُ بقية الأسباب الماضية خاصة الأول).

ولمَّا كان الأول لا حيلة للطالب فيه إلَّا الدعاء، وطاعة الله واجتناب محارمه؛ فقد أجمع المُصلِحون علىٰ أنَّ غياب المنهجية، وفساد طرُق التعليم يُعدُّ من العوامل الأساسية المتسببة في فساد حياتنا العلمية في أيام الناس هذه.

فأنت ترىٰ أناسًا أعجبتهم عقولهم، وظنُّوا أنَّ بمقدور الواحد منهم أنْ يهجر عمل الأمة في أربعة عشر قرنًا متواصلة، وينتقل إلىٰ شيء لا يجري علىٰ أي سنن منهجي له أصول يمكن الاستدلال علىٰ صحتها.

وصنفٌ آخر ابتلاهم الله بالحيرة والتخبط، فاليوم منهج، وغدًا غيره، بالعشي كتاب، وبالصبح آخر، وهكذا تخبط مُستمر، فيمضي الواحد منهم السنين ولا يُحَصِّلُ شيئًا، وهذا الصنف هم أغلب طلاب العلم في هذه الأيام.

* وتجد بين ذلك وذاك مناهج ليس فيها سوىٰ مراحل صورية للطلب والتعلم، تخلو من ترقٍّ واقعيٍّ، ونمو حقيقي يمكن قياسه، فهي مبنية علىٰ مضامين متشابهة في المراحل تتغير فيها أسماء المتون والكتب، وتزيد حجمًا وكمًّا، ولكن من غير تطوير كيفي للمادة المدروسة، أو تنمية حقيقية لملكات الطالب.

وخلل آخر يتجلىٰ في التوسع الزائد في جمع شروح المتن الواحد والتنقل بينها قراءة ودرسًا حتىٰ صار المتن غاية بعد أنْ كان حاقُ أمره أنَّه مُجرَّد وسيلة.

* وتوسع زائد في حفظ متونٍ يُغني بعضها عن بعض.

* وتغليب للفهم علىٰ الحفظ.

* وتغليب للحفظ علىٰ الفهم.

* وتخصص كاذب قاصر.

* وتفنن مُدَّعًىٰ مُشَتَّتٌ لا جِماع له.

* جمع للكتب وحشد لها علىٰ الأرفف، وتغيير لمنهجية الطلب، والقراءة مع كلِّ زيارة للمكتبات أو المعارض.

* تضييع للأوقات في مجالس الحوار والمناظرة في الواقع، أو علىٰ الشبكة العنكبوتية بمنتدياتها، وبرامج المحادثة فيها، أكلًا من رأس مالٍ فقيرٍ ضعيفٍ، حتىٰ يَفنىٰ، ويُفني معه همة الطالب إن لم يُكسبه تعالمًا وتنفُّخا.

* طرائق في التعلم والتعليم سقيمة باردة لا تُساعد علىٰ تنمية ملكة الإبداع العلمي في الطلبة.

* اشتغال زائد برسم مناهج الطلب من غير طلب حقيقي للعلم، ولا تطبيق لهذه المناهج.

هذه وغيرها أشهر الآفات التي تلحق طلبة العلم اليوم من جهة منهجية الطلب والتعلُّم، وقد حملت علىٰ عاتقي بيان سبل علاجها بهذا الكتاب وغيره.

وقد صمدت بهذا الكتاب لإصلاح حال مناهج التعلم والتعليم وفقَ تجربتي، ووفق ما انتخبته من قراءات طويلة مركزة في أصول هذا الباب العلمية والتربوية والنفسية.

وهذا الكتاب هو إعادة نشر لكتاب قديم قد نشرته من عشر سنوات تقريبًا بنفس العنوان، إلَّا أنِّي غيَّرت بعض مضامينه، وزدت فيها ونقصت منها، وأصدرته في إصدار ثانٍ، ثم تصرمت خمس سنوات أخرىٰ، وها هو الإصدار الثالث بين يديك أيُّها القارئ الكريم.

وعماد هذا الكتاب ليس تكرارَ المعهود في كتب أدب الطلب، والبرامج التعليمية، وإنَّما خطة هذا الكتاب وغرضه:

(١) جواب عن بعض الأسئلة الشائعة عند طلبة العلم، والتي لم أجد الجواب عنها في كتاب، وقابلتني أثناء تدريسي للعلوم الشرعية.

(٢) إثارة الذهن بتحريك بعض الأفكار المهمة في عملية تطوير وإصلاح التعليم الديني، وسأكتفي بإثارة هذه الأفكار في هذا الموجز، مع التوسع في بسطها فيما يُستقبل من كتب تتعلق بهذا الموضوع.

(٣) انتخاب بعض الأفكار الجيدة المعينة علىٰ الترقي في مدارج الطلب من بعض المراجع الموجودة في الباب.

(٤) عرض لأشهر برامج التعلم في العلوم المختلفة في عبارة مُختصرة، ثم انتخاب ما نراه الأفضل من بينها، وكتاب السبل مبني كله على تعدد المناهج؛ للدلالة على أن جل المناهج المطروحة متقاربة، وأن اختيار أي واحد منها للدراسة مجزئ، وأن الاطلاع على ما لم يختره الطالب اطلاع قراءة= مطلوب. فلا يوجد منهج هو أفضل بإطلاق، ولا التباين في المفاضلة بين المناهج بذاك الشاسع، فليختر الطالب من مناهج السبل ما رشحناه له، أو ما يرشحه له شيخ قريب أو ما يشعر هو براحة وفهم عند البداية فيه= وليكمل الطريق، وغالبًا ما سيعرف كيف يختار ما يناسبه بمجرد انتهائه من المرحلة الأولى، على أي منهج درس به هذه المرحلة الأولى ما دام درسها متقنًا.

(٥) ذكر برامج علمية في بعض الأبواب والعلوم التي لم أرَ مَن رسم لها برامج من قبل.

(٦) سرد قوائم للقراءة والمطالعة في كل علم.

وبعدُ . . .

فهذا ما تيسَّر جمعه، لكم غُنمه، وعليَّ غُرمه، والله وحده هو المسئول أن يُسبغ علينا سِتره وفضله.

فما كان فيه من صواب؛ فمن الله، وما كان فيه من خطإٍ؛ فمنِّي ومن الشيطان، ونستغفرُ اللهَ.

«فَلْيُمْعِنِ النَّاظِرُ فيه النَّظَرَ، وَلْيُوسِعَ الْعُذْرَ، إِنَّ اللَّبِيبَ مَنْ عَذَرَ، وَيَأْبَىٰ اللهُ الْعِصْمَةَ لِكِتَابٍ غَيْرِ كِتَابِهِ، وَالْمُنْصِفُ مَنِ اغْتَفَرَ قَلِيلَ خَطَأِ الْمَرْءِ فِي كَثِيرِ صَوَابِهِ»، وباللهِ التوفيقُ.

وَصَلِّ اللهم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم . . .

وكتب الفقير إلى ربه

أحمد سالم

AHMED. SALEM1981@GMAIL.COM

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مَدَارِجُ الطَّلَبِ

مَعْرِفَةُ شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ

هذه أوَّل الأبواب الَّتي يجب علىٰ طالب العلم فقهها، وتبيُّن أدلَّتها السمعية والعقلية، واستصحاب مضامينها طوال عملية الطلب.

والكلام في شرف العلم وفضل العلوم الشرعية الدينية مبسوطٌ لا تخفىٰ مواضعه، وهو باب رئيس في جميع الكتب التي تُعنىٰ بأدب الطلب وأحكامه، ولمحمد سعيد رسلان كتاب حسن غاية عن **فضل طلب العلم**، وله كتاب حسن آخر عن ذم الجهل؛ فيُنصح بقراءتهما.

ويلحق بالعلوم الدينية في الفضل العلوم الدنيوية، طالما كان العلم نافعًا، وأراد به المشتغل وجه الله والدار الآخرة.

ومِن أحسن ما يستصحبه طالب العلم غدوة وعشية، أنَّه في طلبه للعلم ما أخلص واتقىٰ= في عبادة شريفة من أكرم العبادات وأحبها للرب ﷻ، واستحضار هذا ممَّا يُدخل برد الطمأنينة للقلب، فليس يَعدم الطالب خيرًا، فهو إِنْ لم يُصِبْ مُراده من تحصيل غايته في العلم؛ فهو في عبادة يُثاب فيها على كل نَفَسٍ من أنفاسه.

وقد جربتُ هذا الطريق مع عدد من إخواننا الذين كان اليأس والقنوط يُداخل قلوبهم، ويكاد يستفزَّهم به الشيطان؛ لِيَذَرُوا هذا الطريق الطويل الشاق، فكان توكيد استحضار هذا المعنىٰ، وشغل القلب به من أعظم ما يطرد عنه الشيطان.

وطريق ذلك أَنْ يفقه طالبُ العلم أنَّ اللهَ لو شاء لجعل الكتاب والسنة قطعي الثبوت والدلالة، ولجعل جنس الأحكام منصوصًا لفظًا ومعنىٰ مستوعبًا للحوادث، فهو سبحانه بكل شيء عليم.

وإنَّما أنزل الله الوحي منه مُحْكَمٌ ومنه متشابه، وَتَعَبَّدَ نبيه ﷺ -بالاجتهاد- علىٰ الراجح -وأقرَّ النبيُّ ﷺ- الصحابةَ علىٰ اجتهادهم، وكُتب الأجر للمجتهد في طلب الحق من جهة الوحي، وما كان كل ذلك علىٰ هذا الوجه = **إلَّا لأنَّ اللهَ سبحانه يحب أَنْ يَرىٰ عباده في جِدٍّ وَكَدٍّ يطلبون فقه مراده بالوحي كتابًا وسُنَّةً، ويستفرغون وسعهم في هذا الطلب الدينيِّ الشريفِ، لا تلهيهم عنه أموالهم، ولا أولادهم، فهم في عبادةٍ ما ترددت أنفاسهم في صدورهم، وما خَطَّتْ أقلامهم سوادها في بياض أوراقهم.**

لأجل ذلك؛ فإنَّك مهما شق عليك الطريق، ومهما شعرت أنَّك لن تبلغ طموحك منه = فخير عزاء لك أن تعلم أنَّ مثوبة الله لا تفارقك.

وإرادة وجه الله بالعلم، واستحضار أنَّه عبادة محضة، فوق أنَّه عزاء لمن لم يبلغ ما كان يرجوه منه = فهو عزاء أيضًا لمن بلغ مراده وهداه الله لأبواب من الحق عزيزة، ثم لم يقبلها الناس منه.

ذلك أنَّ أعون شيء علىٰ طلب الحق والصبر عليه وتحمل مشاق طريقه = أن تطلبه في سبيل الدرجة عند الله لا في سبيل أن يقبله الناس منك أو أن يقبلوك به؛ فإنَّ قبول الناس يُدرك بما هو أخف من ذلك حِملًا وأيسر مؤنة، وإنَّ مَن طلب تلك الطرق الشاقة الوعرة؛ قد يهتدي ثم يعرضها علىٰ الناس، فلا يرونها شيئًا، ويستخفُّون به، وربما قدموا عليه مَن لم يدرك ما أدركه ولم يبذل ما بذله، وساعتها لا ينجيك من اليأس والحسرة إلَّا تلك الغاية التي ذكرتُ لك أولًا؛ لأنَّك تعلم حينها أنَّما عليك البلاغ، والله يرفعك به عنده، ولا يضيرك رد الناس لك، وإنَّ النبي يأتي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرجل، والنبي وليس معه أحد.

ولا يُنال العلم إلَّا بالصبر عليه، ولا يصبر عليه إلَّا عظيم الرغبة فيه، ولا تعظم رغبة الرجل في العلم حتىٰ يطلب به الله ويرجو رضاه، ولا ينال الرجل بالعلم رضا الله إلَّا بخشية أن يكذب علىٰ الله؛ فهو إنَّما يطلب وراثة النبوة وعماد النبوة صدق البلاغ عن الله.

الْعُلُومُ الدُّنْيَوِيَّةُ النَّافِعَةُ
شَرْعِيَّةٌ يَجِب السَّعْيُ لِتَحْصِيلِهَا

«وكون المبيع معلومًا أو غير معلوم لا يُؤخذ عن الفقهاء بخصوصهم، بل يُؤخذ عن أهل الخبرة بذلك الشيء، وإنَّما المأخوذ عنهم ما انفردوا به من معرفة الأحكام بأدلتها.

فإذا قال أهل الخبرة: إنَّهم يعلمون ذلك كان المرجع إليهم في ذلك دون مَن لم يشاركهم في ذلك وإن كان أعلم بالدين منهم ... ثم يترتب الحكم الشرعي علىٰ ما تعلمه أهل الخبرة».

ابن تيمية.

(١)

أمَّا العلوم الشرعية الدنيويَّة، وهي التي تنفع الناس، وتصلح حال المؤمنين، وربما كان بعضها في زمان ومكان معينين من لوازم إصلاح حال الأمة المسلمة وإعداد قوتها = فهذه العلوم من هذه الجهة تتناولها أدلة فضل الكلام بالعلم بمعنىٰ أنَّ المشتغل بها يُمدح شرعًا بداية؛ لأنَّه يتكلم بعلم، وهذا قدر ممدوح في الشريعة، يثاب فاعله إن أراد وجه الله مهما كان مجال تكلمه، وتتناولها أيضًا أدلة فضل الإعداد المادي لقوة الأمة، وتتناولها أدلة نفع المسلم لإخوانه ولأمته، وأجر القيام بالفروض الكفائية، وفصل هذه العلوم فصلًا يُقابل فيه بينها وبين العلوم الشرعية = خطأ؛ فهذا الفصل يُهدر اعتبار جهة النفع فيها، والصواب الذي أراه في

هذه المسألة: إنَّ العلوم شرعية ما دامت نافعة، ثم العلوم الشرعية بعد ذلك تُقسم بحسب ما يُصلح الآخرة وما يُصلح الدنيا، **وربما قال بعضهم**: علوم دينية ودنيوية، وهذا التقسيم إن قُصد به معنىٰ الدنيا والآخرة؛ فهو حسن أيضًا، وكِلا التقسيمين تقسيم بحسب الأصل والغالب؛ وإلَّا فالعلم النافع يرد نفعه علىٰ الدنيا والآخرة، وعلىٰ الدين والدنيا، وإنَّما تختلف جهات النفع وأوزانه بحسب السياقات.

والسياقات: أي: الزمان والمكان والشخص = هي التي تُحدد ما هو الأفضل لطالب العلم، هل الأفضل له أن يشتغل بالعلوم الدينية، أم العلوم الدنيوية، فمن حيث الجنس؛ فالعلوم الدينية أفضل، لكن عند النظر في الحالات المعينة، لا بُدَّ من مراعاة اعتبارات أخرىٰ، وساعتها قد يكون علم دنيوي أفضل عند الله أن يشتغل به مسلم معين من لو كان قد اشتغل بعلم ديني، وساعتها لو عمل في علمه الدنيوي بعمل الآخرة فأراد وجه الله وتحرىٰ ما ينفع الناس= فهو علىٰ باب من أبواب الجنة عظيم.

والفرق بين فضل الجنس وفضل الأفراد يغفل عنه الناس كثيرًا، وتتسبب لهم هذه الغفلة في أغلاط في تحرير مسائل شتَّىٰ؛ فأشير له هنا إشارة سريعة بلغة سهلة قدر الإمكان.

فمن التصنيفات التي نستعملها للتعامل مع الأشياء تقسيم الشيء إلىٰ: جنس (أو كلي)، وأفراد داخلة تحت هذا الجنس (أو الكلي)، فالرجال -مثلًا- جنس، وفلان وعلَّان من الرجال هم الأفراد المندرجين تحت هذا الجنس، والفاكهة جنس، والموز والبرتقال هي من الأفراد المندرجة تحت هذا الجنس، والموز نفسه جنس، والموزة المعينة التي أمسكها أنا والموزة التي يمسكها ولدي هي من الأفراد المندرجة تحت هذا الجنس.

بعد ذلك يمكننا أن نطلق علىٰ الجنس حكم معين، وقد ثبت هذا الحكم للجنس، إمَّا بالوحي، وإمَّا بالتجريب، وإمَّا بالعادة، أو بأساس آخر من الأسس التي يتم بناء الأحكام عليها، فنقول -مثلًا-: الرجال أفضل من النساء، أو آل البيت أفضل من غيرهم، أو الفاكهة أحلىٰ من الخضراوات.

الآن ثبوت هذا الحكم للجنس لا يعني ثبوت هذا الحكم لكل فرد من أفراده،

بل يجب النظر بعد ذلك لكل فرد من الأفراد؛ للتأكد من توفر شروط ثبوت الحكم، وللتأكد من عدم وجود موانع أدت لتخلف هذا الحكم فيه.

فالفاكهة أحلىٰ من الخضروات هذا حكم علىٰ الجنس، لكنَّه لا يعني بالضرورة أنَّ كل فرد من الفاكهة سيكون أحلىٰ من كل فرد من الخضراوات؛ لذلك فعند النظر في الأفراد سنجد أنَّ هذا الحكم قد يتخلف في بعض أنواع الفاكهة والخضراوات، فمثلًا عند مقابلة الأفراد سنجد أنَّ البطيخ وهو من الخضراوات أحلىٰ من الليمون وهو من الفواكه.

ومثل ذلك قولنا: آل البيت أفضل من غيرهم، فهذا حكم علىٰ الجنس، لكنَّه لا يعني أنَّ كل واحد من آل البيت سيكون أفضل من كل واحد من غيرهم، بل عند الحكم علىٰ الأفراد ستكون هناك عوامل أخرىٰ للموازنة، وشروط وموانع وجهات للنظر، فلو كان الرجل من آل البيت فاسقًا، فالمطيع من غيرهم أفضل منه.

ومثل ذلك في الرجال والنساء؛ فإن جنس الرجال أفضل بنص الوحي. لكن هذا لا يعني أنَّ كل رجل أفضل من كل امرأة، بل عند الموازنة بين الأفراد سنجد أنَّ كثيرًا من النساء يكن خيرًا من كثير من الرجال.

فما فائدة هذا الحكم العام علىٰ الجنس الذي نطقت به النصوص؟

يفيد الحكم العام الذي تكلَّم به خالق الناس العليم الخبير -سبحانه- = أنَّ العرق الذي خلق الله آل البيت عليه فيه مكونات تحسن قابليتهم للصلاح والخير وتجعل الصلاح فيهم كثير مقارنة بغيرهم من الأنساب.

وأنَّ جنس الرجال، أعظم أثرًا في الأمم وأقدر من النساء علىٰ القيام بالمهام التي تحرك عجلة التاريخ؛ فالأنبياء كلهم رجال، وسادات أصحابهم غالبهم رجال، وسادات الأمم كلها يكونون من الرجال أكثر من النساء، فحكم الجنس في هاتين المسألتين يتعلق بالقابلية للأفضلية وبالنمط السائد المتحقق في التاريخ.

* مسألة أخيرة: أحيانًا، ننظر في الأفراد؛ فلا نجد سببًا لتخلف الحكم، وبالتالي يكون الحكم صادقًا في الجنس وفي الأفراد معًا، مثل الحكم بأنَّ أُولي العزم من الرسل أفضل الأنبياء، فهذا حكم صادق للجنس وصادق أيضًا في حق الأفراد، ومثل ذلك أيضًا علىٰ المشهور، أفضلية الصحابة علىٰ غيرهم، فإنَّ هذا

الحكم ثابت في حق الجنس وفي حق الأفراد، فكل واحد من الصحابة أفضل من أي واحد ممَّن بعدهم.

وبناءً علىٰ هذا، وتطبيقًا له علىٰ موضوعنا هنا = فإنَّ العلوم الدينية أفضل من حيث الجنس، لكن عند الناظر للأفراد تتدخل عوامل كثيرة في الموازنة، خاصة ما يتعلَّق بظروف الزمان والمكان والشخص الذي يفاضل بين أنواع العلوم ليختار لنفسه، وعند إقامة هذه الموازنات ننتهي في أحيان كثيرة إلىٰ تفضيل علم دنيوي علىٰ علم ديني، بسبب الاعتبارات المذكورة، ويقع العكس في أحيان كثيرة أخرىٰ.

(٢)

* العُلومُ الدنيويَّةُ نقصدُ بها فرعيْنِ أساسييْنِ:

أولًا: العلوم التطبيقية؛ كالطب، والهندسة، وأسسهما من العلوم البحتة كالرياضيات.

ثانيًا: العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ كالتربية، والدراسات اللغوية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والتاريخ.

من الأمور التي لازمت الصحوة الإسلامية في مصر وبعض البلاد التي تشابهها = قضية إقبال كوادرها علىٰ كليات القمة العلمية التطبيقية كالطب والهندسة، واقترن هذا بخطاب شاع في هذه الفترة: إنَّنا نريد الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، في استبطان لا شعوري للانفصال عن المجتمع، وهو استبطان راسخ في الخطاب الصحوي، وأرىٰ أنَّ التخلُّص منه من لوازم إصلاح حال المسلمين؛ ولذلك أؤكد علىٰ خطورته دائمًا، وأحاول دائمًا أن أتتبع الرموز الدالة عليه.

وقد زاد تشجيع الكوادر علىٰ هذه الكليات عند التيارات الإسلاميَّة التنظيمية؛ لأنَّه يسمح لهم عن طريق الدعوة في الجامعات باستقطاب كوادر من (كريمة

المجتمع) كما أنَّه طريق للعمل السياسي والأهلي بعد ذلك خاصة علىٰ مستوىٰ النقابات.

والحقيقة إنَّ الإقبال علىٰ الطب بالذات يعد من خصائص الأقليات تاريخيًا؛ فهو يسمح لهم بتكوين رأسمال رمزي في المجتمع، كما أنَّه يؤدي للاطلاع علىٰ بواطن هذا المجتمع بصورة كبيرة، بالإضافة لكونه قناة خدمية يمكن توظيفها بعد ذلك، ولذلك كان كثير من الأطباء يهود، والتواجد المسيحي في القطاع الطبي لا يستهان به، والإسلاميون خاصة في الصورة الصحوية تعاملوا بكثير من مكونات منطق الأقلية.

الإقبال الواسع علىٰ هذه الكليات أدَّىٰ بالتالي لكون معظم رموز التيار الإسلامي من خريجي هذه الكليات، وأضيف لها عند الإخوان كلية الحقوق.

ما الآثار السلبية لهذا التوجه؟

يمكننا التركيز هنا على أربعة آثار سلبيَّةٍ أساسيَّةٍ:

الأول: الفقر المعرفي الكبير الذي يُعاني منه هؤلاء الرموز؛ فأدواتهم لا تتعدَّىٰ قراءات وثقافة عامة، أو دراسات شرعية بالمعنىٰ الضيق، بينما إدارة تيار عريض في لحظات حرجة ومفصلية وفي مقابل تحديات مجتمعيَّة ضخمة، وخصومة سياسيَّة تتسع حتىٰ النظام العالمي كله = لا يستطيعها إلَّا مَن حصَّل معارف تتعلَّق بنطاق العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخبرات تتراكم بالممارسة ذات الأساس المعرفي، وليست الخبرات غير القائمة علىٰ أساس معرفي.

الثاني: أنَّ كثيرًا من هؤلاء المتخصصين في الطب والهندسة، ليسوا سوىٰ مهنيين أو مدرسين وممارسين في هذه التخصصات وقلة قليلة منهم هي التي صنعت من تخصصاتها هذه تفوقًا نوعيًا علىٰ مستوىٰ الإبداع والابتكار، وهذه القلة نفسها لم تتبناها الجماعات التي هم جزء منها، وليست مهمومة بنجاحاتهم إلَّا علىٰ مستوىٰ الفخر؛ فالتقدم التقني والعلمي ليس من هموم جماعات هذا التيار للأسف.

الثالث: حدوث نوع من المماهاة بين هذه التخصصات وبين الذكاء والتفوق العلمي والفكري، وهي آفة في المجتمع المصري عمومًا، حيث يتعامل مجتمعنا مع الطبيب علىٰ أنَّه من كوكب آخر.

وأنت تلاحظ أثر هذا في حرص كثير منهم علىٰ تسويق نفسه بحرف الدال، أو علىٰ الأقل حرص أتباعه وأحبابه، والحال أنَّ داله دال طبيب؛ فلا معنىٰ لاستحضارها في سياق الدين والدعوة إلَّا نوعًا من إرادة التأثير النفسي.

الأثر السلبي الرابع: أنَّ العقلية العلمية والتقنية إن انتقلت للنظر في الاجتماع الإنساني لا بُدَّ لها من التخلص من أمور في منطق تفكير المعرفة التقنية، وإن لم تتخلص منها وتفصل بين نطاق المعرفة العلمية التقنية ونطاق المعرفة الإنسانية = ستقع في إشكالات وأخطاء كثيرة وكبيرة، والواقع المشاهد: أنَّ كثيرًا من هؤلاء الكوادر: لا يملك لا منطق المعرفة العلمية ولا الإنسانية، فإن ملك العلمية لا يستطيع الفصل بينها وبين مجال الاجتماع الإنساني وطبيعة معارفه.

والمطلوب؟

المطلوب هو ضرورة استشعار شباب المسلمين لحاجات مجتمعاتهم، وحاجات إصلاحه والنهوض به، وأن يوازنوا بين مواهبهم وطموحاتهم وضغوط أسرهم وبين تلك الحاجات الإصلاحية، ولا شكَّ أنَّ هذه الموازنة عسرة جدًّا علىٰ شاب في السادسة عشر من عمره، ونحن لا نشجع الناس علىٰ قطع طريق دراستهم، بل ننهىٰ عن ذلك، لكننا أيضًا لا نملك إلَّا محاولة التنبيه علىٰ خطورة الواقع القائم.

في الحقيقة: العلوم الدينية والعلوم الإنسانية ليست ممَّا يُطلب به الدنيا في مجتمعاتنا، ولا تعطيك إلَّا نادرًا ما تعطيه لك كليات القمة من مال أو وجاهة، وهذا سبب مهم للأزمة وهو أوسع في إشكاليته من قضية الجماعات الإسلاميَّة وعلاقتها بمشكلتنا؛ لذلك -مثلًا- تجد كوادر العمل الإسلامي في الخليج أكثرهم من المتخصصين في العلوم الشرعية؛ لأنَّ لها هناك من الوجاهة والآثار الدنيوية ما يجعلها مقصودة ولا يحول بين الرجل وبينها ضغط أُسَري.

لذلك؛ فأحد إشكاليات شباب الصحوة الذين صاروا اليوم كُهولًا أنَّهم كانوا يحلمون ببناء البيت المسلم وتربية الأولاد الذين ليست لهم سابقة صبوة ومعصية، وحين نجحوا في بعض هذا = قذفوا بأولادهم أيضًا إلىٰ نفس هذه الكليات، ولم يستطيعوا التخلص من إغرائها.

وإذن: فالتياران الأساسيان في الحركة الإسلاميَّة -نعني السَّلفيِّين والإخوان-: كلاهما حرص علىٰ اجتذاب النخب الجامعية، سواء من الصف الأول الأطباء بأنواعهم والمهندسين بأنواعهم، أو من الطبقة التي تليهم من المدرسين والمحامين وباقي التخصصات الجامعية.

ورموز التيارين في العالم كله جامعيون من الصف الأول أو الثاني.

وكما ذكرنا: فإنَّ هذا لم يعُد بنفع كبير علىٰ هذه التخصصات، فلم تتطور المعرفة فيها، أو تتطور تطبيقاتها العملية تطورًا كبيرًا بانتماء أعداد منها للتيار الإسلامي، ومعظم المنتمين للإسلاميين من هذه التخصصات صاروا حرفيين في تخصصاتهم، فنادرًا ما ترىٰ مَن صار منهم طبيبًا عالمًا، والغالب هو الطبيب الحرفي الموظف، وهذا يرجع لعوامل كثيرة، فلا نقصد تحميل الإسلاميين وحدهم مسؤوليته بالطبع.

لكن الذي يتحمل الإسلاميون مسؤوليته الأكبر حقيقة في هذا الموضوع: هو ضعف أثر هذه النخب علىٰ مجتمعاتهم من جهة تخصصاتهم.

فالقطاع الطبي أو المعماري أو التعليمي (ومثلها الصناعي والتجاري والزراعي إن خرجنا عن نطاق الحديث عن النخب الجامعية)، والنفع الواصل من هذه القطاعات للناس = لم تحدث فيه تطورات نوعية كبيرة ناتجة من وجود هؤلاء فيه، اللهم إلا من جهة الأمانة والنزاهة التي توجد فيهم كما توجد في شرائح أخرى وتساعد على تحسين النسيج العام للمهنة.

هناك عوامل ومعوقات بالطبع، لكن لا شكَّ عندنا في أنَّ جزءًا كبيرًا من المسؤولية يتحمله الإسلاميون، وتتحمله سياساتهم في العمل للدين.

ووجه ذلك: أنَّ الطريق الوحيد لصناعة الفارق والأثر الحقيقي في هذه القطاعات هو أن يتقن كل واحد من العاملين فيها عمله، وأن يستحضر دومًا دوره الرسالي المتعلق بأن يكون طبيبًا حقًّا، ومدرسًا حقًّا، له منظومة قيم، ويسعىٰ لأنْ تكون له منظومة رؤىٰ تطور وتصلح المجال الذي هو فيه، بما ينفع الناس نفعًا مباشرًا، ويتلو ذلك تكوين شبكات صغيرة وفعَّالة داخل كل نطاق من هذه

النطاقات، ليس لها هدف إلَّا النفع المباشر للناس والمبرأ من أية أغراض حزبية أو سياسيَّة، وتقوم هذه الشبكات بسداد كل نقص تستطيع أنْ تسده في نطاقات عملها، مع مواصلة تزويد هذا المسار بالرؤىٰ المعرفية والنظرية التي تدعمه وتزيد في نفعه.

في الواقع لم يحدث هذا إلَّا في نماذج محدودة وقاصرة، ويرجع ذلك لأسباب تتفرق وتجتمع، أهمها أربعة أسباب:

أولًا: أنَّ الإخواني الطبيب فيه شركاء متشاكسون، وأحد الشركاء هو صاحب النصيب الأكبر -نعني: جماعته- وهي تغير طبيعة رسالة الطبيب وطبيعة أهدافها لترتبط ارتباطًا مباشرًا بالأهداف الحزبية والسياسيَّة، كما أنَّها تعوق في الوقت نفسه أية محاولة لإقامة شبكات فاعلة مرتبطة فقط بنطاق العمل وبأهداف النفع المباشر بلا غرض، فالجماعة تطرد غيرها من الجماعات، كما أنَّ الدولة جماعة تريد طرد غيرها من الجماعات.

ومثله في ذلك السلفي التنظيمي، مع الفارق أنَّ السلفي التنظيمي قبل الثورة يتم صرف رسالته إلىٰ أهداف التجميع والتحزيب مع إغراقه في واقع الطبيب العالم والطبيب الداعية الذي يستنزفه.

فتكون النتيجة من كل ذلك: أنَّ الطبيب الإخواني المسيس لا يحسن أن يصبح سياسيًّا حقًّا، ولا يحسن في الوقت نفسه أن يُؤدِّي الرسالة الحقَّة المنوطة بالطبيب.

والطبيب السلفي التنظيمي لا يحسن أن يكون عالمًا ولا داعية حقًّا ولا يحسن في الوقت نفسه أن يؤدي الرسالة الحقة المنوطة بالطبيب.

والسلفي غير التنظيمي يظل حلم الفقه والعلم مسيطرًا عليه تبعًا للخطاب العلمي الثقافي الشعاري عند السَّلفيِّين، فقلَّما يصبح هو عالمًا حقًّا، ولا يكون هو بحيث يؤدي رسالته الحقة كطبيب. ومثله الطبيب الذي يريد أن يكون طبيبًا ومفكرًا.

ثانيًا: أنَّ وهم السياسة والتنظيمات معها هو وهم السياسة الحداثية كلها: أنَّها تخدع عن الإصلاح، وتُضل عنه، وتسوق وهمًا حاصله أنَّنا نصلح المجتمعات بالسياسة والتنظيم، **وواقع الأمر أنَّهم يصارعون الدولة علىٰ المجتمع، والمصارع**

لا يهمه معالجة الداء بقدر ما تهمه المتاجرة به لمحاصرة الدولة المتسببة فيه، والضغط عليها.

فلم تُقدم النقابات ولا الأحزاب ولا التنظيمات للناس والمجتمع ربع ما كان يمكن أن تقدمه شبكات فاعلة ودوائر مرنة تتقاطع وتتحالف لخدمة أهداف تنفع الناس نفعًا مباشرًا.

ثالثًا: وهذا السبب الثالث يقع لغير التنظيميين، وهو من عيوب الفردية، ويقع كذلك للتنظيميين المهمشين: السقوط تحت ضجيج وزحمة الحياة وضغوطها ممَّا يؤدي مع الوقت لفقدان الهم الرسالي أصلًا، سواء منه الهم الرسالي وفق الصورة التي نرشحها، أو حتىٰ الهم الرسالي وفق صياغة الأحزاب والتنظيمات، فتجده مدرسًا أو طبيبًا لا فرق بينه وبين أي طبيب أو مدرس يسعىٰ للدنيا أو علىٰ الأقل لتحمل الدنيا.

رابعًا: فقدان الإحساس بضرورة تطوير المعرفة والإتقان في التخصص، والسعي وراء أداء دور وظيفي مبني علىٰ المعلومات المحصلة من قبل، فيقل السعي لتحصيل معرفة في التخصص ويقل السعي لتحصيل معرفة في مجال كيفية نفع الناس بالتخصص، فالأول: يتعلق بتحصيل معرفة تقنية خاصة بالتخصص والبروز المعرفي فيه، والثاني: معرفة يجب تحصيلها، وغالبًا ما تُستمد من مجالات العلوم الإنسانية وتجارب منظمات العمل المجتمع المدني.

* **خلاصات ثلاث:**

الأولىٰ: واضح أنَّنا لا ننفي وجود نفع يصل للناس من الهم الرسالي الذي صاغته الأحزاب والتنظيمات لأعضائها الموجودين في التخصصات التي تمس العمل العام، لكنِّي أقول إنَّه قليل ضعيف بسبب الخلل الذي دخله من جراء العبث بقيمه وأهدافه، ولا ننفي بالطبع وجود أفراد نجحوا في القيام بدورهم الرسالي علىٰ الصورة المثلىٰ رغم وجودهم في التنظيمات، ولكن كان هذا بمجهود فردي خاص وليس نمطًا سائدًا.

الثانية: مَنْ آنسَ من نفسه نبوغًا في غير تخصصه الدنيوي فليتفرغ له، سواء العلوم الدينية أو غيرها، وإن بقىٰ في تخصصه لحاجة الرزق؛ فلا بأس لكن ليجعل

اشتغاله بالتخصص الدنيوي في الحد الأدنىٰ، ومن أنس من نفسه نبوغًا في التخصص الدنيوي؛ فليتفرغ له، وليجعل صلته بالنطاق الديني صلة ثقافة واطلاع، وصلة هم رسالي، وصلة محاولة لتطويع التخصص لنفع الناس العام، أمَّا من يمكن أن ينبغ فيهما معًا ويسير في طريقيهما معًا = فتلك فئة نادرة لا تطمح لها إلَّا إن كانت أدوات هذا الطموح بين يديك.

الثالثة: التخصصات المتصلة بالناس خاصة الطبيب والمدرس، لو قيل إنَّ العاملين في هذين المجالين من أعظم الناس مسؤولية أمام الله مع المفتين والخطباء والدعاة = لَمَا كان بعيدًا.

لأجل ما تقدَّم: فنحن نُفضِّلُ أن تزيد أعداد المشتغلين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

ونفضل أن يكمل الرجل دراسته إذا دخل واحدة من كليات العلوم الدنيوية، وأن يطلب بها وجه الله؛ فإنَّه مأجور على ذلك من أبواب شتى، وأن يقرأ في العلوم الدينية قراءة ثقافية عامة، ولينظر في أمره بعد ذلك، فإن وجد توقًا لطلب العلوم الدينية؛ فيمكنه جعل وظيفته الدنيوية مجرد وسيلة للدخل، وليسعَ لطلب العلم الديني، وإن لم يأنس الرجل من نفسه فرصة للنبوغ في العلم الديني؛ فليسعَ للنبوغ في تخصصه الدنيوي مع الحفاظ على الهم الرسالي.

والصورة المثلىٰ للهم الرسالي: أن يكون همًّا يقصد إلىٰ نفع الناس نفعًا مباشرًا بلا أغراض ولا توسطات ولا قيم سياسيَّة وتنظيمية، وأن يكون هذا النفع وفق شبكات وتحالفات صغيرة ومؤثرة، لا يجمعها سوىٰ هدف نفع الناس، وتعويض نقص وقصور الدولة، دون مصارعتها علىٰ المجال صراعًا يضر عملك، وأن يقترن هذا بسعي لتحصيل المعرفة الدينية الضرورية فحسب، وسعي دؤوب لتحصيل المعرفة المتعلقة بعلمهم وتخصصهم التي تجعلهم متقنين حقًّا وسعي لتحصيل المعرفة المتعلقة بالعمل العام ونفع الناس والتي تجعلهم فاعلين حقًّا.

السَّعْي فِي اسْتِكْمَالِ شُعَبِ الْإِيمَانِ

«وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلىٰ الفجر، ثم جلس يذكر الله -تعالىٰ- إلىٰ قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ الغداء سقطت قوتي».

ابن القيم.

(١)

من أعظم أسباب القوة المادية والمعنوية المُعِينَةِ علىٰ الرُّقِيِّ في مدارج الطلب: حِرْصُ الطالب علىٰ متابعة تتميم بنائه الإيماني بالعبادات القلبية، وعبادات الجوارح، ومكارم الأخلاق العامة، وآداب الطلب الخاصة. ولا يبلغ الطالب مُراده حقًّا من طلب العلم الموصل للجنة حتىٰ يَعْمُر ظاهره وباطنه بأداء الواجبات الشرعية، وترك المنهيات الشرعية، فلا تكون منه مخالفة الأمر والنهي إلَّا فيما يقع منه الفينة بعد الفينة، فَتَعْقُبُهُ التوبة والأوبة.

ويكمل هذا بالنوافل التي لا يستغني الطالب عن حدٍّ أدنىٰ منها يختلف باختلاف أحواله الخاصة، وجوانب القصور النفسية والقلبية عنده، وخصائص مكانه وزمانه، وآكد ذلك رواتب الصلاة والصيام المؤكدة، والذكر وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة للحق بحسبه، والإحسان الزائد عن الواجب للوالدين والأهل، وأُولي القربىٰ، والمشايخ وطلبة العلم.

وإذا كان طالب العلم لا يقلُّ أجرًا عن الرواتب والنوافل، بل قد يفوقها إلَّا أنَّ

ذلك ينفع عند التزاحم الضيق، أمَّا عند الاختيار؛ فلا بُدَّ لطالب العلم من رعاية ميزان المفاضلات، وأنَّ المفضول في وقت وزمان ولشخص معين قد يكون فاضلًا في وقت آخر وزمان آخر وشخص آخر[(١)]، **ومن أعظم ما يُستعان به علىٰ ضبط هذا**: نصيحة الشيخ المربي، ولكن مثل هذا قليل في الناس اليوم، والله المستعان.

ومن النصوص النفيسة، ما ذكره ابن السبكي من حال بعض الفقهاء بقوله: «ومنهم طائفة لا تترك الفرائض، ولكنّها أحبّت العلم والمناظرة وأن يقال: فلان اليوم فقيه البلد، حبًّا اختلط بعظامها ولحمها، فاستغرقت فيه أكثر أوقاتها، واستهانت بالنوافل، ونسيت القرآن بعد حفظه، وشمخت بآنافها مع ذلك، وقالت: نحن العلماء؛ وإذا قامت لصلاة الفريضة قامت أربعًا لا تذكر الله فيها إلا قليلًا، مزجت صلاتها بالفكر في باب الحيض ودقائق الجنايات. وربما جاء ليقول: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، فسبق لسانه إلىٰ ما هو مفكّر فيه من جزئيات الفروع، فنطق به. ثم إذا سألت واحدًا من هذه الطائفة: أصلَّيت سنَّة الظهر؟ قال لك: قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة أو قلت له: أخشعت في صلاتك؟ قال: ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة، أو قلت له: أنسيت القرآن؟ قال لك: لم يقل إن نسيانه كبيرة إلا صاحب العدة، وما الدليل علىٰ ذلك؟ وأنا لم أنس الجميع؛ فإنىٰ أحفظ الفاتحة، وكثيرًا من القرآن غيرها. فقل له: أيّها الفقيه؛ كلمة حق أريد بها باطل؛ **إن الشافعىٰ لم يعن ما أردت، ولكلامه تقرير لسنا له الآن؛ ويخشىٰ علىٰ من هذا شأنه المروق من الدين رأسًا**»[(٢)].

طالب العلم مهما غلبته نفسه لا ينبغي أن ينقطع عن ثوابت العمل اليومية، والتي هي بمثابة زاده الروحي، أعني: القرآن، والصلاة، والذكر، والدعاء، وتذاكر كلام النبي ﷺ وسيرته وسير أصحابه، وتربية النفس علىٰ مكارم الأخلاق.

وبعض الناس ربما أنكرت نفسُه أنَّه يلازم هذه الثوابت، ثم إنَّ قلبه لا يلين، ونفسه لا ترتدع عن سقطات الذنوب المتتابعة، **والحق: إنَّ العلم والعبادة، ولين**

(١) انظر: «**مجموع الفتاوىٰ**»: (٢٤/ ٢٣٦)، (٢٦/ ٢٨٦).

(٢) «معيد النعم ومبيد النقم»، (ص/ ٨٤-٨٥).

القلب، وملازمة المساجد، ووصال القرآن، وسائر شُعب الإيمان = لا تعطيك حلاوتها إلَّا مع الصبر والمجاهدة، وكثرة القرع على بابها. وأكثر الناس يقرع ثلاثًا، ثم ينصرف، فكيف يصيب حلاوتها؟!

مِن الفتن، أو مِن الانحراف، أو مِن الضلال، أو حتىٰ مِن سُوء الخاتمة = السقوط أو النجاة ليس قرارًا لحظيًا، وإنَّما هو نتاج تاريخ طويل.

لذلك؛ كان تفقُّه بعض الأئمة في الذي يعمل بعمل الآخرة، ثم يسبق عليه الكتاب: أنَّه لم يكُ صادقًا، وأنَّ الله أخذه بسرائر يخفيها عن الناس.

إنَّ المظلة ليست علىٰ ظهرك ثم جئت تفتحها فعلقت، وإنَّما كانت مظلتك قماشًا فارغًا، وإن كان زاهي اللون تخدع به الناس.

ولا شيء يصنع تاريخك ويؤهلك للنجاة عند لحظات الامتحان الكبرىٰ مثل دوام الطاعة، والنظر في القرآن مع الإخلاص، وسلامة الصدر وحب الخير للمسلمين جميعًا.

(٢)

ولا يقلُّ أهمية عمَّا تقدَّم أن يعرف طالبُ العلم كيف يسوس نفسه إذا تراكمت عليه الذنوب، واقترب الران من تغطية قلبه؛ فإنَّ طلبة العلم يقعون في نوع من اليأس والإحساس بحرمان التوفيق، يُؤدِّي بهم أحيانًا إلىٰ القنوط وترك الطريق؛ لأنَّه يظنُّ أنَّ نفسه ليست مؤهلة للمواصلة في هذا الطريق الشريف مع وجود تلك الذنوب التي تغلبه.

فالباب الأعظم للشيطان ليس أن تقع في الذنب، الباب الأعظم للشيطان هو في أن تهجر الطاعة وتصير الذنوب لك حال دائمة.

فالمشكلة الكبرىٰ في الذنب ليست هي نفس الذنب، ولكن أن الذنب يتركك في حالة وهاء نفسي، يختلط فيها احتقار النفس بتخلي حفظ الله عنك= مما يقود للاسترسال في ذنوب شتىٰ، ويقود للمصيبة الكبرىٰ حقًا= وهي ترك الطاعات.

ولعل هذه هي الأزمة العظمىٰ التي تتسبب فيها كبائر الذنوب، أنها تقود إلىٰ هذا أسرع بكثير.

إنَّ سياسة النفس، وحُسن التعامل معها في مثل هذه الأزمات = شيء عظيم الأهمية، وسياسة النفس لا تكون إلَّا بتوفيق الله؛ فلا يكلك الله إلىٰ نفسك، ومن توفيق الله لك: **أن يرزقك إطالة النظر في محاسبتها، وتلمس مواطن قوتها، ومواطن ضعفها.**

ومن حرمان التوفيق: أن تطحنك الحوادث؛ فلا تجد وقتًا لتقف مع نفسك!

معالجة النفس = مفتاح النجاة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

وإنَّ من أعظم دلائل ألوهية الله وربوبيته، وجلاله، وكماله، وجماله = عبوديةُ العابدين، ومراغمتهم للشيطان، ومجاهدتهم لنفوسهم وأهوائهم.

وإنَّ نفوسًا علىٰ جهد الشهوات ومعاناة المكاره، تؤوب وتتوب، وتنصب باذلة مهجها لوجه ربها، لم تكن لتكون = لولا أنَّها تسعىٰ في مرضات رب عظيم.

إنَّ المعركة مع الشيطان والنفس الأمَّارة بالسوء = معركة نفسية بالدرجة الأولىٰ.

ورغم ذلك لم يُكتب في تحليلها -من الناحية النفسية- كتابةٌ حسنةٌ تُعين علىٰ إدارتها.

ومِن أسوأ عقوبات المعاصي: أنَّها تفقدك الثقة بنفسك، وتحدث خللًا في جهازك المناعي.

وهذا هو الأصل الذي يندرج تحته ما يذكر من أنَّ من عقوبة الذنبِ: الذنب بعده.

فأنت تكونُ بعد الذنب في حالة وهاء نفسي وفقدان للثقة، وهذه الحالة هي مفتاح القنوط.

لكنَّها ليست حالة لازمة لا فكاك منها، وإلَّا لَمَا قال ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**».

فما أعلمك إياه: هو أن تصنع لك مسارًا ثابتًا للطاعة، لا يتأثر بوقوعك في الذنب، واحرص علىٰ عدم الاسترسال في ذنوب أخرىٰ حتىٰ ولو ابتليت بذنب أصررت عليه لا تطاوعك نفسك علىٰ تركه، فلا تنتقل من خانة إلىٰ خانة، لا تنتقل من خانة الذنب بلا إصرار إلىٰ خانة الذنب بإصرار، ولا تنتقل من خانة الذنب بإصرار إلىٰ خانة الاسترسال في الصغائر، ولا تنتقل من خانة الاسترسال في الصغائر إلىٰ خانة الوقوع في كبيرة، ولا تنتقل من خانة الوقوع في كبيرة إلىٰ خانة الذي لا يبالي أي محارم الله انتهك حتىٰ يُختم له بالكفر والعياذ بالله.

دائمًا احرص علىٰ الوقوف بالخسارة عند حدها الأدنىٰ، واحرص علىٰ بقاء مسار الطاعة ثابتًا لا يتأثر بمسار المعصية، فإذا كنت تحرص علىٰ الجماعة ولك ورد من القرآن والذكر= فلم تترك شيئًا من هذا إذا وقعت في ذنب؟

إنك كمن وجد في بيته ذبابة ففتح كوة الحائط لتتسرب منها سائر أنواع الهوام، فلا يلبث الحائط أن يسقط ويتهدم البيت كله

ومن أعظم الوسائل المعينة علىٰ استعادة الثقة بعد الذنب: التوبة، والاستغفار، والفزع إلىٰ الصلاة، وقراءة القرآن.

وإن عدت للذنب= عد ثانية لهذا العلاج؛ فإنه: «**لَنْ يَمَلَّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا**».

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

وفي الخبر أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ؛ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**».

وهذا أصل عظيم جدًّا، مَنْ فَقُهَهُ = فَقُه معنىٰ الإنسانية، وحقيقة العبودية، وموطن الشرف عند ابن آدم.

فمنذ وسوس إبليس لآدم كي يعصي ربه، وما دام ناذرًا نفسه ليضل بنيه = حلم الباطل الأساسي: أن ينزل بالحق إلىٰ مستوىٰ الباطل . . .

إلىٰ الأسفل . . .

إلىٰ الحضيض . . .

ومنذ تلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه، وما بقي بنوه يذنبون فيتوبون = عظمة الحق الأساسية: أن يسمو على الباطل ويرتفع، فإذا سقط = قام أقوى ممَّا كان.

فعظمة الإنسان ليست في مجرد كونه حرًّا؛ تلك حماقة مادية كبيرة.

عظمة الإنسان حقًّا في استطاعته أن يختار الحق، وإن كان شاقًّا.

عظمته في قمعه لهواه . . .

عظمته في قدرته علىٰ النهوض من وَهْدةِ السقوط إذا أطاع الهوىٰ، فلا تلبث تراه عاصيًا = حتىٰ تراه قد تاب، وخر راكعًا وأناب.

تَحْدِيدُ الْهَدَفِ

«في البداية قُل لنفسك: ما الذي ستكون عليه، ثم ابدأ في فعل ما يلزم لتحقيق ذلك».

براين تريسي.

«إنسان بلا هدف كسفينة بلا دفَّة، كِلاهما سينتهي علىٰ الصخور».

توماس كارليل.

«للعقول العظيمة هدف، وللعقول الأخرىٰ أمنيات فقط».

فينس لومباردي.

(١)

لدينا هنا حقيقة واحدة كبيرة في مجال العمل والإنجاز، وهي: إنَّ ضبط الأهداف وتحديدها هو في واقع الأمر ضبطٌ لبوصلة الاتجاه بدونه نتفرق أشتاتًا، ثم لا نصيب شيئًا.

في القصة المشهورة: **«أَلِيس في بلاد العجائب»**:

تسأل (أَلِيس) القط فتقول له: هلَّا أخبرتني أي طريق يجب أن أسلكه؟

القط: هذا يتوقف علىٰ الهدف الذي تنشدينه.

أَلِيس: ليس لدي هدف محدد.

القط: إذن؛ فليس يهم أي طريق تسلكين.

نعم. إذا لم يكن واضحًا لديك ما الذي تريده بالفعل، وإلىٰ أين تريد أن تبلغ بعملك = فإنَّك لن تستطيع تحديد الطريق المناسبة، ولا الوسائل الفاعلة.

لأجل ذلك كان الحديث عن دار الجزاء من أهم مقاصد القرآن، بل جعله بعض العلماء ثالث ثلاثة من المقاصد الأساسية للقرآن الكريم؛ إذ تُعد الجنة ونعيمها قمة سُلَّم الأهداف للمسلم العامل في الحياة الدنيا؛ لذلك كان تَكرارُ ذكرها، وربطُ عمل المسلم بها، وجعلُها نِعم أجرٌ العاملين = حُجَّةً لنا علىٰ أهمية تحديد الهدف ودور هذا التحديد واستحضاره في دعم العمل.

وتحديد الهدف خصلة لا تقتصر أهميتها علىٰ دراسة العلوم الشرعية، ولا حتىٰ علىٰ التعلُّم بصفة عامة، بل هي خصلة ضرورية في جميع النشاطات الإنسانية، والناس يمارسونها عفوًا، لكن الممارسة العفوية يعتريها قدر من النقص يجعلها في كثير من الأحيان قليلة الفاعلية؛ لأجل ذلك ينبغي تجاوز الأداء العفوي لقضية تحديد الهدف، وينبغي تحويل هذه الخصلة إلىٰ صورة أكثر دقة، تتسم بإجراءات محددة، لا نريد أن نبالغ في حساباتها؛ فإنَّ الحياة أكثر تعقيدًا من هذه الحسابات الرياضية، لكنَّنا أيضًا لا نريد تركها تهيم في الخاطر هكذا لا زمام لها.

* من أهم الإجراءات المُتعلِّقة بتحديد الهدف ما يلي:

أولًا: الدراسة المتأنية لظروف الشخص وأحواله، سواء المتعلقة به هو، أو المتعلقة ببيئته المحيطة.

إنَّ ربط الأهداف والطموحات ببيئة الشخص وواقعه وظروفه المحيطة = يعينه علىٰ النجاة من فخ الأماني، والأماني هي الطموحات التي لا عمل يوصل إليها، ونحن لا نقصد هنا أن يرضىٰ الإنسان بواقعه ولا يطمح لتغييره. وأيضًا لا نقول إنَّه لا سبيل للقفز فوق عقبات الواقع، **لكن المقصود هاهنا:**

أن يدرس الإنسان واقعه، وفرص تطوير هذا الواقع وتغييره، ومهما كان التغيير ممكنًا والقفز على الواقع مواتيًا = فسيكون ذلك دائمًا وأبدًا عبر خطوات مرحلية لا بُدَّ فيها من مراعاة الظروف شِئنا أم أبيْنا.

وأضرب علىٰ ذلك مثالًا: مَن كان فقيرًا ذا عيال، يكد في يومه علىٰ عياله عشر

ساعات = فليس من الحكمة والتعقل في فهم الواقع أن يقول الإنسان: هدفي أن أكون عالمًا متفننًا في سائر العلوم، هذا ليس هدفًا، هذا مع ذلك الواقع = ضرب من الأماني وأحلام اليقظة.

وإنَّما الواجب أن يحدد الشخص أهدافًا واقعية كمرحلة أولىٰ، مثل:

(١) أن يُخفض عدد ساعات عمله إلىٰ ثماني ساعات، أو يكتسب مهارة أخرىٰ تُعينه علىٰ الحصول علىٰ عمل أرفق.

(٢) أن يحمل نفسه علىٰ الدراسة الثابتة والمنتظمة لمدة أربع ساعات يوميًّا، لمدة عام يُنهي فيها -مثلًا- المرحلة الأولىٰ في جميع العلوم.

بهذه الصورة يكون قد وضع أهدافًا قابلة للتحقق، وهي في الوقت نفسه خطوة علىٰ طريق تغيير البيئة والظروف المحيطة، بحيث يُمكن بالفعل أن يصل يومًا إلىٰ بيئة وإمكانات تجعل هدف العالِم المتفنن هدفًا واقعيًّا قابلًا للتحقق.

ثانيًا: تحديد القيم.

إذا حدَّد الإنسان قيمه التي يجب أن تكون حاكمة لأهدافه وأولوياته = فسيمكنه بذلك صياغة أهدافه صياغة تتناسب مع شخصيته، ويمكنه معها أن يولد دوافعه لتحقيقها.

فالإخلاص والنزاهة والجودة والإتقان والعزم المثابرة؛ إن كانت هي القيم التي تحكم حياتك = فسيجعلك هذا تصوغ أهدافك العامة والمرحلية وتتولىٰ سبل تحقيقها بصورة تختلف تمامًا عمَّا لو كانت قيمك هي طلب رضا الناس، والتحقيق الغايات بقطع النظر عن صحة الوسائل، وتفضيل الراحة والوصول السهل.

ثالثًا: تحديد الأولويات.

إنَّ الأشياء الجيدة كثيرة، لكن الجمع بينها في وقت واحد أو بدرجات متساوية = يتعذَّر في أحيان كثيرة؛ لأجل ذلك: فإنَّ من المهم دائمًا ترتيب الأولويات في حياتك، وتوزيع جهدك بحيث يتم صرفه للأمور الأكثر أهمية والأعلىٰ

رابعًا: مرحلية الأهداف.

إنَّ ما يساعد الإنسان علىٰ تحقيق هدفه هو أن يخطو الخطوة تلو الأخرىٰ.

ذكروا أنَّ أحد العدَّائين كان أعرج القدم، ولكنَّه استطاع أن يطوف حول عدة دول عدوًا علىٰ قدميه، سألوه كيف استطعت فعل هذا؟

فأجاب: كنت فقط أعدو حتى أبلغ عمود الإنارة القادم.

تحديد الأهداف المرحلية القريبة: أهم ممَّا تتخيل؛ بدون هدف محدد ممكن التحقيق = لا يمكنك أن تُحقق شيئًا ذا بالٍ.

ولكن هاهنا لا بُدَّ من القيام بعملية فحص جيدة للهدف، لا بُدَّ من توجيه هذا السؤال لنفسك: **هل إمكانياتي تؤهلني بالفعل لتحقيق هذا الهدف، وما هي أهم المعوقات دونه؟**

ومن الوسائل المهمة لفحص الهدف عند الاختيار استشارة شيخ أو أستاذ أو والد عارف بمواهب الشخص وملكاته. ويستحسن المصارحة التامة والمكاشفة الخالصة، فغش النفس والكذب عليها هاهنا قبيح جدًّا، ولا بُدَّ من أن يغالب الطالب طمعه فيما لا تساعده عليه مواهبه، فهذا الطمع ليس طموحًا مشروعًا، بل هو داء وبيل يقود إمَّا إلىٰ التعالم، وإمَّا إلىٰ الانقطاع.

ولا أعني أن ما يُشار عليك أو تُنصح به ملزم لك، لكني أقصد أن تستأنس به وأن يكون معيارك مركب من علمك بنفسك وما يمكنها أن تبلغه، مع ثقتك بعقل ناصحك ومعرفته بك.

*** وأذكر هنا بعض آليات فحص الهدف:**

(١) لماذا هذا الهدف بالذات؟

(٢) ما هي إمكانياتي لتحقيقه؟

(٣) ما درجة أولوية هذا الهدف بالنسبة للأهداف الأخرىٰ؟

(٤) ما هي العوامل المساعدة المتوفرة؟

(٥) هل يسعف الوقت لتحقيقه؟

(٦) هل لهذا الهدف بديل متاح؟

(٢)

ضبط طالب العلم لهدفه، هل هو: مُتعلِّمٌ علىٰ سبيل النجاة، يهدف لضبط فروض الأعيان والفروض الكفائية، ومعرفة السُّنن والمندوبات والمكروهات والمحرمات في العبادات والمعاملات، ثم يدعو لِمَا علمه، ويسير في أمر دينه ودنياه علىٰ ما أراد الله منه غيرَ قاصد لبلوغ منزلة العلماء أو التفرغ للدعوة للدين؟

* **أم هو: قاصد للغاية العُظمىٰ**، أن يكون عالـمًا من علماء الشريعة، متخصصًا في علمٍ أو متفنِّنًا بين العلوم؟

* **أم هو بين هذين: قاصد لتحصيل رتبة وسطىٰ** يشارك بها في العلوم، لكن تفرغه هو للمهام الدعوية أو الإصلاحية أو الفكرية؟

* **وإن اختار أن يكون عالـمًا**: هل حدد تخصصه؟ وهل حدد العلوم اللازمة والخادمة لهذا التخصص؟ وحدد القدر الذي يحتاج إلىٰ تحصيله من كل علم منها؟

من غير إجابة علىٰ تلك الأسئلة = لن يصل الطالب لهدفه أبدًا؛ لأنَّه أصالة لم يُعين هذا الهدف؛ وبالتالي لن يُحسن اختيار الطريق، ولن يفارق مكانه إلَّا قليلًا.

ومن غير إجابة علمية واضحة = فإنَّه لن يصل وصولًا تامًّا؛ لأنَّ إجابته وتصوره عن هدفه كان في الأصل ناقصًا مغبشًا.

وأنا أعلم أنَّ كثيرًا من طلبة العلم في أول طريقهم لا يمكنهم تحديد الهدف بوضوح، وتتنازعهم أهداف وأمانٍ وأغراض؛ لذا فاقتراحي للتعامل مع هذه المشكلة يمكن توضيحه بما يلي:

المرحلة الأولىٰ في أكثر العلوم الشرعية لا غنىٰ عنها لطالب العلم، فمَن لم يتضح له هدفه؛ فلا يشغل نفسه بالوصول لتعيين هذا الهدف، ولينتظر حتىٰ ينهي المرحلة الأولىٰ في العلوم الشرعية، وستتبلور رؤيته حينئذٍ.

لا يصلح تجاوز المرحلة الأولىٰ إلَّا لمن وطَّن نفسه علىٰ تخطي دائرة المتعلم علىٰ سبيل النجاة، بمعنىٰ: أنَّ المتعلم علىٰ سبيل النجاة فقط تكفيه المرحلة الأولىٰ.

والمرحلة الثانية لا غِنىٰ عنها حتىٰ لمن لا يقصد لأنْ يكون عالمًا، فحتىٰ إذا لم يكن تحدد له هدفه = فالذي نتيقن منه هنا، أنَّه لا يريد أن يقتصر علىٰ دائرة التعلم علىٰ سبيل النجاة، وإنَّما هو متحير بين: الترقي إلىٰ منزلة العلماء، أو الاكتفاء بدرجة وسطىٰ، ثم الانطلاق لميادين الدعوة والتربية والإصلاح، والدرجة الوسطىٰ التي يطلبها لا يمكن الاستغناء فيها عن المرحلة الثانية إلَّا في بعض العلوم مثل علوم العربية، فليطلب المرحلة الثانية من باقي العلوم إذن من غير أن يشغل نفسه بالبحث عن إجابة.

إذا وصلنا للمرحلة الثالثة، والتي تعقبها في بعض العلوم رابعة، أو يعقبها مباشرة بدء مرحلة الاطلاع بقصد التفنن أو الترقي لمنزلة العلماء = فهاهنا وقبل الدخول في الثالثة يلزم تعيين الهدف، فالمكتفي برتبة الدعوة العامة، ونحوها تكفيه المرحلتان السابقتان.

أمَّا المتخصص؛ فنوع تخصصه هو الذي سيحدد له ما الذي سيحمله معه إلىٰ جوار تخصصه فيدخل به في المرحلة الثالثة، وهذا يتوقف علىٰ معرفة أي العلوم هي ألصق بتخصصه؛ ليضمها لتخصصه في سلك الترقي.

أمَا المتفنن = فالغالب أنَّه سيدخل في المرحلة الثالثة مشتغلًا بجميع علوم الدين والعربية مستوفيًا مراحلَها كلها.

وحال أهل الزمان أو المكان وثيق الصلة بالطالب، ربما كان مؤثرًا في اختياره.

* وهنا تنبيه مهم:

وهو أنَّه سيبقىٰ دائمًا من ثغور العلم ما هو دقيق لا بُدَّ من رعايته وحفظه علىٰ المسلمين، فلا يلفتنك عنه من يزهدك فيه بدعوىٰ أنَّ الأمة أحوج إلىٰ كذا وكذا، بل وازن بين مواهبك وما تستطيع أن تقدمه للمسلمين في هذا الثغر الدقيق وبين الحاجات العاجلة، واعلم أنَّ من العلماء من هو عالم عامة، ومنهم من هو عالم خاصة، ولا تقوم الأمة بالعلماء وحدهم، ولا بالوعاظ وحدهم، ولا بالفقهاء وحدهم، ولا بالمُحدِّثين وحدهم، والتخصصات الدقيقة الصغيرة هي المكون الأهم للأمة العظيمة إذا تكاثرت وشملت مناحي الدين والدنيا، ولا يُصلح الأمة أن يكون جميع خاصتها خطباء علىٰ المنابر، أو دعاة في الفضائيات، والأمة تحتاج

لجميع مواهبها في جميع المجالات، فإيَّاك أن يصرفك عن طريقك الطويل برق خلب، أو رعد مصم، وبعض البرق والرعد إنَّما هو من جهام، وهو السحاب يرعد ويبرق ولا ماء فيه.

(٣)

كل إنسان له سُلَّمَان من الأهداف: سُلَّمٌ لأهداف الآخرة، وسُلَّمٌ لأهداف الدنيا، وهذان السُّلَّمان يلزم منهما سُلَّمان آخران من الوسائل والخطوات، فسلالم الدين والدنيا تتطابق أحيانًا، وتتوازىٰ أحيانًا، وتتصادم أحيانًا أخرىٰ؛ وكلَّما كثرت مناطق التطابق بينهما = كان هذا الإنسان الذي تطابقت لديه ممَّن جمع له بين خيري الدنيا والآخرة، وكلَّما تعارضا وتصادما = زادت الاختبارات والابتلاءات، وتلك هي مواطن المحنة في حياتك.

والأهداف حلقات يُفضي بعضها إلىٰ بعض، فمن الأهداف الجزئية المحددة (حفظ القرآن)، التي هي أشبه بالخطوات إلىٰ الأهداف الأقل تحديدًا (تحصيل العلم)، حتىٰ نصل للأهداف الكلية التي تشكل الأطر العامة لغايات الإنسان وأغراضه (سعادة الدنيا والآخرة)، وحلقات أخرىٰ بين ذلك كثيرة.

فالهدف بمثابة تحديد المهمة، وطبيعة الحياة أن تتعدد مهام الإنسان وتتنوع، وتشغل ذهنه في زمن واحد مهام متعددة، وإدارة هذه المهام يرتكز بصفة أساسية علىٰ تحديد الإنسان لأولوياته، ودراسته لظروفه المحيطة وحاجاته وعوائقه ووسائله، فهذه الأربعة هي مفاتيح النظر:

(١) الهدف.

(٢) الوسائل.

(٣) العوائق.

(٤) الظروف المحيطة.

وموازنة الإنسان بين سلالم أهدافه ضروري جدًّا؛ فالذي يقدم أهدافه الدينية دائمًا بلا أي اعتبار لوزنها النسبي، وبلا اعتبار لحاجات وضرورات دنياه = سرعان ما سينقطع، وكم رأينا طلبة علم أهملوا شأن الرزق، وخدعوا أنفسهم بأنَّ فتاتًا من الدنيا سيكفيهم = فأحدقت بهم أمور دعتهم لأن يعبوا من الدنيا، فكانوا كالمنبت؛ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقىٰ.

وكم رأينا من طلبة علم دخلوا في الدنيا، وقالوا سنستعين بها على الآخرة، فأخذتهم أخذًا، وخطفتهم بكلاليبها خطفًا، حتى صار طلبهم للعلم تاريخًا ربما حتى لا يتفاخرون به.

تَضْيِيعُ الْغَايَةِ الْعُظْمَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ جِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ

نعم؛ فمن أعظم الجنايات علىٰ العلم والمنهج تضييع الغاية، والهدف السامي للبحث، والنظر وطلب العلم، ولا شكَّ أنَّ هناك غاية عظمىٰ هي الإطار الخارجي لكل عبادة يتقرب بها العبد إلىٰ ربه، مِن طلب علم وغيره، وهي: بلوغ ما يرضاه الله ويحبه، بحيث يوصل ذلك إلىٰ الجنة، والفرار من مساخط الله ومعصيته، وما يبغضه، وما يعقب ذلك من استحقاق النار.

لكن هناك لكل عبادة غاية عُليا تختص بها، كما أنَّ غاية الصلاة العُليا الإتيان بأركانها، وواجباتها، ومستحباتها علىٰ وجه التمام والكمال، وكذلك طلب العلم ليس بدعًا، بل له غاية عُليا تختص به إذا فهمتها وعقلتها أعانك ذلك أيما إعانة علىٰ طلبك للعلم، ولمَّا أضاع الناس -إلَّا من رحم الله- تلك الغاية أضلتهم عن الاجتهاد، والإبداع، والابتكار، ووقعت بهم في وهدة التقليد والتبعية، والتقرير المُقَلِد، والشرح المجرد.

*** وهذا أوان الفحص عن تلك الغاية:**

فالغاية العُليا لطلب أيِّ علم من العلوم الشرعية هي: **بلوغ الهدي الأول، واللسان الأول، وأعني بالهدي الأول:** معرفة ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، والتابعون وأتباعهم -القرون المفضلة- في هذا العلم، ثم الأمثل فالأمثل بعد ذلك من الأئمة والعلماء ما لم يختلط كلامهم، ومناهجهم بكلام ومناهج الفلاسفة والمتكلمين.

وأعني باللسان الأول: ذلك اللسان الذي عبر به الصدر الأول عن المعاني قبل أن يستبدل قوم الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

ولعلَّ رجلًا يقول: قد كان لمن سميت بعض كلام في أبواب العلم التي ندرسها اليوم، ولكنَّهم لم يستوعبوا كل باب بالكلام، وَثَمَّ أبواب لم يطرقوها قطُّ، ثم هذا الصدر الأول ذاته قد اختلف أهله في كثير من مسائل العلم، فأصاب بعضهم، وأخطأ بعض، وإنَّما ينفق قولك لو كانوا قد أجمعوا علىٰ شيء في أبواب العلم تلك، أَمَا وقد اختلفوا؛ فأيُّ هدىٰ تأمرنا أن نطلب؟!

والحقُّ: إنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- بعث نبيه بالهُدىٰ ودين الحق، فكان فرقانًا فرَّق الله به بين الحق والباطل، فلمَّا مات النبي ﷺ اشتدَّ الناس في طلب الحق الذي جاء به النبي ﷺ، فكان من هذا الحق أبوابًا بُيِّنَتْ بيانًا ظاهرًا لا عذر لأحد في الإعراض عنه، ولا زالت بيِّنة إلىٰ يوم الناس هذا.

وكانت منه أبواب هي أبين ما تكون عند السلف الصالح صحابة النبي ﷺ، ولا زالت بيِّنةً عند من رزقه الله معرفتها؛ إلَّا أنَّها خَفِيَتْ علىٰ أقوام آخرين، أو عرفوها وأعرضوا عنها.

وكان من هذا الحق أبواب اختلف السلف في تمييزها اختلافًا محفوظًا أَذِنَ اللهُ به؛ ليبتليهم وليجعل فرض معرفة هذا الحق، والاجتهاد في طلبه من أعظم وأجلِّ أبواب عبوديته، وجعل الله هذا الحق مُفرقًا في المسلمين، فيصيب بعضَهُ بعضُهُمْ، ويخطئ بعضُهُمْ بعضَهُ، ويصيب الذي أخطأ أخرىٰ، ويخطئ الذي أصاب أخرىٰ، ولم يجعل الله عليهم من حرج، ولم يحرمهم من أجر ما آمنوا واتقوا، ولزموا البينة متىٰ ظهرت لهم، ولم يبغِ بعضهم علىٰ بعض.

فطلب الهدي الأول الذي هو غاية كل طالب علم: هو طلب أبواب الحق هذه بمراتبها الثلاث، مع معرفة قدر كل مرتبة، وما يتعلَّق بها من أحكام، وأن يكون هذا الطلب وَفْقَ منهاج الصدر الأول في معرفة الحق، فيكون همك معرفة الحق، وأن تسلك لمعرفة الحق نهج وسبيل الصدر الأول في طلب الحق.

وأنت إذا تأمَّلتَ أحوال هذا الصدر الأول؛ وجدت منهاجهم في طلب الحق منهاجًا فطريًّا سويًّا، وقوامه أمران:

الأول: السُّنن والآثار؛ يعرفون بها ما بلَّغه نبيُّهم عن ربهم -جلَّ وعلا- وما بلَّغه نبيهم لصحابته، وما حُفِظَ عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من سنن وهدي

يعين علىٰ فهم الوحيين، ثم ما يُنقل بعد ذلك عن أئمة الدين من كلام يكون دليلًا علىٰ الحقِّ.

والثاني: العربية؛ ومعرفة أحكامها وسننها الذي يفهم به مراد القرآن العربيِّ، ولسان النبيِّ العربيِّ، وكلام العرب الأقحاح الذين حملوا هذا الدين إلينا.

ذلك أنَّ الباطل يدخلُ على الإنسان من بابين:

الأول: قبول الكذب.

الثاني: الخطأ في تفسير الصدق.

فكان الاعتصام بالسنن، وضبط أحكام نقلها، وأحوال نقلتها عاصمًا من قبول الكذب إلَّا ما شاء الله.

وكان الفقه بالعربية، واللسان الأول، وكيف كانت العرب تتصرف في لسانها الذي جاء الوحي به، ثم الفقه بلسان كلِّ متكلمٍ من بعد، وضبط أحكام فهم كلام المتكلم= عاصمًا من الخطأ في تفسير الصدقٍ إلَّا ما شاء الله.

اسْتِوَاءُ الْمَنْهَجِ

لمنهج النظر واكتماله فضلٌ عظيم جدًّا، وكل إنسان اكتمل منهجه في النظر والتفسير، والتحليل والتركيب، والتقييم والاستنتاج = فقد اكتملت عدته العلمية، وأمكنه أن يكون له رؤية مستقلة في أي مسألة بمجرد أن تجتمع لديه معطياتها الأساسية.

وبدون منهج النظر: يظلُّ الإنسان الذي حصل معطيات المسألة = أسيرًا لوجهات النظر المطروحة حولها، وقصارىٰ أمره أن يتخير، أو يلفق بينها، دون أية رؤية مستقلة.

وأهم الفروق بين من يمتلك أدواته المنهجية، وبين من يخبط خبط عشواء: أنَّ صاحب المنهج يهتمُّ **بكيف بَنيتَ** رأيك بناءً منطقيًّا، وما موضع اتساقه مع بقية آرائك، أكثر من اهتمامه **بهذا الرأي نفسه**، صحةً وخطأً.

إنَّ إصلاح المنهج هو وظيفة العمر، وهو نسق مفتوح يموت أكثر الناس ولم يتمه، وإصلاح المنهج حلقات، في كل حلقة ميزان يجب أن تدركه، فإذا أدركته = وزنت به ما وضع هذا الميزان له.

فللرواية والنقل ميزان.

ولضبط اللسان العربي ميزان.

ولتفسير النصوص ميزان.

ولتصرفات الخَلْق والحكم عليها ميزان.

ولإصلاح النفس ميزان.

ولمنتجات العقول الإنسانية ميزان.

ولسان كل هذه الموازين واحد؛ وهو: الوحي، وإنَّما النظر في صفة كل ميزان، وباقي بِنيته التي تتصل بهذا اللسان.

واستواء المنهج عملية تراكمية، تنتج من تفاعل القراءة مع التأمل والتفكير، مع المناقشة والمباحثة وإعادة النظر، ويظهر هذا جليًّا عند تكرار قراءة الكتب المؤسسة؛ فإنَّ الكتب المهمة والمؤسِسة يتناسب انتفاعك بها -زيادة ونقصًا- مع المحصول الثقافي، ودرجة الإدراك والوعي التي عندك.

يظهر ذلك جليًّا حين تعيد قراءة أحدها بعد مرور سنوات علىٰ القراءة الأولىٰ.

ستشعر أنَّك تقرأه لأول مرة، وتتعجَّب من كمِّ الفوائد التي حصَّلتها منه، كأن لم تمرَّ عليها بالأمس!

وإذا استوىٰ المنهج = فلا بُدَّ من إنفاذه وتفعيله عند النظر في كل مسألة، والنظر الذي يعتمد علىٰ جمع ما يتعلَّق بالمسألة، والنظر في أجزاء المسألة جزءًا جزءًا، مع جودة ترتيب المقدمات والنتائج، واختبار ما يتم إيراده من الحجج، والعمق في استقراء أسباب الظواهر وصولًا إلىٰ تفسيرها، مع الحذر من السطحية، والتفسيرات الواحدية، ومع فتح النسق، وتقدير احتمال الخطأ = هذا هو التفكير المستقيم الذي يقود للعلم، ويُنقذ صاحبه من براثن المغالطات والأوهام، وبمثل هذا التماسك المنهجي: أقام الأئمة صروح العلم.

إنَّ أكثر قول «لا أدري» عند السلف ليس باعثَها الجهل، وإنَّما حملهم عليها احتياجُ القول لفضل اجتهاد ونظر.

وهذا هو ما غُفل عنها في زماننا؛ فكثرت الفتيا، وقَلَّتْ «لا أدري»؛ لأنَّهم ظنوا أنَّ مجرد استحضار جواب يغني عن «لا أدري»، وأنَّ «لا أدري» لا تُقال إلَّا مِن جهل، وأنَّ «العلم» أن تنظر في المسألة يومًا ويومين، ثم تقول فيها!

وليس كذلك.

وكثيرٌ ممَّا قال فيه الواحد من السلف: «لا أدري» = أحسب أنَّه قد كان معه فيه من العلم ما لو كان مع رجل من الناس اليوم = لحسب نفسه فقيهًا بريء الذمة إذا أفتىٰ، أمَّا هم = فما كانوا يرون ذاك الذي معهم يقوم بالفتيا.

* إذن: لدينا ثلاث مراتب:

المرتبة الأولىٰ: (الحصيلة المعلوماتية)، وهذه يكفي لتحصيلها مواصلة القراءة والاطلاع الثقافي، من غير درس منهجي لتحصيل الأدوات

المرتبة الثانية: (إنتاج الأفكار)، وهذه لا بُدَّ لها من خطوتين أساسيتين:

(١) الدرس المنهجي الذي يقصد إلىٰ: ضبط أدوات ومفاتيح العلم أو المجال المراد إنتاج الأفكار فيه.

(٢) مداومة الاطلاع المخلوط بالتأمل النقدي علىٰ كتابات المبدعين والمجددين وأصحاب النقلات المحورية في العلم المراد إنتاج الأفكار فيه، وتزداد القدرة علىٰ إنتاج الأفكار بزيادة الاطلاع الثقافي خارج مجال العلم المراد إنتاج الأفكار فيه.

المرتبة الثالثة: (صياغة منهج النظر)، والذي يليه صياغة رؤية منهجية مترابطة ومتكاملة.

وهذه أشقُّ المراتب وأعسرها ولا تُنال إلَّا بطول الزمان، وتكرار النظر، ومداومة البناء والهدم، وإعادة التشكيل مع التواصل والحوار، والصبر التام، والانقطاع التام.

ولا شكَّ أنَّ هذه كلها شروط ضرورية تقنية يجب أن تكون محوطة بتوفيق الله للعبد، وقدر من المواهب الذاتية، مع أمانة تامة ونزاهة، وجرأة نقدية، وأناة ومراقبة ومحاسبة.

الشَّيْخُ

الشيخ عنصر مهم وفعَّال في عملية الطلب عمومًا، وفي ضبط المنهجية خصوصًا، **ويمكننا القول**: إنَّ مَنْ كان له شيخ ملازم، قريب له، متابع يكاد يكون اتكاله علىٰ هذا الشيخ في ضبط منهجية الطلب والترقي هو الغالب، وكثير من كتب الطلب ومنهجيته إنَّما ينتفع بها في واقع الأمر أولئك الشيوخ المربون، ويكون باقي الانتفاع هو للطلبة الذين يطلبون بطريقة عصامية لا يرتبطون ارتباطًا وثيقًا بشيخ معين.

فقد ظهر إذن أنَّا لا نعني بالشيخ هنا الشيخ العالِم المُعَلِم، أو الشارح المدرس؛ فإنَّ هذا لا غنىٰ عنه، ولم يَعُدْ هناك مجال لادِّعَاءِ عدم وجوده أو عزته، خاصة بعد الثورة الهائلة في الاتصالات والتواصل، والتي جَمَعَتْ في حاسوب علىٰ ظهر مكتب بأبسط الوسائل= صفوةَ الشُّراحِ والمدرسين من كبار العلماء إلىٰ مبرزي طلبة العلم ومتقدميهم.

وإنَّما مرادنا بالشيخ هنا الشيخ المربي الذي يتعامل مع الطالب علىٰ مستوىٰ قريب جدًّا، يعرفه فيه باسمه، ويتواصل معه تواصلًا علميًّا وتربويًّا وإنسانيًّا خاصًّا معينًا مدركًا فيه وبه مواهبه وملكاته وظروف بيئته وعوائقه ونقائصه، وهذا اللون من المشايخ مَنْ يُرزَقُهُ؛ فقد رُزِقَ خيرًا عظيمًا جدًّا، **وأشيرُ إلىٰ نقاط مهمة تتعلق بهذا الباب**:

(١) آفة التصدُّر قبل التأهُّل قد تؤدي لِأَنْ يُبْتَلىٰ الطالب بشيخ غير قوي، أو غير أمينٍ، واكتشاف هذا عسير خاصة لمن كان في أول طلبه، ولا حيلة لنا إلَّا التنبيه علىٰ هذا راجينَ أن يكون في ترقي الطالب في مدارج الطلب ما يعينه علىٰ كشف المستوىٰ الحقيقي لشيخه هذا، وعندها إن رآه ليس أهلًا للموضع الذي كان قد

وضعه هو فيه، أو وضع الشيخ نفسه فيه؛ فلينسحب من وصايته بهدوء حافظًا له قدره، مبقيًا حبل الوُدِّ موصولًا، خاصة إن كان هذا الشيخ من أفاضل الناس خُلقًا وعبادةً، وإنَّما كان قد أُتي من جهة نقص العلم في بلده الذي يضطر معه الإنسان أحيانًا للتصدر من غير حول منه ولا قوة.

(٢) لا يلزم أن يكون هذا الشيخ من العلماء الكبار، أو المتفننين البارعين، أو المتخصصين المتمكنين، بل قد يكون الأنفع في ذلك من كانت رتبته أقل من أولئك؛ لكثرة أشغال الصنف الأول علىٰ عكس من دونهم الذين تقل أشغالهم -غالبًا- وتزداد قدرتهم علىٰ متابعة الطلبة.

(٣) **أهم خصائص الشيخ المذكور**: أن يكون مشاركًا في العلوم، أو أن يكون متقنًا للعلم الذي سيتابع الطالب فيه علىٰ أن يُعدد الطالب مشايخه في باقي العلوم وإنِ اكْتَفَىٰ بهذا الشيخ من جهة المتابعة العامة والتربية، وأن يكون هذا الشيخ من ذوي الخُلُقِ الحَسَنِ والعبادة القاصدة المُتَّبِعة؛ ليقع موقع القدوة من الطالب، وأن يكون له عناية بآليات التربية والتعليم، ومنهجية اختبار مستويات الطلاب وتدرجهم وتنمية ملكاتهم الإبداعية، وأن يحسن التعامل مع الشباب وطلبة العلم، وأن يتقن وسائل تزكية نفوسهم بهدي قاصد يناسب الترقي في الطلب من غير وَلَعٍ صوفي ولا تفريغ للطالب لمندوبات التعبد يعيقه عن الترقي في الطلب، وأن يكون سَمْحَ الصدر، لين الجانب، سهل المأخذ، حسن العبارة عف اللسان، رفيقًا رحيمًا متواضعًا، صادق النصح.

(٤) لا مانع من تعديد المشايخ المناط بهم القيام بهذه الوظيفة، فيكون للطالب مشايخ في العلوم المختلفة، وشيخ فيما يتعلق بتربية النفس وتزكيتها، وشيخ فيما يتعلق بمتابعة تطور الجانب العلمي، وتطبيق منهجية الطالب الصحيحة.

الدِّرَاسَةُ النِّظَامِيَةِ

الحصول علىٰ الشهادات العلمية مهم جدًّا، ولا غنىٰ عنه لطالب العلم، وقد تفتحت سبله عبر التعليم المفتوح وغيره لمن لم يكن من أول مرة طالبًا في جامعة تمت للعلوم الشرعية بصلة.

فكليات الآداب قسم اللغة العربية أو التاريخ، وكلية دار العلوم، وجامعة الأزهر، والجامعة الإسلامية، ودار الحديث الخيرية، والجامعة الأمريكية المفتوحة، كل تلك أبواب مشروعة للترقي في سلك الشهادات الجامعية الذي ينفع طالب العلم في هذه الأيام التي تربط بين التأهيل العلمي والشهادة الجامعية برباط المصداقية.

ولا يعني هذا أنَّ هذه الدراسة يمكن أن يستغني بها الطالبُ عن جهده الفردي، وإنَّما هي فقط وسيلة للترتيب والتنظيم، ووسيلة لدعم مصداقية طالب العلم وأهليته؛ فالطالب لا يستغني قطُّ عن جهده الذاتي في التعلم، وهو مأمور بالجمع بين هذا الجهد الذاتي وبين متطلبات الدراسة النظامية التي التحق بها.

الاسْتِقْرَارُ الْمَالِيُّ والتَّفَرُّغُ لِلطَّلَبِ

يُعد استقرار مصادر الدخل من أهم معينات الطلب، ويُعد الفقر وعدم استقرار الدخل من أكبر معوقات الاستمرار في طلب العلم، ومن الجلي أن هذه الورقات لن تعالج هذه المشكلة الكبيرة، **ولكن فقط أومئ إلىٰ إشارات**:

(١) مجرد الفقر لا يعوق، ولكن المعوق الحقيقي هو فقر المال مع فقر القلب والنفس من الاستعانة بالغني الحميد -سبحانه-، وقديمًا قال نهرو: «**الجيوب الفارغة لم تمنع أحدًا من إدراك النجاح، بل العقول الفارغة والقلوب الخاوية هي التي تفعل ذلك**».

(٢) سني الدراسة والتعليم التي يتولىٰ فيها الآباء النفقة عليك تعد من أهم فترات التعلم التي ينبغي عليك استغلالها إن كنت لا زلت في هذه السن، ففترة الدراسة الثانوية والجامعية يمكنك أن تؤسس فيها نفسك في معظم العلوم الشرعية تأسيسًا حسنًا.

(٣) كفالة طلبة العلم من أهم حلول هذه المشكلة، وهي من أعظم أبواب الإنفاق في سبيل الله، ولكن لا يمكننا أن نبني عليها وحدها حلَّ هذه المشكلة؛ فما زال طلبة العلم الفقراء أكبر من أن يستوعبهم هذا الحلُّ، خاصة مع نقص الوعي عند كثيرٍ من أغنياء المسلمين.

(٤) إنَّ أيَّة مقارنة بين التفرغ لطلب العلم وبين الانشغال به وبالعمل لكسب العيش لا بُدَّ أن تميل لصالح التفرغ، ولكن بالتجربة أقول: إنَّ هذا صحيح من ناحية التجريد الذهني، أمَّا المشاهد في أمر واقع؛ فهو أنَّ كثيرًا من المتفرغين يخونهم الفراغ والرخاء، فتضيع أوقاتهم ولا يُنجزون شيئًا، وكثير ممَّن يعمل إلىٰ جوار الطلب يكتسب روحًا صلبة مفعمة بالتحدي تدفعه للإنجاز؛ لذلك فالذي أراه

هو: ألَّا يقتل طالبُ العلم الذي يضطر إلىٰ العمل همَّتَه بنفسه، ولا يظن أنَّ اضطراره للعمل سيقعد به، فالمسألة فقط بحاجة إلىٰ ملكة إدارة الممكن والاستفادة من المتاح.

(٥) قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ، والذي أجزم به: أنَّ طالب العلم المضطر إلىٰ العمل ينجح ويوفق إذا راعىٰ أمرين، أولهما: أن يختار عملًا غير مجهد، والثاني: أن يداوم علىٰ الطلب لمدة أربع ساعات أو خمس يوميًّا لا تنقص أبدًا، وحبَّذا لو أعطاها صفوة وقته قبل الذهاب للعمل، وهذا من حسنات النوم المبكر والاستيقاظ المبكر.

(٦) لا حاجة لِأَنْ يستهلك الطالب الفقير ماله في شراء الكتب، فليشترِ فقط الكتب التي يذاكرها أو يحفظ منها، ولا غنىٰ له عن الحاسب الآلي، والمكتبات الإلكترونية، والكتب المصورة، وما دام محتاجًا للكتاب ولا يملك ثمنه زائدًا عن نفقته الأساسية = فأرجو ألَّا بأس عليه لو انتفع بالكتب المصورة في حدود حاجته فقط دون توسع.

(٧) ليس في مسألة تقديم الزواج أو تأخيره رأي قاطع؛ فهي تعتمد علىٰ عوامل كثيرة، والأقرب عندي أنَّ من كان يملك نفقات الزواج، ولن يضطر للتفرغ للعمل لتوفيرها؛ فعليه أن يُعجِّل بالزواج، أمَّا من كان لا يملكها؛ فالرأي عندي أن يؤخر الزواج حتىٰ ينتهي من المرحلة الثانية في كل العلوم الشرعية، فتكون فترة تفرغه للعمل لتوفير نفقات الزواج فترة بناء بالمراجعة والمطالعة والقراءة المتفرقة، فلا يلبث أن يعود للطالب بعد مرور هذه الفترة، والزواج خير كله.

مَنْ لَزِمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ وَانْقَطَعَ لَهُ فُتِحَ لَهُ

هذه قاعدة جليلة من قواعد التعلم، بل قاعدة من قواعد الاجتهاد والإبداع العلمي، **وقد قررها أستاذنا وشيخنا الدكتور محمد محمد أبو موسىٰ تقريرًا بديعًا، فقال**: «إنَّه من أهم ما يجب أن يكون هو: أن نبذل في دراسة علومنا القدر الذي بذله كل جيل من أجيال علمائنا الذين سبقونا بإحسان مع زيادة في المجهود، وزيادة في التحرير والتدقيق، وزيادة في إتقان الوسائل وتجويد العمل تتعادل هذه الزيادة مع التقدم السريع الذي تحققه الأجيال في سباقها المحموم نحو التقدم والسبق والغلبة.

وكانت أجيالنا من العلماء الذين سبقونا يبذلون كل وقتهم وكدهم وجهدهم في تقريب علم الأمة إلىٰ أجيالها، وخَلْقِ السُّبل الميسَّرة للتواصل بين أهل الزمان الذي يعيشِ فيه العالِمُ وبين العلم الذي شُغل به، إيمانًا منهم بضرورة أَنْ تُقَارِبَ هذه العلومُ عقول الأجيال، وأن تساكن نفوسهم وهم يمارسون ما يمارسون من بناءٍ وتقدمٍ؛ لأنَّ روح الأمة وماهيتها وما تمتاز به بين الناس من خصوصية إنَّما هو في هذه العلوم، وما تتضمَّن من قيم وأفكار ومعانٍ ومبادئ، وليس تقريب العلم من روح العصر بالأمر الهيِّن، ولا هو بتغيير في أسلوب العلم ولغته، وإنَّما تقريب العلم من روح العصر وأهل الزمن عملٌ أبعدُ من ذلك، ولا يقف أبدًا عند اللغة؛ لأنَّه إعمال العقل في جوهر المعرفة، وتحوير في هذا الجوهر وتعديل في البناء الفكري حتىٰ يتلاءم جوهر العلم مع الزمن الجديد، وهذا جهاد آخر لا يقل عن جهاد الذين أسَّسُوا، واستنبطوا، ثُمَّ هو نفسه تطوير للفكر، وتجديد له، وتحديث له؛ لأنَّ إعمال العقل لا يكون أمرًا معتدًّا به ما لم ينفذ هذا العقل إلىٰ حقائق العلم، وينفث فيها من روحه، فيستحسن ما يستحسن من أفكار، ويطيل الكلام

فيه، ويكشف وجهًا من وجوه حُسْنِهِ كان مغشىٰ في كلام من سبق، ويستهين بفكرة، ويغمض الكلام فيها وكانت بارزة في كلام من سبق، وبذلك وغيره كثير يصير هذا العلم مصبوغًا بعقل هذا الباحث الذي درسه وقربه وأحضره لعصره؛ ولهذا نرىٰ كلَّ كتاب في العلم الواحد والذي له ثوابت واحدة يتميز بتميز مُصنِّفِهِ، ويحمل روح كاتبه هذه الروح التي تُصِرُّ علىٰ أن تظهر من وراء الثوابت الكثيرة والضوابط المطردة.

ولا يكون تقديم العلم إلىٰ الزمن الذي نحن فيه تغييرًا في الأسلوب فحسب إلَّا عند الملخصين للمعرفة، والذين يأخذون ظواهرها، ولا تتولج قلوبهم وعقولهم في حقائقها وجوهرها.

وقد **قالوا**: إنَّ كتاب سيبويه مع جودته، وأنَّه لم يشذ عنه شيء في بابه، حتىٰ إنَّ أبا الطيب اللغوي كان يسميه قرآن النحو، **أقول**: هو مع هذا قالوا فيه: إنَّه كُتِبَ علىٰ شريطة زمانه، **قال ابن كيسان**: «نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلىٰ عبارة وإيضاح؛ لأنَّه كتاب أُلِّف في زمان كان أهله يَأْلفون مثل هذه الألفاظ؛ فاختُصِر علىٰ مذهبهم». انتهىٰ كلام ابن كيسان، وقوله: «وجدنا ألفاظه تحتاج إلىٰ عبارة وإيضاح» لا أفهم منها غرابة الألفاظ؛ لأنَّ كتاب سيبويه ليس فيه ألفاظ غريبة، وإنَّما الألفاظ هنا المراد بها صياغة الأفكار، وتركيب الأفكار، وأنَّ الإيضاح المقصود هو إعادة تركيب الأفكار علىٰ الوجه الذي يفهمه أهل الزمان، وإنَّ سرَّ وروده في كتاب سيبويه هو أنَّ أهل زمانه كانوا يَأْلَفُونَ هذه الأبنية -أعني: أبنية الأفكار-، ولذلك نجد أنَّ الغموض الذي ذكره العلماء في كتاب سيبويه وسأل فيه الأكابرُ الأكابرَ لم يكن راجعًا إلىٰ لفظ غريب، وإنَّما كان راجعًا إلىٰ بيان مراد سيبويه من عبارته، وراجع شروح سيبويه في الأزمنة المتتابعة تجد كلَّ شرح كأنَّه صناعة جديدة لعلم سيبويه، أعني: وعيًا جديدًا للمادة النحوية، وبناءً جديدًا لها، وهذا هو الذي يفسر لنا ولع أهل العلم بقراءة «**الكتاب**»، حتىٰ إنَّ أحد نحاة الأندلس، وهو عبد الله بن محمد بن عيسي كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يومًا، وهذا قاطع في أنَّ المراد ليس هو تحصيل المادة العلمية كما هي في الكتاب، وإنَّما المراد التدسس

في أعطاف هذه المادة لاستخراج ما خَفِيَ من علم الرجل، **وكان أبو جعفر النحاس يقول**: «إنَّ سيبويه جعل من كتابه شروحًا، وجعل فيه مشتبهًا؛ ليكون لمن استنبط ونظر فضلٌ، وعلىٰ هذا خاطبهم الله ﷻ بالقرآن».

الذي أريده هو: إنَّ اللَّاحقين من علمائنا بذلوا من الجهد في مزاولة وتحرير وتدقيق علم مَن سبقوهم الشيء الكثير، حتىٰ إنَّك لو قلت: إنَّهم أكثر كدًّا وكدحًا، ومزاولة وصبرًا لـم تتجاوز، وإن كانوا دائمًا يعترفون بالتقصير وتقديم من سبق؛ لأنَّ هذا من خُلُقِ وطبع أهل العلم.

لا شكَّ في أنَّ مِن شُرَّاح سيبويه وممَّن قرأوا كتابه وعقَّبوا عليه مَن لا يقلُّ فضلًا وعلمًا عن سيبويه، ولا أتردَّد في أنَّ أبا سعيد السيرافي كان من طبقة سيبويه في عمله، وذكائه ووعيه باللسان، وربما كان أوسع ميدانًا من سيبويه؛ لأنَّه كان مفسرًا وفقيهًا ومفتيًا، **وقد وصفه أبو حيان بقوله**: «كان أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كل باب، وأخرج من كلِّ طريق، وألزم للجادة الوسطىٰ في الدين والخلق، وأقضىٰ في الأحكام، وأفقه في الفتوىٰ».

أردت أن أؤكد أنَّ الذين عالجوا نقل المعرفة من جيل إلىٰ جيل علىٰ الوجه الأفضل والأشمل والأمكن هم الذين طوروها من خلال هذه المعالجة، وقد بذلوا في ذلك جهودًا لا تقل عن جهود الذين استنبطوا واستخرجوا، وأنَّهم كانوا يعانون التغلغل في أعطاف المعرفة وفىٰ جوهر المعرفة تغلغلًا يكشف لهم خبايها وسرها وفقهها، وأن زماننا حُرِمَ من هذا الصبر والانقطاع، وطول الملازمة، وكل ذلك وما هو أكثر منه واجب في تقريب العلوم واستمرار تيارها وتفاعلها وفعلها في أجيال العامة والخاصة، ومن الخطر أن يتوقف هذا التيار، وخصوصًا بعد هجمات التغريب التي دخلت العلوم العربية والإسلامية، وهىٰ في أحضان المخلصين لها.

الأصل: أنْ يجتهد المشتغلون بعلم البلاغة في زماننا اجتهاد عبد القاهر، والزمخشري، والرازي، وأبو يعقوب، وابن الأثير، وابن أبي الأصبع وغيرهم، وأن يجتهد النحاة اجتهاد الخليل، وسيبويه، ويونس، والأخفش، والسيرافي، وأبي علي، وأبي الفتح، وأن يجتهد الفقهاء اجتهاد مالك، والشافعي، وأحمد، ومن في طبقتهم، ولا يكون ذلك إلَّا بالانقطاع والصبر وطول الملابسة، والصدق

والإخلاص، وهذا هو الطريق الذي لا طريق للناس سواه في تطوير المعرفة ونموها وازدهارها، وليس باللَّغْوِ الكاذب الذي تراه من حولك وتسمعه.

وهذا الاجتهاد، وهذا الصبر، وهذا الإخلاص، وهذا الصدق هو الذي تتخلق في محيطه النقي الصادق عبقريات لا غنىٰ لحياة الناس عنها، وأن يكون ذلك في كل ميادين المعرفة، وإن لمن الشيء الذي يجب أن نتوقف عنده بحذر وخوف هو أن تنقطع سلسلة النجوم في أي فرع من فروع المعرفة، حتىٰ لا نرىٰ نابها مع كل عقد من الزمن في كل باب من أبواب العلم.

إنَّه لمن المخيف -بل والمرعب- أن تنسىٰ حياتنا ظهور النوابغ، وأن تغفل عن صناعتهم وأن تكون جامعتنا كالأرض الخراب ليس فيها إلَّا أصداء أصوات الآخرين في كل فروع المعرفة، وليس لهذا كله سوىٰ علة واحدة هي أنَّنا نسينا مذاهب العلماء في الانقطاع لطلب العلم، والصبر علىٰ ملازمة الدرس، والمراجعة والصدق النقي في طلب وجه الصواب، وتخليص النفس من كل شيء إلَّا لهذا، ولم تضع يد لبنة في بناء المعرفة في أي باب إلَّا بالصبر، وطول المراجعة، وطول الانقطاع، والصدق، وهؤلاء في تاريخنا هم الشراة الذي اشترىٰ الله منهم أنفسهم.

وهذا الانقطاع الواجب الذي لا بُدَّ أن يكون في جمهرة الدارسين في كل فرع من فروع المعرفة، ليس من الترف، وإنَّما هو من الواجب الذي لا سبيل إلىٰ التخلي عنه؛ **وذلك لأنَّ طبيعة المعرفة لا تكشف لنا عن جوهرها المكنون إلَّا بهذا الصبر وهذا الانقطاع.**

إنَّ عبد الله بن محمد بن عيسي الأندلسي الذي كان يختم كتاب سيبويه كل خمسة عشر يومًا لم يكن عابثًا، ولم يقتل فراغه بذلك، وطول المراجعة لكتب العلماء تكشف جوانب؛ لأنَّ مدد العلم لا ينقطع، وشريعته دائمًا زرقاء -كما يقول عبد القاهر- يعني فيها الجديد لكل مَنْ طَلَبَ العلم علىٰ وجهِهِ، ووجهُهُ هو الانقطاع والصدق والصبر.

ومعنىٰ قولهم: «**إِنَّ العلمَ لا يُؤتيكَ بعضَه إلَّا إذا أتيتَه كُلَّك**» = أنَّ العلم إذا أعطيته بعضًا لا يعطيك شيئًا، وما طالت مراجعاتي لباب؛ إلَّا تكشَّفت به وجوه من

المعاني لم تكن قبل طول المراجعة، وتحصيل العلم وحده هو الخطوة الأولىٰ، والدرجة الأولىٰ التي يجب أن يقف عليها عامة الناس وخاصتهم، ثم تأتي المراقي بعد ذلك مرقاة فوق مرقاة وتمتد بامتداد الحياة وامتداد المراجعة والانقطاع والصبر والصدق.

هذا هو العاصم الذي يعصم عقل الأمة من الانزلاق في مستنقع التبعية الفكرية التي ترىٰ كثيرًا منَّا غارقًا فيها، وهو مغتبط بتبعيته وعبوديته لعدوه الألد.

الاِعْتِنَاءُ بِالتَّحْصِيلِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ وَتَرْك إِحْرَاقِ الْمَحْصُولِ الْقَلِيلِ بِالْجَدَلِ الْكَثِيرِ

وممَّا يجب أن يحرص عليه الطالب أيضًا: ترك الجدل والمُماراة في العلم؛ فإنَّ كثرة المماراة، وإدمان تحصيل المسألة بالليل من أجل مماحكة الناس بها بالنهار = يضيع العلم.

وكثير ممَّا يقيمه الناس في أنفسهم من اعتراضات وشبهات = لو صرفوا أنفسهم عنها إلىٰ تحصيل مسائل العلم، وأسس المنهج العلمي والتفكير السليم = لكان أحسن.

جرب أن تفكر، وأن تعترض، وأن تُقيم نفسك حكمًا بين الآراء، قاضيًا توازن بينها بلا وكس، ولا شطط.

وبالتوازي: استكمل أدواتك العلمية، واستكثر من العلم مؤصلًا، في النحو والصرف، والأدب والبلاغة، والأصول والحديث، والتفسير والفقه، والاعتقاد والتاريخ، وقدر ضروري من المطالعة الثقافية وأدوات العلوم الإنسانية.

لكن نصيحتي: كن شجاعَ الرأي، جبانَ القول، بمعنىٰ: فكر بمنتهىٰ الحرية، ولكن بين جَنبات صدرك، أو مذاكرات ضيقة جدًّا لأَخلص أصحابك وأعقلهم، ولا تنطق بشيء من هذا أبدًا تماري به وتجادل.

واستمرار حالة الرأي الشجاع بالتوازي مع استكمال الأدوات هو الذي يصنع العقل الناقد، واستصحاب جبن القول وعدم الجرأة علىٰ التكلم في الدين قبل استكمال الأدوات هو الذي يصنع الفقيه التقي، الذي يخشىٰ أن يحمل الناسُ عنه رأيًا فَطيرًا لم يُتمه.

والجمع بين هاتين هو الذي يصنع المجتهدين المبدعين أئمة الدين.

* **كثيرًا ما يقابلني هذا النموذج:**

نموذجُ مَن يقرأ كتابًا؛ فيُغير بنسبة كبيرة تصوراته أو رأيه عن موضوع ما، أو شخص ما، أو طائفة ما.

لا شكَّ أنَّ عملية التغيير المبنية علىٰ المعلومات إيجابيةٌ، وهي أحسن من التغيرات المبنية علىٰ ردود الأفعال، **لكن موضع الإشكال في أمرين:**

الأول: أنَّ غالب التصورات التي يتمُّ تغييرها بهذه الصورة تكون من البداية تصورات هشة ناقصة، بنيت علىٰ معرفة ناقصة، أو تفكير مجرد أو ناقص عن المعلومات، وبالتالي الذي ينبغي أن يستدعي الانتباه: **لماذا أصلًا بنيت تصورًا دون دراسة كافية؟**

الثاني: ما الذي يدريك أنَّك لو قرأت كتابًا آخر ستعود لتغيير هذا المتغير بصورة أكبر؟

بعبارة أخرىٰ: ألَا يمكن القول: إنَّك تواصل في نفس الطريق الخطأ، وتعود مرة أخرىٰ لبناء التصور والرأي علىٰ معلومات ناقصة هي حصيلة ما جمعته من هذا الكتاب الجديد؟

والصواب: هو ما أشرتُ له من قبل من ترك التعجل في بناء التصورات ما دُمت لستَ مضطرًا لبناء تصور، وإلىٰ أن يستوي منهجك في التفكير، وإلىٰ أن تجمع المعلومات الكافية عن الموضوع الذي تريد تكوين رأي حوله = لا تستعجل الاقتناع بالأفكار، وقف منها دائمًا موقف القاضي الذي يؤجل القضية لمزيد من الاطلاع.

ثم اعلم أنَّ البُعد عن مجادلة ومجالسة أصحاب الشبه الصارفين عن العلم = خير، وقد أورد عبد الله بن بطة العكبري (ت: **٣٨٧ هـ**) في كتابة **«الإبانة الكبرىٰ»** عن ذلك أكثر من ثلاثمائة وأربعين نصًا، **ثم عقَّب علىٰ ذلك بقوله:**

«فاعلم يا أخي أنِّي لم أرَ الجدال، والمناقصة، والخلاف، والمماحلة، والأهواء المختلفة، والآراء المخترعة من شرائع النبلاء، ولا من أخلاق العقلاء، ولا من مذاهب أهل المروءة، ولا ممَّا حُكِيَ لنا عن صالحي هذه الأمة، ولا من سير السلف، ولا من شيمة المرضيِّين من الخلف، وإنَّما هو لهْوٌ يُتعلم، ودرايةٌ

يُتفكَّه بها، ولذَّةٌ يُستراح إليها، ومهارشةُ العقول وتذويب اللسان بمحق الأديان، وضراوة علىٰ التغالب، واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلىٰ قهر المناظر، ومغالطة في القياس، وبهت في المقالة، وتكذيب الآثار، ومكابرة لنصِّ التنزيل، وتهاون بما قال الرسول، ونقض لعقدة الإجماع، وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة، وشكوك تدخل علىٰ الأمة وضرواة السلامة، وتوغير للقلب، وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا الله وإيَّاكم، وأعاذنا مجالسة أهله»[1].

وبعض الجدل دواء للناس من الشبه، لكن الوحي وفقهه، وبيان ومعرفة ما أراد الله من خلقه القيام به = هو الغذاء.

والجدل والكلام، ورد شبه من ضل عن الحق = هو الدواء.

وآفة كثير من الناس: أنَّه يريد أن يضع الدواء موضع الغذاء، ومن جعل الدواء غذاء = قتل الناس.

وكل جدل أو حوار أو نصيحة لا تستحضر فيها الرحمة بمخالفك، وإرادة هدايته، وحب الخير له = كان ذلك من الاستطالة بالحق، ومن أخلاق أهل السنة: ترك الاستطالة بالحق، أو بالباطل، وإياك وعجلة الذين يستخفون القول كأن الكلام في الدين سمر مباح، افْسح المجال لنفسك لتتأمل فيما يقوله الناس وفيما يكتبونه، اعرف وأنكر، واسخط وارْضَ، وخُذ ودَعْ، مجاهدًا نفسك ألَّا تَردَّ قولًا لجهالة قائل، ولا لضعته، ولا لباطل أنِف منه، محاولًا جهدك -وهو أشق- ألَّا تقبل قول قائل لسابق عهد، أو محبة، أو أُنس، محاولًا جهدك -وهو أشقها جميعًا-: ألَّا تَرد جملة أو تَقبل جملة، وألَّا يحملك وجود الباطل في كلام الرجل عن إضاعة ما فيه من الحق، وألَّا يحملك وجود الحق في كلام الرجل علىٰ أن تغفل عمَّا فيه من الباطل، وأن تعدل ما استطعت؛ فإنَّه ما ذَرَّ قَرْنُ الفتنة بعد محمد وأصحابه إلَّا بإضاعة العدل، وأنَّ أقوامًا غَمِطوا رجالًا فجحدوا خيرهم لِمَا رأوه من شرهم، وأنَّ أقوامًا لم ينصحوا في رجال فغشَّوا شرهم لِمَا رأوه من خيرهم

وبعض الجدل يكون مذاكرة وتعلمًا، لكن شرط هذا ألَّا تجادل أحدًا إلَّا مَن

---

(١) «الإبانة»: (٢/ ٥٣١).

كان صاحبَ علم وتُقَىٰ تنتفع منه، وينتفع منك، ولا يُزيدكما الخلاف إلَّا محبة.

وأمَّا غير ذلك = فلا تزد علىٰ أن تقول كلمة الحق التي معك من غير أن تنصب حولها جدلًا، واستمع لمن يريد نصحك، ولا تناقشه نصيحته، بل خذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وسل الله التوفيق؛ فإنَّه أنقص شيء في الناس اليوم!

والحق: إنَّه كُلَّما ازداد علم المرء، وحسُن نظره في العلم = فقد شهوة الجدل، وفرح بالحق الذي يهديه الله إليه، ورأىٰ هدايته له فوزًا لا يحتاج بعد ذلك لتوكيده بالظفر علىٰ فلان أو فلان من مخالفيه.

وكُلَّما ازداد علم المرء وحسُن نظره في العلم = اشتد تأذيه من سماع الآراء الضعيفة والأفكار المشوشة والأقوال الباطلة، وصار يطلب سلامة قلبه منها فلا يحب التعرض لها، وصار كمن متعه الله بدوحة جميلة فلا يُحب أن يرىٰ قبحًا يخالطها، أو كمن متَّعه الله بالطعام الحسن لا يقبل أن يدعه إلىٰ غيره من مرذول الطعام؛ فإنَّ مَن أنِس بالحق ونوره حقيقٌ أن يستوحش من الباطل وظلمته.

التَّدَرُّجُ وَالْتَّأنِّي مِفْتَاحَا الْوصُولِ

اعلم أنَّ مَن رَامَ العلم جُملةً؛ ذهب عنه جُملةً، واعلم أنَّ النسيان آفة العلم، وعلة النسيان العجلة، وآفة كثير من المتعلمين اليوم إنَّما تكمن في العجلة، فما أن تطأ قدمه رحاب علم من العلوم حتىٰ يرجع بصره في كتبه وفنونه وعلمائه؛ فيرتد عليه بصره مشيرًا عليه برأي فاسدٍ مفاده: أسرع، اقرأ هذا بسرعة، وذلك في ليلة، والمهم هو الفهم، فالحفظ يضيع الوقت، نريد أنْ نصل، لا تقعد هكذا.

إلىٰ آخر وساوس السوء هذه، فترىٰ الواحد من هؤلاء يمسك بكتاب اليوم وبآخر غدًا، ويضع البرنامج بالليل، ليهدمه بالنهار: اليوم أصول، لا؛ بل حديث، لا . . لا؛ بل فقه، فإذا بالعام يمرُّ تِلو العام، وهو في مكانه كما يُقال «محلك سر»، فالله المستعان.

والرفق والتدرج والتكرار والأناة والصبر علىٰ مرارة كل ذلك = من أهم مفاتيح التعلم، وأكثرها أثرًا في استفادة الطالب علىٰ مر الزمان، **قال ابن خلدون**: «اعلم أنَّ تلقين العلوم للمتعلمين إنَّما يكون مفيدًا إذا كان علىٰ التدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا. يُلقي عليه أولًا مسائل من كل باب من الفنِّ، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له شرحها علىٰ سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتىٰ ينتهي إلىٰ آخر الفنِّ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم؛ إلَّا أنَّها جزئية وضعيفة، وغايتها أنَّها هيَّأته لفهم الفنِّ وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلىٰ الفنِّ ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلىٰ أعلىٰ منها، ويستوفي في الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلىٰ أن ينتهي إلىٰ آخر الفن، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدَّ، فلا يترك عويصًا ولا مهمًّا ولا مغلقًا إلَّا وضحه وفتح له مُقفله، فيخلص من الفنِّ وقد استولىٰ علىٰ

ملكته»، ثم قال: «هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنَّما يحصل في ثلاثة تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك»[١].

وقال الشيخ عبد الحميد بن باديس: «فهْم قواعد العلم وتطبيقها حتىٰ تحصل ملكة استعمالها، هذا هو المقصود من الدرس علىٰ الشيوخ، فأمَّا توسيع دائرة الفهم والاطلاع؛ فإنَّما يتوصل إليه الطالب بنفسه بمطالعته للكتب، ومزاولته للتقرير والتحرير، ثم إنَّ الدروس إنَّما تحصل فيها قواعد بعض العلوم، وتبقىٰ فنون كثيرة من فنون العلم يصل إليها الطالب بمطالعته بنفسه وحده، أو مع بعض رفاقه، فلا ينتهي من مدة دراسته العلمية في الدروس إلَّا وقد اتسع نطاق معلوماته بفنون كثيرة، ونرىٰ الطالب اليوم في أكبر المعاهد -كالزيتونة- لا يخرج الطالب عن كتبه الدراسية إلىٰ مطالعة شيء بنفسه ممَّا يُكسبه علمًا أو خبرة بالحياة، فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة وهو غريب عن الحياة، فعلىٰ الطلبة والمتولين أمر الطلبة أن يسيروا علىٰ خطة التحصيل الدراسي، والتحصيل النفسي ليقصدوا ويتسعوا في العلم، ويوسعوا نطاق التفكير».

(١) «المقدمة»: (٣/ ١١١).

إِرْشَادُ الْمُعَلِّمِ فِي تَعْلِيمِهِ

عن ذلك يقول ابن خلدون: «وقد شاهدنا كثيرًا من المعلمين في هذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويُحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المُقفلة من العلم، ويُطالبونه بإحضار ذهنه في حلِّها، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها، وقبل أن يستعد لفهمها؛ فإنَّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيًا، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلَّا في الأقل، وعلىٰ سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلًا بمخالفة مسائل ذلك الفنِّ وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلىٰ الاستيعاب الذي فوقه حتىٰ تتمَّ الملكة في الاستعداد، ثم في التحصيل، ويحيط هو بمسائل الفن، وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعي، وبعيد عن الاستعداد له = كلَّ ذهنه، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله، وتمادىٰ في هجرانه، وإنَّما أُتي ذلك من سوء التعليم»[1].

ويروي الشيخ عبد القادر بن بدران أنَّ من أسباب تنفير الطالب من العلم: الجهل بطريق التعليم، فيقول: «وهذا وقع فيه غالب المعلمين، فتراهم يأتي إليهم الطالب المبتدئ ليتعلم النحو مثلًا، فيشتغلونه بالكلام علىٰ البسملة، ثم علىٰ الحمدلة أيامًا، بل شهورًا ليوهموه سعة مداركهم، وغزارة علمهم، ثم إذا قدر له علىٰ الخلاص من ذلك أخذوا يلقنونه متنًا أو شرحًا بحواشيه وحواشي حواشيه، ويحشرون له خلاف العلماء، ويشغلونه بكلام من ردَّ علىٰ القائل، وما أُجيب به عن الردِّ، ولا يزالون يضربون له علىٰ ذلك الوتر حتىٰ يرتكز في ذهنه أنَّ نوال هذا

(١) «المقدمة»: (٣/ ١١١).

الفن من قبيل الصعب الذي لا يُوصل إليه»، ثم ذكر صِنفًا آخرَ من المعلمين علىٰ عكس الصنف السابق، وهم من أنزل نفسه منزلة العلماء المحققين وجلس للتعليم، فيأتيه الطالب بكتابه مطول أو مختصر، فيتلقَّاه منه سردًا لا يفتح له منه مغلقًا، ولا يحل له طلسمًا، فإذا سأله ذلك الطالب المسكين عن مشكل انتفخ أنفه وورم، وقابله بالسب والشتم، وأشاع عنه أنَّه يطلب الاجتهاد، **ثم قال**: «ومن هؤلاء من يقول: إنَّما نقرأ الكتب للتبرك بمصنفيها!!»(١).

وقال ابن خلدون أيضًا: «ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه علىٰ فهم كتابه الذي أكبَّ علىٰ التعلُّم منه بحسب طاقته، وعلىٰ نسبة قبوله للتعليم، مبتدئًا كان أو منتهيًا، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتىٰ يَعِيَهُ من أوله إلىٰ آخره، ويحصل أغراضه، ويستولي منه علىٰ ملكة بها ينفذ في غيره؛ لأنَّ المتعلم إذا حصل ملكة ما في علمٍ من العلوم استعد بها لقبول ما بقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلىٰ ما فوق، حتىٰ يستولي علىٰ غايات العلم، وإذا خُلِّطَ عليه الأمر عجز عن الفهم، وأدركه الكلال، وانطمس فكره ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم، والله يهدي من يشاء»، **ثم قال**: «وكذلك ينبغي لك أن لا تطول علىٰ المتعلم في الفنِّ الواحد بتفريق المجالس، وتقطيع ما بينها؛ لأنَّه ذريعة إلىٰ النسيان، وانقطاع مسائل الفنِّ بعضها مع بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريقها، ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أنْ لا يخلط علىٰ المتعلم علمان معًا؛ فإنَّه قلَّ أن يظفرَ بواحد منهما، لِمَا فيه من تقسيم البال، وانصرافه عن كلٍّ واحد منهما إلىٰ تفهُّم الآخر فيستغلقان معًا ... وإذا تفرَّغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرًا عليه، فربما كان ذلك أجدر لتحصيله، والله ﷻ الموفق للصواب»(٢).

ويرىٰ الشيخ عبد القادر بن بدران أنَّ الواجب علىٰ المعلم إذا أراد إقراء المُبتدئين أنْ يُقرئهم متنًا مختصرًا، ويشرح لهم ذلك المتن بلا زيادة ولا نقصان، بحيث يفهم ما اشتمل عليه، وأنْ يُصوِّر مسائله في ذهنه، ولا يشغله بما زاد علىٰ

(١) «المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد»، (ص/ ٢٦٥).

(٢) «مُقدمة ابن خلدون»: (٣/ ١١١١).

ذلك، ثم ذَكَرَ عن شيخه محمد بن عثمان الحنبلي المعروف بخطيب دوما (ت: ١٣٠٨ هـ) أنَّه قال: «لا ينبغي لمن يقرأ كتابًا أن يتصوَّر أنَّه يريد قراءته مرة ثانية؛ لأنَّ هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتب، بل يتصور أنَّه لا يعود إليه مرة ثانية أبدًا»، **وكان يقول**: «كل كتاب يشتمل علىٰ مسائل ما دونه وزيادة، فحقق مسائل ما دونه لتوفر جهدك علىٰ فهم الزيادة». **ثم قال**: «ولمَّا أخذت نصيحته مأخذ القبول لم أحتجْ في القراءة علىٰ الأساتذة في العلوم والفنون إلىٰ أكثر من ست سنين، فجزاه الله خيرًا . . .»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ثم إنَّ الأولىٰ في تعليم المبتدئ أن يُجنِّبه أستاذه عن إقرائه الكتب الشديدة الاختصار العسرة علىٰ الفهم كـ«**مختصر الأصول**» لابن الحاجب، و«**الكافية**» له في النحو؛ لأنَّ الاشتغال بمثل هذين الكتابين المختصرين إخلال بالتحصيل لما فيهما، وفي أمثالهما من التخليط علىٰ المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعدَّ لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم، ثُمَّ فيه مع ذلك شغل كبير علىٰ المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت . . .». **ثُمَّ قال**: «وحاصل الأمر أنَّ الأستاذ ينبغي أن يكون حكيمًا بالتصرف في طرق التعليم بحسب ما يراه موافقًا لاستعداد المتعلم، وإلَّا ضاع الوقت بقليل الفائدة، وربما لم توجد الفائدة أصلًا، وطرق التعليم أمر ذوقي، وأمانة مودعة عند الأساتذة، فمن أدَّاها أُثيب علىٰ أدائها، ومن جحدها كان مُطالَبًا بها»[(٢)].

قال ابن باديس: «أغلب المعلمين في المعاهد الإسلامية الكبرىٰ كالأزهر لا يتصلون بتلاميذهم، إلَّا اتصالًا عامًّا لا يتجاوز أوقات التعليم، فيتخرج التلامذة في العلوم والفنون، لكن بدون تلك الروح الخاصة التي ينفخها المعلم في تلميذه إذا كان للمعلم روحٌ، ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته، فعلىٰ المعلم الذي أراد أن يكون من تلامذته رجالًا أن يشعرهم واحدًا واحدًا أنَّه

---

(١) «**المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد**»، (ص ٢٦٦).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢٦٨، ٢٦٩).

متصل بكل واحد منهم اتصالًا خاصًّا زيادة علىٰ الاتصال العامِّ، وأن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكلِّ واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي حياته، حتىٰ يشعر كلُّ واحدٍ منهم أنَّه في طَور تربية وتعليم، وكفالة أبٍ روحيٍّ يعطف عليه، ويُعنىٰ به مثل أبيه أو أكثر»[1].

(١) «ابن باديس، حياته وآثاره»، للدكتور/ عمار الطالبي: (٤/ ٢٠٢).

كَثْرَةُ التَّآلِيفِ فِي الْعُلُومِ عَائِقَةٌ عَنِ التَّحْصِيلِ

قال ابن خلدون: «اعلم أنَّه ممَّا أضرَّ بالنَّاس في تحصيل العلم والوقوف علىٰ غايته كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذٍ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلىٰ حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يَفِي عمره بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجرَّد لها؛ فيقع القصور ولا بُدَّ دُونَ رتبة التحصيل، ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب «**المدونة**» -مثلًا- وما كتب عليها من الشروحات الفقهية، مثل كتاب ابن يونس، واللخمي، وابن بشير، والتنبيهات، والمقدمات، والبيان، والتحصيل علىٰ العتبية، وكذلك كتاب ابن الحاجب، وما كُتب عليه، ثم إنَّه يحتاج إلىٰ تمييز الطريقة القروانية من القرطبية، والبغدادية، والمصرية، وطرق المتأخرين عنهم، والإحاطة بذلك كلِّه، وحينئذٍ يُسَلَّمُ له منصب الفتيا، وهي كلها متكررة والمعنىٰ واحد، والمتعلم مطالَب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها.

ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين علىٰ المسائل المذهبية فقط؛ لكان الأمر دون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلًا، ومأخذه قريبًا، ولكنَّه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها، ويمثل أيضًا علم العربية من كتاب سيبويه، وجميع ما كُتب عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسين من بعدهم، وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك، وجميع ما كُتب في ذلك، وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه، ولا يطمع أحد في الغاية منه إلَّا في القليل النادر؛ مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة

العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه فيها أنَّه استولىٰ علىٰ غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلَّا لسيبوية وابن جني وأهل طبقتها لعظم ملكته، وما أحاط به من أصول ذلك الفنِّ وتفاريعه، وحسن تصرفه فيه، ودلَّ علىٰ أنَّ الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين سيما مع ما قدَّمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتآلف؛ ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء؛ وهذا نادر من نوادر الوجود. وإلَّا فالظاهر أنَّ المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله؛ فلا يَفِي له بتحصيل علم العربية -مثلًا- الذي هو آلة من الآلات ووسيلة؛ فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾[1].

---

(١) البقرة: (٢٧٢)، [(٣/ ١١٠٧)].

التَّمَذْهُبُ

هذه المسألة ممَّا شَغل به طلبةُ العلم أنفسَهم بين مؤيدٍ ومانعٍ، وهي عندنا كمسألة المتون مسألة صناعية في المفاضلة بين وسائل الطلب، ليست مسألة سمعية شرعية، وليس فيها رأيٌ قاطعٌ، وليس ممَّا يوجب تطويل الخلاف.

*** تحرير محلِّ النزاع المتصل بمناهج الطلب:**

محلُّ النزاع في التمذهب بين الذين يكتبون في مناهج التعلم هو التمذهب المدرسي الذي يُستعان به علىٰ ضبط مسائل الفقه . . . صورها وأحكامها وأدلتها والخلاف حولها، وهذا التمذهب من وسائل تعلُّم الفقه الذي هو العلم المعين، ويسير فيه الطالب وَفق المذهب لأجل الدراسة، وقد يسير في تعبده علىٰ المذهب إن كان مترجحًا عنده، وقد يغادره إن ترجح عنده غيره، مُستعملًا في كل ذلك رتبة الاجتهاد التي وصل إليها بحسبها.

فإذا تقرَّر ذلك؛ فمن المقررين لمناهج الطلب مَن لا يرىٰ وسيلة أحسن من التمذهب لتحصيل هذا الضبط، ومنهم مَن يرىٰ أنَّ الكتب المعاصرة المنسوجة علىٰ طريقة ذكر المسألة وحجتها من غير التقيُّد بمذهب = أرجح وأحسن . . .

والذي أراه: أنَّ ما في زماننا من قعودِ هِمَم طلبة العلم، وعدم اكتمال ملكاتهم العلمية يجعل صورة المسألة تمذهبًا في الحالَتين؛ إذ فيهما يكون الطالب أسيرًا للمؤلف، ولو كانت ملكات الطلبة أحسن لرأينا لهم النظر الفقهي علىٰ طريقة السلف بتتبع المسائل، وأقوال الفقهاء فيها والترجيح بينها ترجيحًا تتغير صفته بترقي الطالب من غير حرج من تغير الترجيح، فذلك من زيادة العلم.

فإذا كان الغالب هو ضعف ملكات الطلبة عن التفقه بتلك الطريقة العالية، وكان المآل للتمذهب وإن كان في صورة درس كتاب منسوج بطريقة فقه الدليل، والحال أنَّ الطالب سيكون أسيرًا لفهم المؤلف المعاصر للدليل = **كان الأولىٰ عندنا**

التمذهب علىٰ مذهب من المذاهب المتبوعة المضبوطة المخدومة بالشروح، وتعاقب أنظار العلماء مع رعاية أمور:

(١) عدم الاستغراق في الترقي في كتب المذهب إلَّا لمن سيتخصص في المذهب، أمَّا مَن سيتخصص في الفقه المقارن، وتحقيق الفروع علىٰ سبيل الاجتهاد، أو لن يتخصص في الفقه أصلًا = فله صورة أخرىٰ في الترقي يستعمل فيها كتب المذهب إلىٰ حدٍّ معين، ولا يترقَّىٰ في المذهب عبر تدرجه الطبيعي؛ إذ لا يحتاج إلىٰ ذلك إلَّا من سيتخصص في المذهب.

(٢) تقديم المذهب المخدوم والمتن المخدوم، علىٰ غيره، وأكثر المذاهب خدمة في زماننا هو الحنبلي **ويليه المالكي والشافعي ثم الحنفي، والمراد بخدمة المذهب بالنسبة لعصرنا نحن: أن تكون متونه وشروحها ومطولاته المهمة مطبوعات طبعات متقنة. وأن تكون متونه الأساسية لها شروح معاصرة متقنة مذهبيًّا، صوتية ومكتوبة.**

(٣) إدامة استحضار أنَّ المذهب وسيلة للتفقه، وليس غاية يُشتغل بها إلَّا للمتخصص في المذهب، كما قدمنا.

(٤) العناية بصور المسائل وضبطها، وضبط تقسيماتها وعدم الاشتغال بالترجيح.

هذا عن التمذهب كوسيلة لترتيب التعلم، أمَّا التمذهب بمعنىٰ التعبد بالتقليد فهو الواجب في حق العاميّ العاجز عن الاستدلال والاجتهاد الجزئي فواجبه أن يستفتي رجلًا من أهل العلم ومذهبه حينها هو مذهب مفتيه، أما من كان قادرًا على الاجتهاد ففي حكم تقليده قولان:

القول الأول: إنَّ ذلك لا يجوز، وإنَّ علىٰ كلِّ مجتهد الاجتهاد بحسب استطاعته، وهذا هو المنصوص عن أحمد، وهو قول الشافعي.

القول الثاني: جواز ذلك ولو لمن قَدِرَ على الاجتهاد، وهو قول محمد بن الحسن وغيره، وهو قول بعض أتباع الأئمة.

أما القول بوجوب لزوم مذهب معين وحرمة الخروج عنه أو حرمة الخروج عن المذاهب الأربعة ولو إلىٰ مذهب لأقرانهم= فهو قولٌ مُبْتَدَعٌ حادثٌ بعد القرن الخامس الهجري، وقال به كثير من الفقهاء المقلِّدة من علماء المذاهب الأربعة بعد أن توسعوا في ادعاء العجز عن الاجتهاد.

* وبعد هذا العرض المختصر؛ ناسب هاهنا أنْ نُذَكِّرَ بأمورٍ لعلَّها تضبط لطالب العلم بعض فصول هذه المسألة:

(١) لم يَدْعُ واحدٌ من الصحابة والتابعين وأتباعهم، أو أئمة المذاهب الأربعة إلىٰ تقليده فيما يقول.

(٢) الاطمئنان لقول عالم مُعيَّن فروعًا وأصولًا كان يقع في طبقات الصحابة فمَن بعدهم، إلَّا أنَّ ذلك كانَ لا ينفكُّ عن المخالفة لهذا العالِم أحيانًا، وملازمة غيره ومتابعته أحيانًا أخرىٰ، فالاستدلال بهذه الملازمة والمتابعة علىٰ قدم التمذهب استدلالٌ فاسدٌ، وهو كالاستدلالِ بزهد الصحابة علىٰ التصوف، والاستدلال بمناصرة علي ﵁ علىٰ التشيُّع، والاستدلال بالاختلاف الجزئي في تفسير بعض آيات الصفات علىٰ التحريف الذي يسمونه تأويلًا.

(٣) القول بوجوب اتباع واحد من المذاهب الأربعة بحيث لا يخرج عنه المكلف -سواء أجاز الخروج لواحد من الأربعة دون غير الأربعة أولم يُجِزِ الخُروجَ عن المذهب مطلقًا- ولو ظهرت الحُجة والبينة للقادر على فهم الحُجة = قول مُحْدَثٌ مردودٌ خاصة مع تضييقهم باب القدرة على فهم الحُجة، وهذا القول مع القول بغلق باب الاجتهاد كانا من أجلِّ وأعظم أسباب تخلف الأمة وقعودها، ونزولها عن منزلها الذي أنزله لها الله، ولا يقل سوءًا عنه التوسع في ادعاء قدرة العامة على فهم الحُجج وضرب أقوال الأئمة بها والحق وسط بين هذين الطريقين.

(٤) أمَّا القول بجواز -دون وجوب- هذا التقليد للعامي، بحيث يُقلِّد مذهبًا واحدًا في كلِّ مسائله: فقد قال به نفر من علماء المذاهب الأربعة، وهو قول مرجوح؛ إلَّا أنَّه ليس ضعيفًا ضعف سابقه، والقول الراجح كما قدمنا وهو الذي رجحه عدد كبير من الأئمة هو أنه لا يجب علىٰ العامي التزام مذهب معين وإنما يستفتي في كل مسألة بحسبها، ويجوز له أن يأخذ بالأيسر ما لم يكثر هذا منه حتى لا يأخذ بالعزائم إلا نادرًا، وما لم يأخذ بقول شاذ مخالف للنص أو الإجماع، فإن استفتى فأخذ بالأيسر أحيانًا وبالعزائم أحيانًا ولم يتتبع الرُّخص والشواذ فهو علىٰ سبيل هدى.

(٥) لكن يجب الإشارة إلى أن حال العجز عن الاستدلال لا ينبغي أن تكون حالًا يركن إليها الناس؛ بل ينبغي لكل من وجد قدرة وفراغًا أن يسعىٰ في تحصيل

أدوات فهم النصوص وفهم كلام الأئمة ويجب أن يكون الخطاب للناس عامًّا بطلب التعلم فإن هذا يرفع حال الناس ويُحَسِّن نسيج المجتمعات فإنهم حتى ولو لم يبلغ كثيرٌ منهم القدرة على الاجتهاد فسيبلغون درجة من الجودة في فهم كلام الأئمة وفي فهم الوحي تسد الباب أمام استغلال الرؤوس الجهال لهم فضلًا عما قد يبلغه بعضهم من درجة الاجتهاد الجزئي. ويوصىٰ العامة مع ذلك بالتأني؛ فإن قليل العلم قد يغرُّ صاحبه فيجعله ربما أفسد للدين من الجاهل. **والجمع بين الخطابين: خطاب المطالبة بالتعلم وخطاب التحذير من التعالم بالإضافة لخطاب التقليد حين العجز هو الواجب على أهل العلم.**

(٦) القول بتقليد واحد من المذاهب الأربعة أو غيرها، والتزامه فلا يخرج المكلف عنه = يقود -غالبًا- إلىٰ التعصب، فلا يكاد يُنجىٰ منه، وهذه ذريعة معتبرة يجب التنبه إليها وأن توزن بذريعة الفوضى التي يريد المتمذهبة مقاومتها.

(٧) مرتبة الاتباع هي في حقيقتها من رتب التقليد، إلَّا أنَّها أرفع قليلًا، وفيها يقلد الرجل غيره في القول وفي الاستدلال، وليس هذا ممَّا يخرج صاحبه من ربقة التقليد ولا عدمه ممَّا يذم به الرجل مطلقًا، وإنَّما المرجع في المدح والذمِّ هو: **هل لهذا المكلف قدرة علىٰ أعلىٰ من هذا فَرَضِيَ بما هو دونه من غير عذر؟**

(٨) التمذهب كمرحلة، أو صورة من صور ومراحل الدرس الفقهي يُستعان بها علىٰ تصور مسائل الفقه، أو يسد فيها ثغرًا بضبط مذهب إمام معين لا بأس به ما لم يكن طلبًا لدنيا محضة، أو يقترن بالموالاة والمعاداة علىٰ المذهب، أو يُؤدي بصاحبه للتعبد، أو -وتلك يغفل عنها الناس- أنْ يظنَّ أنَّ هذا التمذهب يرفع عنه واجب السعي لطلب رتبة الاجتهاد، بحيث يتعبد وَفقًا للمذهب من غير سعي هو يقدر عليه لتحرير الصواب في المسألة.

(٩) تقليد الأئمة الأربعة المتبوعين جائز، وكذا تقليد غيرهم من الأئمة، والقول بعدم جواز الخروج عن المذاهب الأربعة قول ضعيف واختلاف علماء المسلمين كلهم رحمة، وكل قول ثبت لقائله ولم يخالف نصًا قطعيًا أو إجماعًا قديمًا= فحفظه يرحم المسلمين ويوسع عليهم، وتقليد من اختاره هو تقليد صحيح يرفع الحرج والإثم.

كَثْرَةُ الْاخْتِصَارَاتِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْعُلُومِ مُخِلَّةٌ بِالتَّعْلِيمِ

قال ابن خلدون: «ذهب كثير من المتأخرين إلىٰ اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يولعون بها، ويدونون منها برنامجًا مختصرًا في كل يشتمل علىٰ حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن.

وصار ذلك مُخلًّا بالبلاغة وعسرًا علىٰ الفهم . . . وربما عمدوا إلىٰ الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبًا للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق وأمثاله. وهو فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل. وذلك لأنَّ فيه تخليطًا علىٰ المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد؛ وهو من سوء التعليم كما سيأتي. ثم فيه مع ذلك شغل كبير علىٰ المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها. لأنَّ ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت. ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم علىٰ سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة وإذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة. فقصدوا إلىٰ تسهيل الحفظ علىٰ المتعلمين فأركبوهم صعبًا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها. ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»[١].

---

(١) (٣/ ١١٠٩)، ورعاية هذا الفصل مهمة لمن يظنُّ أنَّ المتون والمختصرات هي طريق العلماء بدءًا وانتهاءً.

التَّفَنُّنُ

التفنن -هُديتَ للرشد- لفظٌ مُوَلَّدٌ غير عربي، مشتق من لفظه الفن، والفن واحد فنون وأفنان؛ وهو النوع أو الضرب من الشيء . . . يقال: افتنَّ الرجل في كلامه وخصومته: إذا توسع وتصرف، وافتنَّ الحمار بأتانه: إذا أخذ في طردها وسوقها يمينًا وشمالًا، ويقال فنن فلان رأيه: إذا لونه ولم يثبت علىٰ رأي واحد[(١)].

فإطلاق هذا اللفظ في هذا الموطن يُراد به التوسع والتصرف والاشتغال بأبواب مختلفة من العلم.

والكلام هنا جارٍ علىٰ شرطنا نحن وما اخترناه، لا علىٰ ما جرىٰ عليه الناس، وليس الذي نتكلم في نعته هاهنا بالطارف الذي لا يعرفه السابقون من أهل العلم، وإنَّما ساقَ إلىٰ التمسك في نعت التفنن بشرطنا نحن= أنَّ حال الاشتغال والمشاركة في علوم شتىٰ واقعًا في حياة السلف، فلما جاء المعاصرون واقتبسوا شعبًا من طرائق الغرب في الدرس والتعليم؛ فكان منها فكرة التخصص الأكاديمي، والذي يُكتفىٰ فيه بما درسه الطالب قبل المرحلة الجامعية من مبادئ العلوم، ثم يُقاد إلىٰ التخصص في علم معين، ثم في باب واحدٍ من أبواب هذا العلم، فلا يكاد الطالب يخرج عن بابه هذا إلَّا ما شاء الله، وإن سولَّت له نفسه الخروج هتف به: أَنِ الْزَمْ مكانك . . . ليس هذا بعشك فادرجي، وساعد علىٰ تعضيد تلك الفكرة وتقريرها تلك الفوارق البينة الظاهرة بين واقع السلف. وواقعنا بركة في الوقت . . . وقلة في الشواغل . . . وضعفًا في العوارض؛ فرأىٰ الناس أنَّ التخصص بصورته الجامعية أليقُ بأهل زماننا من غيره.

---

(١) انظر: «الصحاح»: (٦/ ٢١٧٧)، و«لسان العرب»: (٦/ ٣٤٧-٣٤٧٦).

وكثرة دعاة التخصص المكثرون من بيان فضائله، المثنون علىٰ طالبه، المزرون علىٰ مَن يهجره.

وما كان دعاة التخصص هؤلاء بالغافلين عن أهمية تحصيل قدر كافٍ من باقي علوم الشرع، ولكنَّهم اجتزأوا في تحصيل هذا القدر بما يدرسه الطالب قبل المرحلة الجامعية، وبالنسبة لغير المنتسبين للدراسة النظامية بما يدرسونه من المتون الأولىٰ في كل علم في الحلقات والدورات العلمية. ثم يعكف الطالب بعد -عندهم- علىٰ تخصصه لا يكاد يجاوزه . . .

وتلك هي حال الناس اليوم، وكذلك يفعلون . . .

ولمَّا خشينا أن يفهم البعض أنَّا نعني بالتفنن تلك الإلماعة المبتسرة التي يحصِّلها الطلاب قبل دخول عتبة التخصص.

ولمَّا خشينا أن يفهم البعض أنَّا نعني بالتفنن مجرد الإطلاع الواسع والمضي في غير سبيل، في كل وادٍ يهيم[1].

لمَّا خشينا أن يفهم الناس أنَّا نريد بالتفنن أحد تلك المعاني التي تسبق إلىٰ أذهان الناس اليوم إذا سمعوا لفظ التفنن؛ عمدنا إلىٰ الكشف عنه وتفسيره خاصين ذلك بما هو عندنا نحن، علىٰ ما نراه صالحًا لأحوال الناس اليوم، وأشبه شيء يكون بأحوال سلفهم أمس.

فالتفنن عندنا هو أنْ يُحصِّلَ الطالب من كل علم من العلوم الشرعية (علوم الوسائل والمقاصد) ما يعينه علىٰ الاجتهاد الجزئي في كل هذه العلوم، ويؤهله لأَنْ ينظر في أقوال أهل تلك العلوم نظر الناقد البصير القادر علىٰ الترجيح.

والقادر علىٰ أن يزن هذه الأقوال بميزان ما كان عليه الصدر الأول والقرون المفضلة، ولا يغره تتابع الناس فيها علىٰ قول ما أفاده بحثه مخالفة هذا القول لما كان عليه الصدر الأول، أو ما كان ليكون عليه الصدر الأول لو تكلموا في الباب نفسه وفق أصولهم ونهجهم في النظر، الذي لم يدخله ما دخل علىٰ كثير من المصنفين في النحو والبلاغة وأصول الفقه من الخلل المنهجي الناتج عن

(١) وهذا هو التفنُّن الشائع وأسلم الثقافة أو المشاركة أولىٰ به.

الإعراض عن نهج النظر العربي والتأثر بغيره من مناهج النظر العربي، والتأثر بغيره من مناهج النظر التي دخلت بلاد المسلمين مع الفتوح والنقل والترجمة.

فلا يشترط في المتفنن أن يكون ذا نظر خاص واجتهاد ينسب إليه في أكثر مسائل العلم؛ فهذا عمل المتخصص، وإنَّما صفة العلاقة بين المتفنن وبين العلم، هو معرفته بمسائله وكتبه ومناهج البحث فيه وطرائقه ما يؤهله بالقوة لتحرير أي مسألة فيه إذا أقبل عليها واستفرغ وسُعه في طلب الحق فيها.

*** والوصول لهذه الرتبة يحتاج للأدوات التالية:**

(١) إتقان جمهور مسائل العلم وتصور ما وقع فيها من النزاع والوفاق ومعارك النظار.

(٢) الفقه التام بتاريخ العلم وتطوره ونقلاته المحورية، ومشاهير المجتهدين فيه ومناهجهم ومناهج التصنيف في هذا العلم ولسان أهله واصطلاحهم.

(٣) إتقان التعامل مع كتب العلم ومعرفة مظان وطرائق البحث فيها.

(٤) إدمان الاتصال بالمتخصصين في العلم ومشاورتهم ومحاورتهم.

(٥) إدراك أن التفنن في جنس العلوم صعب لا يكاد يدرك، فالغالب علىٰ الطالب أنَّه سيطلب من ذلك ما يستطيع، لكنَّه لن يدرك ملكة الاجتهاد الجزئي هذه إلَّا في قدر من العلوم يزيد أو ينقص، لكنَّه لن يبلغ تمام العلوم الشرعية وما يتصل به إلَّا من كان مخصوصًا بمزيد عناية من الله ﷻ هو وحده يؤتي الفضل من يشاء.

(٦) علىٰ المتفنن ألا يغره تفننه ويدفعه للكبر أو العجب أو العجلة في الأحكام، بل هو من أحوج الناس للأناة وتهيئة الرأي الفطير؛ فالخطأ إليه أسرع من غيره.

طَالِبُ الْعِلْمِ وَالتَّخَصُّصِ

لا شكَّ أنَّ الاتجاه السائد اليوم بين المؤسسات والهيئات العلمية هو: الدعوة إلىٰ التخصص، والإزراء بمدعي التفنن ودعاته؛ بناءً علىٰ عسر الأمر وشدته، والحق أن التخصص بمفهومه الصحيح مطلب مهم وعظيم، وكذلك التفنن، فكل منهما ثغر يجب سده من المتأهلين له.

يقول الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني في تقرير مهم أنقله علىٰ طوله: «إنَّ التخصص منهج ضروري لا حياة ولا بقاء للعلوم إلَّا به. وقد نبَّه العلماء قديمًا علىٰ أهمية التخصص في العلوم:

فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٠٧ هـ): «إذا أردت أن تكون عالـمًا؛ فاقصد لفنٍّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه»[1].

وقال أبو القاسم عبيد بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ): «ما ناظرني رجل قطُّ وكان مفننًا في العلوم إلَّا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فنٍّ واحد إلَّا غلبني في علمه ذلك»[2].

إنَّ هذه العبارة وأمثالها من الأئمة الدالة علىٰ فضل المتخصص في علم واحد علىٰ الجامع لأطراف العلوم (أو علىٰ رأي الخليل بن أحمد: الدالة علىٰ فضل العالم علىٰ الأديب المتفنن)، جاءت لتؤكِّد أنَّ كل علم من العلوم بحر من البحور، لا يعرفه ويصل إلىٰ كنوزه وخفاياه إلَّا مَن غاص أعماقه، وقصر حياته علىٰ الغوص فيه، أمَّا مَن اكتفىٰ بالسباحة علىٰ ظهر كل بحر من بحور العلم؛ فإنَّه إنَّما عرف ظواهر تلك البحور، وما عرف من كنوزها شيئًا.

---

(١) **«جامع بيان العلم»**، لابن عبد البر، (رقم/ ٨٥٠).

(٢) **«جامع بيان العلم»**، لابن عبد البر، (رقم/ ٨٥٢).

وأخصُّ بالذكر أهل عصِرنا ؛ فإنَّ العلوم قد ازدادت تشعبًا ، وعظم كل علم عمَّا كان، بمؤلفات أهله فيه علىٰ امتداد العصور السابقة، وبزيادة اختلافهم وأدلة كل صاحب قبول منهم، ومع ذلك فقد ضعفت الهمم، ونقصت القدرات عمَّا علمناه من أئمتنا السالفين؛ وذلك بيِّنٌ واضح لمن عرف سرهم وأخبارهم ووازن بينهما وبين حالنا ؛ أولئك كانوا بما تعلموا وعلموا وألفوا وجاهدوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كأنَّ أعمارهم ليست بين الستين والسبعين، وإنَّما بين مائة وستين ومائة وسبعين! بل والله أكثر! أولئك كانت حياتهم كرامة، وجهدهم معجزة خارقة للعادات! فأين نحن من أن نحوي علومهم؟! وأنَّىٰ لنا أن نستوعب علمَ ما خلَّفوه لنا؟! ومع ذلك؛ فقد تكلم هؤلاء أنفسهم عن فضل التخصص في العلم، فما أجهلنا إن حسبنا أنَّنا بغير التخصص سنفهم علمًا من العلوم!

ولقد سبرت بعض أحوال المتعلمين، فوجدت أكثرهم علمًا وإنصافًا وتواضعًا، وأدقهم نظرًا وفهمًا، وأحسنهم تأليفًا وإبداعًا: هم أصحاب التخصصات. في حين وجدت أقلهم علمًا وإنصافًا، وأكثرهم كبرًا وتعاليًا وتعالمًا، وأبعدهم عن الفهم والتدقيق وعن الإبداع والإحسان في التأليف: المتفننين أصحاب العلوم، أو سمهم بالمثقفين؛ إلَّا من رحم ربك[(١)].

ومن فضل صاحب التخصص الفضل الظاهر، الذي يقرني عليه المصنف، أنَّ صاحب التخصص لا يثرب علىٰ المتفنن، بل يراه أكثر أهلية منه في أمور كإلقاء المحاضرات والدعوة ومواجهة العامَّة، ويعتبره بذلك علىٰ ثغرة من ثغرات الإسلام، ويرىٰ أنَّ الأمة في حاجة إلىٰ أمثاله. وأمَّا أصحاب الفنون، فعلىٰ الضد من ذلك، فهم أكثر الناس تثريبًا وعيبًا علىٰ المتخصصين، ولا يرون لهم فضلًا عليهم، ولا في العلم الذي تخصَّصوا فيه، وينازعونهم مسائله (وهم بها جهلاء)، ويشنعون عليهم لعدم معرفتهم ببعض ما لم يتخصصوا فيه.

ولك بعد هذا أن تحكم، أي الفريقين أدخل الله في قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[(٢)].

---

(١) مراد الشيخ بالتفنُّن هنا هو ما كان من جنس الاطلاع والثقافة لا التفنن الذي شرحناه.
(٢) المائدة: (٤٢).

ولله ما يلاقيه أصحاب التخصصات من إخوانهم المتفننين! من عدم فهم الأخيرين لتخصصاتهم، مع كلامهم فيها ومنازعتهم أهلها، بل قد يصل الأمر إلىٰ استغلال أصحاب الفنون علاقتهم بالعامة والغوغاء، وانبهار هؤلاء بهم، فيتطاولون علىٰ أصحاب التخصصات وعلىٰ علومهم، بما لا يؤلم العالم شيء مثله، وهو الكلام بجهل، وتشويه العلوم.

ومن فضل صاحب التخصص -إذا وفقه الله تعالىٰ- أنَّه من أكثر الناس لقالة «لا أدري»، إذا سئل عن غير تخصصه. ولهذه القالة بركة لا يعرفها إلَّا قليل، فهي باب التواضع الكبير، وباب للعلم أكبر. وأمَّا صاحب الفنون؛ فهو عن «لا أدري» أبعد؛ لأنَّه يضرب في كل علم بسهم، وبكثير جوابه علىٰ أسئلة العامة وأنصاف المتعلمين، التي هي -في الغالب- سؤالات عن الواضحات وعن ظواهر العلوم؛ فينسىٰ مع طول المدة «لا أدري»، ولا يعتاد لسانه عليها، ولا تنقهر نفسه لها؛ لذلك فهو عن بركاتها ليس بقريب!

ثُم إنَّ للعلم دقائق لا يعرف المتفننون عنها شيئًا، أمَّا المتخصصون؛ فقد خبروها، وقادتهم إلىٰ دقائق الدقائق. فهم فقهاء العلوم حقًّا، وأطباء الفنون صدقًا.

يقول الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني تلميذ الشافعي (ت: ٢٦٠ هـ): «سمعت الشافعي يقول: من تعلم علمًا؛ فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم»[١].

كذا نصائح الأئمة، نور علىٰ نور!

وأمَّا الشافعي؛ فقد كان آمنًا من ضياع جليل العلم وعظمه، خائفًا من ضياع دقيقة. أمَّا نحن الآن؛ فنقول: «مَن تعلم علمًا؛ فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم»؛ فدققوا يا بني إخوتي ما شئتم من التدقيق، فنحن مع تدقيقكم هذا لعلىٰ جليل العلم وجلون!

وهنا أنبه علىٰ أنَّ مطالبتنا بالتخصص لا يعني أنْ نطالب بذلك علىٰ حساب فروض الأعيان من العلوم، كتصحيح العقيدة وعلم التوحيد الجملي، وما يحتاج إليه من فقه العبادات، وما شابهها من الفروض العينية من العلوم؛ فهذا ما لا يجوز

(١) «الأنساب المتفقة»، لابن طاهر المقدسي.

علىٰ مسلم جهله، فضلًا عن طالب العلم؛ بل نحن نطالب طالب العلم بما فوق ذلك، وهو أن لا يكون جاهلًا بنفع كل علم نافع، «ولا أقول: أن يكون عالمًا بكل علم نافع، فهذا ضد ما أحثُّ عليه»؛ لأنَّ الجهل بنفع علم ذي علم فائدة دنيوية أو أخروية يدعو إلىٰ معاداة ذلك العلم، علىٰ قاعدة: «من جهل شيئًا؛ عاداه»، ويقبح بطالب العلم أن يعادي نافعًا، مهما قَلَّ نفعه في رأيه؛ فإنَّه لا ينقص علىٰ أن يكون فرضًا كفائيًّا.

وما أجمل وصية خالد بن يحيىٰ بن برمك (ت: ١٦٥ هـ) لابنه، عندما قال له: «يا بني، خذ من كلِّ علم بحظٍ؛ فإنَّك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئًا من العلم عاديته، وعزيز عليَّ أن تعادي شيئًا من العلم»[١].

وأخصُّ من العلوم ممَّا يقبح بطالب العلم جهله العلوم الإسلامية جميعًا، كعلم الفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، والعقيدة، وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ممَّا ينبغي علىٰ طالب علم الحديث أن يُحصِّل شيئًا منها. وضابط تحصيله لهذه العلوم (حتىٰ لا يُناقض ذلك مطالبتي له بالتخصص): أن يجعل مقصوده من طلبه لهذه العلوم تكميل استفادته لتخصصه وعميق فهمه له؛ حيث إنَّ العلوم الإسلامية بينها ترابط كبير، لا يمكن من أراد التخصص في علم منها أن يكون جاهلًا تمامَ الجهلِ بما سواه. ربما قادته مسألة دقيقة في علم الحديث -مثلًا- إلىٰ التدقيق في مسألة من مسائل أصول الفقه أو غيره، حتىٰ يخرج بنتيجة في مسألته الحديثية، وليس ذلك بغريب علىٰ من عرف العلوم الإسلامية، وقوة ما بينها من أواصر القربىٰ العلمية.

ولأزيد الأمر إيضاحًا أقول: كيف يتسنىٰ لطالب الحديث أن يعرف الصواب في إحدىٰ مشاهير مسائله؟ وهي مسألة رواية عن أهل البدع وحكمها، إذا لم يكن عارفًا بالسنة والبدعة، وبصنوف البدع وأقسام المبتدعة، وبالغالي منهم، ومن بدعته غليظة، ومن يكفر ببدعته ممَّن هو بخلاف ذلك؛ وهذا كله باب من أبواب العقيدة عظيم.

---

(١) «جامع بيان العلم»، لابن عبد البر، (رقم/ ٨٠٣).

وكيف يمكن لطالب الحديث أن يميز بين الروايات المختلفة، مثل زيادات الثقات: مقبولها ومردودها، والشاذة منها والمنكرة، والناسخة والمنسوخة، والراجحة والمرجوحة، إذا لم يكن عنده أصول الفقه والقدرة علىٰ الاستنباط والفهم للنصوص ما يتيح له الحكم في ذلك كله؟!

المهم أن يأخذ من العلوم التي لم يتخصص فيها، بقدر ما يخدم العلم الذي تخصص فيه، ولا يزيد علىٰ ذلك، وإلَّا لم يصبح متخصصًا، وإنَّما يكون متفننًا.

وطريقة تحصيله لتلك العلوم التي لا ينوي التخصص في واحد منها، ممَّا لا يخرجه عن حدِّ التخصص إلىٰ حدِّ التفنن، هي أن يدرس مختصرًا من مختصرات تلك العلوم، تُمكِّنه من مراجعة مطولات تلك الفنون، فيما إذا أحوجه علمه الذي تخصص فيه إلىٰ ذلك، كما سبق التمثيل له. وعليه أيضًا أن لا يقطع صلته بعلماء تلك العلوم المتخصصين فيها، وأن يصوب فهمه من علومهم عليهم، وأن لا يستبدَّ بشيء من علمهم دون الرجوع إليهم.

وأمَّا التخصص في علم الحديث، فقد سبق أنَّه من أحوج العلوم إلىٰ التخصص فيه، لشدة عمقه وسعة بحور وامتداد آفاقه. مع ذلك فعندي في مشروعية التخصص فيه (ولو علىٰ حساب الفقه!) سنة ثابتة وحديث صحيح مشهور! وهو قول النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا مَقَالَةً فَحَفِظَهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**».

و(نَضَّرَ) بتخفيف الضاد وتشديدها: من النضارة، وهي الحسن والرونق والبهاء. فالنبي ﷺ يدعو لراوي الحديث بالحسن والبهاء مطلقًا، في الدنيا والآخرة، وقيل إن المعنىٰ: أبلغه الله -تعالىٰ- نضارة الجنة.

وراوي الحديث الذي دعا له النبي ﷺ بالنضارة: هو رواية باللفظ، ولو كان لا يفهم كل معاني الحديث: «**وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»، ولو كان لا فَهْمَ له في الحديث أبدًا؛ «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ**»!!

وهذا يدل علىٰ مشروعية رواية الحديث دون فقه، بل يدل علىٰ استحباب ذلك؛ ويدل علىٰ أنَّ راوي الحديث دون علمه بفقهه محمود غير مذموم، وأنَّه مستحق بفعله هذا دعوة النبي ﷺ له.

وقد تعقب الرامهرمزي (ت: ٣٦٠ هـ) هذا الحديث في كتابه «**المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**» بقوله: «**ففرَّقَ النبي ﷺ بين ناقل السُّنة وواعيها، ودلَّ علىٰ فضل الواعي بقوله: «فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ**»، وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر؛ وما أحسن قوله: «وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر»! فإنَّك إذا ذكرت فضل الفقيه، قلنا لك: وهل تفقه الفقيه إلَّا بما رواه له المحدِّثُ وميَّز له صحيحه من سقيمه؟! وإن ذكرت فضل المحدِّث، قلنا لك: وهل يكون للرواية فائدة إلا بفقهها للعمل بما فيها؟!.

ومثال ذلك: أن تمثل بين مالك بن أنس وعبيد الله العمري، وبين الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي، وبين أبي ثور وابن أبي شيبة؛ فإنَّ الحق يقودك إلىٰ أن تقضي لكل واحد منهم بالفضل. وهذه الأمثلة الثلاثة، ذُكر في كل واحد منها قرينان، الأول منهما إمام في الفقه، والثاني إمام في الحديث؛ فمن ينتقص أحد الإمامين؟! أمَّن يستطيع ذلك؟!. وهذا طريق الإنصاف لمن سلكه، وعلم الحق لمن أمه ولم يتعبده»[(١)].

ورحم الله السلف! فقد كانوا أسبق إلىٰ كل خير وعلم وإنصاف؛ ولهذا لمَّا روىٰ مطر بن طهمان الوراق (ت: ١٢٥ هـ فيما يُقال) حديثًا، وسُئل عن معناه، قال: «لا أدري، إنَّما أنا زاملة»، فقال له السائل وكان عاقلًا مُنصفًا: «جزاك الله خيرًا؛ فإنَّ عليك من كل: حلو وحامض»[(٢)].

وانظر إلىٰ إجلال السلف لرواة الحديث، في العبارة التالية: يقول محمد ابن المنكدر (ت: ١٣٠ هـ): «ما كنا ندعو الرواية إلَّا رواية الشعر، وما كنا نقول للذي يروي أحاديث الحكمة إلا: عالم»[(٣)].

وممَّا سبق إليه السلف من العلم والخير والحق، التنبيه إلىٰ أنَّ علم الحديث علم

---

(١) «**المحدث الفاصل**»، للرامهرمزي، (ص/ ١٦٩-١٧٠).

(٢) «**جامع بيان العلم**»، لابن عبد البر، (رقم/ ١٩٤٤)، و«**الجامع لأخلاق الراوي**»، للخطيب، (رقم/ ١٣٧١).

(٣) «**جامع بيان العلم**»، لابن عبد البر، (رقم/ ١٥٣٣).

لا يقبل الشركة ولا توزيع الهمة علىٰ غيره معه.

يقول الربيع بن سليمان المرادي (ت: ٢٧٠ هـ) تلميذ الشافعي: «مرَّ الشافعي بيوسف بن عمرو بن يزيد -وكان من كبار فقهاء المالكية: (ت: ٢٥٠ هـ)-، وهو يذكر شيئًا من الحديث، فقال: يا يوسف، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه؟! هيهات»[(١)].

وقد قدَّم الخطيب هذا الكلام من الشافعي، وهو يصف الذي يبرع في علم الحديث بقوله: «أن يعاني علم الحديث دونما سواه؛ لأنَّه علم لا يَعْلَقُ إلَّا بمن وقف نفسه عليه، ولم يضم غيره من العلوم إليه»[(٢)].

ثم أخر الخطيب عقب ذلك العبارتين التاليتين:

يقول أبو يوسف القاضي (ت: ١٨٢ هـ): «العلم شيء لا يعطيك بعضه؛ حتىٰ تعطيه كُلَّكَ، وأنت إذا أعطيته كُلَّكَ من إعطائه البعض علىٰ غرر»[(٣)].

ويقول أبو أحمد بن نصر بن أحمد العياضي الفقيه السمرقندي: «لا ينال هذا العلم إلَّا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته»[(٤)].

فإن كانت هاتان العبارتان حقًّا في العلوم جميعها؛ فهي في علم الحديث أولىٰ أن تُقال وأحق. وهذا هو ما قصده الخطيب، عندما ساقها في ذلك السياق.

وللتخصص في كل العلوم معناه، وفي علم الحديث له معناه الخاص به؛ فهو تخصيص لا يقبل الانقطاع إلىٰ غيره، مهما طال زمن التفرغ في تحصيله، ومهما ظنَّ طالبه أنَّه تملَّا منه وتضلع. لأنَّه خبرة دقيقة وحاسة لطيفة، لا تدوم إلَّا مع بقاء الالتصاق بالعلم، وسرعان ما تفقد تلك الخبرة، وتتعطل تلك الحاسة، إذا انقطع الطالب عن العلم فترة يسيرة.

---

(١) «الجامع»، للخطيب: (٢/ ٢٥١)، (رقم/ ١٥٦٩).
(٢) «الجامع»، للخطيب، (رقم/ ١٥٦٩).
(٣) «الجامع»، للخطيب، (رقم/ ١٥٧٠).
(٤) «الجامع»، للخطيب، (رقم/ ١٥٧١).

يقول في بيان ذلك عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ): «إنَّما مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار، إذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصره»(١).

وبلسان أهل عصرنا: إنَّما مثل صاحب الحديث بمنزلة تاجر العملات، لا يستطيع أن يستفيد ويربح؛ إلَّا إذا كان متابعًا لأسواق العملات، دون انقطاع؛ فإذا انقطع يومًا واحدًا، أصبح كالجاهل بهذا السوق تمامًا، وكأنَّه لم يكن عليمًا به يومًا من الأيام! لأنَّه لا يستطيع أن يشتري أو يبيع، لعدم علمه باختلاف أسعار العملات الذي يتبدل كل ساعة.

ولذلك لم يجعل الإمام أحمد (ت: ٢٤١ هـ) لطلب الحديث زمنًا ينتهي عنده، ولم يوقت له فترة يجعلها حده؛ عندما سئل: «إلىٰ متىٰ يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتىٰ يموت»(٢).

فإن قيل: قد جاءت عبارات كثيرة في كتب العلم، تدل علىٰ ذم من لم يجمع مع الحديث فقهًا، أو علىٰ ذم إفناء العمر في جمع طرق الأحاديث وتتبع الأسانيد.

فمن الأول، قول القائل:

زوامل للأسفار لا علم عندهم ... بجيدها إلَّا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... بأحماله أو راح ما في الغرائر

ومن الثاني: قصة حمزة بن محمد الكناني الحافظ (ت: ٣٥٧هـ)، قال: «خرَّجت حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من مائتي طريق، أو من نحو مائتي طريق، فداخلني من ذلك فرح غير قليل، وأعجبت بذلك. قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيىٰ بن معين في المنام، فقلت له: يا أبا زكريا، خرجت حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من مائتي طريق! قال: فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشىٰ أن يدخل هذا تحت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾»(٣).

فما هو معنىٰ تلك العبارات؟ مع ما ندعو إليه من التخصص في علم الحديث.

---

(١) «الجامع»، للخطيب، (رقم/ ١٩٠٩).
(٢) «شرف أصحاب الحديث»، (رقم/ ١٤٥).
(٣) «جامع بيان العلم»، لابن عبد البر، (رقم/ ١٩٨٨).

فأقول: أمَّا ما جاء في ذم مَن لم يجمع مع الحديث فقهًا، فلا يعارض كلام من كان من الناس بقوله النبي ﷺ الذي سبق ذكره، ممَّا يدل علىٰ مشروعية، بل استحباب ما عابه ذلك العائب.

ثُم إنَّ الذي صدر منه ذلك الذم أحد رجلين: إمَّا أنَّه من أهل العلم والفضل، وحينها يُحمل كلامه علىٰ ذمِّ من قصر فيما لا يجوز التقصير فيه من الفقه بالفروض العينية ونحوها، ممَّا تقدم ذكره. وإما أن هذا الذامَّ من أهل الرأي وأصحاب البدع، الذين يعادون السنة وأهلها، وينفرون من علومها؛ وهؤلاء لا وزن لمدحهم وذمهم، بل ربما كان ذمهم مرجحًا كفة المذموم علىٰ الممدوح منهم!

وأمَّا ما ورد من عيب إفناء العمر في تتبع طرق الأحاديث وجمع الأسانيد، فليس الأمر علىٰ إطلاقه.

فهذا يحيىٰ بن معين الذي رآه حمزة الكناني يذم فعله في ذلك، **يقول يحيىٰ بن معين هذا**: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهًا ما عقلناه»[١].

ويقول الإمام أحمد: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا».

وقال علي المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه؛ لم يتبين خطؤه».

إذن ما هو الأمر العيب في تتبع طرق وجمع الأسانيد؟

أجاب عن ذلك الخطيب البغدادي في كتابه، وحصر سبب عيب ذلك في أمرين:

الأول: جمع الأحاديث وقطع الأعمار في كتابتها، صحيحها وضعيفها وموضوعها، دون تمييز الصحيح بمزيد اعتناء، ولا معرفة الضعيف بعلته، ولا التنبه علىٰ المكذوب والباطل؛ فهو جمع وتصنيف علىٰ الإهمال والإغفال، يضر أكثر ممَّا ينفع.

يقول الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع»: «ينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة،

---

(١) «**الجامع**»، للخطيب، (رقم/ ١٧٠٠).

والروايات المستقيمة. ولا يذهب وقته في التُّرَّهات، من تتبع الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات (ثم قال:) والغرائب التي كره العلماء الاشتغال بها، وقطع الأوقات في طلبها، إنَّما هي ما حَكَمَ أهل المعرفة ببطلانه؛ لكون رواته ممَّن يضع الحديث، أو يدعي السماع. أمَّا ما استغرب لتفرد رواية به، وهو من أهل الصدق والأمانة، فلذلك يلزم كتبه، ويجب سماعه وحفظه».

وقال الخطيب أيضًا: «لو لم يكن في الاقتصار علىٰ سماع الحديث وتخليده الصحف، دون التمييز بمعرفة صحيحه من فاسده، والوقوف علىٰ اختلاف وجوهه، والتصرف في أنواع علومه؛ إلَّا تلقيب المعتزلة القدرية من سلك تلك الطريقة بالحشوية؛ لوجب علىٰ الطالب الأنفة لنفسه، ودفع ذلك عنه وعن أبناء جنسه».

الثاني: يقول في بيانه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث»: «إنَّما كره مالك وابن إدريس وغيرهما الإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة، كأسانيد: (حديث الطائر، وطرق حديث المغفر، وغُسل الجمعة، وقبض العلم، وإن أهل الدرجات، ومن كذب علي، ولا نكاح إلَّا بولي . . . وغير ذلك)، ممَّا يتتبع أصحاب الحديث طرقه، ويعنون بجمعه؛ والصحيح من طرقه أقلها. وأكثر من يجمع ذلك: الأحداث منهم، فيتحفظونها ويذاكرون بها، ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثًا وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع، ما لا ينتفع به، وقد أذهب من عمره جزءًا في طلبه. وهذه العلة هي التي اقتطعت أكثر مَنْ في عصرنا من طلبة الحديث عن التفقه به، واستنباط ما فيه من الأحكام. وقد فعل متفقهة زماننا كفعلهم، وسلكوا في ذلك سبيلهم، ورغبوا عن سماع السنن من المحدثين، وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين. فكلا الطائفتين ضيَّع ما يعنيه، وأقبل علىٰ ما لا فائدة فيه».

فبيَّن الخطيب أنَّ سبب كراهة مالك وغيره لتتبع الطرق وجمع الأسانيد من طلبة الحديث، لا لأنَّه تتبع وجمع وحسب، ولكنَّه جمع لطرق أحاديث صحيحة أصلًا، وليس هناك أي فائدة زائدة من تتبع أسانيدها الأخرىٰ التي قد يكون أغلبها ضعيفًا

أو باطلًا، **ومثال ذلك في عصرنا**: الذي سوَّد صفحات طويلات في تخريج حديث واحد، متوسعًا غاية التوسع في ذكر مصادر العزو، من مسانيد ومعاجم ومشيخات وأجزاء وتواريخ، مع أنَّ الحديث صححه الشيخان من قبل، ولعله وافقهما علىٰ تصحيحه أئمة آخرون، ولا مخالف لهم في تصحيحه؛ فيخرج أخونا هذا، دون أي فائدة زائدة علىٰ ما كان قد بدأ به، عندما عزا الحديث للصحيحين، وهو أنَّ الحديث صحيح!!

ثم إنَّه لا تتحقق ذلك الجمع للأسانيد لا بشرط، وهو ما إذا كان الجامع لها من أحداث طلبة العلم وصغارهم، ثم لم يصلوا إلىٰ درجة معرفة قدر جيد من صحيح السنة، فتقطع أعمارهم في جمع تلك الأسانيد، ولعل أحدهم لا يعرف حديثًا صحيحًا -كما يقول الخطيب-، فذهب عمره فيما لا ينتفع به. فمثل هذا لا تخصص في الحديث، ولا تعلم الفقه؛ ولذلك عاب عليهم الخطيب انشغالهم عن الفقه بما هم فيه، فالفقه أجل وأشرف بكثير ممَّا هم فيه.

ولذلك قال علي بن المديني: «إذا رأيت طالب الحديث أول ما يكتب الحديث يجمع: حديث الغسل، وحديث من كذب علي؛ فاكتب علىٰ قفاه: لا يفلح».

أمَّا إذا كان الجمع لطرق الحديث -ولو كان أصل الحديث صحيحًا بأقل تلك الطرق أو بواحد منها- من الأئمة الكبار في السنة، الذين هم أوّلًا أئمة في الاطلاع علىٰ صحيح السنة والثابت منها، وفي تمييز المقبول من المردود، وهم ثانيًا لم يقطعوا أعمارهم في جمع تلك الأسانيد، بدليل إمامتهم وإطلاعهم العظيم علىٰ السنة؛ فهؤلاء لو جمعوا أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الأسانيد، أي: لو قاموا بمثل ما عبناه علىٰ الأحداث الصغار في العلم؛ لَمَا عبناهم بذلك، بل نفرح بجهدهم هذا، ونعتبره من النفائس والأعلاق؛ وذلك لأن جمعهم الأسانيد لم يكن علىٰ حساب كمال علمهم بالسنة، ولم يشغلهم عمَّا ينتفعون به من الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن السقيمة. ولذلك فإنَّ الأحاديث التي مَثَّلَ بها الخطيب ممَّا يعاب علىٰ الأحداث جمعه، لا يكاد يوجد حديث منها إلَّا قام بجمع طرقه حفاظ كبار وأئمة أعلام ممَّن يُقتدىٰ بهم.

فحديث الطير للإمام الذهبي فيه مصنف.

وحديث غسل الجمعة جمع طرقَهُ الحافظ ابن حجر، كما نقله الزبيدي في «**لقط اللآلي المتناثرة**».

وحديث «من كذب علي» جمع طرقه الطبراني وابن الجوزي.

وحديث «لا نكاح إلا بولي» جمع طرقه شرف الدين الدمياطي.

بل إنَّ الخطيب نفسه ذكر جل هذه الأحاديث، في سياق ما ينصح بجمعه، اقتداء بالمحدثين الذين جمعوا تلك الأحاديث. ومن قبله ذكرهم الحاكم في كتابه «**معرفة علوم الحديث**» في نوع خاص بها.

وخلاصة ما سبق، فيما يُلام عليه طالب الحديث وما لا يُلام عليه من التدقيق في العلم، هو أنَّه يلام في قضاء العمر: في جمع الأباطيل والمناكير، وعدم تمييزها عن الصحاح المشاهير؛ وفي تتبع أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الطرق، ولا فائدة في تتبع الأسانيد الأخرىٰ، إلا انقضاء الحياة دون معرفة قدر كبير من صحيح السنة وتعلم علوم الحديث.

أمَّا اللوم علىٰ التدقيق في العلم مطلقًا، فهو من أعظم الصوادِّ عن العلم، ومن أكبر الدواعي إلىٰ الجهل؛ وإلَّا فمتىٰ يصل طالب العلم إلىٰ مصافِّ العلماء؟ إذا لم يدقق التدقيق الذي بحسب مرتبته من العلم، والذي هو من باب الترقي في التعلم وأدلته وأصوله، إلىٰ الاجتهاد فيه والاستنباط. **وقد سبقت عبارة الإمام الشافعي، التي يقول فيها**: «من تعلم علمًا؛ فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم». وإنَّما أطلت هذه الإطالة في الحثِّ علىٰ التخصص، وفي علم الحديث خاصة، لكثرة من يعيب ذلك! وفي هؤلاء العابثين من نحسن به الظن، وغالبهم من إخواننا المتفننين، كما سبق! وأطلت هذه الإطالة أيضًا، لمزيد احتياج علم الحديث إلىٰ التخصص الدقيق حقيقة، وإلىٰ التعمق فيه؛ وخاصة في هذه الأعصار؛ فأين هم نقاده وصيارفته؟! وأين هم أطباء عِلله؟!».

هذا الكلام من الشيخ حاتم هو أدقُّ وأعلىٰ ما وقفت عليه من كلام دعاة التخصص، وأنا جِدُّ كلف بهذا القول غير أنَّه لا يسعني إلَّا التنبيه علىٰ أنَّ

التخصص شيء والفصام شيء آخر، فالتخصص هو أنْ تفرغ نفسك لعلم معين بعد فراغك من دراسة بقية العلوم دراسة تُهيِّئُ لك الوقوف علىٰ مهماتها ومعرفة مفاتيحها، ومظنة البحث وتحرير القول فيها، مع العناية بالعلوم التي تتصل بالعلم الذي تروم التخصص فيه، أمَّا الفصام المشئوم الذي أشرت إليه من قبل، فليس من وكدي الدعوة إليه ولا الثناء عليه.

إِذَا أَرَدْتَ التَّخصُّصَ

= فَاعْلَمْ: أَنَّهُ لَا يُغْنِي كِتَابٌ عَنْ كِتَابٍ

هل يعني كون «**تهذيب الكمال**» قد اختصره ابن حجر فأخذ زبدته وزاد عليه، هل يعني ذلك الاستغناء عن الأصل؟

ابن حجر اعتمد «**إكمال تهذيب الكمال**»، لمغلطاي، فذكر ما فيه من الزيادات، فهل يعني ذلك عدم الرجوع لكتاب مغلطاي؟

«**التلخيص الحبير**» هو اختصار «**البدر المنير**»، فهل الرجوع إلىٰ البدر يغني عن الرجوع إلىٰ التلخيص.

والجواب في ذلك وأكثر منه هو: «لا».

نعم؛ «لا» كبيرة جليلة.

فلا يُغني كتاب عن كتاب، فلن تعدم تصحيح تحريف، أو تصويب تصحيف، أو استدراك المختصر علىٰ صاحب الأصل، أو زيادة تعليق في كلام صاحب الأصل أعرض عنها المختصر، وإنِّي لأعلم رجالًا من فحول علم الحديث وغيره، يستخرجون من مضابئ الكتب علومًا وفوائد يغفل عنها مَن يستغنون ببعض الكتب عن بعض.

يقول الدكتور محمود محمد الطناحي: «قد شاع في كتابات بعض الدارسين المُحدَثين، أنَّ كتب التراث ذات الموضوع الواحد، تتشابه فيما بينها، وأنَّ غاية اللاحق أنْ يدخل علىٰ ما تركه السابق، يدور حوله، ويردد مباحثه وقضاياه. ثم أفضىٰ ذلك الزعم إلىٰ دعوة صاخبة، تنادي بغربلة التراث وتصفيته؛ بالإبقاء علىٰ النافع المفيد، وترك ما عداه مستقرًا في المتاحف كمومياء الفراعنة، يذكر بتطور الخطوط، وقواعد الرسم، وتاريخ صناعة الورق.

فإذا قلت لهذا الزاعم: ماذا نأخذ وماذا ندع؟ حار وأبلس، واعتصم بسراديب التفكير الموضوعي، ومناهج البحث العلمي، وأشباه ذلك من تلك التهاويل الفارغة من الحقيقة، فإذا اضطررته إلىٰ أضيق الطرق، وأخذته إلىٰ فنٍّ واحد من فنون التراث، ونثرت أمامه مصنفات ذلك الفن، ثم طلبت إليه أنْ يختار ما يستحق أنْ يُبقي عليه، وما هو جدير بأن يُنَحَّىٰ، شغب ونازع؛ لأنَّه لا يملك أدوات الحكم علىٰ هذا الموروث؛ لبعده عنه، وخفائه عليه، ولم يجد بُدًّا من العودة كرَّة أخرىٰ إلىٰ التفكير الموضوعي، والبحث العلمي، يسلبهما عنك، ملقيًا بك في ردغة الخبال، وظلمات الجهل، وبيداء التخلف.

وقد يسايرك بعضهم، آخذًا بالنصفة والبراءة، قائلًا: نقف عند القرون الخمسة الأولىٰ؛ لأنَّها قرون الإبداع والخلق. فقل له: إنَّ الخالفين من القرون اللَّاحقة قد أضافوا إلىٰ ميراث تلك القرون السابقة إضافات صالحة، كشفت عن خبيئه، بل إنَّهم قد استخرجوا من علم الأوائل علمًا آخرَ، مصبوغًا بصبغتهم، موسومًا بسمتهم، مُلبِّيًا حاجات عصرهم، مُفجِّرًا طاقات عظيمة من هذا العقل العربي، الذي ما فتئ يغلي ويموج، كالبحر الهادر.

وعلىٰ سبيل المثال؛ فإنَّ القرن الثامن -وهو في تقديرك ورأيك ممَّا ينبغي أن ينبذ ويطرح- قد شهد أعلامًا شوامخ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، ومؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، ومُجتهد عصره تقي الدين السبكي، وولده تاج الدين، والحافظ الكبير علم الدين البرزالي، والأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي، واللغوي الجامع ابن منظور، وإمامي النحو: أبي حيان، وابن هشام.

وإنَّ القرن التاسع قد شهد أمير المؤمنين في الحديث، الحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيخ الإقراء في زمانه شمس الدين بن الجزري، وعالم الاجتماع الكبير ابن خلدون، والمؤرخ الجغرافي تقي الدين المقريزي.

وإنَّ القرن العاشر قد شهد الحافظ المؤرخ الحجة شمس الدين السخاوي، والحافظ المفسر النحوي، الجامع للفنون والمعارف جلال الدين السيوطي، ولا تقل: إنَّه جماع، فقد حفظ لنا في تصانيفه التي بلغت نحو ستمائة مصنف (٦٠٠) كثيرًا ممَّا عدت عليه عوادي الناس والأيام من علوم الأوائل وفنونها،

واستخراج من كل ذلك علمًا عُرف به ونُسب إليه.

فإذا جئنا إلىٰ القرن الحادي عشر وهو عندك ممَّا لا يُلتفت إليه، ولا يعاج به؛ لأنَّ هذا العصر في رأيك عصر انحطاط وانحدار، من حيث كانت الغلبة فيه للأتراك والعثمانيين، وهم من كرام هذه الأمة الإسلامية، شئت أم أبيت: رأينا علماء كبارًا، منهم شهاب الدين الخفاجي، صاحب المصنفات الكبيرة: «**ريحانة الألباب**»؛ تراجم أدباء عصره، و«**شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**»، و«**شرح درة الغواص**»، للحريري، و«**طراز المجالس**»، و«**نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**». ومن أعظم تصانيفه وأبقاها: حاشية علىٰ تفسير البيضاوي، المسماة: «**عناية القاضي وكفاية الراضي**». في ثمانية مجلدات كبار.

والعلامة عبد القادر البغدادي، صاحب «**الخزانة**»، وهي من مفاخر التأليف العربي.

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر، نلتقي بعلمين كبيرين: المرتضىٰ الزبيدي، صاحب «**تاج العروس**»، و«**إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**». والشوكاني، صاحب «**فتح القدير**»، و«**نيل الأوطار**»، إلىٰ علماء الهند، الذين توفروا علىٰ السنة المطهرة، شرحًا ونشرًا.

وكل هؤلاء -ممَّن ذكرت ومن لم أذكر- قد فسروا، وأضافوا، واستخرجوا.

فهل نُلقي بهم جميعًا في غيابات الجُبِّ، ومتاحف الآثار؟

وهل من المقبول في موازين العقل والعدل، أنْ نُطالب إنسانًا خلَّف له أهله ثروة طائلة، ثم أقبل عليها، يثمرها وينميها بجهده وعرقه، حتىٰ أضاف إليها أضعافها. هل من المقبول أنْ نُطالبه بأنْ يتخلَّىٰ عن هذا الذي أضافه ويقنع بما تركه له أهله؟

وقد يبدو هذا التشبيه لك سَاذَجًا، ولكن الصورة ألجأتنا إليه، وللضرورة أحكامها.

ثم أعود مرة أخرىٰ إلىٰ قضية: «إنَّ كتب التراث يُغني بعضها عن بعض».

وقد شغلتني هذه القضية، وعشت مخدوعًا بها زمانًا، حتىٰ ظهر لي زيفها

وبطلانها، بشواهد ومُثل كثيرة، وبخاصة في كتب التراجم، ومصنفات اللغة. وأكتفي بعرض مثال واحد في كتب اللغة.

من المعروف أنَّ أكمل المعاجم اللغوية وأوسعها، كتابان، هما: «**لسان العرب**»، لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، المتوفىٰ بمصر (سنة ٧١١هـ)، و«**تاج العروس**» في شرح القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد ابن محمد. المرتضىٰ الزبيدي المتوفىٰ بمصر أيضًا (سنة ١٢٠٥ هـ).

فقد جمع ابن منظور في كتابه أصول المعاجم: «**الصحاح**»، للجوهري، وحواشيه لابن برىٰ، و«**التهذيب**»، للأزهري، و«**المحكم**»، لابن سيده، و«**النهاية في غريب الحديث والأثر**»، لابن الأثير. وعوَّل المرتضىٰ الزبيدي علىٰ اللسان، مع ما أضافه من كتاب الصاغاني: «**التكملة**»، و«**العُباب**». وكتب الشيخ محمد بن الطيب محمد الفاسي المالكي، المتوفىٰ بالمدينة المنورة (١١٧٠ هـ). إلىٰ كتب أخرىٰ صغار وكبار.

فكان الناظر في هذين المعجمين الكبيرين مغنيًا عن النظر فيما سواهما، للذي قيل: «كل الصيد في جوف الفرا». **لكني وقعت علىٰ ما يقتضي التوقف في هذا الحكم**:

وذلك ما أثاره ابن الأثير، في «**النهاية**»، حين عرض لشرح حديث: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَبْخَعُ طَاعَةً**».

قال: «أي: أبلغ، وأنصح في الطاعة من غيرهم، كأنَّهم بالغوا في بخع أنفسهم، أي: قهرها وإذلالها بالطاعة».

ثم قال: «قال الزمخشري: هو من بخع الذبيحة: إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها، ويبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو العرق الذي في الصلب، والنخع، بالنون: دون ذلك، وهو أن يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة. هذا أصله، ثم كثر حتىٰ استعمل في كلِّ مُبالغة. هكذا ذكره في كتاب «**الفائق في غريب الحديث**»، وكتاب «الكشاف في تفسير القرآن»، ولم أجده لغيره، وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب، والتشريح، فلم أجد البخاع بالباء مذكورًا في شيء منها».

هذا كلام ابن الأثير، والأمر علىٰ ما قال، في كتابي الزمخشري: «**الفائق**»، و«**الكشاف**»، وأيضًا جاء في «**أساس البلاغة**».

قلت: هذا التعقيب الذي تعقب به ابن الأثير، الزمخشري، قد شاع في معاجم المتأخرين: ابن منظور، الفيروزآبادي، والمرتضىٰ الزبيدي.

ويدل سياق هؤلاء جميعًا في كتبهم، علىٰ أنَّ الزمخشري منفرد دون اللغويين بذكر «البخاع» بالباء الموحدة، حتىٰ ليقول الزبيدي، بعد حكاية كلام ابن الأثير والفيروزابادي: «قال شيخنا: وقد تعقب ابن الأثير قوم، بأن الزمخشري ثقة ثابت، واسع الإطلاع، فهو مُقدَّم».

فهذا كلام دالٌّ بوضوح، علىٰ أنَّ الزمخشري منفرد بذكر هذا القول، وأنَّ انفراده به لا يطعن فيه؛ فهو ثقة مأمون.

وقد وقعت علىٰ نصٍّ عالٍ موثق، يدلُّ علىٰ أنَّ هذه التفرق بين «البخاع» بالباء الموحدة، و«النخاع» بالنون، تفرقة قديمة، سابقة علىٰ الزمخشري المتوفىٰ سنة (٥٣٨ هـ). وذلك ما ذكره ابن فارس، المتوفىٰ سنة (٣٥٩ هـ)، في كتابه معجم «**مقاييس اللغة**».

قال ﷺ: «قال أبو علي الأصفهاني، فيما حدثنا به أبو الفضل محمد ابن العميد، عن أبي بكر الخياط، عنه، قال: قال الضبي: بخعت الذبيحة: إذا قطعت عظم رقبتها، فهي مبخوعة، ونخعتها: دون ذلك؛ لأنَّ النخاع: الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة وفقار الظهر. والبخاع، بالباء: العرق الذي في الصلب».

فأنت ترىٰ أنَّ الزمخشري مسبوق فيما ذهب إليه، بهذا الذي حكاه ابن فارس، بإسناده إلىٰ الضبي، وقد خفي هذا علىٰ ابن الأثير، ومن جاء بعده: ابن منظور، والفيروزآبادي، والمرتضىٰ الزبيدي، وشيخه محمد بن الطيب الفاسي، وإن كان هذا قد أحال علىٰ الثقة بالزمخشري وسعة إطلاعه.

وواضح أنَّ هناك فرقًا بين أنْ تفزع إلىٰ المعاجم؛ لتصيب معنىٰ لغويًّا لِمَا يعرض لك من ألفاظ، وبين أن تكون بإزاء قضية لغوية، تريد أن تنتهي فيها إلىٰ رأي حاسم قاطع. هنا لا يغنيك النظر في هذين الكتابين اللسان والتاج، مع سعتهما

وإحاطتهما عن الرجوع إلىٰ غيرهما، مع صغار الكتب وأوساطها، وهنا أيضًا لا يفيدك قول أبي الطيب:

ومن ورد البحر استقل السواقيا

إنَّ علماءنا الأوائل -رحمهم الله، ورضي عنهم- لم يكونوا يعبثون حتىٰ يتوفرون علىٰ الفنِّ الواحد، من فنون التراث، فيُكثرون فيه التأليف والتصنيف، ويدخل الخالف منهم علىٰ السالف.

ونعم؛ قد تجمع بعضهم جامعة المنزع والمنهج العام، ولكن يبقىٰ لكل منهم مذاقه ومشربه، كالذي تراه من اجتماع أبي جعفر الطبري، وعماد الدين ابن كثير علىٰ تفسير القرآن بالمأثور، وافتراقهما في أسلوب التنزيل ومنهج العرض.

ولم يكن النحاة يعانون من الفراغ، أو قلة الزاد، حين عكفوا علىٰ كتاب مثل «الجمل»، لأبي القاسم الزجاجي، فوضعوا له مائة وعشرين شرحًا.

ومن الغريب حقًّا أنَّنا لا نجد بأسًا أن يكثر الدارسون والمحدثون التأليف في الفنِّ الواحد، كتبًا ذاهبة في الكثرة والسعة، كالذي تراه من التأليف في فنون الشعر والقصة والمسرح، ثم نحجر علىٰ أسلافنا! ونعيب عليهم مثل ذلك، ثُم ننعتهم بالثرثرة والدوران حول أنفسهم! ولكنَّها آفة الذين يلتمسون المعابة لأسلافهم بالظنِّ الخادع، والوهم الكذوب.

وإنَّه لحقٌّ أنَّ بعض ما تركه الأوائل، منتزع من جهود سابقة، وتعد إضافته إلىٰ الفنِّ إضافة محدودة، ولكن مثل ذلك معروف مسطور، ومدلول عليه أيضًا بكلام الأوائل أنفسهم، وأكثر ما ترىٰ ذلك في مقدمات الكتب، كهذا الذي صنعه ابن الأثير، في مقدمة كتابه «**النهاية**» حين قضىٰ علىٰ تأليف ابن الجوزي، في «**غريب الحديث**»، بأنَّه مسلوخ من كتاب أبي عبيد الهروي.

قال ﷺ: «ولقد تتبعت كتابه، فرأيته مختصرًا من كتاب الهروي، منتزعًا من أبوابه، شيئًا فشيئًا، ووضعًا فوضعًا، ولم يزد عليه كلمة إلَّا الكلمة الشاذة واللفظة الفاذة، ولقد قايست ما زاد في كتابه علىٰ ما أخذه من كتاب الهروي؛ فلم يكن إلَّا جزءًا يسيرًا من أجزاء كثيرة».

وأحب أنْ أشير إلىٰ أنَّ هذه المختصرات التي تشغل حيِّزًا من التأليف العربي، قد تجد فيها ما لست تجده في الأصول، ومع ذلك فهو كثير، ككتاب «**مُختار الأغاني في الأخبار والتهاني**»، لابن منظور صاحب «**اللسان**»، وقد طبع هذا المختصر في ثمانية أجزاء، وفي الجزء الثالث منه ترجمة موسعة لأبي نواس، تضمنت أخبارًا وأشعارًا لأبي نواس، لا تجدها في الأصل المختصر، وذلك أنَّ لابن منظور كتابًا مفردًا لأخبار أبي نواس، وهو مطبوع.

وكذلك صنع ابن منظور، في ترجمة جميل بن مَعمر، حيث أورد له بعض أشعار وأخبار لم ترد في الأغاني.

والظنُّ بابن منظور أن يكون قد فعل مثل ذلك، فيما اختصره من كتب التراث، فقد كان مغرىٰ باختصار كتب الأدب المطولة -كما يقول ابن حجر- وقال صلاح الدين الصفدي: «ما أعرف في كتب الأدب شيئًا إلَّا وقد اختصره». ومن مختصراته: «**مختصر مفردات ابن البيطار**»، في الأدوية، و«**لطائف الذخيرة مختصر الذخيرة**»، لابن بسام. و«**مختصر تاريخ دمشق**»، لابن عساكر، و«**مختصر تاريخ بغداد**»، للسمعاني. و«**مختصر الحيوان**»، للجاحظ، و«**مختصر أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة**»، للتنوخي.

ومن حديث المختصرات ما لاحظته، أنا وأخي عبد الفتاح الحلو، في أثناء عملنا في تحقيق «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**»، لتاج الدين ابن السبكي: أنَّ «**الطبقات الوسطىٰ**»، للمؤلف قد اشتملت علىٰ فوائد لم ترد في «**الطبقات الكبرىٰ**»، بل إنَّ فيها من التراجم ما لم يُذكرْ أصلًا في «**الطبقات الكبرىٰ**».

وكتاب «**تقريب التهذيب**»، لابن حجر العسقلاني، فيه من التقييد والضبط ما لست تجده في أصله: «**تهذيب التهذيب**»، للمؤلف نفسه، وقد أحسن ناشرو «**تهذيب التهذيب**»، في «**دائرة المعارف العثمانية**»، بالهند حيث أنزلوا هذا الضبط والتقييد في حواشي الكتاب.

ومثل ذلك يُقال في مصنفات شمس الدين الذهبي التاريخية: «**تاريخ الإسلام**»، و«**سير أعلام النبلاء**»، و«**العبر في خبر من غبر**»، و«**تاريخ دول الإسلام**».

إنَّ تراثنا لم يأخذ مكانه بين تراث الإنسانية إلَّا بما صنفه الأوائل، مضافًا إليه تلك الشروح والمختصرات والذيول، والصلات، والحواشي والتقريرات.

نقول هذا لأبنائنا طلبة العلم، ونُذكِّر به أيضًا العقلاء من إخواننا أساتذة الجامعات العربية. أمَّا الذين يلتمسون تراجم الرجال من «**دوائر المعارف**»، و«**الموسوعة العربية الميسرة**»، ويطلبون الشروح اللغوية من «**المنجد**»، و«**أقرب الموارد**»، ويجمعون تراجم الشعراء، من «**شعراء النصرانية**»؛ فقد سقطت كلفة الحديث معهم».

اعْرَفْ فَرْقَ مَا بَيْنَ الطَّبْعَاتِ كَمَا تَعْرِفُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَخْطُوطَاتِ

طالب العلوم الإسلامية -فيما أزعم- هو أكثر طلبة العلم احتياجًا إلىٰ الدقة في اختيار طبعات الكتب التي يقرأها أو يدرسها أو يرجع إليها، بل إنَّ قضية التصحيف والتحريف إنَّما تظهر أهميتها، وتظهر عِظَم مغبتها في العلم الشرعي بالذات، والحديث في ذلك ذو شجون.

يقول الدكتور محمود الطناحي في مقالاته: «فيما أزعم: واجبٌ علىٰ طالب العلم أن يعرف فرق ما بين الطبعات؛ فإنَّ كثيرًا من كتب التراث قد طُبعَ مرتين أو أكثر وتتفاوت هذه الطبعات فيما بينها؛ كمالًا ونقصًا، وصحة وسقمًا، ولا بُدَّ أن يكون رجوع الطالب إلىٰ الطبعة المستوفية لشرائط الصحة والقبول، وهذه الشرائط ظاهرة لائحة لمن يتأملها، وتتمثل في التقديم للكتاب، وبيان وزنه العلمي، وفهرسته فهرسة فنية، تكشف عن كنوزه وخباياه، والعناية بضبطه الضبط الصحيح، والتعليق عليه بما يُضيئه، ويربطه بما قبله وبما بعده، في غير سرف ولا شطط، ثم في الإخراج الطباعي، المتمثل في جودة الورق، ونصاعة الحرف الطباعي.

وقد حَظِيَ تراثنا -ولله الحمد والمنة- منذ ظهور المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي إلىٰ يوم الناس هذا، بعلماء كبار، في الشرق والغرب، توافروا علىٰ الإخراج العلمي الصحيح، وطابعين مهرة أظهروه في حُلَلٍ زاهية، لكنَّه ظهر إلىٰ جانب هؤلاء، ناشرون متساهلون، وطابعون متعجلون، أرادوا ثراء المال من أيسر سبيل فاعرف أيُّها الطالب وأنكر، وأقبل وأعرض، علىٰ ما وصفت لك؛ تستقم دراستك، وتمضِ إلىٰ ما تريد لها من كمال وإتقان».

وقد اعتنيت ببيان أحسن طبعات الكتب التي أذكرها في البرنامج العلمي، غير أنِّي أشير إلىٰ أنَّ الوسوسة في هذا الباب وجعله شهوة تطلب، وليس وسيلة للتعلم = قد صرفت كثيرًا من الطلبة عن التعلم، وشغلوا أنفسهم بتتبع الكتب وطبعاتها.

الْكُتُبُ الْعَرَبِيَّةُ كِتَابٌ وَاحِدٌ

استدل أحد الفضلاء علىٰ جواز مواد التجميل (المكياج) بخبر جابر رضي الله عنه أنه أتىٰ النبي ﷺ وعليه أثر صفرة، فقال الرسول إليه: «**ما هذا يا جابر؟**»، فقال: «تزوجت يا رسول الله».

فقال هذا الفاضل: فهذه الصفرة ممَّا علق بوجهه من وجه امرأته.

فقلت له: يا شيخنا لعلَّ هذه الصفرة زعفران، وقد كان من عادتهم إذا تزوج الرجل أن يتزعفر حتىٰ نهىٰ النبي ﷺ عن التزعفر، وذكرت له قول سعد بن زيد مناة في أخيه مالك لما تزوج:

يـظـل يـوم وردهـا مُـزعـفـرًا وهي خناطيل تجوس الخضرا

فقال لي: من أين جئت بهذا الكلام؟ فقلت له: من «**طبقات فحول الشعراء**»، لمحمد بن سلام الجمحي (١/ ٣٠).

فقال لي: أَوَنَأْخُذُ ديننا من هذا العبث.

فمنعني أدبي من إكمال الحوار وبيان الحجة.

هذا مثال واحد علىٰ حالة الانفصال المشؤومة التي يتزعم لواءها بعض المشتغلين بالعلم الشرعي اليوم، وهي تحتاج في كشف زيفها إلىٰ مكان أرحب من هذا المكان، ومقام أسمح من هذا المقام وسأجتزأ هنا بذكر كلام غالٍ نفيسٍ للدكتور/ محمود الطناحي، يقول رحمه الله تحت عنوان: «**مجاز كتب التراث مجاز الكتاب الواحد**»:

بمعنىٰ أنَّ هذه الكتب متشابكة الأطراف، متداخلة الأسباب فمع الإقرار بنظرية التخصص، وانفراد كل فنٍّ من فنون التراث بطائفة من الكتب والمصنفات؛ إلَّا

أنَّك قلَّ أنْ تجد كتابًا من هذه الكتب مقتصرًا علىٰ الفنِّ الذي يُعالجه، دون الولوج إلىٰ بعض الفنون الأخرىٰ، بدواعي الاستطراد والمناسبة، وهذا يُؤدي لا محالة، إلىٰ أنْ تجد الشيء في غير مَظَانِّه، وقد ضربت لذلك مثلًا -في بعض ما كتبتُ- بعلم النحو، فليست مسائل هذا العلم في كتب النحو فقط؛ ففي كتب التفسير والقراءات نَحْوٌ كثيرٌ، وفي كتب الفقه وأصوله نَحْوٌ كثيرٌ، وفي معاجم اللغة، وكتب البلاغة، وشروح الشعر، نَحْوٌ كثيرٌ، بل إنَّك واجد في بعض كتب السير، والتاريخ، والتراجم، والأدب، والمعارف العامة، والطرائف والمحاضرات، من مسائل النحوِ وقضاياه، ما لا تكاد تجد بعضه في كتب النحو المتداولة.

واقرأ إنْ شئت: «**الإمتاع والمؤانسة**»، و«**مثالب الوزيرين**»، كلاهما لأبي حيان التوحيدي، و«**رسالة الملائكة**»، و«**رسالة الغفران**»، الاثنان لأبي العلاء المعرىٰ، و«**الروض الأنف**»، للسهيلي، و«**بدائع الفوائد**»، لابن قيم الجوزية، و«**الغيث المسجم**» في شرح لامية العجم، لصالح الدين الصدفي، ثم انظر كم من مسائل النحو أفدت.

وممَّا يستطرف ذكره هنا أنَّ الشاهد النحوي المعروف «**أكلوني البراغيث**» لم أجده منسوبًا لقائلٍ، في كتاب من كتب النحو التي أعرفها، علىٰ حين وجدته في كتاب أبي عبيدة «**مجاز القرآن**» منسوبًا لأبي عمرو الهذلي.

وخذ كتابًا لغويًّا مثل «**المخصص**»، لابن سيده، وهو معاجم المعاني، كما عرفت، تجد فيه نحوًا كثيرًا، وصرفًا كثيرًا، بل إنَّ هذا الكتاب اللغوي يُعدُّ توثيقًا كبيرًا لآراء أبي علىٰ الفارسي، في النحو والصرف، حيث تراه قد أكثر من النقل عنه كثرة ظاهرة.

وإنَّك لتقضىٰ العجب حين ترىٰ كثيرًا من الدراسات النحوية المعاصرة والتي هُوجِمَ النحو العربي فيها هُجومًا كاسحًا أكولًا، وقد اتكأت علىٰ كتب النحو المتأخرة، ابتداءً بابن هشام، وانتهاء بالصبان، تاركة وراءها كتب النحو الأولىٰ، وكتب الفنون التراثية الأخرىٰ، التي تمت إلىٰ النحو بأسباب وعلائق كثيرة. ومع التسليم بجدوىٰ مصنفات ابن هشام ومن جاء بعده؛ فإنَّ ذلك لا يغني عن الجهود السابقة، ولا يقوم مقامها.

وما قِيلَ عن النحو وانسياحه في الفنون الأخرىٰ، يُقال في سائر العلوم؛ وقد حدَّثني شيخي الجليل محمود محمد شاكر -حفظه الله- أنَّه استخرج علوية أبي الطيب المتنبي من خبر صغير، في ثنايا خزانة الأدب، للبغدادي، وقد خفي هذا الخبر علىٰ كل الذين كتبوا عن المتنبي، من عرب وعجم، مع أنَّ هذا الكتاب قد طُبع في مطبعة بولاق بمصر (سنة ١٢٩٩هـ)، ولكنَّه في نظر الناس كتاب شواهد ونحو، ليس غير، للذي علمُوه من أنَّه شرح شواهد الرضي علىٰ الكافية، وترجمة المتنبي عند هؤلاء تلتمس من كتب التراجم والأدب.

وحدثني أيضًا -حفظه الله- أنَّ المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله سأله ذات يوم، عن خبر أو كلام لعمرو بن العاص رضي الله عنه كان قد قرأه الأستاذ العقاد، ونسي موضعه، وأنَّه قد وجد هذا الخبر في كتاب «**الكشكول**»، أو «**المخلاة**»، لبهاء الدين العاملي، المتوفىٰ (سنة ١٠٣١هـ)، ويا بُعد ما بين العاملي ومظانِّ ترجمة عمرو بن العاص! و«**الكشكول**»، و«**المخلاة**» عند بعض المُحدِّثين إن علموا بأمرهما من سواقط الكتب وكواذب الأحاديث.

إنَّ في الكتب الموسوعية، مثل «**شرح نهج البلاغة**»، لابن أبي الحديد، المتوفىٰ (سنة ٦٥٦هـ). و«**نهاية الأرب**»، للنُّوَيْريِّ، المتوفىٰ (سنة ٧٣٣هـ)، و«**صبح الأعشىٰ**»، للقلقشندي، المتوفىٰ (سنة ٨٢١هـ)، من غرائب العلوم والفنون، ما لا يأتي عليه حصر.

وبعدُ:

فإنَّ من الظاهر الجدير بالتأمل، في هذه الأيام، تلك العناية البالغة بالتراث: نشرٌ لِمَا لم يُنشر، وتصويرٌ لِمَا نُشر، ويُقبل القراء علىٰ شراء كتب التراث إقبالًا زائدًا، ولم يستطعِ الكتاب الحديث -برغم ما أحيط به من مظاهر الإعلان والإعلام- أن يزاحم الكتاب التراثي، بالرغم أيضًا ممَّا يتعرض له من تجريح وتوهين.

ولكن هذه العناية بنشر التراث، والإقبال علىٰ شرائه، لم يواكبها قراءة له، وانتفاع به، فكثُرت الكتب وقلَّت القراءة.

ومهما يكن من أمر؛ فإنَّ هذه الظاهرة دالة بوضوح، علىٰ أنَّ للتراث بريقًا أخَّاذًا، ولم يبقَ إلَّا أنْ نُعمِّق في أبنائنا الإحساس النبيل به، وأن نأخذ بأيديهم إلىٰ آفاقه الرحبة، وآماده المتطاولة.

الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ

لقد أتىٰ علىٰ الناس زمان كان رجال من المُحدِّثين فيه يستخفون بالفقه ويسمونه رأيًا، وفقهاء يستخفون بالحديث ويسمونه علم المفاليس، ومفسرون يستخفون بلغويين، ولغويون يستخفون بقراء، إلىٰ آخر هذا الغثاء البارد، والاستخفاف الجاهل.

ولله دَرُّ الشوكاني إذ يقول:

أتانا أنَّ سهلًا ذم جهلًا ... علومًا ليس يعرفهنَّ سهل
علوم لو دارها ما قلاها ... ولكن الرضىٰ بالجهل سهل

وأحسب أنَّنا اليوم قد تخطينا مراحل كثيرة في سبيل الخروج من هذا المنحدر السخيف، فأحببت أنْ أنبه طلبة العلم إلىٰ أنَّ العلوم الشرعية آخذ بعضها بحجز بعض، فهُنَّ إخوة لعلَّاتٍ، وليس بينهن خِصام ولا فرقة.

فها هو اليونيني يضبط «**صحيح البخاري**» بمحضر من أهل العلم والفضل يُزينهم النحوي الشهير ابن مالك صاحب الألفية، ليصحح ويرجع وليخرج بعدها كتابه الفذّ «**شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح**».

ويقول الحافظ الكبير أبو الحجاج المزيّ في مقدمة كتابه الجليل «**تهذيب الكمال**» (١/ ١٥٦): «وينبغي للناظر في كتابنا هذا أنْ يكون قد حصل طرفًا صالحًا من علم العربية: نحوها ولغتها وتصريفها، ومن علم الأصول والفروع، ومن علم الحديث، التواريخ، وأيام الناس؛ فإنَّه إذا كان كذلك؛ كثر انتفاعه به، وتمكّن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه، وذلك خصوصية المحدث التي مَن نالها وقام بشرائطها؛ ساد أهل زمانه في هذا العلم، وحشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدي إنَّ شاء الله تعالىٰ».

إذن: فطالب علم الحديث لا يصح له الزعم بأنَّه مريد للتخصص في هذا العلم الشريف، فيستظل بهذا الزعم ويفئ إليه، ويطرح عن ظهره عبء النظر في العلوم الشرعية الأخرىٰ، بل إنَّا نقول: ولو كنت مريدًا للتخصص؛ فلا بُدَّ أن تأخذ من بقية العلوم بطرف، بل إنِّي أزعم أنَّك ستظل قاصرًا ولا تُسمَّىٰ متخصصًا ما لم تفعل ذلك.

أَخِّرِ الْبُـرُوزَ وَالظُّهُورَ والتَّصَدُّرَ قَدْرَ مَا تَسْتَطِيعُ

إنَّ أضرَ ما رأيت علىٰ طالب العلم من القواصم هو: أنْ يبدأ بالإشارة إليه بالبنان، وما درىٰ طالب العلم أنَّ ضربتها قاسية وشديدة، ولهذا قَلِّبْ طَرْفَكَ في كلِّ مَن برز صغيرًا كيف حاله:

(١) كَثُرَ حاسدوه.

(٢) حفظت عنه معايب كثيرة بسبب أقواله التي لم تنضج بعدُ.

(٣) كثرة التغير في رُؤاه وآرائه ومنهجيته.

(٤) قلةُ مشايخه وقِصر الدراسة عليهم.

(٥) فوات صغار المسائل عليه، وفوات بعض العلوم.

وأعظم مصيبة تحلُّ عليه وهي السادسة والحالقة.

(٦) التسور علىٰ الفتوىٰ والقول علىٰ الله بلا علم؛ لأنَّه لو ألزم نفسه أنْ لا يُفتي إلَّا بعلم منقول لكثرت عنده «لا أدري»، فانفضح أمره بين أقرانه، ولا تسأل عن مغبة القول علىٰ الله بلا علم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد رأت عيني أناسًا أعطوا فهومًا وذكاءً، ولم يعطوا زكاءً، وكان مشايخهم يرجون لهم مستقبلًا باهرًا، فحرموا الوصول بسبب العجلة في قطف الثمرة.

وقد ضرب لنا ربنا درسًا في عدم تجشم ما لا نعلم، وذلك في أول قصة ذكرها ربنا في كتابه من أجل أن تكون لنا درسًا في التعليم، فتأمل أول سورة في القرآن وفي أول قصة، وذلك في قصة الملائكة مع ربها عندما قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، تنبهت الملائكة لهذا الدرس بعد أنْ قالوا ما قالوا، تنبهوا فقالوا:

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

متىٰ ما رأيت من نفسك كلما تعلمت رغبة جامحة في التصدر والتسميع؛ فاعلم أنَّ الحبائل تُحاك لك، وأنَّك علىٰ خطر ومزلق ومزلة، فتدارك نفسك، فالعالم الخاشي كلَّما كثر علمه؛ قلَّ حديثه، وكثر خوفه، وزاد يقينه بجهله: كما **قال الشافعي**: «كلَّما أدبني الدهر؛ أراني نقص عقلي، أو أراني ازددت علمًا؛ زادني علمًا بجهلي».

ولهذا **قال إسحاق الحنظلي**: «أعلم الناس بالفتوىٰ: أسكتهم فيها، وأجهل الناس بالفتوىٰ: أنطقهم فيها».

ومن علامة الإخلاص إدامة قول: «لا أدري، ولا أعلم»، أين نحن من قول البراء صاحب رسول الله ﷺ حينما قال: لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم من أحد إلَّا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوىٰ، **وقال ابن أبي ليلىٰ**: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يسأل أحدهم عن المسألة؛ فيرد هذا إلىٰ هذا، وهذا إلىٰ هذا، حتىٰ ترجع إلىٰ الأول».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما أبردها علىٰ الكبد إذا سئل أحدكم عمَّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم».

ولتتأمل قصة ابن عمر رضي الله عنهما، وتأسَّ به، فقد لحقه ذات مرة أعرابي فقال: أنت ابن عمر؟ قال: «نعم»، **(وتخيل أن يقول لك السائل هذا: أنت الشيخ الفلاني!)**، فسأله الأعرابي، فقال له: أترثُ العمَّة؟ فقال ابن عمر: «لا أدري، اذهب إلىٰ العلماء بالمدينة، فسلهم»، فلما أدبر قبل ابن عمر يديه، ثم قال: «نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن -يعني: نفسه-؛ سُئل عمَّا لا يدري، فقال لا أدري».

كأنِّي أحس بطعم فرحته عندما تخلَّص من إثم القول علىٰ الله بلا علم، وأنقذ نفسه من مغبة الهلكة.

وقال عقبة بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا، وكان كثيرًا ما يُسأل فيقول: «لا أدري»، ثم يلتفت إليَّ فيقول: «هل تدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا إلىٰ جهنم».

---

(١) البقرة: (٣٢).

والقصص في هذا كثيرة، ممَّن؟ من أناس لم يقرأوا متنًا فقهيًّا واحدًا مختصرًا؟ كلا بل هم أئمة أعلام، فمالك ﷺ من هو؟ ومع هذا قال عنه ابن وهب: «لو شئت أنْ أملأ ألواحي من قول مالك: «لا أدري»؛ لفعلت»، ولمَّا سُئل الإمام أحمد: كم يكفي الرجل من الحديث حتىٰ يكون مفتيًا: مائة ألف؟ فقال: «لا»، إلىٰ أن قال: فيكفيه خمسمائة ألف حديث؟ قال: «أرجو».

رحماك بنا يا رحمن!

لا أدري كيف يغش المرء نفسه، وهو ينظر إلىٰ النفس بعين الكمال، عندما يتقن باب الطهارة والصلاة، فإذا ما جاءت مسألة في قضايا الأسرة من طلاق أو عدة، أو جاءت مسألة في الدعاوىٰ، بدأ يعجن في الذهن ويطحنه، ويبحث عن كلمة من هنا وهناك عساها تنقذه.

يا طالب العلم كيف تخدع نفسك فضلًا عن خداعك لغيرك، أَوَلَيْسَ الأجدر والأحسن أنْ تتعلم ما تجهله قبل أنْ تتكلم فيه.

والذي أراه من حال طلاب العلم أناس إذا طُرحت مسألة ذهب يبحث عن هذه المسألة، وهو أصلًا لم يُتقن الباب كله، إن لم يكن هذا من التشبع فما هو؟!

فمثلًا، رأيتُ أناسًا يناقش في مسألة من مسائل الطلاق، ويخيل للقارئ أنَّ هذا المناقش يفهمنا أنَّه متقن للفقه كاملًا، ثم تجده في بعض المشاركات ضعيفًا جدًّا في بعض أبواب الفقه.

إنَّ هذا التصرف ليس ضرره علىٰ القراء كلًّا، بل ضرره عليك أنت؛ لأنَّك ستظل تدور في حلقة مفرغة حسب الطلب، وإذا جاء الطلب مرة أخرىٰ لنفس المسألة إذا هي قد طارت منك تحتاج إلىٰ رجعتها.

نعم، قد تنقل كلامًا لعالم موثوق، وتنسب الفتوىٰ، فأنت داخل في قول رسول الله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»، وقول ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَاءً ...**»، الحديث، وليس هذا من بابه.

تالله إنِّي من خلال هذه القاعدة العظيمة، أنصح نفسي وإخواني إن لم نجلد ذواتنا بالمصارحة، فما أدَّينا حق الأخوة.

لست من خلال هذه القاعدة، مزهدًا في نشر العلم، ورحم الله رجلًا بلغ آية، ولكنَّ الشان كل الشان، أنْ يكون تبليغك عن مصدر موثوق مسبوق، لا عن رأي من الذهن مفتوق[١].

(١) مستفاد من الشيخ المقرئ، ملتقىٰ أهل الحديث.

الْزَمْ ثُمَّ الْزَمْ فَقِيهًا مُتَمِكِّنًا

فِي فَهْمِ الْمَذْهَبِ ذَا تَجْرُبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيهِ وَأَدِمْ صِلَتَكَ بِهِ

إنَّ هناك خللًا في فهم الفقه عند كثير من طلبة العلم، فمثلًا ترىٰ الشاب يخلط كثيرًا بين شيخ يهتم بالتصحيح والتضعيف والحكم علىٰ الأسانيد، وإن كان له عناية بطرف الفقه، وبين شيخ فقيه تمرَّس فيه.

في نظري لا يُؤخذ الفقه بمعناه الاصطلاحي من كتب أحاديث الأحكام، وأرجو أنْ لا تعجل عليَّ حتىٰ تفهم ما أقصد:

ولعلِّي أضرب بالمثال قبل أنْ أبدأ بالفكرة: خُذ -مثلًا- باب الرجعة في «**بلوغ المرام**»، ذكر حديثين فقط، وانظر أحكام الرجعة في «**زاد المستقنع**»، مثلًا، وانظر إلىٰ باب الظِّهار في «**بلوغ المرام**»، ذكر حديثين فقط، وانظره في «**الزاد**».

ستجد أنَّه ذكر في كتاب الفقه مسائل مهمة جدًّا، ووقوعها كثير، ولكن الحديثين ليس فيهما شفاء للمسألة؛ ولهذا تجد أنَّ شُرَّاح الحديث، يحولون شرح «**بلوغ المرام**» إلىٰ كتاب فقهي، من أجل أنْ يكملوا النقص علىٰ الطالب، فيشتت الطالب، ولا يدري ما علاقة المسألة بالحديث، فما هي إلَّا أيام ولا يبقىٰ مع الطالب إلَّا الحديث والمسائل المتعلقة به صراحة، وأمَّا المسائل فقد نسيت؛ ولهذا تجد المهتمين بالحديث، وليس لهم علاقة بالفقه إذا جاءت المسائل المنصوصة والخلاف فيها قوي، كمسألة جلسة الاستراحة، ومسألة زكاة الحلي، ومسألة التغريب للزاني، ومسألة طواف الوداع، ومسألة العدة للمختلعة، ووقوع الطلاق بالثلاث، تجد أنَّه يوافق الفقيه في هذه المسألة، ولكن إذا جاءت المسائل المخرجة، وغير المنصوصة تجد أنَّه لا يستطيع أن يستحضر فيها شيئًا.

وعليه؛ فلا يمكن لمن أراد أنْ يضبط المسائل، إلَّا بطول التعلم علىٰ شيخ ضابط للفقه، بحيث يُعِينُ الطالب علىٰ وضع لبنة لهذه المسائل المخرجة، وكيفية التعامل مع المسائل النازلة؛ ولهذا لا أعلم عالـمًا برز في الفقه، إلَّا وبدأ طلبه علىٰ فقيه ضابط لمذهبه، ثم بعد ذلك يختار هو ما يختار.

* وفائدة الشيخ ما يلي:

(١) تصوير المسائل تصويرًا صحيحًا، والابتعاد عن الفهم الخاطئ:

إذا قرأت شيئًا؛ فلا بُدَّ للعقل أن يُصوِّرَ ما يقرأ في عقل القارئ، تُرىٰ هل كل ما ستقرؤه ستتصوره تصورًا صحيحًا؟ فالجواب: كلَّا، لا بُدَّ من أستاذ يُصوِّر لك المسائل ويتأكد من فهمك.

وكم قرأنا بحوثًا لأفاضل، بل وعلىٰ مستوىٰ الجامعة، نجد ما يُدمي القلب، من حيث: فهم المسألة، وتداخل الأقوال، وعدم التبصر في مقتضىٰ كل قول.

وأذكر أنَّ شيخنا ابن عثيمين ﷺ سأل الطُّلَّاب، عن الثني في الضأن في الأضحية كم عدد أسنانه العلوية؟ فجاءت إجابات مضحكة وضحك الشيخ وذكر قصة مشابهة له مع شيخه السعدي، ونبَّه علىٰ هذا الأمر.

(٢) من خلال الشيخ الضابط تتعلم منه لغة الفقهاء، وطريقة الردود والإيرادات ومنزع المسائل.

إذا جلست عند فقيه ضابط علمت كيف تورد الأفكار الفقهية، وتُنمي الإيرادات العقلية، وتصنع الملكة الأصولية والذوق الفقهي.

فلمَّا يتكلم الشيخ عن فسخ نية الوضوء بعد الانتهاء منه، هل هي معتبرة أم لا؟

نقول: لا، فيقول شيخك، فما بالهم في الصيام حكموا بنقض الصيام بفسخ النية؟ فتقول: فسخ النية المفسد للصوم؛ إنَّما هو سبب أنَّ العبادة لم تنتهِ بعد، فمثلها لو نوىٰ فسخ النية في أثناء الطهارة فهنا تنفسخ النية، فيقول لك الشيخ: الردة من نواقض الوضوء، والعبادة قد انتهت ومع هذا إذا رجع إلىٰ الإسلام، أعاد الوضوء ولم يعد الصلاة؟ فتقول: الصلاة انتهت علائقها بخلاف الطهارة، فهي شرط لصلاة أخرىٰ، وستستخدم هذه العبادة كشرط لعبادة أخرىٰ، بخلاف

الصلاة، فقد مضت وليست هي شرطًا لعبادة أخرىٰ إلىٰ آخر ما يرد.

وإنَّما المراد معرفة مهمة الشيخ بالنسبة لك؛ فانظر كيف يفتق الذهن، ويسيل القريحة، وكل ما سبق ليس فيها نص صريح عن رسول الله ﷺ، وإنَّما هو دور الفقيه.

(٣) من أعظم ما يقوم به شيخك الفقيه يعودك على ربط المسائل فيما بينها:

إنَّ الناظر إلىٰ طلاب العلم، يجد أنَّ كثيرًا منهم يبحث في مسألة من مسائل أبواب الطهارة، ويظنُّ أنَّ هذه المسألة انتهت وانحصرت ببحثه في هذا الباب، وما درىٰ أنَّ المسألة لم تنتهِ بعد، وسيرد عليه إيرادات عند مواصلته بالفقه قد تضطره إلىٰ نقض قوله:

وأضرب -مثلًا- في باب هو من أواخر أبواب الفقه مع بابين من الأبواب المتقدمة:

باب الرضاع له اتصال ببابين متقدمين، باب المياه وباب الصوم:

١ - الماء المتغير ولم ينزع عنه وصف الماء هل يسلبه أحكام الماء الطَّهُورِ أم لا؟ سترد عليه هذه المسألة في باب الرضاع عند الرضاع باللبن المشوب والمخلوط هل يحرم أم لا؟

٢ - المذهب، قالوا في الصوم: إنَّ حقن الغذاء من الدبر في الصوم مفطر، وله أحكام الغذاء، بينما في باب الرضاع، المذهب أنَّ حقن اللبن من الدبر غير مؤثر.

فكيف ستجيب عن هذا؟!

فشيخك يقوم بهذه المهمة؛ بسبب معرفته لأبواب الفقه، يعلم ما سيرد عليه وكيف يستحضر الإجابة عليه هذا مثال واحد والأمثلة كثير، ولكن أردت فقط التدليل.

(٤) من أعظم ما يقوم به الشيخ ربط العلوم المرتبطة بالفقه بعضها ببعض:

وهذا لا يتأتَّىٰ إلَّا لمن لم يضبط، فتجد الشيخ يفتق الذهن بربط العلوم المتعلقة بالفقه وأضرب مثالًا:

فمثلًا علم الفرائض:

سيرد علىٰ الطالب في أكثر من باب، وأقتصر علىٰ باب الوصايا، وباب النفقات:

١ - **باب الوصايا**: إذا قال الفقيه في باب الوصايا «وإنْ وَصَّىٰ له بمثل نصيب أحد ورثته؛ فله مثل أقلهم نصيبًا يزاد علىٰ الفريضة، فلو خلف ثلاثة بنين ووصىٰ بمثل نصيب أحدهم؛ فله الربع، فإن كان معهم ذو فرض كأم؛ صحَّت مسألة الوراثة بدون الوصية من ثمانية عشر، وزدت عليها مثل نصيب ابن من ثلاثة وعشرين، ولو وصىٰ بمثل نصيب أحدهم ولآخر بسدس باقي المال، جعلت صاحب سدس الباقي كالذي فرض له السدس وصححتها مثل التي قبلها، فإنْ كانت وصية الثاني بسدس باقي الثلث صححتها أيضًا كما قلنا سواء، ثم زدت عليها مثلها فتصير تسعة وستين تعطي صاحبها السدس سهمًا واحدًا، والباقي بين البنين والوصي الآخر أرباعًا . . .».

فمثل هذه المسائل: قل لي كيف سيفهمها الطالب، وهو لم يجلس مع شيخ متمرس في الفقه عليم به؟ وأذكر أنَّ طالب علم، تصدر للتدريس وقرأ هذا المتن المشهور، ولمَّا جاء لمثل هذه المسائل، بدأ يبحث عن شيخ يفك رموزها وغموضها، مع أنَّها من أسهل المسائل لمن تمرس وهذا من أعظم الخلل.

٢ - **باب النفقات**: إذا قال الماتن: «ومَن يرثه بفرض أو تعصيب إذا كانوا فقراء وله ما ينفق عليهم، وإن كان للفقير وارثان فأكثر، فتنفقه عليهم علىٰ قدر ميراثهم منه؛ إلَّا الابن له أب؛ فإنَّ نفقته علىٰ أبيه خاصة».

فكيف سيجيد الطالب هذه المسائل وتمييز من تجب عليه النفقة، ومن لا؛ إلَّا إذا كان قد درس علىٰ شيخ ضابط متمرس.

والشيخ الفقيه يفتق ذهنك بعلم وقواعد الفقه وأصوله، ويربط لك هذين العلمين بعلم الفقه، بكلِّ وضوحٍ وتأنٍ، دون إتعاب للذهن وإدخال للسآمة، بل يحبب علىٰ العلِمين ويسهل لك الفنين.

فإذا أعطاك الفقيه قاعدة «**في أحكام المنفصل والمتصل في الحيوان**»، ثم ذكرك إياها في باب الطهارة، وفي باب البيع، وفي باب الطلاق، وفي باب العتاق وغير

ذلك؛ وجدت لذةً عظيمة في ضبطك لمسائل متفرقة وتتذكرها علىٰ فتات.

وإذا أعطاك الشيخ قاعدة «**اليقين لا يزول بالشك**»، ثم كررها عليك في باب الطهارة، وفي باب الصلاة، وفي باب الزكاة، وفي باب الحج، وفي باب النكاح، وفي باب الطلاق وغيره، وهكذا تمتلك ضوابط وقواعد وعلومًا متنوعة، من خلال فقيه واحد في فن واحد.

ولا أريد الإطالة، وإلَّا فالموضوع أخَّاذ، والأفكار تتضارب أمامي والقلم جامح، ولكن الشرط هو «الإشارة لا الإطالة»[1].

---

(١) مستفاد من الشيخ المقرئ، **ملتقىٰ أهل الحديث**، مع التنبيه إلىٰ أن الملازمة إن فقدها الطالب فيمكنه تحصيل معظم فوائدها من خلال الدروس الصوتية والمناقشات والمذاكرات مع طلبة العلم المتمكنين.

ابْدَأ بِكِتَابٍ مُخْتَصَرٍ مُعْتَمَدٍ مَشْهُورٍ عَلَيهِ شُرُوحُ الْعُلَمَاءِ

إيَّاكَ أن تبحث عن كتاب لم يُخدم من قِبَل أهل العلم، ولم يولوه عنايتهم؛ لأنَّ طالب العلم لا يستطيع أنْ يفيد من كتاب لم يُشرح ولم يُحْشَ، ولم يعتنِ به أهل العلم.

فمثلًا: «**زاد المستقنع**» في المذهب الحنبلي تخدمك فيه الكتب التالية:

شروح الزاد: مثل «**الشرح الممتع**»، و«**الروض**»، و«**السلسبيل**»، وحواشي الروض.

وكذلك ترجع إلىٰ الأصل وشروحه ولا يخفاك كثرتها، فكل مسألة بإمكانك أن تأخذ الخلاف فيها الخاص والعام، الخلاف في المذهب والخلاف المقارن دون أي عناء، كذلك لا تجد فيه عبارة منغلقة وغامضة ولا تستطيع فكَّها.

ولهذا؛ لو أنَّ طالب العلم، أراد أنْ يتخصص في كتاب «**التسهيل**» في المذهب الحنبلي، للبعلي، سترد عليه هذه العبارة: «فإنْ وطئ امراةً، فولدت، فأرضعت؛ فهو ابن ذي النسب، ولو لهما؛ وإلَّا حرم عليهما».

فقل لي: كم ستمضي من الوقت لفك هذه العبارة إن استطعت فكها، مع أنَّها تأخذ ثلث الباب تقريبًا؟!

فدراستك لكتاب اشتُهر وخُدم أنفع طريقة لفهمك(١).

---

(١) مستفاد من الشيخ المقرئ، **ملتقىٰ أهل الحديث**، ولأجل ذلك كنت أرشح للطلبة دائمًا المذهب الحنبلي لقلة الكتب المخدومة بالشروح المعاصرة في المذاهب الأخرىٰ، ولكن بدأ الحال في التغير وأظن أنه لن يمر وقت طويل حتىٰ تواكبَ باقي المذاهب المذهب الحنبلي في الخدمة المعاصرة.

لا تتوسع فِي الْبَحْثِ

كثيرٌ من الطلبة يعمد إلىٰ الكتاب، فيجعله كمغني ابن قدامة مع أنَّه مُبتدئ في العلم، وهذا له آثاره التي قد لا يحسُّ بها الطالب، وإليك بعضًا منها، وأرجو أن تتأملها وتقيسها علىٰ نفسك:

(١) طول المدة في دراسة الكتاب:

فتجده يمضي سنوات طوال، وهو لم يخرج من كتاب العبادات، والعلم يُنسي بعضه بعضًا، فإذا ما ذهبَتِ السِّنون، فلا هو قد مسك ما حصَّله، ولا هو قد أنهىٰ ما بدأه، فيدخل الملل عليه وعلىٰ كتابه، ولهذا يعمد إلىٰ غيره؛ ظانًّا أنَّ الخلل في الكتاب، وما دري أنَّ الخلل في طريقة دراسة الكتاب.

(٢) فهم عبارة الكتاب فهمًا جيدًا:

كثير من الطلبة يسبح في تفريعات المسألة، فتختلط عليه المسائل وهو لم يضبط أصلها بعدُ، ممَّا يسبب عنده كثير من التناقض في بعض المسائل، فبسبب عدم فهْم أصل المسألة؛ تجده يستشكل مسائل أخرىٰ في نظره، أنَّها تدخل ضمن أصل مسألته بسبب عدم فهم المسألة الأصلية، فالواجب علىٰ الطالب أن يُحلِّل - أولًا - عبارة المؤلف ويتأملها جيدًا، ولا يذهب إلىٰ غيرها إلَّا بعد معرفته لمعناها ومقتضاها ودليلها. وكم رأيت مَن يقرأ «**الممتع علىٰ الزاد**»، فوجدته قد ضبط اختيارات شيخنا، لكنَّه في الحقيقة لم يفهم المسألة الأصلية، ولهذا إذا سألته أين ذكر الشيخ هذا الترجيح لم يجد إجابة!

(٣) مداومة مراجعة المتن فقط، ومحاولة فكِّ عباراته ومعرفة أدلته:

تعتبر هذه المختصرات من نِعَمِ الله علىٰ طلبة العلم؛ إذ إنَّها تختصر الفقه في وُريقات يراجع الطالب من خلالها آلاف المسائل الفقهية؛ ولهذا من خلال هذا

المختصر يستطيع الطالب أنْ يراجع مسائل الفقه بعد إتقانه لهذا المتن في بضعة أيام، ولا شكَّ أنَّه بعد سنوات سيكون هذا الكتاب قاعدة ينطلق بعدها إلىٰ معرفة الراجح والمرجوح وأدلة الفقهاء.

وكم أثَّرت بي تلك الكلمة العظيمة من شيخنا ابن عثيمين، ونفعني الله بها، وذلك بعد أن تجاوز السبعين سنة:

سُئل أنَّ بعض الناس يقول: العلم في دراسة المسائل وفهمها والبحث في الأدلة ومعرفة الراجح؟

فقال الشيخ كلامًا طويلًا في ردِّ هذا الكلام، وأنَّه علىٰ خلاف هدي العلماء الكبار في البدء بالطلب، ثم قال كلمة تكتب بماء الذهب: «وها نحن ما بقي معنا إلَّا ما حفظنا مثل زاد المستقنع».

فهذه الكلمة من شخص مجرب، وبلغ من العلم ما بلغ، لا ينبغي أنْ تمر علينا مرور الكرام، فكلنا يرجو أنْ ينال مثل ما ناله الشيخ من الفقه في الدين؛ ولهذا انظر إلىٰ نفسك، ابحث مسألة ولا تترك كتابًا إلَّا وارجع إليه، واجلس فيها وقتًا طويلًا وأنت تتأملها، حتىٰ تُسوِّد فيها عشرين أو ثلاثين ورقة، وبعد أسبوع واحد ولا أقول سنة واحدة، لو قِيلَ لك اكتب ما في ذهنك في صفحة واحدة؛ لَمَا استطعت، فكيف إذا كنت قد بحثت مئات المسائل، ما الذي سيبقىٰ معك!

هذه المسألة أو المسألة الأخرىٰ؟!

الأمر -أحبتي- يحتاج إلىٰ وقفة تأمل[1]!

---

(١) مستفاد من الشيخ المقرئ، ملتقىٰ أهل الحديث.

مَحَاذِيرُ وَآفَاتُ الطَّلَبِ

* هناك محاذير يجب على الطالب تجنُّبها، منها:

(١) يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال بالخلافيات بين العلماء، أو بين الناس مطلقًا في السمعيات أو العقليات؛ فإنَّه يحير الذهن، ويدهش العقل، بل عليه أنْ يتقن أولًا كتابًا واحدًا في فنٍّ واحد، أو كتابًا في فنون إنْ كان يحتمل ذلك علىٰ طريقة يرتضيها له شيخه.

(٢) يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات؛ فإنَّه يضيع زمانه، ويفرق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرأه أو الفنَّ الذي يأخذه كُلِّيَّته حتىٰ يتقنه.

(٣) وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلىٰ كتاب، أو من شيخ إلىٰ شيخ من غير موجب؛ فإنَّه علامة الضجر وعدم الفلاح.

أمَّا إذا تحقَّقت أهليته، وتأكَّدت معرفته؛ فأولىٰ أنْ لا يدع فنًّا من علوم الشريعة إلَّا نظر فيه، فإنْ ساعده القدر وطُول العمر علىٰ التبحر فيه؛ فذاك، وإلَّا؛ فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم.

(٤) يحذر من تقديم المهم علىٰ الأهم، بل الأهم ثم المهم.

(٥) يحذر من الغفلة عن العمل الذي هو المقصود بالعلم.

(٦) وليحذر من النظر إلىٰ نفسه بعين الكمال، والاستغناء عن المشايخ؛ فإنَّ ذلك عين الجهل، وقلة المعرفة، وما يفوق أكثر ممَّا حصَّلته.

وقد قال سعيد بن جبير رَحَمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال الرجل عالـمًا ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظنَّ أنَّه قد استغنىٰ؛ فهو أجهل ما يكون».

وقال ابن جماعة: «لا يستنكف أنْ يستفيد ما لا يعلمه ممَّن هو دونه، بل يكون حريصًا علىٰ الفائدة حيث كانت، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها».

وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم. قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي: «صحبت الشافعي من مكة إلىٰ مصر، فكنت استفيد منه المسائل، وكان يستفيد مِنِّي الحديث». وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين.

وعن وكيع، وسفيان بن عيينة، وأبي عبد الله البخاري قالوا: «لا يكون المُحدِّث كاملًا أو الرجلُ عالـمًا حتىٰ يُحَدِّثَ عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه».

(٧) وليحذر الاشتغال بالغرائب والشواذ من العلم. **قال عبد الرحمن بن مهدي:** «لا يكون إمامًا في العلم من أخذ بالشاذِّ من العلم»[١].

(١) مستفاد من الشيخ المقرئ، ملتقىٰ أهل الحديث.

مَتَى أُصَنِّفُ؟

قال ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ): «فإذا كمُلت أهليته، وظهرت فضيلته، ومرَّ علىٰ أكثر كتب الفنِّ، أو المشهور منها بحثًا، ومراجعة، ومطالعة، اشتغل بالتصنيف وبالنظر في المذاهب، سالكًا الإنصاف فيما يقع له من الخلاف».

وقال أيضًا: «والأولىٰ أنْ يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يُسبقْ إلىٰ تصنيفه، متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه، مُعْرِضًا عن التطويل الممل، والإيجاز المخل، مع إعطاء كل مصنف ما يليق به».

وقال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ): «وينبغي أن يفرغ المصنف للتصنيف قلبه، ويجمع له هَمَّهُ، ويصرف إليه شغله، ويقطع به وقته . . .».

ثم قال: «ولا يضع من يده شيئًا من تصانيفه إلَّا بعد تهذيبه وتحريره، وإعادة تدبره وتكريره».

وقال أيضًا: «قلَّ ما يتمهر في علم الحديث، ويقف علىٰ غوامضه، ويستثير الخفي من فوائده، إلَّا مَن جمعَ متفرِّقِهِ، وألَّف مُشتَّته، وضمَّ بعضَه إلىٰ بعض، واشتغل بتصنيف أبوابه، وترتيب أصنافه؛ فإنَّ ذلك الفعل ممَّا يقوي النفس، ويثبت الحفظ، ويزكي القلب، ويشحذ الطبع، ويسبط اللسان، ويجيد البيان، ويكشف المشتبه، ويوضح الملتبس، ويكسب أيضًا جميل الذكر وتخليده إلىٰ آخر الدهر».

وقال ابن جماعة: «الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف -لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية- يطلع علىٰ حقائق الفنون، ودقائق العلوم للاحتياج إلىٰ كثرة التفتيش، والمطالعة، والتنقيب، والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي: يثبت الحفظ، ويُزكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر، ويخلده إلىٰ آخر الدهر».

لكن ما تقدَّم مُتعلِّق بنوع من التصنيف يتصدر له العلماء والمحققون، لكن ثم نوع آخر من التصنيف يمكن أن يتصدَّىٰ له طالب العلم بعد مرحلتين أو ثلاث من تعلمه، وهو ما أسماه إبراهيم السكران: «التصنيف التحصيلي»، **وقال في شرح هذا المفهوم:**

«يستطيع كثير من المعنيين بالعلم أن يكتب كتابات جمعٍ وتلخيصٍ واختصارٍ بكثرة، لكن أن يكتب كتابة تحرير وتدقيق وتحقيق، بحيث تكون هذه الكتب مرجعية لدىٰ العلماء الكبار، فهذا يحتاج -غالبًا- عمرًا طويلًا من الحفظ والضبط والبحث والتنقيب ومقارنة المصادر ومدارسة المسائل والتأمل والخبرة الطويلة بها، ومن هاهنا موضع الدهشة والانبهار حيال مؤلفات النووي، فمؤلفات النووي في الحديث والفقه واللغة والأعلام صارت «مصادر مرجعية» بين المتخصصين، برغم أنَّ النووي طلب العلم متأخرًا، ومات مبكرًا!

فالنووي ابتدأ في طلب العلم متأخرًا نسبيًا (سنة ٦٤٩ هـ)، وكان عمره حينها كما أخبر هو عن نفسه (١٩ سنة)، وهذا عمر متأخر في الطلب بالنسبة لزمانهم الذي يبتدئون فيه بطلب العلم قبل البلوغ، **كما يقول النووي عن نفسه:**

«فلمَّا كان عمري تسع عشرة سنة؛ قدم بي والدي إلىٰ دمشق في سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية».

[ابن العطار، «تحفة الطالبين»، (ص/ ٤٥].

ثم توفي النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (سنة ٦٧٦هـ)، وكان عمره حين توفي (٤٥ عامًا)، والعلماء في سن الأربعين يبتدئ للتو عطاؤهم العلمي الدقيق المحرر، فلم يعمّر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

حسنًا . . . متىٰ ابتدأ الشيخ بالتأليف والتصنيف؟ يقول الشيخ عن نفسه أنَّه مكث ست سنوات في طلب العلم ثم بدأ التأليف، أي: إنَّه بدأ التأليف وعمره (٢٥سنة)، **كما يخبر النووي تلميذه ابن العطار:**

«وذكر لي رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كان لا يضيع له وقتًا في ليل ولا نهار؛ إلَّا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتىٰ في ذهابه في الطرق ومجيئه يشتغل في تكرار محفوظه،

أو مطالعة، وأنَّه بقي علىٰ التحصيل علىٰ هذا الوجه نحو ست سنين، ثم إنَّه اشتغل بالتصنيف». [ابن العطار، «**تحفة الطالبين**»، (ص/ ٦٤)].

هذا يعني أنَّ غالب مؤلفات النووي التي نتداولها اليوم ألفها وهو في العشرين والثلاثين من عمره!

وهذه التواريخ التي استندت إليها، أعني: تاريخ بداية طلب النووي للعلم، وتاريخ بدايته التأليف، وتاريخ وفاته، كلها أخذتها من رسالة ابن العطار (ت: ٧٢٤هـ)، وهو أشهر تلاميذ النووي وأخصهم به، والتي كتبها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة شيخه النووي وسمَّاها: «**تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين**»، وعن هذه الرسالة نقل الناس أخبار النووي، وهي أوثق وأدق مصدر لترجمة النووي، ومن شدة اختصاص ابن العطار بشيخه النووي كان يسمىٰ: «**مختصر النووي**»، كما يقول السخاوي:

> **«وقد أفرد ترجمة النووي بالتصنيف خادمه العلامة علاء الدين الدمشقي، عرف بابن العطار، الذي كان لشدة ملازمته له وتحققه به، يقال له: «مختصر النووي»، وهو عمدتي بل عدتي، بل عمدة كل من أتىٰ بعده».**

[السخاوي، «**المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي**»].

حسنًا ... لنعد الآن إلىٰ التساؤل المطروح: كيف تأتَّىٰ للنووي تأليف هذه المؤلفات الكبيرة المرجعية ذات الوزن المصدري برغم أنَّه طلب العلم متأخرًا نسبيًا وعمره (١٩ سنة)، وتُوفي مبكرًا وعمره (٤٥ سنة) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

هناك أطروحات متعددة في تعليل ذلك، لكن من أطرف وأعجب هذه التفسيرات، تفسير أشار إليه العلامة جمال الدين الإسنوي (ت: ٧٧٢ هـ)، **حيث يقول الإسنوي في معرض ذكر التفاوت في مواضع من «الروضة»**:

«ووقوع هذا للشيخ محيي الدين النووي أكثر، وذلك أنَّه لمَّا تأهل للنظر والتحصيل، رأىٰ من المسارعة إلىٰ الخيرات أن جعل ما يحصله ويقف عليه

تصنيفًا، ينتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلًا، وتحصيله تصنيفًا . . .، ولولا ذلك لم يتيسر له من التصانيف ما تيسر؛ فإنَّه ﷺ دخل دمشق للاشتغال وهو ابن ثمانية عشرة سنة، ومات ولم يستكمل ستًا وأربعين».

[الإسنوي، «**المهمات في شرح الروضة والرافعي**»، تحقيق الدمياطي، دار ابن حزم، ط. ١، (١٤٣٠ هـ)، (١/ ٩٩)].

لا أستطيع أن أواري دهشتي من براعة هذه العبارة للإسنوي (فجعل تصنيفه تحصيلًا، وتحصيله تصنيفًا)، وهو تعبير يمهد الطريق لنحت مصطلح (التصنيف التحصيلي).

ومراد الإسنوي: أنَّ النووي جعل تأليفه وسيلة للتحصيل وطلب العلم، وجعل طلبه وتحصيله للعلم في صيغة مؤلفاتٍ فورًا، أي: إنَّ تقييداته أثناء طلب العلم يجعلها في صيغة مؤلفات، بدلًا من أن تذهب مقيدات الشباب سدىٰ.

ومن النماذج المعاصرة التي لفتت انتباهي تجربة الشيخ د. سفر الحوالي، فقد كانت قراءة الشيخ واطلاعه كله في التراث الإسلامي، وخصوصًا المصنفات العقدية لأهل السنة ومكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنَّه لمَّا سجل رسالة الماجستير في العلمانية اضطرته الرسالة للاطلاع المنظم علىٰ أصول العلوم الإنسانية الغربية، حيث يقول الشيخ عن نفسه في كتابه «**العلمانية**»:

«وقد عرفت منذ اللحظة الأولىٰ أنَّ مهمتي ليست بيسيرة، وأنَّ عليَّ أن أخوض في ميادين بعيدة عن مجال دراستي الشرعية البحتة، جاعلًا كل قراءاتي السابقة في الفكر الغربي بمثابة التمهيد فقط لِمَا يجب علي أن أنهض به، وفعلًا خصصت نصف المدة المحددة للرسالة -تقريبًا- في اطلاع دائب وقراءة متواصلة، فاطلعت علىٰ أمهات النظريات والاتجاهات في السياسة، والاقتصاد، والعلم، والاجتماع، والأدب، والفن، وكنت كلَّما ازددت إيغالًا في الاطلاع ازدادت ثقتي، وقوي عزمي علىٰ إكمال الطريق، ومع أنَّ المراجع المذكورة آخر الرسالة لا تساوي إلَّا جزءًا ممَّا قرأت؛ فإنَّني

لا أشعر بشيء من الخسارة، بل أحمد الله -تعالىٰ- الذي أراني الفكر الجاهلي الأوروبي علىٰ حقيقته».

[د. الحوالي، «العلمانية»، دار الهجرة، (ص/ ١١)].

فبالله عليك؛ لولا أنَّ الله قدَّر أن يكتب الشيخ سفر هذه الرسالة هل كان سيأخذ هذه الجولة المنظمة في العلوم الغربية؟!

وهذا الاطلاع علىٰ الفكر المعاصر بالإضافة لتكوينه الشرعي المؤصل، هو الذي وهب الشيخ سفر فرادته الخاصة، فانظر أثر التصنيف والتأليف علىٰ المؤلف نفسه!

وأتذكر مرةً أنَّ أحد أصدقائي في كلية اللغات والترجمة، كان متخصصًا في اللغة الفرنسية، ويحدثنا عن أيام دراستهم، ويقول إنَّ مشروع التخرج في كليتهم هو اختيار كتاب باللغة الفرنسية وترجمته، ويقارن مقارنة مدهشة ويقول: إنَّ كل ما درسه عن اللغة الفرنسية أيام الكلية في كفة، وترجمته للكتاب في كفة أخرىٰ، وأنَّه استفاد من مشروع التخرج أضعاف ما تلقَّاه في المحاضرات تلقيًا محضًا مباشرًا، ويتحدث حديثًا وجدانيًّا عن الليالي التي سهرها يتفحص عبارات في الكتاب الذي سيترجمه ويقارنها بالقواميس والمراجع.

حسنًا . . . هل هذا قاصر علىٰ «التصنيف»؟ لا، طبعًا، بل سائر أنواع الإنتاج والعطاء العلمي مفيدة في التحصيل، فمثلًا: (تدريس العلم) يظن بعض الناس أنَّه مرحلة تأتي بعد الانتهاء من العلم، وهذا غير دقيق، بل تدريس العلم وسيلة من وسائل التعلم، فإذا قطع طالب العلم شوطًا في العلم، فيبدأ بتدريس مَن دونه، ويلاحظ كيف تتفتح له أغوار المسائل، ويتبيَّن له فيها من التفاصيل والفروق والتدقيق في الصور والاستدلالات ما لم يتنبه له سابقًا.

وقد سمعت بأذني كثيرًا من طلبة العلم يتحدَّثون عن أثر اشتغالهم بـ(تدريس العلم) في تمتين وتعميق تصوراتهم العلمية، وإشعال حماسهم للمراجعة والتأمل والبحث والنظر، بل بعضهم يشير إلىٰ أنَّ غرضه الأساس من انهماكه في تدريس العلم تحول من هدف تبليغ العلم، إلىٰ هدف الاستعانة بالتدريس علىٰ التعلم

والتحصيل؛ لِمَا رأىٰ من فائدته له شخصيًّا.

وسأنقل شاهدًا طريفًا حول مسألة أثر تدريس العلم في تعميق تصورات المعلِّم نفسه قبل المتلقين، وهو مثال من خارج الدائرة الإسلامية، ألَا وهو الناقد الأدبي الأشهر إدوارد سعيد (ت: ١٤٢٤ هـ)، حيث لاحظ كيف أنَّه أثناء عملية التدريس ذاتها تتفتح له تصورات لم تكن علىٰ باله أثناء التحضير، بل وأصبحت هذه الأفكار التي تطرأ له أثناء التدريس يستثمرها ويدونها في مؤلفاته، وعنون إدوارد سعيد لهذا الأمر عنوانًا في أحد كتبه سماه: «**لطالما تعلّمت أثناء الدرس**»، يقول في هذا الفصل:

«أنا أدرِّس منذ أربعين عامًا تقريبًا، ولطالما تعلَّمت أثناء الدروس نفسها. أفتقد لشيء ما عندما أقرأ وأفكر من دون وجود طلاب؛ ولذلك طالما اعتبرت دروسي ليست روتينًا يفترض القيام به، بل تجربة بحث واستكشاف، وأعتمد كثيرًا جدًّا علىٰ ردَّات فعل طلابي. عندما بدأت التدريس في أيامي الأولىٰ، كنت أفرِط في التحضير، كنت أخطط لكل ثانية من الدرس. فيما بعد، اكتشفت أن تعليقات الطلاب يمكنها أن تحفِّز أفكارًا ونقاشات لم أكن أتوقعها مسبقًا، وفي كثير من الأحيان كان ذلك يجد مكانه في كتاباتي».

[إدوارد سعيد، «السلطة والسياسة والثقافة»

ترجمة نائلة حجازي، دار الآداب، (ص/ ٣٠٥)].

في هذا النص يشير إدوارد سعيد إلىٰ طريقته السابقة في تحضير دروسه، وهو أنَّه، كما يقول عن نفسه: «كنت أخطط لكل ثانية من الدرس»، ثم اكتشف أنَّ ما تثيره عملية التدريس ذاتها من أفكار وتصوررات أعمق بكثير من التفاصيل المعدَّة مسبقًا؛ فلذلك تحوَّل إلىٰ إتاحة الوقت لهذا العامل ليستثمر هذه التدقيقات والانبلاجات، فتنعكس لاحقًا علىٰ أبحاثه وكتبه.

أحد أقراني في طلب العلم كان يلتمس منه بعض المربِّين أن يلقي دروسًا علىٰ بعض المبتدئين في طلب العلم من طلاب حلقات تحفيظ القرآن، فكان يمتنع،

مستحضرًا معاني وجوب التواضع وهضم النفس، وأنَّ هذا من التصدر المبكر ونحوها، ثم إنَّ ظروفه الأكاديمية ساقته سوقًا للتدريس فتفاجأ بأثر التدريس في فهم العلم وتحقيقه وتحريره والتدقيق في معانيه، فصار مشغوفًا بأيِّ فرصة تدريس لِمَا يتحرَّىٰ فيها من الأثر العلمي علىٰ نفسه، ثم إنَّه بعث لي برسالة بديعة جدًّا، يتحدَّث فيها عن تجربته، وهذا نصُّها:

«ظللت زمانًا أمتنع عن تدريس بعض المتون الصغيرة التي كنت أظنني أتقنتها، وفي الفصل الماضي اضطررت بسبب الوظيفة لتدريس بعض المسائل الشرعية، فإذا بي أكتشف أنَّ المستفيد الأكبر من التعليم هو المعلِّم، هذه حقيقة لا يدركها إلَّا من جرب، فثمة ثغرات بيِّنة في فهم بعض المسائل لا تنكشف إلَّا في قاعة الدرس، بل ثمة استنباطات وفتوحات، وربط بين الأبواب لا يتجلَّىٰ إلَّا مع التدريس، ولعلَّ هذا من بركة نشر العلم وتعليمه. بعد رسوخ هذا القناعة أصبحت -والله يشهد- أبحث عمَّن أشرح له بعض المتون، وصرت أتصل ببعض الإخوان باحثًا عن طلاب علم يريدون استشراح متن! كنت من زاوية أخرىٰ أبحث عن من آخذ منه بركة التعليم!» (اهـ).

وأنا بدوري أنقل هذه التجربة عن صاحبي؛ لِمَا ألتمس فيها من تحفيز طلاب العلم المتميزين علىٰ نشر العلم وتبليغه، لما يرجونه من الأثر العلمي علىٰ أنفسهم أولًا، وأن التدريس مفتاح من مفاتيح تحقيق العلم، وتحرير مسائله.

هذه الشواهد تقودنا إلىٰ مناقشة تصور منتشر وشائع، وهو أنَّ التأليف والتصنيف لا يكون إلَّا بعد الانتهاء من طلب العلم، وانقضاء مرحلة التحصيل، وهذا تصور تسبب في أضرار علىٰ الحالة العلمية والتصنيفية.

تأمل الآن لمحات من احتياجاتنا العلمية: يحتاج عموم الناس اليوم إلىٰ تيسير العلم وتقريبه لهم، ويحتاج المبتدئون في العلم في كافة الأصقاع في المدن والقرىٰ إلىٰ تكثيف فرص الدروس التي تتلاقي وتستجيب لاحتياجات الطلاب المتنوعة من حيث مستوىٰ الدرس ووقته اليومي، وتتوالىٰ مسائل النوازل التي تثير التعطش الشديد لدىٰ الشباب للبحوث والدراسات التي تعالجها، وتطلب المؤسسات المصرفية والزكوية كثيرًا من أبحاث الفقه المالي، ويتساءل الأطباء عن كثير من

صور التداوي وأحكامها الشرعية، وتثير ثورات الربيع العربي كثيرًا من مسائل فقه السياسة الشرعية بصورة ملحة جدًّا، ويثير التغريبيون شبهات ومسائل كثيرة في الفضائيات، والصحافة التقليدية، ومواقع التواصل الاجتماعي، حول أحكام المرأة أو الحسبة ونحوها، تحتاج لأوراق علمية رصينة تفندها، ونحو ذلك من احتياجات المجتمع.

وبالمقابل: تأمل في الظاهرة العلمية تجد كثيرًا من طلاب العلم المتميزين، والأكاديمين الجادِّين، وتأمل -مثلًا- طلبة العلم القادرين علىٰ البحث ممَّن ينشرون بعض مشاركاتهم في المنتديات العلمية: كملتقىٰ أهل الحديث، وملتقىٰ أهل التفسير، وملتقىٰ أهل اللغة، والمجلس العلمي، ونحوها.

وتأمل في كثير من الأقسام العلمية في الكليات الشرعية؛ فلا تجد قسمًا إلَّا وفيه ثلة علمية مميزة انتسبت للقسم لدواعي العلم، لا لدواعي وظيفية أو اجتماعية.

حسنًا . . . إذا تأمَّلت العلاقة بين احتياجاتنا العلمية الواقعية الماسة، والكوادر المتميزة القادرة علىٰ البحث والكتابة؛ رأيت هناك نوعًا من الفتور في التجاوب السريع ونشر الأبحاث والأوراق العلمية، ومناقشة الأبحاث والدراسات المنشورة، وإشعال الوسط العلمي بالإنتاج والتداول والتتميم والنقد والاعتراض والتعزيز، برغم وجود قدر مشكور طبعًا من الدراسات، فأنا لا ارتاح لمسلك القسوة في تصوير الواقع، والميل لجلد الذات، ونكران المنجزات.

والحقيقة: إنَّني عرضت هذا الموضوع علىٰ كثير من المتخصصين المتميزين، من طلاب علم مستقلين أو أكاديميين، وكنت أسألهم: لماذا لا يكتبون وينشرون ويعالجون المسائل التي يفور بها المجتمع اليوم؟

فرأيت كثيرًا منهم يتحدث عن أنَّه يُؤجِّل هذه المشروعات حتىٰ ينهي طلب العلم ويكمل مشواره العلمي ونحو هذه العبارات، **والحقيقة**: إنَّ هذا العذر فرع عن تصور أنَّ التصنيف وسيلة عطاء محض، وهذا تصور خاطئ، فالتصنيف والتأليف هو وسيلة تلقٍ أيضًا، ووسيلة لتمتين التأصيل العلمي لطالب العلم، كما تمت الإشارة إليه في الشواهد السابقة.

وقد يقول البعض: إنَّ دعوة طلاب العلم للتصنيف والتأليف والبحث والنشر قد يدعو غير المؤهلين، إضافة إلىٰ أنَّ المكتبات تغص بدراسات غير مؤصلة.

والجواب: إنَّ هذا المحذور للأسف لم يعِق إلَّا المتميزين، ولم يلتزم بهذا التصور إلَّا طلاب العلم الجادِّين، أمَّا المتسورون علىٰ العلم وأصحاب «التأليف للتجارة»، فهؤلاء هم الذين قفزوا علىٰ هذا المحذور، ولذلك أصبح طالب العلم المؤهل اليوم يتجنَّب التأليف والنشر، وغير المؤهل يتجرأ علىٰ ركوب غمار المطابع.

ودعنا نضرب مثلًا لفكرة عملية للتأليف بهدف التعلم: لو أنَّ طالب علم أراد أن يدرس علم أصول الفقه -مثلًا- ويؤصل نفسه فيه، فلو حفظ متنًا معتمدًا، أو عمد إلىٰ القراءة والتأمل والاستظهار في كتاب مميز: كـ«**المستصفىٰ**»، أو «**إحكام**» الآمدي، أو «**التحبير**» للمرداوي، أو «**البدر الطالع**» للمحلي؛ لحصل شيئًا جيدًا.

لكن لو أنَّ هذا الطالب جعل تصنيفه تحصيلًا وتحصيله تصنيفًا، فجعل له مشروعًا -مثلًا- في شرح «**مختصر التحرير**»، لابن النجار، فيأخذ كل مسألة من مسائله، ويجعلها كالترجمة للباب أو العنوان، ويقرأ المصادر ويقارن ويوازن بينها في كل مسألة، ثم يكتب حصيلة تأمله في المصادر في شرح هذه الفقرة من المتن؛ لكان هذا الطالب إذا انتهىٰ من شرح الكتاب قد حصَّل هدفين؛ **فالهدف الأول**: أنَّه الآن قد قارن وتأمَّل مسائل أصول الفقه بالمقارنة بين المصادر، فحققها وحرَّرها ودقَّق فيها، وقد أثبتت التجربة أنَّ (مقارنة المصادر ينبوع التحقيق). **والهدف الثاني**: أنَّه يجد نفسه أمام مصنَّف قد انتهىٰ منه يحسن أن يدفعه لمن يراجعه من المختصين ويصححه وينقحه، ثم يستشيرهم في طباعته ونشره، فيجعله الله له -بإذن الله- من العمل الباقي بعد الموت. وهكذا تعلم وصنَّف في ذات الوقت، وكسر قلم النسخ وأخذ قلم التخريج. ولا أشكُّ طرفة عين أنَّ مَن تعلَّم أصول الفقه بهذه الطريقة فقد وصل لدرجة التحقيق في العلم، بخلاف من اكتفىٰ بالتعلم بطريقة حفظ متن أو استظهار كتاب متوسط، فالحافظ أو المستظهر لا يدرك إلَّا قولًا واحدًا منقولًا، وأمَّا من حقَّق وحرَّر؛ فهو الذي يقف علىٰ أدغال العلم وأعماقه وأغواره، ويفرز الصور ويحرر الاستدلالات، وفي كلٍ خير.

والهدف من هذه المقالة تنشيط البحث والتأليف بين طلبة العلم المتميزين المتهيبين من التصنيف ظنًّا منهم أنَّه مرحلة تكون بعد الانتهاء من طلب العلم، وغفلتهم عن كون التصنيف من وسائل التعلم، وهكذا سائر أوجه الإنتاج والعطاء، كتدريس العلم، والقضاء، والفتيا، والخطابة، ونحوها، فكلها وسائل تعلّم للشخص ذاته أولًا.

وأسألُ اللهَ أن نرىٰ ذلك اليوم الذي تلتهب فه ساحتنا العلمية بالدراسات المتجاوبة فوريًّا مع احتياجات المجتمع، بالتصنيف والتكميل والنقد والاعتراض والتلخيص والتقريب والتهذيب، وإنَّما يحيا العلم ويتنفس في مثل هذه المناخات النشطة.

حِفْظُ الْقُرْآنِ أوَّلًا

تعاهُدُ الطلبة بتعليم القرآن وحفظه هو هدي النبي ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا التشُّهد كما يُعلِّمنا السورة من القرآن».

وهذا دالٌّ علىٰ أنَّ تعليم القرآن أصل يُشَبَّهُ به ما كان يتعاهد النبي ﷺ أصحابه بالتعليم.

قال حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ** . . . .» الحديث[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: «ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة» كذا كان في الرواية بإعادة «ثُمَّ»، وفيه إشارة إلىٰ أنَّهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلمون السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا». (اهـ).

قال الميموني: «سألت أبا عبد الله أَيُّهُمَا أحبُّ إليك: أبدأ ابني بالقرآن، أو الحديث؟ قال: لا، بالقرآنِ، قلتُ: أعلِّمُهُ كله، قال: إلَّا أن يعسرَ، فتُعلِّمه منه.

ثم قال لي: إذا قرأ -أولًا- تعلم القراءة ولزمها». (اهـ)[2].

قال ابن مُفلح رحمه الله: «وعلىٰ هذا أتباع الإمام أحمد إلىٰ زماننا هذا»[3].

وقال محمد بن الفضل: «سمعت جَدِّي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلىٰ

---

(١) البخاري، رقم: (٧٨٦).

(٢) «الآداب الشرعية»، لابن مُفلح: (٢/ ٣٣).

(٣) «الآداب الشرعية»، لابن مُفلح: (٢/ ٣٣).

قتيبة، فقال: اقرأ القرآن -أوّلًا- حتىٰ آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتىٰ تصلي الختمة، ففعلت، فلمَّا عيَّدنا أذن لي فخرجت إلىٰ مرو». (اهـ)(١).

وقال أبو عمر بن عبد البر: «طلب العلم درجات ومنازل ورتب لا ينبغي تَعَدِّيهَا، ومن تَعَدَّاهَا جملة فقد تعدَّىٰ سبيل السلف -رحمهم الله-، ومن تعدَّىٰ سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعدَّىٰ مجتهدًا زلَّ»(٢).

فأوَّل العلم حفظ كتاب الله -جل وعز- تفهمه، وكل ما يعين علىٰ فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إنَّ حفظه كله فرض، ولكن أقول: إنَّ ذلك واجب لازم علىٰ من أحب أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض» (اهـ).

وقال الخطيب البغدادي: «ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله ﷻ، إذ كان أجلَّ العلوم، وأولاها بالسبق والتقديم» (اهـ)(٣).

وقال الحافظ النووي ﵀: «وأول ما يَبتدئُ به حفظ القرآن العزيز؛ فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلَّا لمن حفظ القرآن، وإذا حُفِظَ؛ فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يؤدي إلىٰ نسيان شيء فيه أو تعرضه للنسيان». (اهـ).

وقال شيخ الإسلام: «وأمَّا طلب حفظ القرآن؛ فهو مقدَّمٌ علىٰ كثير ممَّا تسميه الناس علمًا: وهو إمَّا باطل أو قليل النفع، وهو أيضًا مقدَّمٌ في التعلم في حقِّ من يريد علم الدين من الأصول والفروع؛ فإنَّ المشروع في حقِّ مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن؛ فإنَّه أصلُ علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع الأعاجم وغيرهم، حيثُ يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام أو الجدال، والخلاف أو الفروع النادرة والتقليد الذي لا يُحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضيات التي لا تقوم بها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله». (اهـ)(٤).

---

(١) «تذكرة الحفاظ»: (٢/ ٧٢٢).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله»: (ص/ ٥٢٦-٥٢٨).

(٣) «الجامع»، للخطيب، (١/ ١٠٦).

(٤) «الفتاوىٰ الكبرىٰ»: (٢/ ٢٥٣). =

وبعض الطلبة الذين يبتدئون طلب العلم متأخرًا أو الذين تمر عليهم سنون في الطلب دون حفظ القرآن = يرون البدء في الحفظ ثقيلًا، ونصيحتي أن يبدأوا ولو بالقليل، وأن يداوموا علىٰ هذا القليل يوميًّا؛ فإنَّهم إن لم يختموا القرآن سيحفظون قدرًا صالحًا منه.

* وأشير هنا إلى طريقة الحصون الخمسة في حفظ القرآن الكريم[1]:

وهي طريقة منهجية سهلة ميسرة، ونظام عملي واقعي دقيق لحفظ القرآن الكريم بإتقان حقيقي في زمن يسير مدعمة بدراسات علمية وخبرات عملية، وصالحة للتدريس والممارسة في دور التحفيظ والمؤسسات القرآنية.

* أهداف الحصون الخمسة:

(١) إيجاد خطة محددة المعالم، ومنهجية واضحة في حفظ القرآن الكريم.

(٢) القضاء علىٰ العشوائية في إدارة الأوقات والواجبات الخاصة بالحفظ والمراجعة.

(٣) الوصول بالحفظ إلىٰ أعلىٰ مراتب الإتقان في الوقت اليسير.

(٤) التوازن بين الحفظ والمراجعة وحل واقعي لمشكلة (أحفظ وأنسىٰ).

(٥) الجمع بين القراءة والاستماع والحفظ والمراجعة ممَّا يرسخ العلاقة بين الطالب وبين كتاب ربه.

* فكرة الحصون الخمسة:

تخيل مؤسس الحصون الخمسة الحفظ كالبناء، كما قال ابن الجوزي في «صيد

= * واستفدت هذه المباحث المتعلقة بالحفظ من: «الدليل إلىٰ المتون العلمية»، و«نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية»، للشريف حاتم، و«النبذ في آداب طالب العلم»، لحمد العثمان.

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ»: (٢/ ٢٥٣).

* للدكتور د/ سعيد أبو العلا حمزة - الإسكندرية - مصر، وقد طُبعت بدار الأمل - الإسكندرية، وقرظها: الشيخ أ. د/ المعصراوي، د/ عبد الرحمن معاضة الشهري، د/ يحيىٰ الغوثاني، جمال القرش، د/ محمد إسماعيل المقدم (شفهيا)، د/ محمد الفوزان العمر - جامعة الملك سعود، وغيرهم.

الخاطر»، والبناء لا بُدَّ له من أساسات متينة، كما أنَّ البناء لا بُدَّ له من أصول وقواعد حتىٰ يرتفع صلبًا قويًّا لا تؤثر فيه العوامل البيئية وكذا لا بُدَّ من حراسات تصونه من اللصوص.

*** وعلى هذا؛ فإنَّ بناء هذه الحصون الخمسة يكون على مراحل ثلاث:**

(١) مرحلة أساسات البناء:

١ - **الحصن الأول**: القراءة المستمرة، والاستماع المنهجي.

٢ - **الحصن الثاني**: التحضير (الأسبوعي، ثم الليلي، ثم القَبلي).

(٢) مرحلة البناء:

٣ - **الحصن الثالث**: الحفظ الجديد.

(٣) مرحلة حراسة البناء:

٤ - **الحصن الرابع**: مراجعة القريب.

٥ - **الحصن الخامس**: مراجعة البعيد

*** الحصن الأول:**

القراءة المستمرة: وهي تهدف إلىٰ تحصيل الثواب، وختم القرآن بصورة دورية وتدريب اللسان علىٰ القراءة الصحيحة، وتمرير الآيات علىٰ القلب، وتوطيد العلاقة مع القرآن، وطبع صورة الصفحات في الذاكرة، وعلاج آفة التقوقع في سورة واحدة أثناء حفظها فتصعب السور الأخرىٰ بسبب هجر قراءتها.

والمطلوب فيها: قراءة جزأين يوميًّا من مصحف المدينة النبوية، جهرًا ترتيلًا، بصورة مجتمعة أو متفرقة، في صلاة النافلة وفي غير الصلاة، مع التزام النظر في المصحف أثناء التلاوة وتحريك اللسان؛ فالثواب منوط بذلك، وكذلك الفائدة المرجوة من القراءة المستمرة، ولا تتوقف القراءة المستمرة بمجرد ختم الحفظ، وإنَّما هي ورد ثابت إلىٰ آخر لحظة في الحياة، والله الموفق.

الاستماع المنهجي: هو صنو القراءة المستمرة، وسبب عظيم للحفظ، وصانع للروابط الذهنية التي تساعد علىٰ التذكر متىٰ كان الاستماع للقراء المتقنين المهرة ذوي الأداء المتميز.

والمطلوب فيه: أن يستمع الطالب لحزب يوميًّا من قارئ متقن، حتىٰ يتم الختمة في (٦٠ يومًا)، ثم يشرع في أخرىٰ وهكذا.

* **الحصن الثاني**:

التحضير: هو التهيئة العملية بالقراءة والاستماع والفهم لِمَا ينوي الطالب حفظه، وذلك قبل الشروع في عملية الحفظ، وهدفه الأول تقليل الجهد والوقت اللازمين للحفظ الجديد والقضاء علىٰ مشكلة استهلاك الحفظ الجديد لأكثر أوقات اليوم ممَّا يؤثر سلبًا علىٰ بقية الأوراد القرآنية من قراءة ومراجعة واستماع، ولا يخفىٰ عليك ما لإهمال هذه الأوراد من تأثير خطير علىٰ جودة الحفظ والمحافظة عليه.

(١) **التحضير الأسبوعي**: يقرأ الطالب يوميًّا علىٰ مدىٰ أسبوع كامل النصابَ الذي ينوي حفظه من الأسبوع التالي.

(٢) **التحضير الليلي**: يكرر الطالب استماع الصفحة التي ينوي حفظها من الغد علىٰ مدىٰ (١٥ دقيقة)، ثم يكرر قراءتها من المصحف علىٰ مدىٰ (١٥ دقيقة) أخرىٰ، وذلك ليلًا قبل النوم مباشرة، وهذا لكل صفحة ينوي حفظها.

(٣) **التحضير القبلي**: يكرر الطالب قراءة الصفحة من المصحف حدرًا علىٰ مدىٰ (١٥ دقيقة) متواصلة قبيل الشروع في حفظها مباشرةً، وذلك لتهيئة الذاكرة وتسخينها، وللطالب أن يمرن نفسه علىٰ الحفظ في الخمس دقائق الأخيرة من التحضير القبلي، وذلك برفع بصره عن المصحف أثناء القراءة، ويجرب القراءة غيبًا من ذهنه.

* **الحصن الثالث**:

الحفظ الجديد: وفيه يأتي الطالب بأركان الحفظ المتقن من تكرار وترتيل وجهر وتركيز وغير ذلك من عوامل الحفظ المتقن، والذي يكون بمثابة القاعدة القوية والأساس المتين للمراجعة المثمرة المنتجة، ولله در القائل:

إذا اختل شيئًا بناء الأساس تضاعف في الصرح ذاك الخلل

والزمن المقترح عمليًّا لحفظ الصفحة الواحدة هو (١٥ دقيقة) بشرط التزامه

بكافة واجبات طريقة الحصون الخمسة التي تسبق الحفظ الجديد؛ أعني: واجبات الحصن الأول والثاني.

* **الحصن الرابع:**

مراجعة القريب: تكون بالتزام مراجعة آخر (٢٠ صفحة) تمَّ حفظها، وهي الصفحات الملاصقة لصفحة الحفظ الجديد، وذلك يوميًّا، غيبًا عن ظهر قلب، علىٰ شرط أن يراجع الطالب يوميًّا ما سبق حفظه حتىٰ إذا بلغ السابق (٢٠ صفحة)؛ فإنَّه يثبت علىٰ مراجعة هذا المقدار يوميًّا لا أن يتوقف عن المراجعة ثم يشرع فيها متىٰ كانت (٢٠ صفحة)!

* **الحصن الخامس:**

مراجعة البعيد: مراجعة الصفحات التي تزيد عن نصاب مراجعة القريب مع تقدم الطالب في الحفظ، **وبعبارة أوضح:** هي جميع الصفحات التي تسبق صفحات نصاب مراجعة القريب، وعدد الصفحات الواقعة في نصاب مراجعة البعيد يزداد بالتقدم في الحفظ الجديد، وتكون بواقع مرة واحدة أسبوعيًّا مقسمة علىٰ أيام الأسبوع.

الفَصْلُ الثَّانِي

مَعَارِجُ الطَّلَبِ

تَنْبِيهَاتٌ مُهِمَّةٌ

لِفَهْمِ طَرِيقَةِ كِتَابَةِ الْمَنْهَجِ

(١) أذكرُ الكتب المرشحة، والتي يدور ذكرها في المناهج المقترحة من قبل، ولا أغفل إلَّا ما أراه اختيارًا غير موفق وغير منهجي وإن كان مشتهرًا، أو ما كان قليل الشروح يغني عنه غيره، وقد أذكر بعض ما فيه نقائص منهجية، لكنَّها لا تصل لدرجة إهداره إن كانت هناك مبررات قوية تغلب نقائصه.

(٢) المتون كتب مختصرة العبارة، دقيقة الألفاظ، مكثَّفة المعاني يقصد بها كاتبها لإيجاز مسائل العلم في جمل يعين حفظها واستحضارها علىٰ استحضار ما يتم دراسته بعد ذلك من شروحها، فالمتن يعمل عمل مفتاح التذكر.

(٣) الكتب المدرسية، هي الكتب التي وضعت في العلوم الشرعية المختلفة علىٰ هيئة كتابة مبسوطة، فيها أبواب وفصول ومباحث، تعرض مسائل العلم بطريقة مفصلة، ولا تحتاج لشرح في الغالب.

(٤) للدراسة بطريقة المتون مزايا وعيوب، وللدراسة بطريقة الكتب المدرسية مزايا وعيوب، ويصلح لطالبٍ ما لا يصلح للآخر، ويصلح لعلمٍ ما لا يصلح للآخر، والمتون تُنال بحفظها، أو تكرار النظر حتىٰ تُضبط معانيها، ثم بدراسة شرحها حتىٰ يستطيع الطالب شرحها بعبارته من غير نظرٍ في كتابٍ، والكتب المدرسية يُقرأ الكتابُ مرة أولىٰ أو مرتين كاملًا، ثم يُقرأ فصلًا فصلًا بحسب تقسيم الطالب لحصته اليومية، ثم يُلخِّص الطالبُ المقروء ويضبط التلخيص، ويختبر نفسه بالاختبارات التقويمية، أو بتلخيص الكتاب من غير نظر فيه تلخيصًا يحتفظ بهيكل الكتاب ومضامينه الأساسية، **وللسعة في الاختيار رتبت لكل علم -غالبًا- طريقتين للدراسة:**

الأولىٰ: بطريقة المتون.

والثانية: بطريقة الكتب المدرسية.

ولكل طريقة مراحلها، إلَّا ما أرىٰ فيه أنَّ واحدًا من الطريقتين هي المُتعينة إمَّا في جميع مراحل العلم، وإمَّا في مرحلة منه.

(٥) عِوضًا عن تشتيت طالب العلم بالشروح الكثيرة من غير ترجيح = أذكر بجوار المتن الشرح الذي أراه أولىٰ الشروح بالدراسة، ثم أذكر أوسع الشروح، ثم أكثرها اختصارًا، ثم أكثرها فائدة، ونصيحتي هي دراسة الشرح الرئيس، ثم مطالعة باقي الشروح أو الكتب المدرسية في المرحلة مطالعة لمرة واحدة يضيف الطالب فيها فوائد هذه الكتب ويتعرف عليها ويكون رأيه حولها، ويمكن أن يكرر الكتاب أو الشرح الذي كثرت فوائده[(١)].

(٦) الشروح والحواشي المتأخرة، الأزهرية وما كان في طبقتها مما كُتب في القرون الأربعة (من التاسع إلىٰ الثالث عشر الهجري)، معظمها ليس ضروريًا في تحصيل مسائل وموضوعات العلم، وإنما هو رياضات تطبيقية علىٰ مراعاة قواعد المنطق وآداب البحث والمناظرة في الكتابة، مع تفاصيل إعرابية وبلاغية ليست من صلب مادة العلم، مع قليل من تحقيق مسائل العلم، ولو تجاوزها طالب العلم= لم ينقص ذلك من علمه بالفن الشيء الكثير، لكن لما كانت هذه الحواشي أمرًا

---

(١) في الجملة فشروح ابن عثيمين وعبد الله الفوزان تكون سهلة مشتملة علىٰ بيان أغلب مقاصد المتن، وشروح الحازمي والشروح الأزهرية القديمة تُفيد في تمرين الذهن علىٰ حلِّ المقفلات، وشروح صالح آل الشيخ تكثر فيها الفوائد الزوائد، وشروح يوسف الغفيص تفيد الطالب الذي أتقن المتن جدًّا، ويريد أن يستمع لبحوث ومناقشات خارجة عن عبارة المتن، وهذه فائدة عامة أذكرها هنا، لكن يبقىٰ المعتمد في المفاضلة هو ما سأذكره عند كل شرح بعد ذلك.

ومن آفة بعض الشروح أنها تطيل وتزيد الفوائد والمتن للمبتدئين، ويكثر هذا في شروح الشباب من طلبة العلم الذين يتصدون لشرح الكتب.

ومن آفة شروح أخرىٰ أن المتن يكون للمتوسطين أو للمتمكنين فتجد الشارح لا يزيد في كلامه عما يذكره هو نفسه تعليقًا علىٰ متن للمبتدئين، وهو ما أسميه أنا: التدرج الوهمي؛ لأن صورة الكتاب والمتن أنه لمرحلة متقدمة، بينما ما يدرسه الطالب عليه لا يزيد كثيرًا عما يدرسه في أي متن عادي، ويكثر هذا في شروح بعض مشايخ المملكة العربية السعودية.

واقعًا، ونسجت علىٰ منوالها كتب حقبة تاريخية بأكملها، وكانت الفائدة التطبيقية المشار إليها قد تنفع طالب العلم= وتكسبه دربة على التعامل مع جميع كتب الفن صار درس بعض هذه الشروح والحواشي مفيدًا من ناحية إعانته علىٰ فهم كتب الحقبة المذكورة، لا من ناحية تحقيق مسائل العلم نفسه إلا فيما ندر؛ لأجل ذلك فأنا لا أنصح طالب العلم بكثرة الاشتغال بهذه الحواشي، وإنما أنصحه أن يتقن أساسها وهو المنطق القديم وعلم آداب البحث والمناظرة، ثم لا مانع من أن يمر علىٰ الشروح والحواشي المتأخرة في كل فن مرور قراءة واطلاع وتدريب ذهن، لكن لا يستغرق فيها، أو يظن أن حل مشكلاتها مما تتوقف عليه معرفة العلم الذي يدرسه.

(٧) تعدد شروح المتن الواحد، وتعدد الكتب الدراسية في المرحلة الواحدة، لا ينبغي أن يكون مصدر تشتيت للطالب، ولا ينبغي أن يدرس الطالب علىٰ كل متن أكثر من شرحين، أعني دراسة ضبط واستظهار، لكن لو مر الطالب علىٰ شروح المتن بعد ضبط أحدها، مرور قراءة واطلاع= فلا بأس بهذا بشرط أن تكون من الشروح التي شُهد لها بزيادة فائدة، وكذلك بالشرط نفسه المتون والشروح والكتب المدرسية التي في نفس المرحلة، لو مر عليها الطالب قراءة فقط سينتفع، ولو بطريق القراءة السريعة، بشرط أن يكون ذلك بعد ضبط الكتاب الأساسي في مرحلته كما قلتُ من قبل.

(٨) بعد كل مرحلة أرتب كُتبًا أنصح بقراءتها، وهذه أذكرها بعد مراحل طريقة المتون، ولا أعيد ذكرها بعد مراحل الكتب المدرسية اكتفاء بذكرها من قبل.

(٩) (**دار المعارف**) عند الإطلاق هي المصرية، و(**دار ابن الجوزي**) عند الإطلاق هي السعودية، و(دار السلام) عند الإطلاق هي المصرية، و(**دار الوطن**) و(**مدار الوطن**) اسم لمنشورات يوزعها مكان واحد الآن، والاسم المعتمد رسميًّا الآن هو الثاني، وبالنسبة للإخوة المصريين؛ فمعظم كتب المناهج تتوفَّر في فروع (**مكتبة دار السلام**)، والمكتبات التي خلف الجامع الأزهر بالقاهرة، ومكتبة الشبكة العربية للأبحاث بالقاهرة.

(١٠) شرطتُ علىٰ نفسي الخبرة بما أقترح، وأن أكون نظرت في المنهج، أو الكتاب المقترح؛ وقد تفضل عليَّ بعض المشايخ من أهل العلم المتخصصين بكتابة مناهج للعلوم، رأيت أنَّهم فيها أكثر خبرة منِّي وإتقانًا.

(١١) إذا قلت: «يدرس فيها الطالب كتابًا واحدًا فقط»، فمعنىٰ هذا: أنَّ الكتب المذكورة في هذا الموضع هي التي يقترحها الناس، وعلىٰ الطالب اختيار كتاب أو متن واحد، وألَّا يشتت نفسه بين هذه الكتب.

(١٢) الانتهاء من المرحلة الثالثة يعني أنَّ الطالب صار مُؤهَّلًا لدخول مرحلة التخصص إنْ كان يُريد التخصص، ومرحلة التخصص تتشكل أهم معالمها بأن يبدأ الطالب في ترتيب كتب العلم ترتيبًا زمنيًّا، ويأخذ في مطالعة كتب أهم أئمة العلم مرتبة ترتيبًا زمنيًّا مع العناية بالتحولات المحوري في تاريخ العلم، مع معاناة التحرير والنظر في أهم مسائل العلم؛ لتكوين رؤية خاصة، ونظر اجتهادي خاص به في العلم ومسائله.

(١٣) والانتهاء من المرحلة الثالثة أيضًا، والدخول في مطالعة قائمة القراءة، ومعاناة النظر في أهم كتب العلم المصنفة عبر تاريخه يُؤهِّلُ الطالب ليكون متفننًا، ضم علمًا جديدًا إلىٰ فنونه، **والفرق بين القراءة والمطالعة وبين الدراسة**: أنَّ الطالب في القراءة ليس مطالبًا بالحفظ والاستذكار والتكرار، بل يكتفي بالقراءة وتسجيل الفوائد المهمة التي تمر به فقط.

(١٤) اعتنيتُ بالنصيحة بالكتب التي تُشكِّل نقلاتٍ محوريةً في تاريخ العلم، فأوصيتُ بها.

(١٥) وكذلك اعتنيت بالعلماء المحققين والمجددين والمبدعين في مختلف العلوم؛ ليعتني الطالب بمؤلفاتهم، وموادهم العلمية.

(١٦) كل شروح أحمد الحازمي صوتية ما عدا شرحه علىٰ **«نظم الأجرومية»**؛ فهو صوتي ومطبوع. وقد ذكرت شروحه التي تفرَّد بشرحها، أو قلَّ شارحوها غيره، دون شروحه العقدية -مثلًا-؛ لقلة فائدتها، والرجل مُدرِّس جيِّد لهذه المتون، لكنه ليس من أهل العلم المحققين، وفيه غلوٌّ أسأل الله أن يتوب عليه منه ويهديه، لكن ليس في شروحه التي اخترتها هنا من أثر غلوه شيء.

(١٧) العناية بالكتب التي تعرض العلم بطريقة الجداول مهمة؛ لأنَّها تسهل مراجعة العلم، ومنها سلسلة لعماد جمعة نشرتها دار النفائس، وهي أحسنها، ولكنَّها تخلو من بعض العلوم التي توجد في سلسلة أصدرها ياسر النشمي عن دار

الضياء بالكويت، وكتاب «**الجداول النافعة**»، لجاسم المطوع، والصادر عن دار النفائس.

(١٨) ذكرتُ شرحًا صوتيًّا بالإضافة للمكتوب أحيانًا، لا للإلزام بهما؛ وإنَّما لأنَّ بعض الطلبة تزيد قدرته علىٰ الضبط والفهم بالاستماع، لكن من شاء الاكتفاء بالمكتوب = وسعه ذلك، لكنِّي لا أرىٰ أنَّ الصوتي يمكن أن يُكتفىٰ به عن المكتوب.

(١٩) عندما أقول: «يستذكر الطالب»، **فمعناها**: دراسة الكتاب دراسة متأنية علىٰ نحو ما شرحته في فصل المذاكرة من مدارج الطلب، **وعندما أقول**: «يدرس الطالب»، **فمعناها**: قراءة الكتاب ثلاث مرات علىٰ الأقل بتأني، ومحاولة ضبط أفكاره الأساسية، **وعندما أقول**: «يقرأ الطالب»، **فمعناها**: قراءة الكتاب مرة واحدة للإلمام بما قد يكون زائدًا علىٰ الكتب التي استذكرها الطالب أو درسها.

(٢٠) قائمة القراءة يمكن أن يبدأ الطالب في مطالعتها من بعد انتهائه من المرحلة الثانية، إن وجد فسحة من الوقت، وكان شغوفًا بالتوسع في العلم الذي ذيلته بها.

التَّـرْتِيبُ وَالتَّوْزِيعُ الْمُقْتَـرَحُ

لِدِرَاسَةِ مُقَرَّرَاتِ السُّبُلِ الْـمَرْضِيَّةِ

الترتيب الذي أقترحه في دراسة منهج السبل: هو أن يدرس الطالب المرحلة الأولىٰ من علم معين، ثم يدرس المرحلة الأولىٰ من العلم الذي يليه، وهكذا حتىٰ يُنهي العلوم ثم يعود فيدرس المرحلة الثانية من كل علم بنفس التتابع، ومن درس علمين معًا لا بأس، ولا أرىٰ الزيادة عن علمين؛ وبالتالي سيدرس المرحلة الأولىٰ من علمين بالتوازي، ثم ينتقل لدراسة المرحلة الأولىٰ من علمين آخرين بالتوازي.

واقتراحي للتتابع سأذكره بناءً علىٰ طريقة دراسة علم واحد في الحقبة الزمانية، ومَن سيدرس بطريقة علمين معًا، فقط سيضم العلم الأول من مقترحي إلىٰ العلم الثاني.

يُطالع الطالب أولًا قائمة القراءة التي ذكرناها في آخر كتابنا هذا، والتي تُطالع قبل البداية في مناهج السبل لمن كان حديث عهد بالقراءات الدينية.

ثم يستمع الطالب إلى دورة مداخل إلى العلوم الشرعية على موقع: «جامع الدروس العلمية» http://dro-s.com ثم يدرس الطالب المرحلة الأولىٰ من علم **التفسير**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **العقيدة**، ثم القسم الأول من أقسام **الدراسات المنطقية**، والخاص بأنواع التفكير المستقيم ونواقضه، ثم يدرس المرحلة الأولىٰ من علم **السيرة والتاريخ**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **الفقه**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **الحديث**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **أصول الفقه**، ثم المرحلة الأولىٰ **القواعد الفقهية** والأولىٰ من **المقاصد**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **النحو**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **البلاغة**، ثم المرحلة الأولىٰ من علم **الأدب**.

ثم يعود الطالب من البداية، فيدرس المرحلة الثانية من كل علم منها ويضيف عليها بعد انتهائها المرحلة الأولىٰ من **علم المنطق**، ثم المرحلة الأولىٰ من **المِلل والنِّحَل**، ثم المرحلة الأولى من **الدراسات الفكرية**، ثم المرحلة الأولىٰ من **علم الصرف**، ثم المرحلة الأولىٰ من **العروض**.

وهنا، وبعد تحصيل ما تقدَّم، لا بُدَّ أن يتوقف الطالب؛ ليقوم بتحديد العلوم التي يحتاج فيها أن ينتقل للخطوة التي تليها، والعلوم التي سيكتفي فيها بالتوقف عند المرحلة التي درسها.

وهذا التحديد يتعلَّق بالطبع بقدرة الطالب علىٰ تحديد هدفه، والمساحة العلمية التي يريد التخصص فيها؛ وبالتالي سينتقل للخطوة التالية فيها، وربما أيضًا الخطوة التالية من العلوم القريبة من هذا العلم، وربما كان مجال تخصصه لا يحتاج لزيادة من كل هذه العلوم.

فالذي يريد أساسيات العلوم الشرعية فقط، وسينتقل للاشتغال بالعلوم الإنسانية = يكفيه ما تقدم.

والمشتغل بالوعظ والدعوة -مثلًا-، يمكنه الاكتفاء بهذا القدر والتفرغ للقراءة والاطلاع في مجالات الفكر والتربية والدعوة والإصلاح.

ومثله الذي سيتخصص في التاريخ، يكفيه ما تقدَّم.

والذي سيشتغل بالفقه المذهبي يمكنه أيضًا أن يكتفي بهذا القدر، ويكتفي بتخصصه مع التوسع في أصول الفقه والقواعد الفقهية فقط.

والذي سيشتغل بالفقه المقارن والاجتهاد والترجيح لا يكفيه هذا القدر، بل لا بُدَّ من الانتقال للمرحلة الثالثة في العلوم التي أنهىٰ فيها الثانية، وأن ينتهي من المرحلة الثانية في العلوم الأخرىٰ عدا **العروض**.

والذي سيشتغل بأصول الفقه لا بُدَّ له من إنهاء مراحل **علم الدلالة**، **وعلوم القرآن**، **وأصول التفسير**، وأن ينهي المرحلة الثالثة في **مصطلح الحديث**.

والذي سيشتغل بالحديث يحتاج أن يتقن **علم الدلالة**، **وأصول الفقه**، وأن يداوم علىٰ القراءة في **الأدب**.

والمقصود: إنَّ إنهاء المرحلة الثانية في العلوم كلها، عدا علمي **الصرف والعروض، والأدب، والدلالة، والمنطق** يمكن الاكتفاء فيها بمرحلة واحدة = إنهاء ذلك لازم للجميع، وإنَّما يبدأ النظر فيما يأخذ الطالب وفيما يدع، بحسب الهدف الذي حدده الطالب لنفسه.

تبقى الإشارة إلى قضيتين غاية في الأهمية:

الأولىٰ: التراتيب التي توضع في العلوم المختلفة تفترض عادة جهل طالب العلم التام بهذا العلم؛ لأجل ذلك تجدها تحاول فقط إيناس الطالب، وتعليمه ما كان يعلم للطلاب الصغار قديمًا، حتىٰ إن بعضها يبدأ ترتيب الفقه بذكر متن يحتوي علىٰ أحكام الطهارة والصلاة فحسب.

لهذا من المهم مراعاة هذه الفكرة، والاستفادة منها حين يأتينا طالب علم سبق له وتشتت من قبل، أو سبق له أن طلب شيئًا من العلم ثم انقطع، ونحو هذا، فمثل هذا بدايته من المرحلة الأولىٰ في العلوم التي سبق له الاطلاع علىٰ شيء فيها= لا يخلو من شيء من الملالة، وقد انقطع طلاب كثيرون بسبب هذا، ورأيي: **أن يبدأ من كانت هذه حاله بالمرحلة الثانية مباشرة؛ فإنها أنسب له وأعون له علىٰ الاستمرار، شريطة أن يأخذ نفسها بالجد في درسها**.

الثانية: بعض طلبة العلم يفضل أن يدرس المرحلة الأولىٰ والثانية من علم واحد متتاليتين لا يفصل بينهما بعلم آخر، ومن كانت هذه حاله، وكانت لديه مقدرة علىٰ الفهم والاستيعاب= فأنصحه أن يكتفي في المرحلة الأولىٰ بتكرار قراءة كتابها ثلاث أو أربع مرات، مع المرور السريع علىٰ بعض الكتب المقررة في نفس المرحلة من علمه، **ثم يصرف جهده في الحفظ والاستظهار والتمرين إلىٰ كتاب المرحلة الثانية، وهذه الطريقة لها أثر عظيم في توفير الوقت خاصة للطلبة غير المتفرغين**.

طريقة استذكار الكتب المدرسية

سأكتب الآن أفضل طريقة لمذاكرة كتاب (وليس لمجرد القراءة) مع ملاحظة ثلاثة أمور:

الأول: هذه الطريقة خاصة بالكتب وليست تتعلق بالمتون أو شروحها؛ فلها آليات أخرىٰ لكنها تتقاطع مع ما سأذكره في التكرار.

ثانيًا: هذه الطريقة تصلح لأي كتاب فيه مادة نظرية أيًا كان تخصصه دينيًا وغير ديني.

ثالثًا: هذه الطريقة تعتمد علىٰ تجربتي وعلىٰ توظيف بعض التقنيات التي استخرجتها من كتب مهارات التعلم.

رابعًا: هذه الطريقة تعتمد بطريقة أساسية علىٰ التكرار، والتكرار أثقل علىٰ النفس من نقل الحجارة، وبالتالي من لم يتحمل غصص التكرار وثقله ومله= لن يتعلم.

الخطوة الأولىٰ: قراءة الكتاب كاملًا قراءة عادية بدون تمعن زائد = ثلاث مرات يقرأ الكتاب تامًا لكن دون توقف للتأمل أو التكرار.

الخطوة الثانية: تقسيم الكتاب إلىٰ أجزاء صغيرة كل جزء يحوي فكرة أساسية متكاملة من أقسام الكتاب، وهي بالضبط فكرة تقسيم الكتاب إلىٰ وحدات المتبعة في الكتب المدرسية، وبالتالي الكتاب المقسم إلىٰ وحدات قد كفاك مؤونته، والكتاب المقسم إلىٰ أبواب وفصول قد قرب إليك الطريق فستعتمد تقسيمه أو قد يبدو لك توسعة القسم أو تضييقه كأن تعتمد فصلين علىٰ أنهما وحدة أو تقسم الفصل إلىٰ أكثر من جزء بحسب فهمك لأفكاره من القراءات الثلاث الأولىٰ.

الخطوة الثالثة بعد التقسيم: قراءة كل فصل خمس مرات متتالية واستخراج:

التعريفات - التقسيمات - الفروق -أفكار الفصل والأسئلة والإشكالات التي يثيرها وخلاصة الأدلة عليها- ما تستشكله أنت من الكلام وتنتقده مع الاحتفاظ بالمواضع التي لم تفهمها أو تراها تعارض معلومات أخرىٰ= مدونة وتركها تعالج نفسها وعدم شغل الوقت بها وبمحاولة حلها.

الخطوة الرابعة: يُختار من هذه المستخرجات ما يحفظ، وبعد حفظه يختبر الحفظ عن طريق إعادة إنتاج المادة في صورة ملخص يكتب من الحفظ أو درس يلقىٰ ولو علىٰ غير جمهور، المهم أن تؤدي الأفكار شبه تامة بدون مراجعة للكتاب، وليس شرطًا أن تحافظ علىٰ عبارة الكتاب التي فيها زيادة حشو في الكلام، بل المهم الجمل المعبرة عن الأفكار والركائز العلمية للموضوع، ومن أفضل الوسائل في هذه المرحلة : **جلسات النقاش الجماعية للكتب.**

ملحوظات:

أولًا: تختلف الكتب في الوقت الذي تحتاجه هذه الخطوات لكن لو نجح طالب العلم في إنجاز خمسة كتب في العام بهذه الطريقة = فهو إنجاز حسن مؤصل، وهذه الطريقة لها دور كبير في تنمية الأفكار.

ثانيًا: لا أحبذ سلوك هذه الطريقة لا في الكتب الوجيزة جدًا ولا في المطولات، وأحبذ استخدامها في الكتب المتوسطة أما الكتب الوجيزة فلا يبذل معها هذا المجهود إلا إن كنت ستكتفي بهذا الكتاب الوجيز في ذلك العلم أو كان هو كتاب المادة المدروسة ولا كتاب غيره.

ثالثًا: لا ينبغي أن يكون الاستذكار بهذه الطريقة منهجًا للتعامل مع كل الكتب ولا أن يستغرق وقت طالب العلم بل المطالعة الحرة ينبغي أن يكون لها وقت جيد إلىٰ جوار المذاكرة.

رابعًا: هذه الطريقة أفضل من كتابة تلخيص وحفظه؛ لأن غالب كتابة التلخيصات تكون في مرحلة لم يتم فيها استيعاب الكتاب جيدًا وطريقة كتابة التلخيص وحفظه أفضل منها طريقة المتون لو كنت تصر عليها، أما نحن هنا فنتكلم عن طريقة فهم وتفسير وتحليل وقدرة علىٰ إعادة إنتاج الأفكار ومعالجتها.

طريقة استذكار المتون

يمكن أن ينتفع الطالب بما تقدم ذكره، في مذاكرة المتون أيضًا، لكن أشير هنا لكلام نافع خاص بالمتون، وفيه من الفوائد، ما ينتفع به طالب الكتب المدرسية أيضًا:

يقول العلامة ابن بدران: «**فاعلم أننا اهتدينا بفضله تعالىٰ أثناء الطلب إلىٰ قاعدة وهي أننا كنا نأتي إلىٰ المتن أولا فنأخذ منه جملة كافية للدرس ثم نشتغل بحل تلك الجملة من غير نظر إلىٰ شرحها. ونزاولها حتىٰ نظن أننا فهمناها ثم نقبل علىٰ الشرح فنطالعه المطالعة الأولىٰ امتحانًا لفهمنا، فإن وجدنا فيما فهمناه غلطًا= صححناه ثم أقبلنا علىٰ تفهم الشرح علىٰ نمط ما فعلناه في المتن. ثم إذا ظننا أننا فهمناه= راجعنا حاشيته -إن كان له حاشية- مراجعة امتحان لفكرنا، فإذا علمنا أننا فهمنا الدرس= تركنا الكتاب واشتغلنا بتصوير مسائله في ذهننا فحفظناه حفظ فهم وتصور لا حفظ تراكيب وألفاظ، ثم نجتهد علىٰ أداء معناه بعبارات من عندنا غير ملتزمين تراكيب المؤلف، ثم نذهب إلىٰ الأستاذ للقراءة وهنالك نمتحن فكرنا في حل الدرس ونقوم ما عساه أن يكون به من اعوجاج ونوفر الهمة علىٰ ما يورده الأستاذ مما هو زائد علىٰ المتن والشرح، وكنا نرىٰ أن من قرأ كتابًا واحدًا من فن علىٰ هذه الطريقة سهل عليه جميع كتب هذا مختصراتها ومطولاتها وثبتت قواعده في ذهنه وكان الأمر علىٰ ذلك**»[(١)].

ويقول الشيخ أبو مالك وائل العوضي: «العبرة في طلب العلم ليست باختيار كتاب معين، أو تسلسل معين من الكتب، وإنَّما العبرة بالمنهجية التي يسلكها الطالب في أثناء الطلب، وهذه المنهجية معناها: (الضوابط العامة التي يجب أن

---

(١) «المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، (٤٨٩-٤٩٠)، نشر: مؤسسة الرسالة.

يلتزم بها)؛ مثل: [الحفظ، التفهم، التدرج، الترسيخ، التطبيق، الربط بباقي العلوم، الاستشهاد، التعبير بأسلوبك].

وإليك توضيحها باختصار:

الحفظ: أي: أنْ تكرر المتن الذي تدرسه حتىٰ يكون محفوظًا لديك في ذهنك تستطيع ذكره عن ظهر قلب، وهذا الحفظ ليس هو أهم شيء في طلب العلم، لكنَّه يفيدك عند كبر السن؛ لأنَّه يقلل من ضياع المعلومات وفقدانها.

التفهم: أي: أنْ يكون الحفظ السابق ذكره مقرونًا بالفهم الصحيح للكلام، ولا يلزم أن يكون فهمًا مُوسَّعًا مبنيًّا علىٰ الشروح المطولة، بل يكفي أن يكون فهمًا إجماليًّا للمعنىٰ العام مبدئيًّا، ثم بعد ذلك يمكنك التوسع في الشروح كما تشاء.

التدرج: معناه أنْ تحصل المسائل السهلة الواضحة أوَّلًا ولا تدخل في الأبواب والمسائل المعقدة إلَّا بعد إتقان ما يسبقها؛ لأنَّ العلم كالبناء لا بُدَّ من إعداد الطابق الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا، ولا يمكن بناء الطابق الرابع مثلًا قبل الأول.

الترسيخ: معناه دفع الشبهات والإشكالات المتعلقة بالمسائل العلمية حتىٰ تصير ثابتة في صدرك فلا تزحزحها الجبال؛ لأنَّ كثيرًا من طلبة العلم قد تراه -مثلًا- يحفظ القرآن ويحفظ كثيرًا من الأحاديث، وتراه قد درس الفقه والتفسير وغيره من العلوم الشرعية، لكنَّه غير مرسخ، بمعنىٰ أنَّه لو جاءه شخص وألقىٰ إليه أدنىٰ شبهة؛ فتراه يهتز ويرجع، ولا يركن إلىٰ ركن وثيق يستطيع به دفع هذه الشبهة.

التطبيق: معناه أنَّ كل قاعدة تعرفها؛ فلا بُدَّ من تطبيقها علىٰ الأمثلة، ويستحسن أن تكون هذه الأمثلة من الكتاب والسُّنة ومن العبارات المستعملة بين العلماء.

الربط بباقي العلوم: معناه أنْ تربط ما تدرسه في النحو -مثلًا- بما تدرسه في الفقه، وما تدرسه في الأصول بما تدرسه في التفسير، وهكذا؛ لأنَّ المقصود من العلم هو استعماله، فلو فصلنا بين العلوم فلن تكون لها فائدة؛ فالنحو -مثلًا- لا يُراد لذاته، وإنَّما يُراد لفهم الكتاب والسُّنة، فإذا لم أستطع ربطه بالآيات والأحاديث؛ فكيف أستعمله في فهم الكتاب والسُّنة؟

الاستشهاد: هذا وسيلة من وسائل تثبيت العلم، فمثلًا إذا كنت تقرأ في كتاب -أيِّ كتاب- وجاءت قاعدة نحوية، فاكتب في الحاشية -مثلًا- البيت الذي يتعلَّق بهذه القاعدة من «ألفية ابن مالك»، وإذا كنت تتدارس مع بعض أصدقائك في مسائل العلم ووردت مسألة أصولية، فاستشهد بما تحفظه من «مراقي السعود» مثلًا أو غيره من متون الأصول، والمقصود بذلك تثبيت العلم بكثرة الاستشهاد بالمحفوظ حتىٰ يثبت ويرسخ .

التعبير بأسلوبك: هذا معناه أنَّك إذا قرأت شيئًا -مثلًا-، أو حفظت قاعدة، أو درست أصلًا أو غير ذلك، فحاول أن تشرحه بأسلوبك أنت، وحاول أن تُعبِّر عنه بكلامك أنت من غير رجوع إلىٰ المصادر، وبعد أن تفعل ذلك اعرض ما كتبته علىٰ العلماء أو علىٰ الكتب، وانظر: هل يوجد خلل؟ هل يوجد نقص؟ هل هناك ما أخطأت فيه؟ هل هناك ما نسيته؟ هل هناك ما يحتاج إلىٰ تعبير أدق؟ كل ذلك يفيدك فوائد عظيمة جدًّا؛ لأنَّه يعالج كل جوانب القصور إن وجدت في طلبك للعلم» .

(١)

عِلْمُ التَّـرْبِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالسُّلُوكِ

المراد بالتربية والتزكية والسلوك: ما يزكي به طالب العلم نفسه، من أعمال القلوب، وأخلاق الإيمان والمعاملة، ومتممات المروءة.

ومنهج السلوك ليس مراحل ينهيها الطالب ثم ينتقل إلىٰ غيره، وإنَّما هو منهج يستصحب الطالب مطالعته والنظر فيه بالتوازي مع اشتغاله العلمي.

* ويبدأ طالب العلم ذلك الأمر بمطالعة ثمانية كتب:

(١) «**خلق المسلم**»، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

(٢) «**شخصية المسلم/ المسلمة**»، محمد علي الهاشمي، دار السلام.

(٣) «**صحيح الآداب الإسلامية**»، وحيد عبد السلام بالي.

(٤) «**حلية طالب العلم**»، بكر بن عبد الله أبو زيد، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٥) «**مهذب مدارج السالكين**»، صالح الشامي، دار القلم.

(٦) «**أعمال القلوب**»، محمد صالح المنجد، نشر مؤسسة زاد.

(٧) «**شفاء القلوب**»، مصطفىٰ العدوي، مكتبة مكة.

(٨) «**المشوق إلىٰ القرآن**»، عمرو الشرقاوي، مركز تفكر.

(٩) «**مفسدات الإخوة**» لهشام عقدة، نشر دار الصفوة.

(١٠) «**منهجية ابن تيمية في التعامل مع المخالفين**»، سليمان الماجد، دار تكوين.

* ثم يُطالع طالب العلم الكتب التالية:

(١) «**الوابل الصيب**»، ابن القيم.

(٢) «**الداء والدواء**»، ابن القيم.

(٣) «**زاد المهاجر إلىٰ ربه**»، ابن القيم.

(٤) «**رسالة في شرح حديث ما ذئبان جائعان**»، ابن رجب الحنبلي، وللشيخ خالد السبت محاضرة بالعنوان نفسه فليستمع لها الطالب.

(٥) «**العبودية**»، ابن تيمية.

(٦) «**التحفة العراقية**»، ابن تيمية.

(٧) «**فقه القلوب**»، محمد إبراهيم التويجري، دار أصداء المجتمع.

(٨) «**الأخلاق الإسلامية**»، لعبد الرحمن حبنكة، نشر دار القلم.

(٩) «**فلسفة الإسلام في التربية**»، لماجد الكيلاني، نشر دار الفتح.

(١٠) «**منهج الإسلام في تزكية الأنفس**»، لأنس كرزون، دار ابن حزم.

ويستمع الطالب لمحاضرات الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي، والشيخ خالد السبت، في الرقاق وأعمال القلوب.

(٢)

عِلْمُ الْعَقِيدَةِ

علم العقيدة، أو التوحيد أو الإيمان، كلُّها أسماء لعلم واحد، والمفترض أن عناية هذا العلم من حيث الأصل هي بمباحث الإيمان المذكورة في حديث جبريل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فتعتني مباحث هذا العلم بشرح كل ركن من أركان الإيمان، والمسائل والأدلة المتعلقة بكل ركن.

ونظرًا للخلافات التي حصلت وانقسمت بسببها الاتجاهات في التراث الإسلامي انقسامًا يتعلق بفقه وفهم وتفسير كل اتجاه منها لأركان الإيمان ومسائلها = فقد كتب كل اتجاه وباحث وناظر ونافح عن رؤيته لقضايا هذا الباب، وعن التفسير والدلائل التي قدمها لصحة هذه الرؤية، الأمر الذي قاد لقيام علم الكلام، **وصار كل اتجاه يجادل عن نفسه نوعين من الجدل:**

الأول: جدل كلامي في مقابل الأديان غير الإسلام.

الثاني: جدل كلامي في مقابل الفرق والاتجاهات التي تشترك معه في أصل الوحي والرسالة، وفي عناوين أركان الإيمان، لكنَّها تعود لتخالفه في شيء يقل أو يكثر من مضامينها.

ونظرًا لاعتقادي أنَّ طريقة أهل الحديث هي أصح الطرق في تحرير تلك الأبواب، وأنَّها من حيث الواقع أقرب الطرق لِمَا تدلُّ عليه النصوص، ولِمَا كان عليه صحابة النبي ﷺ، وأنَّ الخلاف في تلك الأبواب كثير منه لا يسوغ، وإن أمكن إعذار المخالف فيها والشهادة له بإرادة الحق من جهة الله والرسول= فإنَّ مقرر ومنهج علم العقيدة في هذا الكتاب سيجري على وفق الكتب والمقررات التي تبسط هذه الطريقة وتنتصر لها في الجملة.

أَوَّلًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ بِطَرِيقَةِ الْمُتُونِ

* المرحلة الأولى:

يدرس فيها الطالب متنين لا بُدَّ من دراستهما معًا؛ لأنَّ أحدهما يُكمل الآخر.

المتن الأول: **«ثلاثة الأصول»**، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأرشح له بصفة أساسية شرح الشيخ ابن عثيمين، نشر دار الثريا.

١- **أوسع شروح المتن**: شرح الشيخ عبد الله الفوزان «**حصول المأمول**»، نشر مكتبة الرشد، وشرح: «**بلوغ المأمول**»، لعصام المصراتي المكي، نشر: دار اللؤلؤة.

٢- **من الشروح التي فيها فوائد زائدة**: شرح الشيخ محمد أمان الجامي، وشرح الشيخ صالح آل الشيخ.

٣- **ومن شروحه المختصرة**: حاشية عبد الرحمن بن قاسم النجدي رَحِمَهُ اللهُ.

٤- **يقرأ الطالب بعد نهاية المتن**: أي شرح من شروح رسالة «**القواعد الأربع**»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأحسن شروحها «**التعليق الممتع**»، لخالد الردادي، وشرح الشيخ ابن جبرين، لكن لا ينبغي أن يعتني الطالب بدراسة الشرح، بل يكتفي بالقراءة، ولو حفظ صيغة القواعد = يكون أحسن، خاصة وأنها مفيدة في فهم البناء الاستدلالي لمسائل التوحيد عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

المتن الثاني: **«لُمعة الاعتقاد»**، مع شرح الشيخ ابن عثيمين، الذي نشرته دار الوطن.

١- **أوسع شروح المتن**: شرح الشيخ عبد الرحمن المحمود، نشر دار الوطن،

وشرح فهد العدني «فتح رب العباد»، نشر: مؤسسة الريان: بيروت، وهو كثير الفوائد.

٢- **من الشروح التي فيها فوائد زائدة:** شرح الشيخ صالح آل الشيخ، ونبَّه فيه علىٰ المخالفات العقدية في المتن، وهو كذلك من الشروح المختصرة.

٣- **من الكتب المفيدة بعد مطالعة هذين المتنين: «المدخل المفيد إلىٰ علم التوحيد»**، نشر دار طيبة، أو «**طريق الهداية**» [اسم آخر للكتاب نفسه]، نشر دار اليسر بمصر، وهو للدكتور/ محمد يسري إبراهيم.

* تنبيه:

أنصح بأن يحفظ الطالب بعد هذين المتنين، وقبل دخول المرحلة الثانية كتاب: «**٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة**»؛ ليكون عنده محصول من أدلة الوحي علىٰ مسائل الاعتقاد، ولو اصطحب الكتاب معه أثناء المراحل يحفظ منه بالتدريج؛ دفعًا للملالة = فلا حرج.

* المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب أربعة متون جميعها لازمة، مع الحفاظ علىٰ هذا الترتيب:

المتن الأول: «**كتاب التوحيد**»، مع شرح الشيخ ابن عثيمين «**القول المفيد**»، نشر دار ابن الجوزي.

١- **أوسع شروح الكتاب وأشملها هو: «فتح الحميد»**، لعثمان بن قائد النجدي، نشر دار عالم الفوائد.

٢- **ومن الشروح المختصرة: «الشرح المختصر علىٰ كتاب التوحيد»**، للشيخ صالح الفوزان، وشرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «**قرة عيون الموحدين**»، طبعة دار المغني وأنصح بقراءته.

٣- **وأكثرها فوائد زوائد:** شرح الشيخ صالح آل الشيخ، وحاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٤- **وهناك شرحان الأول ميسر جدًّا، وهو: «الجديد شرح كتاب التوحيد»**

للقرعاوي، والثاني شرح في سؤال وجواب للشيخ الجار الله: **«الجامع المفيد»**، تنشره دار الصميعي، وهو مفيد.

٥- **ومن الشروح المشهورة للكتاب**: شرح عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، **وأصح طبعة لهذا الشرح**: «**فتح المجيد**»، هي طبعة دار عالم الفوائد.

٦- **أصح طبعة لشرح الشيخ سليمان بن عبد الله**: «**تيسير العزيز الحميد**»، هي طبعة دار الصميعي، والكتاب يحتاج لتحقيق جديد.

٧- **يقرأ الطالب بعد نهاية المتن**: أيَّ شرح لرسالة «**مسائل الجاهلية**»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن شروحها: «**شرح الألوسي**»، وشرح الشيخ صالح الفوزان نشر دار العاصمة.

المتن الثاني: «**كشف الشبهات**»، مع شرح الشيخ ابن عثيمين، نشر دار الثريا.

١- **أوسع شروح المتن**: شرح الشيخ محمد الهبدان، نشر دار طيبة.

٢- **وأكثرها فوائد زوائد**: شرح الشيخ صالح آل الشيخ.

٣- **أصح طبعة للمتن**: طبعة دار الوطن، بتحقيق محمد القحطاني.

٤- **ويقرأ الطالب**: رسالة «**نواقض الإسلام**»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرح الشيخ الفوزان نشر مكتبة الرشد، ولها شروح أخرىٰ منها شرح عبد العزيز الطريفي وهو مختصر ومفيد، ومنها شرح عبد العزيز الريس: «**الإلمام شرح نواقض الإسلام**»، وهو شرح كثير الفوائد، لكنَّه وقع فيه في أخطاء قد لا يدركها الطالب إذا قرأ الكتاب في هذه المرحلة.

٥- ويقرأ الطالب بعده: «**شبهات المبتدعة في توحيد العبادة**»، نشر: مكتبة الرشد، و«**ضوابط التكفير**»، لعبد الله القرني، و«**إشكالية الإعذار بالجهل في البحث الفقهي**»، سلطان العميري، نشر: مركز نماء.

المتن الثالث: «**العقيدة الواسطية**»، مع شرح الشيخ ابن عثيمين، الذي نشرته دار ابن الجوزي. ويستمع الطالب بعده للشرح الممتاز الذي ألقاه صوتيًا ومصورًا الدكتور سلطان العميري.

١- **أوسع شروح المتن**: شرح الشيخ زيد الفياض، وهو من منشورات المؤيد، وشرح الشيخ عبد العزيز السلمان.

٢- **وللشيخ ابن عثيمين** مذكرة مختصرة علىٰ الواسطية، نشرتها دار الوطن.

٣- **وأكثرها فوائد وزوائد**: شرح الشيخ صالح آل الشيخ، نشر دار العاصمة، وشرح الشيخ عبد العزيز الرشيد، طبعة العواصم، توزعه دار المؤيد، ويحتاج لتحقيق جديد.

٤- **ومن الشروح اللطيفة التي تصلح للمطالعة لفوائده وسلاسته واختصاره**: شرح في مجلد واحد للشيخ الغنيمان، نشر دار ابن الجوزي، ونشرت له نفس الدار شرحًا آخر في مجلدين.

٥- هناك شرح للشيخ خالد المصلح شَرَحَ فيه المتن بعبارات ابن تيمية، ونشرته دار ابن الجوزي، وهو مفيد في مواضع منه.

٦- **يقرأ الطالب بعد الانتهاء من «الواسطية»**: كتاب **«إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب»**، للشيخ وليد السعيدان، نشر: دار الأصحاب، وكتاب: **«معارج القبول»**، حافظ حكمي، نشر دار ابن الجوزي.

٧- **ثم يقرأ الطالب**: **«أصول المخالفين في الإيمان»**، عبد الله القرني، نشر: دار ابن الجوزي، و**«الخلاف العقدي في باب القدر»**، عبد الله القرني، نشر: مركز نماء.

٨- **ثم يقرأ الطالب**: كتاب **«الفتوىٰ الحموية»**، لشيخ الإسلام، بتعليق الشيخ عبد العزيز الراجحي، نشر دار التوحيد، أو شرح الشيخ صالح آل الشيخ، الذي نشرته دار الحجاز، ويضبط جيدًا تلخيصها للشيخ ابن عثيمين المسمىٰ: **«فتح رب البرية»**، وهو من منشورات الوطن وللشيخ ابن عثيمين شرح علىٰ هذا المختصر نشرته مؤسسة الشيخ.

٩- **ثم يقرأ بعد «الحموية»**: كتاب **«القواعد المثلىٰ»**، للشيخ ابن عثيمين، وله شرحان الأول للشيخ ابن عثيمين نفسه، نشرته مؤسسة الشيخ، **وشرح «المجلَّىٰ»**

لكاملة الكواري، نشرته دار ابن حزم، والمجلىٰ أفضل للدراسة لمن أراد دراسة الكتاب وعدم الاكتفاء بقراءته، ويُكتفىٰ بقراءة شرح ابن عثيمين لمن لن يدرس الكتاب.

١٠- ثم يقرأ الطالب: «تقريب التدمرية» للشيخ ابن عثيمين.

المتن الرابع: **«الرسالة التدمرية»**، بشرح فخر الدين المحسي، نشر مكتبة الرشد.

١- **وأوسع شروحها وأكثرها فوائد وزوائد:** شرح الشيخ عبد الرحمن البراك، نشر دار التدمرية.

٢- للكتاب شروح أخرىٰ منها شرح فالح آل مهدي، وشرح الدكتور أحمد العبد اللطيف.

٣- هناك كتاب مختصر بعنوان: **«الأسئلة المئوية علىٰ التدمرية»**، ولكن فيه قصور، وأرىٰ شرح فخر الدين يُغني عنه، والشرحان السابقان للبراك والمحسي يغنيان عن بقية الشروح عمومًا.

٤- هناك رسالة لطيفة في كشف بعض مشكلات **«التدمرية»**، للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف، نشرتها مكتبة الرشد.

٥- المتن يحتاج لمزيد خدمة، ولا يستقيم لطالب العلم دراسته وتوفيته حقَّه إلَّا إنْ كان معه شيخ متقن يساعده، وإذا كان قد درس شيئًا من مقدمات المنطق والفلسفة العربية، **لكن من الممكن دراسته في هذه المرحلة بشرح المحسي، ثم يرجع الطالب فيعود له بعد اكتمال أدواته.**

٦- إن شاء الطالب وكان لديه سعة من الوقت الذي يحتاج فيه لمسموعات = فليستمع الطالب -مع أو بعد هذه المرحلة- لجميع الشروح الصوتية العقدية للشيخ صالح آل الشيخ، مجرد استماع مع تدوين الفوائد المهمة.

٧- من المهم قبل الدخول في المرحلة الثالثة مطالعة كتاب: «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، عثمان حسن، نشر: مكتبة الرشد.

* المرحلة الثالثة:

يدرس فيها الطالب متنًا واحدًا وهو:

«العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز، ويدرسه الطالب بالطريقة الآتية لِزامًا:

أولًا: يدرس شرح الشيخ صالح آل الشيخ، الذي نشرته دار العاصمة.

ثانيًا: يدرس شرح الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميس، والذي شرح فيه شرح ابن أبي العز علىٰ الطحاوية دراسة متقنة، وقد نشرت هذا الشرح دار ابن الجوزي.

١- هناك عدة كتب اهتمت بإعادة ترتيب مباحث الطحاوية وشرحها، من أحسنها ترتيب الشيخ خالد فوزي المدرس بدار الحديث، لكن الكتاب قليل الانتشار، ويباع في مكتبة الفيصلية بمكة، ومن وجده؛ فليقرأه أكثر من مرة، ويُوجد كذلك ترتيب الدكتور صلاح الصاوي وهو أقل فائدة.

٢- للطحاوية شرح صوتي للشيخ عبد الله العجيري، لكنَّه لم يكتمل بعد، من الجيد الاستماع للمتوفر منه.

٣- **أصح طبعة لشرح الطحاوية لابن أبي العز**: هي طبعة مؤسسة الرسالة.

٤- **من الكتب المفيدة إذا تمت مطالعتها بعد هذا المتن أو معه**: «دعاوىٰ المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية»، لعبد الله الغصن، نشر دار ابن الجوزي.

٥- **من الكتب المفيدة لمطالعتها**: كتاب: «الإيمان عند السلف»، محمد محمود آل خضير، نشر: مكتبة الرشد.

٦- **يستمع الطالب** -مع أو بعد هذه المرحلة- لجميع الشروح والمحاضرات الصوتية العقدية للشيخ يوسف الغفيص، مع تدوين الفوائد المهمة.

ثَانِيًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ بِطَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيةِ(١)

* المرحلة الأولى:

يدرس فيها طالب العلم واحدًا من الكتب الثلاثة الآتية:

(١) «**تطهير الجنان**»، نشر أضواء السلف.

(٢) «**منهاج الفرقة الناجية**»، لمحمد جميل زينو، نشر دار الصحابة.

(٣) «**تهذيب تسهيل العقيدة**»، عبد الله الجبرين، نشر مكتبة مكة. وأرشح هذا الكتاب الأخير.

* المرحلة الثانية:

يدرس فيها طالب العلم واحدًا من الكتب الثلاثة الآتية:

(١) «**الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد**»، للشيخ صالح الفوزان.

(٢) «**الوجيز في عقيدة السلف الصالح**»، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، دار الراية.

(٣) «**المفيد في مهمات التوحيد**»، عبد القادر صوفي، مكتبة أضواء السلف، وأرشح الإرشاد للدراسة، وأرشح قراءة الكتابين الأخيرين بعده؛ ففي كل منهما فوائد كثيرة.

---

(١) الكتب والصوتيات التي أذكر أنَّها تُطالَع مع المراحل: أذكرها مرة واحدة عند ذكر دراسة العلم بطريقة المتون؛ فليستحضرها من سيدرس بطريقة الكتب المدرسية؛ ليقرأها في موضعها، فيقرأ مثلًا «**معارج القبول**» أثناء أو بعد انتهائه من المرحلة الثانية من الكتب المدرسية، وفي المرحلة الثالثة يستمع لشروح الغفيص.

ثم لا بُدَّ لإكمال هذه المرحلة من دراسة «كشف الشبهات»، وشروحه، و«التدمرية» وشروحها، مع الملحقات التي ذكرتها للقراءة بعد الشروح آنفًا، ولا أعلم في الكتب المدرسية ما يُغني عنهما.

* المرحلة الثالثة:

ولا يوجد في الكتب المدرسية أيضًا ما يُغني عن الطحاوية.

وهذه حقيقة ملفتة في علم العقيدة وبعض العلوم الأخرىٰ، وهي أنَّه لا توجد كتابات معاصرة تتخطىٰ مرحلة المبتدئين.

لكن يُمكن لطالب العلم الذي يميل للكتب المدرسية أن يدرس أحد الكتب التي اعتنت بتهذيب وترتيب الطحاوية، والتي ذكرناها عندما أوردنا الكلام عن الطحاوية في قسم المتون، وفي النية بإذن الله كتابة كتاب مدرسي موسع ومفصل المباحث يُدرس في هذه المرحلة.

ثالثًا: قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

* **الْمِحْوَرُ الْأَوَّلُ**: مطالعة الأبحاث المعاصرة التالية:

أولًا: في منهج الاستدلال:

(١) **«منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد»**، عثمان حسن، مكتبة الرشد.

(٢) **«موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسُّنة»**، سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة.

(٣) **«مسالك أهل السنة فيما أُشكل من نصوص العقيدة»**، عبد الرزاق معاش، دار ابن عفان.

(٤) **«أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين»**، سليمان الدبيخي، دار المنهاج.

(٥) **«أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها الإشكال في الصحيحين»**، سليمان الدبيخي، دار المنهاج.

(٦) **«آيات العقيدة التي قد يوهم ظاهرها التعارض»**، خالد الدميجي، وحياة المحمادي وحنان العمري، دار الفضيلة.

(٧) **«منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل»**، لجابر إدريس، دار أضواء السلف.

(٨) **«وسطية أهل السنة والجماعة»**، لمحمد باكريم، دار طيبة.

(٩) **«تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة»**، عفاف مختار، مكتبة الرشد.

(١٠) **«العقائدية»**، ياسر المطرفي، مركز نماء للبحوث والدراسات.

ثانيًا: في حقيقة الإيمان والكفر:

(١) «**الإيمان عند السلف**»، محمد محمود آل خضير، مكتبة الرشد.

(٢) «**نواقض الإيمان الاعتقادية**»، لمحمد بن عبد الله الوهيبي، دار المسلم.

(٣) «**نواقض الإيمان القولية والعملية**»، لعبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن.

(٤) «**ضوابط التكفير**»، للقرني، دار عالم الفوائد/ مركز تكوين.

(٥) «**منهج ابن تيمية في مسألة التكفير**»، لعبد المجيد المشعبي، دار أضواء السلف.

(٦) «**ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**»، لسفر الحوالي، مكتبة الطيب.

(٧) «**إشكالية الإعذار بالجهل في البحث الفقهي**»، سلطان العميري، مركز نماء للبحوث والدراسات.

(٨) «**الجهل بمسائل الاعتقاد وأحكامه**»، لعبد الرزاق معاش، دار الوطن.

(٩) «**عارض الجهل**»، لأبي العلا راشد، مكتبة الراشد، وهذا الكتاب يُمثِّل رؤية مخالفة للرؤية التي في الكتابين السابقين.

(١٠) «**الحكم بغير ما أنزل الله**»، لبندر العتيبي، نشر دار الفرقان، وهذا الكتاب أجاد جدًّا في تقسيم المسألة، والرؤية التي فيه مخالفة للرؤية التي في الكتاب التالي.

(١١) «**الحكم بغير ما أنزل الله**»، لعبد الرحمن المحمود، دار طيبة.

(١٢) «**الولاء والبراء**»، محمد سعيد القحطاني، دار طيبة.

(١٣) «**الولاء والبراء**»، حاتم بن عارف العوني، طبعة دار الصميعي، وهناك نسخة موسعة من الكتاب علىٰ موقع المؤلف.

(١٤) «**سبيل النجاة في حكم تارك الصلاة**»، لأبي الحسن المأربي، دار الفضيلة.

ثالثًا: في مسائل التوحيد والشرك:

(١) «**حقيقة التوحيد بين أهل السنة، والأشاعرة**»، خالد حمزة، دار الغرباء الأثرية.

(٢) «**حقيقة التوحيد بين أهل السنة، والمتكلمين**»، عبد الرحيم صمايل السلمي، مركز التأصيل.

(٣) «**منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد**»، إبراهيم البريكان، دار ابن عفان.

(٤) «**الشرك في القديم والحديث**»، أبو بكر زكريا، مكتبة الرشد.

(٥) «**الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم**»، المرابط الشنقيطي، دار الفضيلة.

(٦) «**جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**»، شمس الحق الأفغاني، دار الصميعي.

(٧) «**جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة**»، عبد الله العنقري، دار التوحيد بالرياض.

رابعًا: في الأسماء والصفات:

(١) «**معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنىٰ**»، محمد خليفة التميمي، دار أضواء السلف.

(٢) «**النهج الأسمىٰ شرح أسماء الله الحسنىٰ**»، محمد الحمود النجدي، دار الإمام الذهبي بالكويت.

(٣) «**صفات الله ﷻ**»، علوي السقاف، نشر دار ابن عفان.

(٤) «**القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف**»، إبراهيم البريكان، دار ابن عفان.

(٥) «**الأصول التي بنىٰ عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات**»، عبد القادر صوفي، دار أضواء السلف. وهو كتاب مهم.

(٦) «**جناية التأويل الفاسد**»، محمد لوح، دار ابن عفان. وهو كتاب مهم.

(٧) «**النفي في باب الصفات**»، أرزقي سعيداني، دار المنهاج بالرياض.

(٨) «**التسبيح في الكتاب والسنة**»، محمد إسحاق كندو، دار المنهاج بالرياض.

(٩) «**جهود الإمام ابن القيم في توحيد الأسماء والصفات**»، وليد العلي، دار البشائر الإسلامية.

خامسًا: باقي مسائل الإيمان وملحقاتها:

(١) «**العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**»، عمر الأشقر، دار النفائس، وهو كتاب ممتاز لو قرأه الطالب بالتوازي مع المرحلة الثانية سيكون ممتازًا.

(٢) «**الملائكة المقربون**»، لمحمد العقيلي، دار أضواء السلف.

(٣) «**أشراط الساعة**»، ليوسف الوابل، دار ابن الجوزي.

(٤) «**المهدي وفقه أشراط الساعة**»، لمحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية بالإسكندرية.

(٥) «**موقف المسلم من الفتن**»، لحسين الحازمي، دار أضواء السلف.

(٦) «**القضاء والقدر**»، عبد الرحمن المحمود، دار طيبة.

(٧) «**القضاء والقدر**»، فاروق الدسوقي، دار الفضيلة بمصر.

(٨) «**عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة**»، ناصر بن علي الشيخ؛ مكتبة الرشد.

(٩) «**حقيقة البدعة وأحكامها**»، سعيد الغامدي، مكتبة الرشد.

(١٠) «**موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع**»، إبراهيم الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم.

(١١) «**معاملة المبتدع**»، الشريف حاتم العوني، دار الصميعي.

سادسًا: الْفِرَق والجماعات:

(١) «**دراسة في الأهواء والفرق والبدع**»، ناصر العقل، دار الوطن، طبعة أخرىٰ لدار إشبيليا.

(٢) «**موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة**»، صالح الغامدي، دار المعارف بالرياض.

(٣) «**مقالة التعطيل**»، محمد خليفة التميمي، دار أضواء السلف.

(٤) «**مقالات الجهم بن صفوان**»، ياسر قاضي، دار: أضواء السلف.

(٥) «**المعتزلة**»، عواد المعتق، مكتبة الرشد.

(٦) «**موقف ابن تيمية من الأشاعرة**»، عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد.

(٧) «**الماتريدية**»، أحمد الحربي، دار الصميعي.

(٨) «**آراء الكُلَّابية العقائدية**»، هدىٰ بنت ناصر الشلالي مكتبة الرشد.

(٩) «**مقالة التشبيه**»، جابر إدريس، أضواء السلف.

(١٠) «**مذهب أهل التفويض**»، أحمد القاضي، دار العاصمة.

(١١) «**مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية**»، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد.

(١٢) «**الفكر الصوفي**»، عبد الرحمن عبد الخالق، دار الحرمين.

(١٣) «**فلسفة الفكر الصوفي**»، لعبد القادر محمود.

(١٤) «**أصول مذهب الشيعة**»، ناصر القفاري، دار الرضا.

(١٥) «**مسألة التقريب بين السنة والشيعة**»، ناصر القفاري، دار طيبة.

(١٦) «**الخوارج**»، غالب عواجي، مكتبة لينا بمصر.

(١٧) «**مشكلة الغلو في الدين**»، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة.

(١٨) «**فتنة التفجيرات والاغتيالات**»، أبو الحسن المأربي، دار الكيان.

(١٩) «**العلمانية**»، سفر الحوالي، مكتب الطيب.

(٢٠) «**الانحرافات العقدية في أدب الحداثة**»، سعيد الغامدي، دار الأندلس الخضراء.

(٢١) «**الاتجاهات العقلانية الحديثة**»، ناصر العقل، دار الفضيلة.

(٢٢) «**الديانات القديمة**»، لأبي زهرة، دار الفكر العربي.

(٢٣) «**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**»، سعود الخلف، دار أضواء السلف.

(٢٤) «**مصادر النصرانية**»، عبد الرزاق آلارو، دار التوحيد: الرياض.

(٢٥) «**التقريب بين الأديان**»، أحمد القاضي، دار ابن الجوزي.

(٢٦) «**مذاهب فكرية معاصرة**»، محمد قطب، دار الشروق.

(٢٧) «**مذاهب الإسلاميين**»، لعبد الرحمن بدوي.

* **الْمِحْوَرُ الثَّانِي**: **ترتيب كتب الاعتقاد ترتيبًا زمنيًّا من عصر الإمام أحمد، وحتى أئمة الدعوة النجدية، ومطالعتها مُطالعةً واعية ناقدة**:

وهذه قائمة بالمهم منها:

(١) «**كتاب السُّنَّة**»، لعبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار رمادىٰ.

(٢) «**كتاب السُّنَّة**»، لأبي بكر بن يزيد الخلال، تحقيق عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية.

(٣) «**كتاب السُّنَّة**»، للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي.

(٤) «**كتاب السُّنَّة**»، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الله البصيري، دار العاصمة.

(٥) «**شرح السُّنَّة**»، للإمام البربهاري، تحقيق عبد الرحمن الجميزي، دار المنهاج، وشرحها الشيخ عمرو عبد المنعم، دار ابن عفان وللشيخ الفوزان مكتبة الرشد.

(٦) «**شرح السُّنَّة**»، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

(٧) «**أصول السنة**»، للإمام ابن أبي زمنين الأندلسي، عبد الله بن البخاري، دار الغرباء الأثرية.

(٨) «**كتاب الرؤية**»، للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، بتحقيق إبراهيم العلي وصاحبه، دار المنار.

(٩) «**كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ**»، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة نشر دار الآثار أو العلوم والحكم.

(١٠) «**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة**»، لأبي عبد الله بن بطة العُكبري الحنبلي، بتحقيق مجموعة من طلبة العلم، دار الراية.

(١١) «**اعتقاد أئمة الحديث**»، للإمام أبي بكر الإسماعيلي، بتحقيق محمد الخميس، دار إيلاف.

(١٢) «**عقيدة السلف أصحاب الحديث**»، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، بتحقيق ناصر الجديع، دار العاصمة.

(١٣) «**شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**»، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي، بتحقيق نشأت كمال، المكتبة الإسلامية.

(١٤) «**الاعتقاد والهداية**»، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بتحقيق أحمد أبي العينين، دار الفضيلة. مع التنبه لإشكاليات معتقد البيهقي رَحِمَهُ اللهُ.

(١٥) «**المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ**»، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بتحقيق ضياء الرحمن الأعظمي، دار أضواء السلف.

(١٦) «**البدع والنهي عنها**»، ابن وضَّاح القرطبي، بتحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية.

(١٧) «**الحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السُّنَّة**»، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني، بتحقيق محمد أبو رحيم، ومحمد ربيع المدخلي، دار الراية.

(١٨) «**كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته**»، الإمام محمد بن إسحاق بن منده، بتحقيق علىٰ ناصر الفقيهي، دار العلوم والحكم.

(١٩) «**كتاب الإيمان**»، الإمام محمد بن إسحاق بن منده، بتحقيق علي ناصر الفقيهي، دار العلوم والحكم.

(٢٠) «**كتاب الإيمان**»، الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، بتحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.

(٢١) «**كتاب الإيمان**»، للحافظ أبو بكر محمد بن أبي شيبة، بتحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.

(٢٢) مطالعة مجلدات الاعتقاد من الدرر السنية جمع عبد الرحمن بن قاسم.

(٢٣) «**المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة**»، الدكتور عبد الإله الأحمدي، دار طيبة.

(٢٤) «**الرد علىٰ الجهمية**»، الإمام الحافظ ابن منده، بتحقيق علي ناصر الفقيهي، مكتبة الرشد.

(٢٥) «**الرد علىٰ الجهمية والزنادقة**»، الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق دغش العجمي، دار غراس.

(٢٦) «**خلق أفعال العباد والرد علىٰ الجهمية وأصحاب التعطيل**»، الإمام البخاري بتحقيق الفهيد، دار أطلس الخضراء.

(٢٧) «**العُلو للعلي العظيم، وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها**»، بتحقيق عبد البراك، دار الوطن.

(٢٨) «**منهاج السنة النبوية**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم، تصوير مكتبة ابن تيمية.

(٢٩) «**درء تعارض العقل والنقل**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق محمد رشاد سالم، تصوير دار الفاروق.

(٣٠) «**بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة وأهل الإلحاد**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق موسىٰ الدويش، مكتبة العلوم والحكم.

(٣١) «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق ناصر العقل، دار العاصمة.

(٣٢) «**الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول**»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق مجموعة من طلبة العلم، دار رمادىٰ للنشر.

(٣٣) «**مجموعة الفتاوىٰ**»، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، النسخة التي في (٣٧ مجلدًا)، خاصة المجلدات الثمانية الأولىٰ.

(٣٤) «**الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة**»، ابن القيم، بتحقيق علي الدخيل، دار العاصمة.

(٣٥) «**اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**»، لابن القيم، بتحقيق زائد النشيري، مكتبة عالم الفوائد.

(٣٦) «**بيان تلبيس الجهمية**»، ابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد.

(٣٧) «**الدرر السنية في فتاوىٰ أئمة الدعوة النجدية**»، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي، نشر: دار القاسم.

المستوى الرابع

دراسة التراث التيمي وعلم الكلام والفلسفة[(١)]

يمكن أن يبدأ الطالب هذه المستوى المعادل للراسات العليا التخصصية= بالتوازي مع المتبقي له من قائمة القراءة أو بعدها، والغرض من هذا المستوىٰ الرابع أمران:

أولًا: تعميق للفكر العقدي بعامة، بحيث يتجاوز الطالب والقارئ مستوىٰ تصور الاعتقاد السلفي، سواء أكان تقريرًا أو جدلًا، من خلال الكتب السلفية، إلىٰ معرفة الملامح العامة وكثير من التفاصيل المتعلقة بالسجال الكلامي للفرق المختلفة، وأهم المشاكل الكلامية والفلسفية التي عالجها المسلمون.

ثانيًا: أن يكون ذلك المستوىٰ ممهدًا، ومتيحًا، ومعظمًا من الفائدة المتوخاة من الاطلاع علىٰ تراث شيخ الإسلام العقدي والكلامي والفلسفي.

ولكن لماذا الربط بابن تيمية؟

السبب في ذلك واضح من وجوه مختلفة؛ فلأنَّه الذروة في اعتقاد أهل الحديث، تحقيقًا وتدليلًا وجدلًا ونقدًا ونقضًا. ولأنَّه العَلم السني الوحيد الذي استوعب تلك المدارس الكلامية والفلسفية والصوفية في أبحاثه وفتاويه؛ بحيث يمكن تقسيم تلك الأبحاث وجمهرة مسائلها عليه، مع معرفة تعقيباته النقدية وردوده عليها، وهي الردود التي تُمثِّل الخطاب العام للسلفية تجاه هذه الإشكالات والبدع حتىٰ عصرنا الحاضر.

ومن أجل أن يحقق هذا المستوى، الذي طال الاحتياج إليه والسؤال عنه؛

---

(١) تكرم بوضعها خصيصًا لكتابنا: الشيخ عمرو بسيوني.

هدفه: ينبغي أن يكون الطالب قد أتم دراسة المراحل الثلاث السابقة في العقيدة، وأن يكون قرأ قائمتي القراءة المدرجتين فيه، وأن يكون علىٰ علم بالمنطق القديم، بأن يكون أنهىٰ المرحلة الأولىٰ منه علىٰ الأقل.

أمَّا **الخطة** التي سينتظم من خلالها هذا التصور، فهو يمر عبر أربع مراحل، اثنتان أساسيتان، واثنتان اختياريتان -لأنَّهما بمثابة مستوىٰ خامس-.

المرحلة الأولى: دراسة ممهدة لمسائل علم الكلام والفلسفة الإسلامية الكلاسيكية، من حيث الملامح والآراء والاتجاهات، وقد راعينا فيه التدرج، من حيث المضامين، ومن حيث الأسلوب ووضوحه، من الكتابات المعاصرة الميسرة -باختلاف مستوياتها دقة وعمقًا أيضًا- وصولًا للاقتراب من النص الفلسفي شبه الكلاسيكي من حيث الأسلوب واللغة. والغرض من هذه المرحلة أن يتمكَّن الطالب في هذا المجال أولًا، وأن يتأهَّل لقراءة شيخ الإسلام، حيث إنَّ الغالب الأعم من كتابات الشيخ نقدي، بما يفترض أن يكون القارئ علىٰ علم مسبق بالموضوع، وهذا هو السبب الذي يعيق كثيرًا من طلبة العلم عن فهم كلام الشيخ أو الانتفاع به علىٰ أكمل وجه. وقد اعتمدنا في هذه المرحلة علىٰ قوائم قراءة مركزة.

المرحلة الثانية: الدراسة الموضوعية لتراث ابن تيمية العقدي: وفيه عرضنا لابن تيمية، كشخص، وكموضوعات عقدية، بطريقة الجمع بين الدراسات المعاصرة، التي نستعملها كممهدات جزئية موضوعية للقضايا التي نوزع عليها تراث شيخ الإسلام، مع تراث شيخ الإسلام، وذلك بأن نورد بعض الكتب المتعلقة بالموضوع بخصوصه، سواء تعلُّقًا عامًّا، أو بتراث ابن تيمية فيه، والتي تصلح في الحالتين لتيسير كلامه -وقد يتكرر بعضها مع ما سبق في قائمة القراءة الخاصة بالمرحلة الثالثة للعقيدة المشار إليها، فمن كان مستحضرًا إيَّاها علىٰ نحو جيِّدٍ، فيكفيه المرور عليها جردًا ومراجعة-؛ ثم نُورد التراث التيمي المتعلق بتلك المسألة مرتَّبا ترتيبًا موضوعيًّا شرحناه في موضعه.

المرحلة الثالثة: وهي منهج لدراسة علم الكلام، دراسة نصية.

المرحلة الرابعة: وهي منهج لدراسة الفلسفة الإسلامية، دراسة نصية.

أولًا: المرحلة الأولىٰ: ممهدات قراءة التراث التيمي:

سنركز الدراسة فيها علىٰ خمس مستويات، يتضمن كل مستوىٰ عدة كتب، مختارة موضوعيًّا، ومرتبة وظيفيًّا، وراعينا أن تكون متاحة، حتىٰ لا يعوَّق الباحث عن استكمال منهجه[1]، وقد قسمنا هذه المرحلة علىٰ مستويات خمسة:

*** المستوىٰ الأول:**

(١) «**علم الكلام وبعض مشكلاته**»، أبو الوفا التفتازاني، دار الثقافة. ويتصور من خلاله المباحث والمشكلات الكلامية وتطورها والآراء العامة حولها.

(٢) «**في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين**»، (ثلاثة أجزاء)، (المعتزلة، الأشاعرة، الزيدية)، أحمد صبحي، دار النهضة العربية. ويدرس فيه الآراء الكلامية للفرق الأساسية حول موضوعات علم الكلام الكبرىٰ[2].

*** المستوىٰ الثاني:**

(١) «**دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية**»، يحيىٰ هويدي، (٢٠٠٢م)، دار الثقافة.

(٢) «**فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية**»، محمد صالح الزركان، دار الفكر.

(٣) «**الآمدي وآراؤه الكلامية**»، حسن الشافعي، (٢٠١٣ م)، دار السلام.

(٤) «**ناصر الدين البيضاوي وآراؤه الكلامية والفلسفية**»، **حمودة السعفي، (٢٠٠٥ م)، المكتبة الأزهرية للتراث.**

---

(١) علىٰ أنَّنا نُنبِّه أنَّ ما كان من الكتب يحتمل عدم وجوده في بعض الأماكن أو الظروف؛ فإنَّه يمكن تجاوزه، ولكن غالب الكتب متاح في الإنترنت، إلَّا شيئًا قليلًا وهو متاح لبيع.

(٢) وقريب منه: «**مذاهب الإسلاميين**»، لعبد الرحمن بدوي، وللاختصار: «**المذاهب الإسلامية**»، لأبي زهرة. ومن الملاحظ أنَّ جميع تلك الكتابات تتضمن آراء غير دقيقة من ناحية التصور للآراء المختلفة، ومن ناحية النزعات النقدية التي يصدر فيها كل واحد من هؤلاء من قناعاته المختلفة، ولكن المقصود هنا هو حصول التصور لدىٰ القارئ لتلك المذاهب، ومعرفة أهم أعلامها ومصادرها واصطلاحاتها.

وهذه الشخصيات الثلاث هي الشخصيات المركزية في التصنيف الكلامي الأشعري المتأخر، ما قبل المدرسي، الكلامي الفلسفي، ومن خلال معرفة آرائهم الكلامية، وسجالهم مع المدارس الكلامية والفلسفية؛ ستتعمق معرفة الطالب بهذه المباحث، كما أنَّه سيقف علىٰ مناح نقدية مبكرة لهم، والتي سيجد كثيرًا منها معتمدًا علىٰ ابن تيمية بطبيعة الحال.

(٥) «**كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام**»، دي بور، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة.

أو: «**تاريخ الفلسفة الإسلامية**»، هنري كوربان، ترجمة: نصير مروة، حسن قبيسي، عويدات[1].

* المستوىٰ الثالث:

(١) «**المدخل إلىٰ دراسة علم الكلام**»، حسن الشافعي، مكتبة وهبة. وهو كتاب نفيس دقيق، وبه يكون الطالب قد بدأ الرسوخ في تلك المباحث، ومن محاسنه أنَّه مكتوب باعتباره كتابًا دراسيًّا.

(٢) «**فلسفة المتكلمين**»، (جزآن)، هاري. أ. ولفسون، ترجمة: مصطفىٰ لبيب عبد الغني، (٢٠٠٩ م)، المشروع القومي للترجمة. وهو موسوعة مهمة، جامعة بين التدقيق في البحث الكلامي، مع الحفر في أصول تلك الأقوال الكلامية، وبخاصة عند أهل الكتاب، مع وجود الطابع الاستشراقي المتوسع في ذلك بطبيعة الحال.

(٣) «**صناعة التفكير العقدي**»، مجموعة، مركز تكوين. وفيه بحوث غالبها جيد، تتعلَّق بأنواع البحث العقدي منهجيًّا، والبحث الأخير منها المتعلق بالجدل يمكن ألَّا يقرأ في تلك المرحلة.

---

(١) أحدهما يغني عن الآخر، لكنَّنا نفضل الأول من جهتين: (موضوعية): وهي أنَّ دي بور أكثر حيادية في كتابته وتأريخه، أمَّا كوربان؛ فإنَّ خلفيته الفلسفية - ويعتبر نفسه فيلسوفًا - والشيعية تجعله يقرأ بعين الفيلسوف، وتأريخ الفيلسوف قد يكون ضرره بالغًا في كثير من الأحيان. (وجهة خارجية): وهي أنَّ تعليقات أبي ريدة علىٰ الكتاب نفيسة ومهمة ومكملة لكثير من مباحثه ومرشدة لكثير من المراجع والدراسات المتعلقة بموضوعاته.

* المستوىٰ الرابع:

(١) «**دراسات في تاريخ علم الكلام**»، رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) «**أصول الاجتهاد الكلامي**»، حسين أحمد الخشن، (٢٠١٥ م)، المركز الإسلامي الثقافي[(١)].

(٣) «**الكلام في التوحيد**»، (جذور المسألة، وروافدها، وتطور الجدل فيها بين أهم الفرق الإسلامية إلىٰ القرن الخامس الهجري)، الحبيب عياد، دار المدار الإسلامي[(٢)].

(٤) «**الوجود والمعرفة عند ابن سينا وابن رشد**»، سلمان عودة، (٢٠٠٤ م)، دار شموع الثقافة.

* المستوىٰ الخامس:

(١) «**مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية**»، (دراسة مقارنة في فكر ابن سينا)، منىٰ أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر[(٣)].

(٢) «**حوار بين الفلاسفة والمتكلمين**»، حسام محيي الدين الألوسي، المؤسسة العربية للنشر.

(٣) «**صدر الدين الشيرازي، وموقفه النقدي من المذاهب الكلامية**»، جميلة محي الدين البشتي، دار العلوم العربية (بيروت). والكتابان السابقان يُغني أحدهما عن الآخر، إن توفَّر عليه القارئ دون غيره؛ لقرب موضوعهما، وإن كان الأول

---

(١) المؤلف شيعي تنويري. والكتاب يتسم بعرض تاريخي وموضوعي، وتقعيدي جيد لعلم الكلام، وهذا مجال قليل الكتابة، هو والقواعد الفلسفية، ولذلك آثرنا أن يقرأه الطالب.

(٢) مع النزعة التنويرية أو العلمانية الواضحة للكاتب؛ إلَّا أنَّ هذا الكتاب يُعدُّ أعمق الدراسات في موضوعه، من حيث المقارنة والجمع والتحليل، مع الإشكالات الناتجة عن اتجاه الكاتب بطبيعة الحال.

(٣) رغم عنوان هذا الكتاب الذي قد لا يعبر عن مضمونه؛ إلَّا أنَّه غاية في الأهمية في بحث المسائل الأساسية من الإلهيات وما إليها: في الإطار الفلسفي، مع المقارنة بالاتجاهات الكلامية، فهو كتاب ميسر ونفيس في آن.

أعم من الثاني، ويركز علىٰ مرحلة تاريخية أسبق من الثاني، إلَّا أنَّ انتقادات الصدر غالبها نابع من التصور السيناوي الممتزج ببعض الإشراق.

(٤) «**تهذيب شرح السنوسية أم البراهين**»، ويليه متن أم البراهين، سعيد فودة، (١٩٩٨ م)، دار البيارق، (بيروت).

(٥) «**دروس في الفلسفة الإسلامية**»، (شرح توضيحي لكتاب بداية الحكمة)، عبد الجبار الرفاعي، مؤسسة الهدى.

وبهذا يكون القارئ قد بدأ يقرأ متنًا كلاميًّا، ثم فلسفيًّا موضوعيًّا، وليس دراسة عن الفلسفة أو الكلام. وقد اخترنا الكتاب الأخير كخاتمة لتلك الكتب لأجل ذلك الغرض، فهو أولًا سهل الأسلوب إلىٰ حدٍّ كبير، من حيث أصله «**بداية الحكمة**»، لمحمد حسين الطباطبائي، وهو فيلسوف شيعي، وهو كتاب مقرر في كثير من الحوزات الشيعية في مادة الفلسفة للمبتدئين، ومن حيث شرحه الذي يسره عبد الجبار الرفاعي كثيرًا، ومن حيث طبيعة نصه، فهو في جملته فلسفة مشائية، سينوية كلاسيكية، مع بعض التأثر العرفاني الإشراقي التابع لِمَا يُعرف بمدرسة الحكمة المتعالية التي دشَّنها صدر المتألهين الشيرازي، متأثرًا بمباني الإشراق. وبذلك يكون جامعًا لأغلب الأهداف التي نتوخَّاها، من حيث تدريب الطالب علىٰ معالجة نص فلسفي، ومن حيث الوقوف علىٰ تلك المضامين الفلسفية، وهو يسير علىٰ الطريقة الفلسفية لا الكلامية من حيث تقريره للوجود بالمعنىٰ العام، والإلهي بالمعنىٰ الخاص.

وبذلك يكون الطالب أو القارئ قد تأهَّل للاستعراض الموضوعي للمسائل الكلامية والفلسفية عبر تراث شيخ الإسلام ابن تيمية النقدي والتأسيسي.

المرحلة الثانية: القراءة التيمية:

وهي مرحلة القراءة التيمية وممهداتها الموضعية. ونقسمه إلىٰ **تمهيد، وترتيب موضوعي.**

التمهيد:

ونذكر فيه مسردًا بكتب عامة، تعرف بابن تيمية: كسيرة، وكاتجاه علمي عام، ثم سنرجع بذكر بعض الكتب المتعلقة باتجاهاته ومنهجه الخاص في معالجات

بعض الموضوعات كتمهيد داخلي في الترتيب الموضوعي اللاحق لتراثه.

يقرأ الطالب في ذلك التمهيد الكتب الآتية بالترتيب، مع الملاحظة السابقة أنَّها تتفاوت من حيث صحة التصور لابن تيمية وبعض آرائه، وهو الأمر الذي سيستجليه القارئ بنفسه حين يخوض في البحث الموضوعي[1]:

(١) «**شيخ الإسلام ابن تيمية**»، عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) «**سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، وحكاياته مع أبناء زمانه**»، إسلام العبادي، دار ابن كثير، (عمّان).

(٣) «**ابن تيمية: حياته وعصره وآراؤه وفقهه**»، أبو زهرة، دار الفكر العربي.

(٤) «**الجامع في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون**»، محمد عزير شمس، علي العمران، مع تكملته لعلي العمران في جزء آخر، دار عالم الفوائد. وهو مهم إلىٰ الغاية من ناحية التراجم التراثية لابن تيمية، وتصنيفه الموضوعي في الفهرس نفيس.

(٥) «**السيرة الذاتية لشيخ الإسلام ابن تيمية**»، يوسف أحمد البدوي، دار الحامد للنشر والتوزيع.

(٦) «**الدور السياسي لشيخ الإسلام ابن تيمية**»، آمال حامد زيان غانم، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: (١١٢).

(٧) «**ابن تيمية وإسلامية المعرفة**»، طه جابر علواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وهو كتاب صغير فيه ملامح عامة عن منهج ابن تيمية وموقفه من المخالفين.

(٨) «**ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره**»، محمد حربي، (١٩٨٧ م)، عالم الكتب.

(٩) «**أصول الإسلام ونظمه في السياسة والاجتماع عند شيخ الإسلام**

---

(١) نكرر الملاحظة السابقة حول إمكان عدم توفر بعض تلك الكتب، وإن كان غالبها متاحًا في الإنترنت.

ابن تيمية»، هنري لاووست، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (١٩٧٩ م)، دار الدعوة، الإسكندرية.

(١٠) «**النظرية السياسية عند ابن تيمية**»، حسن كوناكاتا، دار الأخلاء.

وإن كان البحث السياسي ليس متعلقنا الأساسي، ولكن هذان الكتابان -وهما مكملان لبعضهما- يعطيان تصورًا مهمًّا عن الشيخ من الناحية العلمية والعملية، بما يعمق من القراءة اللاحقة له.

وفيما يتعلق بالببليوغرافيا الخاصة بابن تيمية وبمؤلفاته، فمن أيسرها:

(١) «**شيخ الإسلام ابن تيمية: ببليوجرافية بآثاره وما كتب عنه**»، أمين سليمان سيدو، مجلة الدرعية، العدد: (٣٦).

(٢) «**قائمة بمؤلفات ابن تيمية المطبوعة**»، عبد السلام الحصين[1]، وكذا كتاب ابن رشيق: «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام»، الذي طبع منسوبًا لابن القيم، بتحقيق: صلاح الدين المنجد، وهو موجود ضمن الجامع لعزير شمس والعمران.

وفي تلك المرحلة التمهيدية: ينبغي أن يستصحب القارئ -والأفضل أن يقرأ- بعض المعاجم والدراسات الميسرة للاصطلاحات الكلامية الكلاسيكية، والمفترض أن يكون قد تصوَّرها في المرحلة الأولى.

وأهم هذه الكتب:

(١) «**التعريفات الاعتقادية**»، سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، (٢٠٠٢م)، دار الوطن، (السعودية).

(٢) «**معجم ألفاظ العقيدة**»، عامر بن عبد الله فالح، مكتبة العبيكان.

(٣) «**الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية**»، آمال بنت عبد العزيز العمرو، جامعة الإمام. وهو متاح في الشاملة. وهو نفيس ومرتب ترتيبًا حسنًا، وفيه فصل بين تداول المصطلح الكلامي، أو الفلسفي في سياق المتكلمين والفلاسفة، وفي سياق أهل السنة، وهو يعتمد فيه علىٰ ابن تيمية اعتمادًا مركزيًّا.

---

(١) علىٰ موقعه، علىٰ الرابط:

http://t-elm.net/almoshref/play.php?catsmktba = 90

(٤) «**مصطلحات في كتب العقائد**»، دراسة وتحليل، محمد بن إبراهيم الحمد، (٢٠٠٦ م)، دار ابن خزيمة، (الرياض).

ويرجع إلىٰ كتاب: «المسائل العقدية التي حكىٰ فيها ابن تيمية الإجماع»، مجموعة، التدمرية. عند الحاجة، ويستحب أن يقرأه؛ لأنَّ فيه بحوثًا في مستندات إجماعات ابن تيمية، وسلفه من الأئمة والعلماء.

وكذلك يستعين القارئ بموسوعة فلسفية ميسرة، كـ«**المعجم الفلسفي**»، لجميل صليبا.

ويُمكن أن يستعين القارئ بكتاب: «**موسوعة مصطلحات ابن تيمية**»، (حجة الإسلام!)، لسميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون. وهو ليس موسوعة مصطلحات بالمعنىٰ الدقيق، بل هو فهرس نقولات واقتباسات -بعضها قد لا يكون دقيقًا- عن ابن تيمية، مرتبًا علىٰ المصطلحات المشهورة مرتبة أبجديًّا. ولكن يمكن أن يستفيد به القارئ إذا احتاجه في الوقوف علىٰ بعض كلام الشيخ المناظر في موضوع معين بما يحسن تصوره، علىٰ أنَّه غير مستوعب لمجموعة جامع المسائل الذي نشره عزير شمس، ولا لبيان تلبيس الجهمية، كما أنَّه يعتمد طبعات غير معتمدة لبعض الكتب، كـ«**منهاج السنة**»، وفي مصادره بعض التكرار الدال علىٰ عدم خبرته بتراث الشيخ.

والكلام نفسه يُقال عن بقية موسوعات المؤلف نفسه: «**موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي**»، (جزآن)، و«**مصطلحات الرازي**»، و«**مصطلحات الأشعري وعبد الجبار**»، و«**مصطلحات علم المنطق عند العرب**»، وكلها نشر مكتبة لبنان ناشرون.

الترتيب الموضوعي لقراءة تراث شيخ الإسلام:

وقد ذكرنا سابقًا المنهج الذي سنسير وفقه، وهو أنَّنا نذكر قائمة قراءة تمهيدية للموضوع عمومًا أو لتراث ابن تيمية فيه، ثم نذكر كتب الشيخ التي تقرأ بعدها لفهمها علىٰ أحسن وجه؛ ليجمع القارئ بين تحقيق تلك الموضوعات في نفسها، ومن حيث تراث ابن تيمية لها.

ولكن قبل ذلك نتعرض لموضوع تفصيل الرسائل والمسائل والفصول والقواعد

المبثوثة في كتب ابن تيمية المجمعة، وبخاصة «**مجموع الفتاوى**»: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. فطريقة بعض الباحثين والقارئين أن تجرد المجلدات المتعلقة بالعقيدة فيه -اثنا عشر مجلدًا- بحسب موضوعاتها التي سنذكرها قريبًا. وهي طريقة جيدة ولكنَّنا سنجمع بينها وبين الطريقة الأخرى، وهي الطريقة الموضوعية، وذلك لأنَّه وإن كان جامع هذا المجموع قد توخَّىٰ ترتيبه ترتيبًا موضوعيًا؛ إلَّا أنَّ بعض مسائله وفصوله قد تكون أكثر تعلُّقًا أو مناسبة بباب آخر، أو بقسم فرعي اشتققناه، كما أنَّ تفصيل أهم تلك المسائل والقواعد والفصول، وترتيبها موضوعيًّا ووظيفيًّا من حيث السهولة والصعوبة؛ هو أكثر نفعًا للقارئ. ولذلك فنحن دلَلْنَا القارئ في ترتيبنا الموضوعي علىٰ المجلد -أو الاثنين- العام المتعلق بهذا الموضوع، ثم أتبعنا هذا بترتيب موضوعي لأهم الفصول والمسائل، فيه وفي غيره من مجموع الفتاوى، ثم في المجاميع الأخرىٰ -ولا سيما مجموعي محمد رشاد سالم، وعزير شمس- المتعلقة بنفس الموضوع، وبذلك يجتمع شتات تراث شيخ الإسلام -بصورة أساسية بطبيعة الحال لأنَّ النصوص التيمية شديدة الثراء والاستطراد والموسوعية- موضوعيًّا.

والمجاميع **الأساسية** التي سبق ذكرها، والتي ستخضع لهذا السبر والترتيب الموضوعي، هي: «**مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية**»، جمع ابن قاسم، (**٣٥** **مجلدًا**)، و«**جامع الرسائل والمسائل**»، تحقيق: محمد رشاد سالم، (مجلدان)، و«**جامع المسائل**»، تحقيق محمد عزير شمس، (ستة مجلدات). وليس في المجاميع الأخرى، سواء القديمة التي أخرجها رشيد رضا، أو من اعتمد عليه كالكتب العلمية، أو مجموعة أنور الباز وعامر الجزار «**مجموعة الفتاوى**»، (**٢٠مجلدًا**)، أو «**مجموعة الرسائل الكبرى**»، التي أخرجتها إحياء التراث، اعتمادًا علىٰ «**مجموعة الفتاوىٰ القاهرية القديمة**»، طبعة مطبعة كردستان العلمية (١٣٢٦ هـ)، زيادات ذات بال فيما يتعلق بدرسنا العقدي، كبعض الكتب الفقهية، أو بعض الكتب العقدية التي طبعت مفردة كالتسعينية والسبعينية وشرح الصفهانية.

أمَّا المؤلفات المستقلة: كـ«**بيان تلبيس الجهمية**»، و«**درء تعارض العقل والنقل**»، و«**الصفدية**»، و«**التسعينية**»، و«**السبعينية**»، وغير ذلك؛ فلا إشكال فيها

في ترتيبها موضوعيًّا، ولكن قد نُنبِّه علىٰ بعض المواضع المهمة فيها بحسب تعلقها الموضوعي.

ونُشير هاهنا إلىٰ أنَّنا اعتمدنا في المقارنة بين المسائل والفصول التي في المجموع مع المجموعين الآخرين، وكذا في ذكر بعض أهم الطبعات -أحيانًا للحاجة- لِمَا طُبع منها مستقلًا= علىٰ قائمة الدكتور عبد السلام الحصين سالفة الذكر، مع زيادات كثيرة في تفصيل المسائل والقواعد والفصول والفتاوىٰ التي تركها؛ لخروجها عن شرطه؛ إذ كان جمعه متعلِّقًا بالمؤلفات، بمعنىٰ المعروفة باسم معين، وأبجديًّا، وهذا ليس متحقِّقًا في جميع مشتملات «**مجموع الفتاوى**»، لابن قاسم، وكذا قمنا بالترتيب الموضوعي المختار من حيث المضمون ومستواه.

ونذكر هنا مسرد المجلدات المتعلقة بالعقيدة في «**مجموع الفتاوى**»، ثم سنوزعها، ونوزع مضامينها موضوعيًّا فيما يأتي، وهي: **المجلد الأول**: (توحيد الألوهية)، **المجلد الثاني**: (توحيد الربوبية)، **المجلد الثالث**: (مجمل اعتقاد السلف)، **المجلد الرابع**: (مفصل اعتقاد السلف)، **المجلد الخامس**: (الأسماء والصفات)، **المجلد السادس**: (الأسماء والصفات)، **المجلد السابع**: (الإيمان)، **المجلد الثامن**: (القدر)، **المجلد التاسع**: (المنطق)، **المجلد العاشر**: (علم السلوك)، **المجلد الحادي عشر**: (التصوف)، **المجلد الثاني عشر**: (القرآن كلام الله حقيقة).

مع التوكيد علىٰ أنَّه ينبغي جرد هذه المجلدات جميعها، وأنَّنا لن نذكر كل ما فيها من فصول ورسائل وفتاوى، نظرًا لتشعب بعضها بما لا يمكن من ترتيبه موضوعيًّا، ونظرًا لقصر بعضها، ولغير ذلك من الأغراض، فالمقصود: أنَّه لا يقتصر في قراءتها علىٰ ما ذكرناه موضوعيًّا فحسب.

أولًا: المسائل المنهجية:

في منهج الاستدلال والاتباع:

يقرأ فيها أولًا:

(١) «منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة»،

(مجلدان)، عثمان بن علي حسن، (١٤١٥ هـ)، مكتبة الرشد.

(٢) «موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة: عرضًا ونقدًا»، (جزآن)، سليمان الغصن، دار العاصمة.

ثم يقرأ لشيخ الإسلام:

(١) (قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك ونتيجته)، (١/ ١٢-١٧)[1].

(٢) (أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله)، (١٩/ ٧٦-٩٢).

(٣) (قاعدة أهل السنة والجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة وعدم الفرقة)، (٣/ ٢٧٨-٢٩٢).

(٤) (قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة)، (١٩/ ٩٣- ١٠٥).

(٥) (إيضاح الدلالة علىٰ عموم الرسالة)، (١٩/ ٩- ٦٥).

(٧) (قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله في كل حال علىٰ كل أحد)، (٣٥/ ٥-١٧).

(٨) (معارج الوصول إلىٰ أنَّ أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول)، (١٩/ ١٥٥-٢٠٢)، وقد طبعها محب الدين الخطيب مستقلة في المطبعة السلفية.

(٩) (قاعدة في شمول النصوص للأحكام)، «جامع المسائل»، (٢/ ٢٣١-٣٥١)، وإن كان منحاها فقهيًّا، لكنَّها نافعة في هذا الموضوع.

(١٠) (قاعدة في توحد الملة وتعدد الشرائع)، (١٩/ ١٠٦-١٢٨).

(١١) (فصل فيه قاعدة شريفة، وهي أن جميع ما يحتج به المبطل من الأدلة الشرعية والنقلية إنَّما تدل علىٰ الحق لا تدل علىٰ قول المبطل)، (٦/ ٢٨٨- ٣٣٨).

(١٢) (سئل عن حديث الافتراق)، (٣/ ٣٤٥-٣٥٨).

(١٣) (قاعدة في الانحراف عن الوسط)، (٣/ ٣٥٩-٣٦٢) قد يكونان واحدًا.

(١٤) ويقرأ المجلد التاسع عشر: أصول الفقه. (الاتباع). **(١٩/ ٥-٢٠٢).**

---

(١) حيث لم نعزُ لاسم كتاب؛ فهو: «**مجموع الفتاوى**».

في الخلاف والإعذار والتبديع والتفسيق والتكفير:

يقرأ أولًا:

(١) «**موقف أهل السنة من أهل البدع والأهواء**»، إبراهيم الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم.

(٢) «**منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم علىٰ الآخرين**»، هشام بن إسماعيل الصيني، (١٩٩٨ م)، المنتدىٰ الإسلامي، (لندن).

(٣) «**أصول نقد المخالف**»، فتحي بن عبد الله الموصلي، (٢٠٠٦ م)، مكتبة الرشد.

(٤) «**إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم**»، محمد بن صالح بن يوسف العلي، دار الأندلس الخضراء.

(٥) «**التعامل مع المبتدع**»، حاتم بن عارف العوني، (٢٠٠٨ م)، دار الصميعي.

(٦) «**منهجية التعامل مع المخالفين: نظرات في فقه الائتلاف**»، سليمان بن عبد الله الماجد، (٢٠١٤ م)، مركز تكوين للدراسات والبحوث، (الرياض).

(٧) «**أصول الحكم علىٰ المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية**»، أحمد الحليبي، وزارة الأوقاف قطر.

(٨) «**اختلاف المفتين**»، حاتم العوني، الصميعي.

(٩) «**ابن تيمية والآخر: موقف ابن تيمية النظري والعملي، العقدي والأخلاقي من المخالفين، وموقف المخالفين من الآخر**»، عائض سعد الدوسري، (٢٠٠٧م)، مكتبة الإمام البخاري، (مصر).

(١٠) «**التقليد في باب العقائد وأحكامه**»، ناصر بن عبد الرحمن الجديع، (٢٠٠٥ م)، دار العاصمة.

(١١) «**الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه**»، عبد الرزاق معاش، (١٩٩٦ م)، دار الوطن، (الرياض).

(١٢) «**عارض الجهل**»، أبو العلا راشد، مكتبة الرشد.

(١٣) «**إشكالية العذر بالجهل**»، سلطان العميري، مركز نماء[1].

ويقرأ لابن تيمية:

(١) (**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**)، (٢٠/ ٢٣١-٢٩٠)، وهي مطبوعة مفردًا. ويسمع شرح الغفيص.

(٢) (**قاعدة في تصويب المجتهدين وتخطئتهم وتأثيمهم**)، (١٩/ ٢٠٣- ٢٢٧)، وهي في «**منهاج السنة النبوية**»، (٥/ ٨٣- ١٢٥).

(٣) (**خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة**)، (٢٢/ ٣٥٦-٣٧٥)، وطبعت مفردة.

(٤) (**الهجر الشرعي ما يحل منه وما يحرم**)، (٢٨/ ٢٠٣- ٢١٠)، وطبعت مفردة.

ثانيًا: الإبستمولوجيا:

وهو المتعلق بالنقد التيمي للنظام الفلسفي الكلاسيكي معرفيًّا، وبخاصة في أداته المعرفية الكبرى: المنطق.

ومن الممكن أن يستفيد القارئ من هذا التقديم؛ لذلك البحث لفهم النظام الفكري لابن تيمية عمومًا، ويقرأ في ذلك:

(١) «**مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي: دراسة نقدية في ضوء الإسلام**»، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، (١٩٩٢ م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المؤيد.

(٢) «**المعرفة في الإسلام: مصادرها ومجالاتها**»، عبد الله القرني، (٢٠٠٩ م)، مركز التأصيل[2].

---

(١) يلاحظ أنَّا ذكرنا في تمهيد الخوارج مراجع خاصة بالتكفير، عمومًا، وعند ابن تيمية.

(٢) نعم؛ هناك مباحث إبستمولوجية غير كلاسيكية كثيرة في هذين الكتابين، فيما يتعلق بالمذاهب التجريبية والمثالية والوضعية الحديثة، ولكن تلك المذاهب جميعها ليست سوىٰ امتداد لأصول الإبستمولوجيا الكلاسيكية والنقود التي توجهت عليها، بل إن فهم تلك النقود علىٰ الكلاسيكيات يساعد في تصورها تصورًا تامًّا.

(٣) «**أسس اليقين عند مفكري الإسلام: ابن تيمية نموذجًا**»، محمد محمد الحاج الكمالي، مجلة كلية الآداب، العدد: (٢٥).

(٤) «**تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية**»، إبراهيم عقيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٥) «**منهج ابن تيمية المعرفي**»، عبد الله الدعجاني، مركز تكوين.

والكتابان الأخيران مُهمَّان وواسعان في معنىٰ النظام المعرفي عند ابن تيمية، بما يشمل المعرفة اللغوية والفطرية، ومتقاربا الخطة، وأحدهما يغني عن الآخر، ولكن يحسن قراءتهما جميعًا. وفيهما وفرة من النقول الموضوعية عن ابن تيمية في سائر أركان نظرية المعرفة. وهما يساعدان علىٰ وضع القارئ علىٰ أرضية ممتازة في فهم ابن تيمية وتراثه عمومًا، والعقدي خصوصًا.

ويقرأ لابن تيمية فقط:

قاعدة في العلوم والاعتقادات والأحكام والكلمات والحجة والإرادات هل هي تابعة لمتعلقها مطابقة له، أو متبوعها تابع مطابق لها، (١٩/ ١٢٩- ١٥٤).

المنطق:

يقرأ أولًا:

(١) «**أثر المنطق الأرسطي علىٰ الإلهيات عند المسلمين في رأي الإمام ابن تيمية**»، (دراسة ونقد)، علي إمام عبيد، (٢٠٠٩ م)، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، (المنصورة).

(٢) «**الحد الأرسطي**»، سلطان العميري، مركز نماء.

(٣) «**المنطق عند ابن تيمية**»، عفاف الغمري، دار قباء. وهذا الكتاب فيه ترتيب مدرسي تفهيمي ممتاز لكتاب ابن تيمية في نقض المنطق.

(٤) «**ابن تيمية: من المنطق إلىٰ الميتافيزيقا**»، سامية صادق سليمان، دار الهداية.

(٥) «**نقد المنطق الأرسطي بين ابن تيمية والسهروردي**»، ناصر ضميرية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

(٦) «**السهروردي الإشراقي: ونقده للفلسفة اليونانية**»، ياسين الويسي، دار نينوى.

(٧) «**القياس القطعي بين ابن حزم وابن تيمية: دراسة مقارنة بين القياسين المنطقي والفقهي**»، سامي الصلاحات، مجلة الحكمة، العدد: (٢٣).

*** ويقرأ لابن تيمية:**

المجلد التاسع: (المنطق). وفيه:

«**نقض المنطق**»، (٤/ ١-١٩٠، ٩/ ٥-٨١)، وهو مطبوع مفردًا، وهذه هي تسميته المفردة.

«**الرد علىٰ المنطقيين**»، المسمى: (**نصيحة أهل الإيمان في الرد علىٰ منطق اليونان**)، إدارة ترجمان السنة، والموجود في مجموع الفتاوىٰ هو مختصره للسيوطي، (٩/ ٨٢-٢٥٤). وكلا الكتابين طبع مفردًا.

الجدل:

يقرأ أولًا:

(١) «**تاريخ الجدل**»، لأبي زهرة.

(٢) «**آداب البحث والمناظرة**»، للشنقيطي.

ويقرأ لابن تيمية:

«**تنبيه الرجل العاقل علىٰ تمويه الجدل الباطل**»، تحقيق: عزير شمس.

توحيد الألوهية

يقرأ أولًا، سردًا:

(١) «منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد»، إبراهيم البريكان، دار ابن عفان.

(٢) «الشرك في القديم والحديث»، أبي بكر زكريا، مكتبة الرشد.

(٣) «حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين»، عبد الرحيم بن صمايل السلمي، دار المعلمة (الصميعي في السبل).

(٤) «المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد»، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، (٢٠٠٤ م)، دار الإمام أحمد، (القاهرة).

(٥) «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة: عرض ونقد»، (٣ أجزاء)، عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، (٢٠١٢ م)، مكتبة الرشد، (الريا).

(٥) «رسالة الشرك ومظاهره»، مبارك الميلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية.

(٦) «رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله وتحقيق معنىٰ التوحيد والشرك بالله»، وعمارة القبور في الإسلام، كلاهما للمعلمي، ضمن آثاره.

ثم يقرأ لشيخ الإسلام:

المجلد الأول: توحيد الألوهية، وموضوعيًّا يقرأ:

- (قاعدة في توحيد الله وإخلاص الوجه له)، (١/ ٢٠-٣٦).
- (فصل في قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾)، (١/ ٦٤-٧٧).

- **(فصول: ألَّا يسأل العبد إلَّا الله، العبادات مبناها علىٰ الاتباع، الشرك أعظم الذنوب)**، (١/ ٧٨- ٩٤).

- **(فصل في حق الله وحق عبادته وتوحيده)**، «جامع المسائل»، **(٣/ ٤٩- ٦٦)**.

- **(مسألة من يجوز الاستغاثة بالنبي)**، **(١/ ١٠١-١٠٧)**.

- **(منع الاستغاثة)**، **(١/ ١٠٨-١١٣)**.

- **(الواسطة بين الحق والخلق)**، **(١/ ١٢١- ١٣٨)**.

- **(الاستغاثة في الرد علىٰ البكري)**، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، دار الوطن.

- **(سئل هل يجوز التوسل بالنبي)**، **(١/ ١٤٠-١٤٢)**.

- **(فصل في الشفاعة المنفية في القرآن)**، **(١/ ١١٦-١٢٠)**.

- **(قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)**، **(١/ ٤٢-٣٦٨)**، مطبوع منفردًا كثيرًا، منها بتحقيق ربيع المدخلي، وهي طبعة جيدة في قراءة النص، وفيها قراءة صحيحة في تسويغ الخلاف بخلاف طبعة ابن قاسم[(١)].

- **(قاعدة في الوسيلة)**، **«جامع المسائل»**، **(٥/ ٩٧-١٢٢)**، مطبوعة مفردة بتحقيق: علي الشبل، دار العاصمة.

بدع القبور والزيارة:

ولهذا تعلُّق واضح بالتصوف الآتي، فانتبه لهذا، ولكن ذكرناه هنا؛ لأنَّه أول موضع وأليقه به؛ لأنَّ أصل البدعة مخالفة الاتباع الذي هو قسيم الإخلاص، واللذان هما ركنا العبادة، المصروفة للألوهية.

يقرأ أولًا:

(١) «معيار البدعة»، محمد بن حسين الجيزاني، ابن الجوزي.

(٢) «حقيقة البدعة وأحكامها»، (جزآن)، سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد.

---

(١) «وشاع النزاع في السؤال»، ابن قاسم، (١/ ٢٢٣)، و«وساغ النزاع»، المدخلي، (ص/ ١٢٣).

(٣) **«أسباب الوقوع في البدع: دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة»**، سعود بن سعد العتيبي، جامعة أم القرى.

(٤) **«الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة»**، علي بن بخيت الزهراني، أم القرى.

(٥) **«عمارة القبور في الإسلام»**، المعلمي، ضمن آثاره.

(٦) **«القبورية: نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها: اليمن نموذجًا»**، أحمد بن حسن المعلم، دار ابن الجوزي.

(٧) **«التبرك: أنواعه وأحكامه»**، ناصر الجديع، مكتبة الرشد.

ثم يقرأ لابن تيمية:

- **(فصل في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها)**، **(١٠/ ٣٨٧-٤٢١)**، وفي **(مجموعة الرسائل والمسائل)**، **(٥/ ٢٤٣-٢٧١)**. وطُبعت مفردة بتعليق محمد رشيد رضا، مكتبة ابن الجوزي.

- **(فصل في الفرق بين ما أمر الله به ورسوله من إخلاص الدين لله وشريعته، وبين ما نهىٰ عنه من الإشراك والبدع)**، **«جامع المسائل»**، **(٣/ ٣١-٤٨)**.

- **(الاقتصاد في الأعمال)**، **(٢٥/ ٢٧٠-٢٨٤)**.

- **(ذم خميس النصارى)**، **(٢٤/ ٣١٨-٣٢٨)**.

- **(مسألة فيمن يسمي الخميس عيدًا)**، **«جامع المسائل»**، **(٣/ ٣٧١-٣٧٨)**.

- **(اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم)**، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.

- **(فتيا في الزيارة الشرعية والبدعية)**، **(٧/ ١٨٢-١٩٢)**، وطبعت منفردة مفردة، بتحقيق: علي الشبل، دار الشبل.

- **(الجواب الباهر في زوار المقابر)**، **(٢٧/ ٣١٤- ٤٤٣)**، وله طبعات مفردة.

- **(اللمعة في الأجوبة السبعة)**، وهو سؤال عن زيارة القبور وما يفعل عندها من المنكرات، **(٢٧/ ٦٤- ١٠٥)**، وطبعت مفردة بتحقيق: سليمان الغصن، دار الصميعي.

- (مسألة في قصد المشاهد المبنية علىٰ القبور للصلاة عندها والنذر لها وغير ذلك)، «جامع المسائل»، (٣/ ١١٧- ١٤٥).

- (مسألة في المشاهد ومن ابتدعها وفي زيارتها)، «جامع المسائل»، (٤/ ١٥٤- ١٧١).

- (فتوىٰ فيمن يُعظِّم المشايخ ويستغيث بهم ويزور قبورهم)، «جامع المسائل»، (٣/ ١٤٦- ١٥٦).

- (مختصر الرد علىٰ الإخنائي)، (٢٧/ ٢١٤- ٢٨٨).

- «الرد علىٰ الإخنائي»، مطبوع بهامش كتاب «الرد علىٰ البكري، أو الاستغاثة»، (١٣٤٦ هـ)، وأعادت نشره دار أطلس للنشر والتوزيع (١٤١٧ هـ)، مصورًا، ثم نشرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء الدعوة والإرشاد، بتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي. ثم أخرجه محققًا في رسالة علمية: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، ط. ١، (١٤٢٠هـ).

توحيد الأسماء والصفات

يقرأ فيه أولًا:

(١) «**معرفة الله ﷻ وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية**»، **مصطفىٰ حلمي**، (٢٠٠٤ م)، دار الكتب العلمية. (الطبعة الأولىٰ دار الدعوة ١٩٩٥ م).

(٢) «**الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها**»، علي القرني، دار المسلم.

(٣) «**معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**»، **محمد بن** خليفة التميمي، دار إيلاف الدولية.

(٤) «**قضية الألوهية بين الدين والفلسفة مع تحقيق كتاب التوحيد لابن تيمية**»، محمد السيد الجليند، دار قباء.

(٥) «**ابن تيمية السلفي: نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات**»، محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية.

(٦) «**منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى**»، (جزآن)، خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية.

(٧) «**أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة: عرض ونقد**»، منيف عايش العتيبي، أم القرى.

(٨) «**الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد**»، سعود العريفي، دار عالم الفوائد. وله طبعة حديثة في مركز تكوين.

(٩) «**العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية**»، (جزآن)، أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، (١٩٩٤ م)، قطر.

(١٠) «**مقالة التشبيه**»، (٣ أجزاء)، جابر إدريس، أضواء السلف.

(١١) «**مقالة الجهم بن صفوان: وأثرها علىٰ الفرق الإسلامية**»، ياسر القاضي، (٢٠٠٥ م)، أضواء السلف.

(١٢) «**مقالة التعطيل**»، محمد خليفة التميمي، أضواء السلف.

(١٣) «**مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات**»، أحمد القاضي، دار العاصمة.

(١٤) «**موقف ابن تيمية من الأشاعرة**»، (ثلاثة أجزاء)، عبد الرحمن المحمود، مكتبة ابن رشد.

(١٥) «**موقف ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة**»، قدرية عبد الحميد شهاب الدين، (رسالة دكتوراه)، أم القرى، (١٤٠٥ هـ).

(١٦) «**الأصول التي بنىٰ عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات، والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية**»، (٣ أجزاء)، عبد القادر محمد عطا صوفي، (٢٠٠٥م)، أضواء السلف.

ويقرأ فيه لابن تيمية:

المجلد الثاني: (توحيد الربوبية)، **المجلد الخامس**: (الأسماء والصفات)، **المجلد السادس**: (الأسماء والصفات).

ويقرأ موضوعيًّا:

المنهجيات:

يقرأ فيه لابن تيمية موضوعيًّا:

- (مسألة: هل يجوز الخوض فيما تكلَّم الناس فيه من مسائل في أصول الدين لم ينقل عن سيدنا محمد ﷺ فيها كلام أم لا؟!)، (٣/ ٢٩٣-٣٢٦).

- (ما الذي يجب علىٰ المكلف اعتقاده؟)، (٣/ ٣٢٧-٣٣٨)..

- (قاعدة في أصل الإثبات والنفي والحب والبغض)، (٢/ ٣٩-٥٣).

العقل والنقل:

يقرأ أولًا:

(١) (**منهج السلف والمتكلمين في موافقة للنقل وأثر المنهجين في العقيدة**)، (٣ أجزاء)، جابر إدريس أمير علي، (١٩٨٨ م)، أضواء السلف.

(٢) **(تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة)**، (جزآن)، عفاف بنت حسن محمد مختار، (٢٠٠٠ م)، مكتبة الرشد.

(٣) **(الأصول التي بنىٰ عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات)**، عبد القادر عطا صوفي، المجلد الأول، فقط ما يتعلَّق بنقد قانون تعارض العقل والنقل، وهو نفيس من حيث الجمع للمذاهب المختلفة والحفر في أساس القانون، وهو معتمد كليًّا علىٰ ابن تيمية في النقد، فهو تيسير وتسهيل له.

ثم يقرأ لابن تيمية:

- **(مسألة في اتباع الرسول بصريح المعقول)**، (١٠/ ٤٣٠-٤٥٣).

- **(درء تعارض العقل والنقل)**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ما يتعلق بقانون التأويل في المجلد الأول، وهو غالبه.

المجاز:

يقرأ أولًا:

(١) **«المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار»**، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة. (وهو مستل من كتابه الكبير).

(٢) **«منع جواز المجاز»**، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية.

ثم يقرأ لابن تيمية:

- **(الحقيقة والمجاز)**، (٢٠/ ٤٠٠- ٤٩٧).

- **(الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات)**، (٦/ ٣٥١-٣٧٣)، وطبعت مفردة بتحقيق: الوليد الفريان، دار طيبة.

التأويل:

يقرأ أولًا:

(١) **«جناية التأويل الفاسد»**، محمد لوح، دار ابن عفان.

(٢) **«الإمام ابن تيمية موقفه من التأويل»**، محمد السيد الجليند، (١٩٧٣م)، مجمع البحوث الإسلامية.

(٣) «التأويل بين فخر الدين الرازي وابن تيمية: دراسة مقارنة في الصفات الإلهية»، رمضان علي حسن القرنشاوي، (٢٠٠٤م)، مؤسسة الوراق.

ثم يقرأ لابن تيمية:

- **(الإكليل في المتشابه والتأويل)**، (١٣/ ٢٧٠-٣١٣)، وطبعت مفردة عدة مرات.

- **(ضابط التأويل)**، **«جامع المسائل»**، (٥/ ٣٥- ٩٣).

- **(مسألة في تأويل الآيات وإمرار أحاديث الصفات كما جاءت)**، **«جامع المسائل»**، (٣/ ١٥٥-١٨٠)، وحققها علي الشبل مفردة، دار علوم السنة، بعنوان: **«رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات»**.

- **«الصواعق المرسلة»**، لابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة. وفيه الكلام عن التأويل، وقانون العقل والنقل، وإفادة الأدلة اللفظية اليقين.

- **ومختصره للموصلي**؛ فيه زيادات علىٰ الأصل، فلا يغني الأصل عنه.

الإثبات والجدل النظري للصفات إجمالًا:

«تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع» = (الرسالة التدمرية)، (٣/ ١-١٢٨)، وطبعت مفردة كثيرًا. وهذه الرسالة علىٰ اختصارها هي متن ابن تيمية النظري، والجدلي فيما يتعلَّق بالصفات، وسائر ما بعدها من كتابات، حتىٰ المطولات، هي بمثابة الشرح والتعليل والتوجيه والتدليل لها؛ ولذا يجب أن يعتنىٰ بشرحها جيدًا، وقد سبق أهم شروحها في مراحل العقيدة السابقة في الكتاب.

- **(القاعدة المراكشية)**، (٥/ ١٥٣-١٩٣)، وفي **(مجموعة الرسائل والمسائل)**، (١/ ١٩٣- ٢٢٢)، وطبعت مفردة بتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار ابن حزم.

- **(جواب الإمام عن ورقة أرسلت له في السجن)**، (٣/ ٢١١-٢٧٨).

- **(فصل في أن السلف أعلم ممَّن بعدهم)**، (٤/ ٩-٤٥). وفيه الرد علىٰ من رمىٰ أهل السنة بالحشو، وذم السلف للكلام، وبيان نشأة الكلام، وطريقة المتكلمين.

- (فصل: في بيان من قال إنَّ الحشوية علىٰ ضربين)، (٤/ ١٤٤-١٦٤).

- (فصل: فيه تعليق علىٰ كلام ابن الجوزي عن الحنابلة والتجسيم)، (٤/ ١٦٥-١٩٠).

- (فصل: في أنَّ كل من استحكم في بدعته يرىٰ قياسه يطرد)، (٤/ ٤٦-٩٧)، وفيه نقد لاضطراب المتكلمين والفلاسفة وتأويلاتهم.

- (فصل في أن الرسول والسلف علموا حقيقة)، (٤/ ٩٨-١٤٣).

- (رسالة في الجواب عمَّن يقول إنَّ صفات الرب -تعالى- نسب إضافات وغير ذلك)، «جامع الرسائل»، (١/ ١٥٣- ١٧٣).

- (فصل في الرد علىٰ المعتزلة في نفي الصفات)، (٦/ ٣٣٩-٣٥٠).

- (المرشدة؛ أصلها وتأليفها)، (١١/ ٤٧٦-٤٩١)، وفيه نقد لعقيدة ابن تومرت الأشعرية، واعتماد بعض الصوفية عليها.

- (الفرقان بين الحق والباطل)، (١٣/ ٥-٢٢٩). وهذا كتاب مهم شامل، وإن كان أصل موضوعه التفسير إلَّا أنَّه متضمن لأبحاث عقدية كثيرة ونقود للصوفية والمتكلمين والفلاسفة والشيعة.

- (شرح العقيدة الأصفهانية)، قدَّم له وعرَّف به: حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامي، وطبع بتحقيق: محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية. وهو من أنفس ما كتب ابن تيمية نقدًا للعقيدة الأشعرية، تعليقًا متنيًّا علىٰ تلك العقيدة الأشعرية. ولذلك؛ فلا عجب أن يقرر كدراسة نصية في الدراسات العُليا بكلية أصول الدين في جامعة أم القرى.

وبذلك يكون القارئ مهيئًا للنقديات الكبيرة، البيان والدرء، بعد ما يلي ذكره.

الإثبات النصي للصفات تفصيلًا:

- (العقيدة الواسطية)، (٣/ ١٢٩-١٥٩)، وطبعت مفردة كثيرًا.

- (مناظرة حول الواسطية)، (٣/ ١٦٠- ١٩٣).

- (ما كتبه لأخيه عن المناظرة)، (٣/ ٢٠٢-٢١٠).

- (المناظرة في العقيدة الواسطية)، حكاية الشيخ علم الدين، (٣/ ١٩٤-٢٠١).

والمناظرات وإن كانت سجالية، وقد يحسن تقديمها مع القسم السابق، ولكن ذا هو موضعها اللائق بعد الواسطية بمثابة الاحتجاج لها.

- **(الفتوىٰ الحموية الكبرى)**، (٥/ ٥-١٢٠)، ولها طبعات كثيرة، من أحسنها بتحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي.

- **(جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتوىٰ الحموية)**، قطعة، تحقيق: محمد عزير شمس، عالم الفوائد. ويُقال في ذكرها هنا ما ذكرناه في مناظرة الواسطية.

- **«الأكملية» = (تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال)**، (٦/ ٦٨-١٤٠)، وطبعت مفردة. وفيها أولها تحقيق عقلي وعرفاني نفيس في الكمال، هو أنفس ما في الرسالة، ثم ما فيها من حجاج جدلي في إثبات الأكملية في الصفات الذاتية والفعلية الواردة في الوحي.

- **(تفسير سورة الإخلاص)**، (١٧/ ٢١٤- ٥٠٣)، وطبع مفردًا. وهو نفيس حافل مليء بالتحقيقات الاعتقادية، فضلًا عن التفسير.

- **(تفسير المعوذتين)**، (١٧/ ٥٠٤-٥٣٢).

ومن أوسع النصوص الإثباتية: (اجتماع الجيوش الإسلامية)، ابن القيم.

العلو:

يقرأ فيها لابن تيمية موضوعيًّا:

- **(قاعدة جليلة في إثبات علو الله -تعالى- علىٰ جميع خلقه)، «جامع المسائل»**، (١/ ٦١-٦٤).

- **(مسألة عن نسبة الباري إلىٰ العلو من جميع الجهات المخلوقة)، «جامع المسائل»**، (٣/ ١٨١-١٩٢).

- **(مسألة في العلو)، «جامع المسائل»**، (٣/ ١٩٣- ٢١٠).

- **(مسألة فيمن استدل بتحويل النبي رداءه في الاستسقاء علىٰ أنَّ الله ليس فوق السموات علىٰ العرش)، «جامع المسائل»**، (٤/ ٧٩- ١٠٣).

- **(سئل عن العلو)**، (٥/ ١٥٣-١٩٣).

- **(سئل عن العلو والاستواء)**، (٥/ ١٢١-١٣٥).

- **(سئل عن علو الله علىٰ سائر مخلوقاته)، (٥/ ١٣٦-١٥٢).**

- **(سئل عمن يعتقد في الجهة)، (٥/ ٢٦٢-٢٦٤)، و(مناظرة في الجهة)، (٥/ ٢٦٥-٢٦٦).**

- **(سئل في صورة أبيات في العلو والجهة والجسمية وتأويل الاستواء)، (٥/ ٢٦٧-٣٢٠).**

- **(الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل)**، تحقيق: عواد بن عبدالله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية، عدد: (٢٩)، (ص/ ٢٨٢-٣١٣)، ولها مختصر في **«مجموع الفتاوى»، (٥/ ٢٥٦-٢٦١)**، وهي عن اثنين اختلفا في العلو.

- **(سئل عن الاستواء والنزول حقيقة)، (٥/ ١٩٤-٢٥٥).**

- **(شرح حديث النزول)، (٥/ ٣٢١- ٥٨٢)**، وطبع مفردًا.

- **(فصول ومسائل في القرب)، (٦/ ٥-٦١).**

- **(الرسالة العرشية)، (٦/ ٥٤٥-٥٨٣)؛ و(مجموعة الرسائل والمسائل)، (٤/ ١١٥-١٥٠).**

الكلام والقرآن:

يقرأ المجلد الثاني عشر: (القرآن كلام الله حقيقة).

ويقرأ موضوعيًا:

- **(قاعدة في القرآن وكلام الله)، (١٢/ ٥-٣٦)، و(في تفسير آيات أشكلت علىٰ كثير من العلماء)، (٢/ ٧٠٤- ٧٦١).**

- **(التبيان في نزول القرآن)، (١٢/ ٢٤٦-٢٥٧).**

- **(تحقيق كون القرآن كلام الله منزلا منه)، (١٢/ ٢٩٦-٣٢٢).**

- **(الكيلانية)، (١٢/ ٣٢٣-٥٠١).**

- **(البعلبكية)، (١٢/ ١١٧-١٦١).**

- **(المسألة المصرية في القرآن)، (١٢/ ١٦٢-٢٣٤)**. وهي ناقصة الآخر.

- (الأزهرية في مسألة كلام الله). ذكر بعضها ابن النجار في «شرح الكوكب»، (٢/ ٣٤-٤٠)، وعنه نقلها عزير شمس في «جامع المسائل»، (٥/ ١٢٥- ١٢٩(.

- (جواب الفتيا الدمشقية)، (٣٣/ ١٦٩-١٨٦)، وهي فتيا بالطلاق علىٰ أنَّ الرحمن علىٰ العرش، وأنَّ القرآن حرف وصوت. وهو موجود في التسعينية بهذا الاسم.

- (القرآن حرف وصوت)، (١٢/ ٥٧٩-٥٩٨)

- (أسئلة)، (٦/ ٥١٣-٥٤٤)، فيه فصل في عشرة أوجه فيمن قال لا يثبت لله صفة بحديث واحد، مع تطبيق ذلك علىٰ الصوت وأنه ليس بمطابق.

- (مسألة الأحرف التي أنزلها الله علىٰ آدم)، (١٢/ ٣٧-١١٦). وآخر المجلد الثاني عشر أسئلة عن القرآن.

- (جواب الفتيا المصرية)، (ص/ ٢٣٥-٢٤٥)، وهي في الكلام النفسي القديم، وقد ذكرها في التسعينية.

- (التسعينية)، مطبوع ضمن مجموعة فتاوىٰ ابن تيمية، والفتاوىٰ الكبرى. وطبع مفردًا، بتحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، دار المعارف، الرياض. والكتاب في أوله كلام عام في في الجهة والصفات، ولكن موضعه الأساسي مناقشة الكلام النفسي، وفيه تسعين وجهًا في الرد عليه.

العلم:

يقرأ فيه موضوعيًّا لابن تيمية:

- (رسالة في تحقيق مسألة علم الله)، «جامع الرسائل»، (١/ ١٧٥- ١٨٣). وفي (درء التعارض مباحث في العلم القديم والحادث) في المجلد التاسع والعاشر.

الإرادة:

- (مراتب الإرادة)، (٨/ ١٨١-١٩٦)، وهو سؤال عن كن فيكون.

في الرؤية:

- (مسألة في رؤية النبي ربه)، «جامع المسائل»، (١/ ١٠٣- ١٠٨).

- (أسئلة)، (٦/ ٤٠١-٥١٢)، وفيه بحوث في رؤية النساء، ورؤية الكفار، ورؤية الرسول ربه، والرؤية في الدنيا. وفي هذين الآخرين بحوث مهمة في بيان التلبيس، وبخاصة (٧ / ١٥٠، وما بعدها).

الأفعال الاختيارية:

يقرأ أوَّلًا:

- «**أزلية وأبدية أفعال الله عند المتكلمين: عرض ونقد علىٰ ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**»، عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، جامعة أم القرى.

ثم يقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- (**فصل في قيام الممكنات والمحدثات بالواجب**)، (٢/ ٢٥-٣١).

- (**فصل في إكمال الرد علىٰ النفاة والمعطلة**)، (٢/ ٣٢-٣٨).

- (**فصل في الصفات الاختيارية**)، (٦/ ٢١٧-٢٦٧)، وفي «جامع الرسائل»، (٢/ ٣-٧٠).

- (**قاعدة عظيمة في مسائل الصفات والأفعال من حيث قدمها ووجوبها**)، (٦/ ١٤٤- ١٨٤)، وهذا يصلح في الكلام أيضًا.

- (**فصل في الصفات الفعلية**)، (٦/ ٢٦٨-٢٧٢).

- (**فصل فيما ذكره الرازي في الأربعين في مسألة الصفات الاختيارية**)، (٦/ ٢٧٣-٢٨٧). وهو ناقص.

ثم يقرأ:

- «**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**»، تحقيق مجموعة، مجمع الملك فهد. والكتاب زاخر بالأوجه العقلية، ولكن البحث النصي فيه، سواء بمعنىٰ نص الوحي أو نصوص العلماء ونقولهم كثيرة، ولذلك قدمناه علىٰ «**درء التعارض**»؛ لأنَّه أيسر منه وأقرب للقارئ.

ثم يقرأ:

- «**درء تعارض العقل والنقل**»، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود. وهو موسوعة حافلة في الرد علىٰ المتكلمين والفلاسفة،

بكلام بعضهم، وبالموازنات العقلية والشرعية. ويحسن الرجوع إلىٰ الأصول التي بنىٰ عليها ابن تيمية كتابه من آراء الرازي والآمدي ونحوهما، فيقرأ في أساس التقديس، وأبكار الأفكار.

في مسألة التسلسل وقدم العالم:

يقرأ أولا:

(١) «**قدم العالم وتسلسل الحوادث**»، كاملة الكواري.

(٢) «**الأصول التي بنىٰ عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية**»، عبد القادر محمد عطا صوفي: يراجع منه ما يتعلق بالتسلسل: المجلد الثاني في سياق دليل حدوث الأجسام.

ثم يقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- «**نقد مراتب الإجماع**»، مطبوع في هامش مراتب الإجماع لابن حزم، دار الكتب العلمية، ثم أفرده محمد عزير شمس في «**جامع المسائل**»، (٣/ ٣٢١-٣٥٠)، ويقرأ آخر انتقاد لابن تيمية علىٰ ابن حزم فيه.

- (**شرح حديث عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن شيء قبله»**)، (١٨/ ٢١٠-٢٤٣).

- (**شرح حديث النزول**)، (٥/ ٣٢١- ٥٨٢(، وهو مطبوع مفردًا. يقرأ فيه ما يتعلَّق بحديث عمران بخاصة، وإعلال بعض ألفاظه وتوجيهه.

- (**رسالة حدوث العالم**)، تحقيق: يوسف الأوزبكي، دار البشائر. وهي رسالة ممتعة نفيسة، تصلح تلخيصًا لوجهة نظره في القضية.

- (**منهاج السنة النبوية**): **المجلد الأول**، في كلامه (**عن قدم العالم**)، (١/ ١٤٨-٤٤٦).

فناء النار:

(**الرد علىٰ من قال بفناء الجنة والنار، وبيان الأقوال في ذلك**)، تحقيق: د. محمد بن عبد الله السمهري، دار بلنسية.

وفي كتاب: «**حادي الأرواح**»، و«**شفاء العليل**»، لابن القيم، وشرح ابن أبي العز علىٰ الطحاوية شرح للأقوال في ذلك الباب.

وفي موضوع فناء النار ردود للسبكي والصنعاني.

وفي الموضوعين معًا: (التسلسل وقدم العالم)، و(فناء النار)، كتاب: «**سؤال العالم: ابن عربي وابن تيمية من فكر الوحدة إلىٰ فكر الاختلاف**»، عبد الحكيم أجهر، المركز الثقافي العربي. وهو كتاب ضعيف علىٰ مستوىٰ القراءة والتحليل للنص التيمي. ولذلك لم نذكره في التمهيد، فمن أراد أن يقرأه بعد ما سبق فهو جيد لمعرفة القراءة التنويرية الفلسفية المعاصرة لهذا الموضوع.

الأسماء الحسنى:

يقرأ أولًا:

(١) «**أسماء الله الحسني**»، عبد الله الغصن، دار الوطن.

(٢) «**شرح القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنى**»، ابن عثيمين، تعليق: نشأت بن كمال، دار الآثار.

ثم يقرأ موضوعيًّا لابن تيمية:

* **فصل في الاسم والمسمىٰ = قاعدة في الاسم والمسمى.**

- **(قاعدة في الاسم والمسمى)، (٦/ ١٨٥-٢١٢).**

- **(فصل في اسم الله تعالىٰ الحي القيوم)، «جامع المسائل»، (٥/ ١٦١- ١٧٦).**

- **(فصل في معنىٰ الحي القيوم)، «جامع المسائل»، (١/ ٣٥-٥٩).**

- **(فصل في تأويل النور)، (٦/ ٣٧٤-٣٩٦).**

رابعًا: القدر وخلق أفعال:

يقرأ أوَّلًا:

(١) «**القضاء والقدر**»، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس.

(٢) «**القضاء والقدر في الإسلام**»، (ثلاثة أجزاء)، فاروق الدسوقي، دار الاعتصام.

(٣) «**أفعال العباد بين أهل السنة والقدرية الجبرية والقدرية النفاة**»، العتيبي، أسامة بن عطايا بن عثمان، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع.

(٤) «**موقف البشر تحت سلطان القدر**»، مصطفىٰ صبري، دار البصائر.

(٥) «**حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في إحكام القدر**»، للقفطي، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٦) «**الجبر والاختيار في الفكر الإسلامي**»، (**مشكلة وحل**)، أشرف حافظ، دار النخلة. وهو كتاب مدرسي ممتاز في هذا الموضع وبيان اتجاهات الفرق المختلفة حوله.

(٧) «**الخلاف العقدي في باب القدر**»، عبد الله القرني، مركز نماء.

(٨) «**فلسفة القدر في فكر المعتزلة**»، سميح دغيم، دار الفكر اللبناني.

(٩) «**السببية عند أهل السنة ومخالفيهم من خلال مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية**»، توفيق بن إبراهيم المحيش، جامعة الإمام محمد بن سعود. (رسالة دكتوراه).

(١٠) «**القدر عند ابن تيمية**»، راشد الغنوشي، (١٩٩٩ م)، المؤسسة الإسلامية للطباعة.

(١١) «**التحسين والتقبيح العقليان**»، (٣ أجزاء)، عايض الشهراني، كنوز إشبيليا. يقرأ منه، علىٰ الأقل، ما يتعلق بمذهب السلف وتحرير ابن تيمية.

ويقرأ لابن تيمية:

المجلد الثامن: (القدر). يقرأه جميعه، وأهم رسائله وقطعه، موضوعيًّا:

- (**فصل في قدرة الرب**)، (٨/ ٧-٥٧).
- (**عن تفصيل القدر**)، (٨/ ٥٨-٦١).
- (**أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل**)، (٨/ ٨١-١٥٨).
- (**أنواع القدرية الثلاثة**)، (٨/ ٢٥٦-٢٨٦١).
- (**القضاء والقدر**)، (٨/ ٢٦٢-٢٧١)، في الاحتجاج بالقدر علىٰ المعاصي.

- **(فصل في الاحتجاج بالقدر)، (٨/ ٤٥٢-٥١٥)**، وفيه بيان قول جهم بالجبر، وهو أصل في بحث ابن تيمية في الجبر.

- **(الاحتجاج بالقدر). «مجموع الفتاوى»، (٨/ ٣٠٣-٣٧٠)**.

- **(مسألة القدر)، (٨/ ٢٤٥-٢٥٥)**، وهو رد علىٰ أبيات تائية لأحد علماء الذميين فيه الاحتجاج بالقدر علىٰ ضلاله = رد عليه شعرًا بتائية.

- **(الأقوال في الاستطاعة)، (٨/ ٣٧١-٣٧٦)**.

- **(سؤال عن القدرة والاستطاعة علىٰ الطاعة)، (٨/ ٤٣٧-٤٤٧)**.

- **(سؤال عن العمل مع الكتابة، وهل الأعمال تراد لذاتها أم لجلب السعادة ودفع الشقاوة)، (٨/ ٢٧٢- ٣٠٢)**، وفيه أبحاث في التكليف بما لا يطاق، والاستطاعة، ومذهب الصوفية في الفناء والتكليف، وقصة آدم وموسى.

- **(أفعال العبد الاختيارية)، (٨/ ٣٨٦-٤٠٥)**، سؤال في الكسب والأفعال الاختيارية.

- **(سؤال في أفعال العباد هل هي قديمة أم مخلوقة)، (٨/ ٤٠٦-٤٢٧)**.

- **(في التحسين والتقبيح العقلي)، (٨/ ٤٢٨-٤٣٦)**.

- **(مسألة في قول النبي لمعاذ: «أتدري ما حق الله علىٰ العباد»)، «جامع المسائل»، (١/ ١٤٩- ١٥٦)**، في الوجوب علىٰ الله.

- **(فصل في تعليل أفعال الله)، (٨/ ٣٧٧-٣٨١)**.

- **(رسالة في معنىٰ كون الرب عادلًا في تنزهه عن الظلم)، «جامع الرسائل»، (١/ ١١٩-١٤٢)، و(في تفسير آيات أشكلت)، (٢/ ٤٤٤، ٤٧٧- ٤٩٠)**.

- **(شرح حديث: «إنِّي حرمت الظلم علىٰ نفسي»)، (١٨/ ١٣٦-٢٠٩)**. وفي مقدمة «منهاج السنة» بحث في جواز الظلم من امتناعه.

- **(مسألة في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، «جامع المسائل»، (٣/ ٢٦٣- ٢٦٨)**.

- **(الحسنة والسيئة)، «مجموع الفتاوى»، (١٤/ ٢٢٩- ٤٢٥)**، وهي مطبوعة منفردة مرارًا.

- (قاعدة شريفة في الرضا الشرعي)، «جامع المسائل»، (٣/ ٢١١- ٢١٨).
- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكم والتعليل»، لابن القيم.

خامسًا: الإيمان:

يقرأ أولًا:

(١) «**براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة**»، محمد بن سعيد الكثيري، دار المحدث.

(٢) «**الإيمان بين السلف والمتكلمين**»، أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم.

(٣) «**الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين**»، محمود آل خضير، مكتبة الرشد.

(٤) «**زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه**»، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، مكتبة دار القلم والكتب.

(٥) «**آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام**»، عبد الله السند، دار التوحيد، (الرياض).

(٦) «**نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**»، محمد بن عبد الله الوهيبي، (١٩٩٦م)، دار المسلم، (الرياض).

(٧) «**نواقض الإيمان القولية والعملية**»، عبد العزيز العبد اللطيف، دار الوطن، (الرياض).

(٨) «**ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة**»، عبد الله القرني، دار عالم الفوائد.

(٩) «**منهج ابن تيمية في مسألة التكفير**»، عبد المجيد المشعبي، دار أضواء السلف.

(١٠) «**التوسط والاقتصاد**»، علوي السقاف.

(١١) «**الاستهزاء بالدين: أحكامه وآثاره**»، أحمد بن محمد القرشي، دار ابن الجوزي.

(١٢) «**منهج ابن تيمية في التكفير**»، عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف.

ويقرأ لابن تيمية:

المجلد السابع: (الإيمان)، وهو:

- (**الإيمان الأوسط**، وهو شرح حديث جبريل)، (٧/ ٤٦١-٦٢٢)، وطبع مفردًا مرات، أفضلها بتحقيق: علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، بزيادة علىٰ الفتاوى.

- (**الإيمان الكبير**)، (٧/ ٥-٤٦٠)، وطبع مفردًا.

- (**رسالة في الرد علىٰ ابن عربي في دعوىٰ إيمان فرعون**)، «**جامع الرسائل**»، (١/ ٢٠١- ٢١٦).

ويقرأ:

- (**شرح حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**)، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار ابن حزم، وأخرجها عزير شمس في «**جامع المسائل**»، (٥/ ٢٤١-٢٥٩)، وفيها نقد للطبعة السابقة.

ويحسن أن يقرأ: «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»، تحقيق: الحلواني، وشودري، رمادي للنشر والتوزيع. وهو وإن كان في مسألة فقهية؛ إلَّا أنَّ فيه كثيرًا من المباحث المتعلقة بالإيمان ونواقضه القولية والاعتقادية والفعلية.

سادسا: النبوات:

يقرأ أوَّلًا:

(١) «**النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي**»، علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة.

(٢) «**النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية**»، محمد ولد الداه ولد أحمد ولد الطالب عيسى، (٢٠٠٥م)، دار طوق النجاة، (بيروت).

(٣) «**المعجزات وخوارق العادات عند الغزالي وابن رشد**»، عبد الحميد درويش، عالم الكتب.

(٤) «**العصمة في الفكر الإسلامي**»، حسن حميد عبيد الغرباوي، (٢٠٠٧م)، دار طيبة، (دمشق).

(٥) «**مباحث المفاضلة في العقيدة**»، محمد بن عبد الرحمن الشظيفي، دار ابن عفان[1].

ويقرأ لابن تيمية:

- (**قاعدة في المعجزات والكرامات**)، (١١/ ٣١١-٣٦٢)، وطبعت مفردة.

- (**رسالة في قصة شعيب**)، «**جامع الرسائل**»، (١/ ٥٩-٦٦)، فيها إشارة إلىٰ الحواريين وعدم نبوتهم، ومثلها في الجواب الصحيح. وفي تفسير آيات أشكلت، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد. في آية: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾؛ بحث حسن في عصمة الأنبياء، وعصمة الأنبياء لها أبحاث طويلة في: «**منهاج السنة**»، في المجلد السادس، و«**الجواب الصحيح**»، في المجلد الثاني.

- «**النبوات**»، له طبعات، أحسنها، بتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف. وهو فصول متنوعة ليس كتابًا مستقلًا.

التفضيل:

- **(فصل في المسألة المشهورة بين الناس في التفضيل بين الملائكة والناس)، (٤/ ٣٥٠- ٣٩٢)، شكك فيها ناصر الفهد في صيانة المجموع، والراجح أنَّها له.**

سابعًا: الخوارج:

يقرأ أوَّلًا:

(١) «**الخوارج: تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها**»، غالب العواجي، جامعة الملك عبد العزيز.

(٢) «**الولاء والبراء بين الغلو والجفاء: في ضوء الكتاب والسنة**»، حاتم بن عارف العوني، (٢٠٠٨ م)، دار الصميعي.

---

(١) يلاحظ القارئ أنَّه سيرجع إلىٰ هذه الرسالة مجددًا في بحث المفاضلة بين الصحابة.

(٣) **«قواعد الأسماء والأحكام عند ابن تيمية»، محمد بن بسيس السفياني**، مركز التأصيل.

(٤) **«موانع إنفاذ الوعيد»**، عيسىٰ بن عبد الله السعدي، دار ابن الجوزي.

ويراجع ما سبق إيراده من مراجع للقراءة فيما يتعلَّق بالتكفير في أول موضوع الإيمان.

ويقرأ لابن تيمية:

- **(قاعدة أهل السنة والجماعة)، (٣/ ٢٧٨-٢٩٢)، وفيها فصول في أصل الخلاف والسنة والبدعة والفرق وأولها ظهورًا، والصلاة خلف الأئمة، وعدم** جواز تكفير المسلم بالذنب.

- **(فصل: أول البدع ظهور)، (١٩/ ٧١-٧٥).**

- **المجلد الخامس والثلاثين: (قتال أهل البغي والإقرار)، (ص/ ٥-٥٧).**

- **(سؤال عن قتال التتار، فيه قتال الخوارج)، (٢٨/ ٥١٢-٥١٧).**

- **(الحسبة)، (٢٨/ ٦٠-٢٤٣)، و(السياسة الشرعية)، (٢٨/ ٢٤٤-٢٩٧).** ففيهما تعلُّق واضح ونصوص عن الخوارج. ولكن لا يحسن قراءة مقتطفات الخوارج منه؛ لأنَّه يؤثر في بناء الموضوعين.

سابعًا: التصوف:

وفيه مسائل سلوكية ومسائل عقدية،ولكن آثرنا أن يكون الجميع في موضع واحد، منعًا من التشتت.

يقرأ أولًا:

(١) **«المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: عرضًا ونقدًا»**، صادق سليم صادق، مكتبة الرشد.

(٢) **«الصوفية: معتقدًا ومسلكًا»**، صابر طعيمة، (١٩٨٥ م)، مكتبة المعارف، دار عالم الكتب.

(٣) **«التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه»**، أبو الخير تراسون، أم القرى.

(٤) «**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**»، محمود عبد الرؤوف القاسم، توزيع دار الصحابة.

(٥) «**تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي**»، (جزآن)، محمد أحمد لوح، دار ابن القيم، دار ابن عفان.

(٦) «**الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: عرض ونقد**»، لطف الله بن عبد العظيم خوجة، دار الهدىٰ النبوي.

(٧) «**الصلة بين التصوف والتشيع**»، كامل مصطفىٰ الشيبي، (١٩٨٢ م)، دار الأندلس، (لبنان).

(٨) «**العلاقة بين الصوفية والإمامية: جذورها واقعها أثرها علىٰ الأمة**»، زياد ابن عبد الله الحمام، (١٤٣٤ م)، مجلة البيان.

(٩) «**التصوف بين الغزالي وابن تيمية**»، عبد الفتاح محمد سيد أحمد، (٢٠٠٠م)، دار الوفاء.

(١٠) «**ابن تيمية والتصوف**»، مصطفىٰ حلمي، دار الدعوة.

البحث النقدي:

يقرأ المجلد الحادي عشر: (التصوف). ويقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- **(فصل في أولياء الله وأولياء الشيطان)، «جامع المسائل»، (١/ ٨٣-٩٢).**
- **(الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، (١١/ ١٥٦-٣١٠)**، مطبوعة مفردة كثيرًا.
- **(مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية)، (١١/ ٤٤٥-٤٧٥).**

التصوف والفقر والزهد:

- **(الصوفية والفقراء)، (١١/ ٥- ٢٤).**
- **(مسألة في الفقر والتصوف)، (١١/ ٢٥- ٣٦).**
- **(أهل الصفة)، (١١/ ٣٧-٧٠).**
- **(أسئلة عن أهل الصفة والعزلة)، (١١/ ٧١-٨١).**

في المشايخ والغلو وغلبة الحال والفتوة:

- (**فتوىٰ في الغوث والقطب والأبدال والأوتاد**)، «**جامع المسائل**»، (٢/ ٧-١١٥).

- (**فتوىٰ فيمن يدَّعي أن ثَمَّ غوثًا وأقطابًا وأبدالًا**)، «**جامع المسائل**»، (١/ ٦٥-٨١).

- (**سئل عن قوم منتسبين للمشايخ يتوبونهم، فيه ذكر غلوهم**)، (١١/ ٤٩٢-٥٣٠).

- (**مسألة عن الأحوال وأرباب الأحوال**)، «**جامع المسائل**»، (١/ ٩٣- ١٠١).

- (**فصل في تسليم الحال**)، (١٠/ ٣٧٨-٣٨٦).

- (**لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة**)، (١١/ ٨٥-١٠٢).

- (**مسألة في الفتوة وآدابها وشرائطها**)، «**جامع المسائل**»، (١/ ١٨٧-١٩٤).

- (**أسئلة عن الخرقة**)، (١١/ ١٠٣-١٠٦).

- (**الوصية الكبرى**)، (٣/ ٣٦٣-٤٣٠)، وطبعت مفردة مرارًا. وأبحاثها كثيرة، وهي نصيحة لأتباع طريقة عدي بن مسافر.

- «**الرد علىٰ الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق**»، تحقيق: علي العمران، عالم الفوائد. وهي شاملة لكثير من انتقاداته علىٰ الصوفية العلمية والسلوكية.

السماع:

يقرأ: «**ابن تيمية والسماع الصوفي من خلال كتاب الاستقامة**»، عبد العزيز بن علي العقلاء، (بحث تكملي للماجستير)، (١٤٠٧-١٤٠٨)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ثم يقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- «**الاستقامة**»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام.

- (**قاعدة في وجوب الاتباع وإبطال السماع المحدث**)، (١١/ ٥٨٧- ٦٠٢).

- (**فتوىٰ في السماع**)، «**جامع المسائل**»، (٣/ ٣٨٧- ٣٩٠).

- (قاعدة في وجوب الاتباع وإبطال السماع المحدث)، «جامع المسائل»، (٥/ ٢٠٩-٢٣٨).

- (أسئلة عن أمور فاسدة، كالسماع والمردان ومؤاخاة النساء)، (١١/ ٥٣١-٥٥٦).

- (السماع والرقص)، (١١/ ٥٥٧-٥٨٦). وهو مطبوع مفردًا في مطبعة المدني، القاهرة.

- (أسئلة السماع)، (١١/ ٥٨٧-٦٤٥)، وفيها الرقص.

في أمور من الإباحية والزندقة:

- (سئل عمن اجتمعوا علىٰ أمور متنوعة من الفساد)، (٢/ ١٠٤-١٠٩).

- (فصل: من ادعىٰ النبوة وأباح الحرم كافر)، (٢/ ١١٠).

التأويل الباطني: وينظر هنا ما تقدم في كتب التأويل.

ويقرأ لابن تيمية:

- (رسالة في علم الباطن والظاهر)، (١٣/ ٢٣٠-٢٦٩).

الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يقرأ أولًا:

(١) «**عقيدة الصوفية: وحدة الوجود الخفية**»، أحمد القصير، مكتبة الرشد ناشرون.

(٢) «**الفلسفة الصوفية عند محيي الدين بن عربي**»، أبو العلا عفيفي، ترجمة: مصطفىٰ لبيب عبد الغني، المركز القومي للترجمة.

(٣) «**وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي**»، سهيلة عبد الباعث الترجمان، دار البراق.

(٤) «**وحدة الوجود بين ابن عربي والنابلسي**»، فيكتور سعيد باسيل، دار الفارابي.

(٥) «**وحدة الوجود من الغزالي إلىٰ ابن عربي**»، محمد الراشد، صفحات للدراسات والنشر.

(٦) «ابن عربي: عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلىٰ القرن الثالث عشر»، دغش العجمي، مكتبة أهل الأثر، (الكويت).

ويقرأ لابن تيمية موضوعيًا:

- (حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود)، (٢/ ١٣٤-٢٨٥).
- (فصل في حقيقة مذهب الاتحادية)، (٢/ ٩٨-١٠٣).
- (سئل عن كتاب ظهر بين الناس)، (٢/ ١٢١-١٣٣)، وهو نقد لفصوص الحكم، ومن تابعه.
- (الرد الأقوم علىٰ ما في فصوص الحكم)، (٢/ ٣٦٢- ٤٥١).
- (إبطال وحدة الوجود) = «الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية»، (٢/ ٢٨٦-٣٦١).
- (سئل عمن أنكر خلق أفعال العباد)، (٢/ ١١١-١٢٠).
- (سئل عمن يقول: ما ثم إلا الله)، (٢/ ٤٨٨-٤٩٠).
- (سئل عن قوله ﷺ: لا تسبوا الدهر)، (٢/ ٤٩١-٤٩٥).
- (سئل عمن ادعوا بنصوص القول بالحلول والاتحاد والاحتجاج بالقدر علىٰ المعاصي)، (٢/ ٢٨٦-٤٧٩). وهي أوسع تلك الفتاوىٰ وأغزرها. وهي مليئة بالبحوث، والتعقبات علىٰ الحلاج وابن عربي والسهروردي والتلمساني وابن الفارض وغيرهم، وفيها ردود تأصيلية عقلية وشرعية وذوقية في منع الاتحاد والحلول، وفيها إشارات لمسألة مسألة غلبة الحال، وبحث آية كل شيء هالك إلا وجهه، ومقارنة بين الاتحاديين وبين عقيدة النصارىٰ في الحلول الخاص.
- (الفناء الذي في كلام الصوفية)، (١٠/ ٣٣٧-٣٤٣).
- (رسالة في الرد علىٰ بعض أتباع سعد الدين ابن حموية)، «جامع المسائل»، (٤/ ٣٨٧- ٤٢٥).
- (سئل عن الحلاج)، (٢/ ٤٨٠-٤٨٧).
- (رسالة في الجواب عن سؤالٍ عن الحلاج هل كان صديقًا، أو زنديقًا؟»، (٣٥/ ١٠٨-١١٩).

- (رسالة إلىٰ نصر المنبجي)، (٢/ ٤٥٢-٤٧٩).

- «بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد» = (السبعينية)، (٥/ ١-١٤٠)، وطبع مفردًا، بتحقيق: د. موسىٰ بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم.

التصوف البنائي العملي: السلوك:

يقرأ أولًا:

(١) «العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين»، محمد موسىٰ الشريف، دار المجتمع.

(٢) «أعمال القلوب»، محمد صالح المنجد.

(٣) «أعمال القلوب بين المتكلمين والصوفية»، مطر سالم، دار المحمدي.

ويقرأ لابن تيمية:

المجلد العاشر: (علم السلوك):

- «العبودية»، (١٠/ ١٤٩-٢٣٦)، وطبعت مفردة كثيرًا.

- (رسالة في قوله -تعالى-: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾، «جامع الرسائل»، (١/ ٧٩- ٨٤).

- «فصل في الصراط المستقيم في الزهد والعبادة والورع والاقتصاد في العبادة»، (١٠/ ٥٦٨- ٦١٤).

- (فصل في جماع الزهد والورع)، (١٠/ ٦١٥-٦٢٤).

- (سئل عن العبادة وفروعها وحقيقة العبودية)، (١٠/ ١٤٩-٢٣٦).

- (التحفة العراقية في الأعمال القلبية)، (١٠/ ٥-٩٠)، وطبعت مفردة بتحقيق: يحيىٰ هنيدي، مكتبة الرشد.

- (أمراض القلوب وشفاؤها)، «مجموع الفتاوى»، (١٠/ ٩١- ١٣٧).

- (فصل في مرض القلوب وشفائها)، (١٠/ ١٣٨-١٤٨)، مختصرة.

- (تزكية النفس)، (١٠/ ٦٢٥-٦٤٠)، وطبعت مفردة بتحقيق: محمد بن سعيد

القحطاني، دار المسلم، وهي أزيد.

- **(رسالة في تحقيق التوكل)، «جامع الرسائل»، (١/ ٨٥- ١٠٠).**

- **(قاعدة في الرد علىٰ الغزالي في التوكل)، (٨/ ٥٢٤- ٥٣٩)**، وطبعت مفردة بتحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، دار الصميعي.

- **(قاعدة في المحبة)، «جامع الرسائل»، (٢/ ١٩٠-٤٠١)**، وأفردها فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم.

(قاعدة في الصبر)، «جامع المسائل»، (١/ ١٦٣-١٧٤).

- **(الفقير الصابر، أم الغني الشاكر)، (١١/ ١٢٢-١٣٢).**

- **(الهجر الجميل والصفح الجميل)، (١٠/ ٦٦٦-٦٧٧).**

- **(الرضى)، (١٠/ ٦٧٨-٧٦٩).**

- **(رسالة في تحقيق الشكر)، «جامع الرسائل»، (١/ ١٠١- ١١٨).**

- **(حقيقة الحمد والشكر)، (١١/ ١٣٣).**

- **(مناظرة مع ابن المرحل في الحمد والشكر)، (١١/ ١٣٥-١٥٥).**

- **(فصل في مراتب الأذكار)، (١٠/ ٥٥٣-٥٦٧).**

- **(قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات وبيان اقتران التهليل بالتكبير والتسبيح بالتحميد)، «جامع المسائل»، (٣/ ٢٦٩- ٢٩٤)**، وطبعت مفردة بتحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف. و**(مسألة في تلاوة القرآن والذكر أيهما أفضل)، «جامع المسائل»، (٣/ ٣٨٣-٣٨٦).**

- **(درجات اليقين)، (١٠/ ٦٤٥-٦٥٢).**

- **(رسالة في التوبة)، «جامع الرسائل»، (١/ ٢١٧- ٢٧٩).**

- **(سؤال حول حديث: «دعوة أخي ذي النون، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»)، (١٠/ ٢٣٧-٣٣٦).**

- **(شرح حديث أبي بكر الصديق: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا»)، «جامع المسائل»، (٤/ ٢٣- ٦٩).**

- (أسئلة في التوبة والاستغفار)، (١١/ ٦٥٩-٧٠٢).

- (ضابط الكبائر وأنواعها)، (١١/ ٦٥٠-٦٥٨).

- (العزلة والخلطة)، (١٠/ ٤٢٥-٤٢٩).

- (السياحة)، (١٠/ ٦٤١-٦٤٤).

- (رسالة في دخول الجنة، هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ أم ينقضه قوله: «لا يدخل أحد الجنة بعمله»)، «جامع الرسائل»، (١/ ١٤٣- ١٥٢).

- (شرح كلمات لعبد القادر في كتاب «فتوح الغيب»)، (١٠/ ٤٥٥-٥٤٨)، وهي رسالة طويلة فيها تعليقات حسنة.

- «مدارج السالكين»، لابن القيم.

- ويقرأ أعمال ابن القيم الصوفية الأخرى، وأهمها: «عدة الصابرين»، و«طريق الهجرتين»، و«الداء والدواء».

التصوف بنائي النظري:

يقرأ أولًا:

- (موسوعة الروح)، (أربعة أجزاء)، علي العبيدي، الدرر السنية.

ويقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- (رسالة في قنوت الأشياء كلها لله -تعالى-)، «جامع الرسائل»، (١/ ٣-٤٥).

- (فصل في محبة الجمال)، (٢٢/ ١٢٤-١٣٢).

- (قاعدة شريفة في تفسير قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، «جامع المسائل»، (١/ ١٠٩-١٤٠).

- (فصل في محركات القلوب إلى الله)، (١/ ٩٥-١٠٠).

- (رسالة في القلب وأنه خلق ليعلم به الحق، ويستعمل فيما خلق له)، (٩/ ٣٠٧-٣١٩).

- (سئل عن الروح)، (٤/ ٢١٦-٢٣١).

- **(مسألة في العقل والنفس)، (٩/ ٢٧٠-٣٠٤)؛ (مجموعة الرسائل المنيرية)، (٢/ ٢٠- ٤٩).**

- «**الروح**»، ابن القيم.

الفلسفة:

ويكتفىٰ هاهنا بما تقدَّم ذكره في المراحل السابقة علىٰ دراسة تراث ابن تيمية، وبخاصة كتاب منىٰ أبي زيد. ويضاف عليه:

(١) «**موقف ابن تيمية من الفلاسفة**»، صالح الغامدي، المعارف، (الرياض).

(٢) «**موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد**»، الطبلاوي محمود سعد، (١٩٨٩م)، المؤلف.

ويقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- **(تمهيد الأوائل وتقرير الدلائل)، (٢/ ١٥- ٢٤).**

- **(فصل في طريقة اتباع الأنبياء)، (٦/ ٦٦-٦٧).**

- **(فصل في المنحرفين المشابهين للصابئة)، (٢/ ٥٤-٩٣).**

- **(فصل في كمال النفس)، (٢/ ٩٤-٩٧).**

- «**الصفدية**»، بتحقيق: أبي عبد الله سيد الجليمي، وأبي معاذ أيمن الدمشقي، أضواء السلف.

- **«وفي بيان تلبيس الجهمية، ودرء التعارض مادة كثيرة في الرد علىٰ الفلاسفة».**

الشيعة:

يقرأ أولًا:

(١) «**عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام**»، (٣ أجزاء)، ناصر بن علي عايض الشيخ، الجامعة الإسلامية.

(٢) «**عدالة الصحابة ﭫ في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات**»، عماد السيد الشربيني، (٢٠٠٦ م)، مكتبة الإيمان، (مصر).

(٣) «**العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط**»، سليمان السحيمي، مكتبة الإمام البخاري.

(٤) «**أهل البيت عند ابن تيمية**»، عمر القرموشي، مركز تأصيل.

(٥) «آل رسول الله ﷺ وأولياؤه: **موقف أهل السنة والشيعة، من منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية**»، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (١٤١٢ م)، دار اليقين، (المنصورة).

(٦) «**أصول وقواعد منهجية: قراءات في منهاج السنة النبوية**»، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، (٢٠١٣ م)، مجلة البيان.

(٧) «**تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: أسبابه ومظاهره**»، عبد اللطيف الحفظي، دار الأندلس الخضراء.

(٨) «**موقف شيخ الإسلام من الرافضة**»، عبد الله الشمسان، دار الفضيلة.

(٩) «**أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: عرض ونقد**»، ناصر بن عبد الله القفاري، (١٩٩٨ م)، دار الرضا، (مصر).

(١٠) «**مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الشيعة الإمامية: عرض ونقد**»، (جزآن)، إيمان صالح العلواني، (٢٠٠٨ م)، دار التدمرية، (الرياض).

(١١) «**الأدلة العقلية علىٰ الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية: عرض ونقد**»، إيمان بنت صالح العلواني، (١٤٣١ هـ)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، (طبع).

(١٢) «**أصول الإسماعيلية دراسة، تحليل، نقد**»، (مجلدين)، سليمان عبد الله السلومي، سليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة.

ويقرأ لابن تيمية موضوعيًا:

- **(كل من صحب النبي أفضل ممَّن لم يصحبه مطلقًا)، (٤/ ٥٢٧-٥٢٨).**
- **(فصل: أعداء الخلفاء الراشدين)، (٤/ ٤٣٥-٤٥٢).**
- **(قاعدة في الخلافة والملك)، (٣٥/ ١٨٨-٣٢).**
- **(ساب أبي بكر)، (٤/ ٥٢٨-٥٤٢).**

- (فصل: أيهما أفضل أبو بكر وعمر أم الخضر)، (٤/ ٣٩٧-٣٩٨).
- (سئل عن المفاضلة بين أبي بكر وعلي)، (٤/ ٣٩٨-٤١٣).
- (تفضيل الثلاثة علىٰ علي)، (٤/ ٤١٤-٤٢٠).
- (شرح قول ابن أبي زيد القيرواني في التفضيل)، (٤/ ٤٢١-٤٣٤).
- (فصل: في أن أفضل نساء الأمة خديجة وعائشة وفاطمة)، (٤/ ٣٩٤-٣٩٦).
- (هل علي قاتل الجن)، (٤/ ٤٩١-٤٩٧).
- (سئل في دفن علي)، (٤/ ٤٩٨-٥٢٦).
- (الطريق التي بها يعلم إيمان الواحد من الصحابة)، (٤/ ٤٦٦-٤٨٩).
- (إيمان معاوية)، (٤/ ٤٥٣-٤٦٥).
- (سئل عمن يلعن معاوية)، (٣٥/ ٥٨-٧٨).
- «حقوق آل البيت» = (رسالة إلىٰ المنسوبين إلىٰ التشيع)، «جامع المسائل»، (٣/ ٦٧- ١١٦)، وطبع مفردًا بالعنوان الأول.
- (رأس الحسين)، (٢٧/ ٤٥٠- ٤٨٩).
- (مسألة فيمن قال إن عليًا أشجع من أبي بكر)، «جامع المسائل»، (٣/ ٢٤٥- ٢٥٠).
- (افترق الناس في يزيد)، (٤/ ٤٨١-٤٨٨).
- (سؤال في يزيد بن معاوية)، «جامع المسائل»، (٥/ ١٤١- ١٥٨).
- «منهاج السنة النبوية»، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وباستثناء المجلد الأول الكلامي في غالبه -والاستثناء من جهة استصعاب أسلوبه لدىٰ بعض القراء-؛ فالكتاب موسوعة عقدية فقهية تاريخية سلوكية نفيسة، وهي من أجلِّ ما كتب الشيخ وأكثره فوائد وتحقيقات.
- (فتوىٰ في النصيرية)، (٣٥/ ١٤٥-١٦٠).

المسيحية واليهودية

يقرأ أولًا:

(١) «أصول الديانة اليهودية وفروعها ودورها في تكوين عقائد الرافضة»، سعد المبارك الحسن (٢٠١٠ م)، دار المنتقى، (السعودية).

(٢) «**المسيحية (النصرانية): دراسة وتحليل**»، ساجد مير، دار السلام، (الرياض).

(٣) «**النصرانية في الميزان: دراسة نقدية موثقة للعقائد والأفكار التي اشتملت عليها النصرانية**»، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم، الدار الشامية.

(٤) «**البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل**»، أحمد حجازي السقا، دار البيان العربي.

(٥) «**جهود علماء المسلمين في الرد علىٰ النصارىٰ خلال القرون الستة الهجرية الأولى**»، بدر بن محمد طراد المعيقل، أم القرى.

(٦) «**الفكر الإسلامي في الرد علىٰ النصارى**»، عبد المجيد الشرفي، دار المدار الإسلامي، والكاتب تنويري معروف.

(٧) «**موقف الغزالي وابن تيمية من المسيحية: دراسة تحليلية مقارنة**»، صابر عبده أبا زيد، (٢٠٠٧ م)، دار الوفاء.

(٨) «**موقف ابن تيمية من النصرانية**»، مريم عبد الرحمن عبد الله زامل، أم القرى.

(٩) «**منهج أهل السنة والجماعة في الرد علىٰ النصارى: دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية**»، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن، الفاروق الحديثة.

(١٠) «**جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود**»، سميرة بعد الله بكريناني، (ماجستير)، جامعة أم القرى، (١٩٩٢ م).

ويقرأ لابن تيمية موضوعيًّا:

- (**في طريقة الجدل مع المليين وغير المليين**)، (٤/ ١٩٧-٢١٥).
- (**مناظرة بين الشيخ والرهبان**)، (١/ ٣٧٠-٣٧١).
- (**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**)، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر، ود. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، ود. حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة.
- (**الرسالة القبرصية**)، (٢٨/ ٦٠١-٦٣٠).
- (**فتوىٰ في أمر الكنائس**)، «**جامع المسائل**»، (٣/ ٣٦١- ٣٧٠).
- «**مسألة في الكنائس**»، (٢٨/ ٦٣٢- ٦٤٦(، وطبعت مفردة بتحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العبيكان.
- «**هداية الحياري**»، ابن القيم.

خاتمة:

كان ابن تيمية -ولا زال- عاملًا أساسيًّا في تثوير الفكر الإسلام، والدعوة إلىٰ السلفية بالرجوع إلىٰ المصادر الأساسية للوحي، وهو الموقف الذي أثار -بحسن قصد وسوء طوية- زوابع من الفتن والخلافات والسجالات حوله. وشيخ الإسلام ابن تيمية جدير أن يوليه طالب العلم عنايته التامة، فهمًا، ونقدًا، بدرس متعمق متمهل، يتصور موارده، وأقوال مخالفيه، وآليات بنائه ونقده؛ فإن لهذا من الفوائد والمنافع ما يخرج عن الحصر، من ناحية تحقيق الاعتقاد السلفي بالنسبة لهذا المنظور، ومن ناحية معرفة البدع والضلالات التي دخلت علىٰ الأمة، ومن ناحية معرفة جهات الانحراف وتمظهراتها، وفائدة ذلك أن هذه الآليات ليست قاصرة علىٰ الدرس التاريخي للعقيدة والكلام والفلسفة فحسب؛ **بل هي** متكررة متجددة علىٰ مر العصور في صور وبنىٰ مختلفة.

وقد كان الحامل علىٰ وضع ذلك المنهج -الذي طال طلبه وانتظاره- علىٰ ذلك النحو؛ وأملي أن يكون ذلك تمهيدًا لدراسات محققة عن ابن تيمية، سواء منَّا أو من غيرنا من الباحثين، ونفس طريقة التقسيم المذكورة -علىٰ اختصارها هنا- هي فكرة قديمة عندي بتصنيف موضوعي لمؤلفات الشيخ، مع صنع معجم كامل للاقتباسات (Quotations)، يستفيد منه الباحث والقارئ، ويُولِّد عددًا هائلًا من البحوث التيمية الدقيقة، والمنهجية العامة علىٰ حدٍّ سواء. نسأل الله أن يعيننا علىٰ ما فيه النفع والصلاح.

ونختم بذكر أهم الكتب التي دافعت عن ابن تيمية ضد النقود الموجهة له - والكتب من الفريقين كثيرة، ولكن نذكر ما يلائم سُلَّمنا التعليمي، مع التنبيه أنَّه يُمكن للقارئ أن يقرأ تلك الكتب دون الالتزام بالدرس الكامل لهذا المنهج، وكذا يمكن للطالب أن يقدمه عليه، أو يقدم بعضه عليه:

(١) «**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**»، الآلوسي.

(٢) «**دعاوىٰ المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية: عرض ونقد**»، عبد الله الغصن، دار ابن الجوزي.

(٣) «**العقيدة السلفية بين الإمام أحمد والإمام ابن تيمية**»، سيد عبد العزيز السيلي، دار المنار.

(٤) «**نقض الكاشف والرد علىٰ المدعو سعيد فودة**»، عبد الباسط غريب.

(٥) «**مقالة التجسيم: دراسة نقدية لخطاب خصوم ابن تيمية المعاصرين**»، فهد محمد هارون، مركز الفكر المعاصر.

المرحلة الثالثة

منهج دراسة نصية لعلم كلام

ونذكر في هذه المرحلة منهجًا لدراسة علم الكلام نصيًّا، معتمدًا علىٰ قائمة قراءة مرتبة تدريجيًّا. ولكن نشير إلىٰ أنَّ القارئ الذي لم يدرس المرحلة الأولىٰ بحاجة إلىٰ مراجعة الكتب الموجودة فيه. وكذلك يجب أن يكون قد فرغ من دراسة علم المنطق بمستوييه.

ونحب أن نشير هاهنا إلىٰ أنَّ طبيعة النص الكلامي، ثم الفلسفي الآتي؛ مغايرة للنص التيمي، فرغم أنَّ كثيرًا من طلبة العلم يستصعبون الأسلوب التيمي في بعض البحوث الكلامية والفلسفية؛ إلَّا أنَّ القارئ سيدرك بمجرد النظر أنَّ أسلوب ابن تيمية سهل يميل إلىٰ التوسط في بعض المواضع بالمقارنة بالنصوص الكلامية والفلسفية الفنية.

والذي نتوقعه ألَّا يجد القارئ صعوبة كبيرة في قراءة النصوص الكلامية ثم الفلسفية، إذا كان قد فرغ من المرحلتين السابقتين، فإن لم يكن قد مارس المرحلة الثانية؛ فإنَّه ينبغي أن يدرس المرحل الأولى، كي يتصور تاريخ وموضوعات وأعلام ومذاهب المذاهب الكلامية ثم الفلسفية الآتية معنا. وكذلك ينبغي أن يراعي ما ذكرناه من اعتماد بعض الكتب المساعدة علىٰ فهم المصطلحات الكلامية والفلسفية السائرة التي ذكرناها أول المرحلة الثانية في دراسة ابن تيمية.

والنصيحة التي يمكن أن تُقدَّم إلىٰ القارئ للنص الكلامي أو الفلسفي -إن كان مريدًا لتلك الدراسة برغبة صادقة- ألَّا ينصرف عن القراءة إن شعر بالصعوبة، بل يواصل القراءة ويكرر، ويحاول تفكيك العبارة، ومعرفة عود الضمير، وملاحظة التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل؛ فإنَّه غالبًا ما ستنحل له

العبارة. وإن عجز عن الوصول للمعنى؛ فلا إشكال أن يجاوز العبارة أو الموضع ويواصل مذاكرته؛ فإنَّ تلك المعاني ستنكشف له لاحقًا؛ فإنَّ من إشكاليات المتن الكلامي، ثم الفلاسفة أنَّ كتبه المدرسية نظرًا لاختصارها الشديد، واعتوار مضامينها أصالة؛ قد تكون أعسر من المتون المتوسطة والكتب الكبيرة. وهذا سيلاحظه القارئ في كثير من الأحيان. كما أنَّ بعض المختصرات مخدومة بشروح صوتية -وبخاصة في المتون الفلسفية المخدومة شيعيًّا بالشروح الحوزوية- وحواشٍ، فهذا ممَّا يُعين علىٰ الفهم، والمعروف في القراءة الكلامية والفلسفية أنَّها ذائقية ودُربة ومِران؛ فإنَّه مع الصبر، واتخاذ الوسائل والأسباب السابقة؛ متىٰ انحل النص الكلامي والفلسفي = أصبح القارئ قادرًا علىٰ قراءة أغلب تلك النصوص والمتون. علىٰ أنَّه لا ينبغي أن ييأس أنَّه مهما تقدَّم في تلك المذاكرة أن يعترضه ما لا يفهمه، فهذا في الواقع حال أغلب الباحثين، حتىٰ المتخصصين منهم.

ويقرأ الطالب الكتب الآتية بهذا الترتيب:

(١) **«صغرىٰ الصغرى»**، للسنوسي، بشرح السنوسي.

(٢)« **الخريدة البهية**»، بشرحها للدردير. ويرجع لحاشية الصاوي عند الحاجة فقط. (يستعين بأي شرح أزهري في موقع يوتيوب في قناة أزهري).

(٣) **«شرح جوهرة التوحيد»**، الباجوري. (يستعين بأي شرح أزهري في موقع يوتيوب في قناة أزهري).

(٤) **«أم البراهين»**، للسنوسي، بشرح السنوسي عليها. مع حاشية الدسوقي. (يستعين بأي شرح أزهري في موقع يوتيوب في قناة أزهري).

(٥) **«الاقتصاد في الاعتقاد»**، للغزالي.

(٦) **«الإرشاد»**، للجويني.

(٧) **«التمهيد»**، للباقلاني.

(٨) **«المعالم في أصول الدين»**، للرازي.

(٩) **«أساس التقديس»**، للرازي.

(١٠) «**الأربعين**»، للرازي.

(١١) «**شرح مواقف الإيجي**»، للشريف الجرجاني. ويرجع للحواشي عند الحاجة.

(١٢) «**شرح الأصفهاني لطوالع**»، البيضاوي.

(١٣) «**شرح التفتازاني للنسفية**».

(١٤) «**أبكار الأفكار**»، للآمدي. ويجعله عمدته في المذاكرة والمراجعة.

ثم يتوسع بعد ذلك في قراءة كتب أعلام الأشاعرة مرتبين زمانيًّا، ويعتني بكتب الأشعري والباقلاني ومطولات الرازي الكلامية والفلسفية.

المرحلة الرابعة

منهج دراسة الفلسفة الإسلامية

نذكر فيما يلي منهجًا مقترحًا في الدراسة النصية للفلسفة الإسلامية الكلاسيكية، مع ملاحظة مهمة، وهي أن يقرأ الطالب ما تقدم ذكره في المرحلة الأولىٰ من كتب، وهذا إن لم يكن درس منهج التراث التيمي، ومن ثَمَّ لم يقرأ تلك المقدمة. أمَّا من فرغ من منهج الدرس التيمي والكلامي، وهذا هو الترتيب المفضل بطبيعة الحال؛ فإنَّه يمكن الشروع مباشرة في هذا المنهج، إلَّا أن يحتاج إلىٰ مراجعة بعض الكتب السابقة. وكذلك نذكر بما أسلفناه من الاعتماد علىٰ معجم فلسفي -نفضل معجم صليبًا-، وموسوعات دغيم للإفادة منها عند الحاجة.

ويراعىٰ ما ذكرناه عن قراءة النص الكلامي والفلسفي في المرحلة الثالثة.

ويقرأ الطالب الكتب الآتية بهذا الترتيب:

(١) «**تجريد الاعتقاد**»، للطوسي، بشرح الأصفاني. ويستعين بشرح صوتي لكمال الحيدري علىٰ موقع: صوت الشيعة.

الهداية الأثيرية، بشرح الميبذي، أو الشيرازي. يغني أحدهما عن الآخر.

(٢) «**إلهيات الشفا**»، بشرح أيمن المصري صوتيًّا علىٰ موقع: صوت الشيعة.

(٣) «**النجاة**»، و«**عيون الحكمة**»؛ كلاهما لابن سينا. ويستثني المنطق من النجاة.

(٤) «**وعاية الحكمة في شرح نهاية الحكمة**»، حسين عشاقي الإصفهاني، (١٤٣٢م)، مركز المصطفىٰ العالمي للترجمة والنشر لجامعة قم، إيران.

(٥) «**نهاية الحكمة**»، شرح وتعليق الفياضي، (٤ مجلد).

(٦) «**دروس في الفلسفة الإسلامية**»، (أربعة أجزاء)، مرتضىٰ مطهري، ترجمة:

عبد الجبار الرفاعي، (١٤٢٩ م)، مركز دراسات فلسفة الدين، (بغداد). (شرح المنظومة).

(٧) «**شرح المنظومة**»، هادي السبزواري، (جزآن)، (١٤٢٨ م)، منشورات بيدار، (قم).

(٨) «**القواعد الفلسفية**»، (جزآن)، غلام ديناني، دار الهادي.

(٩) (**مجموع مؤلفات صدر الدين الشيرازي**)، يقرأ منها: «**رسالة في الحدوث**»، (تحقيق: سيد حسنين موسويان)، و«**اتحاد العاقل والمعقول**»، (تحقيق: بيوك علي زاده)، و«**الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية**»، (تحقيق: مصطفىٰ محقق داماد)، و«**المبدأ والمعاد في الحكمة الإلهية**»، (تحقيق: جعفر شاه نظري)، (١٣٨٢م)، بنياد حكمت إسلامي صدرا، (طهران).

ويستعين عند الحاجة بـ: «**قاموس المصطلحات الفلسفية عند صدر المتألهين**»، جعفر السجادي، ترجمة: علي الحاج حسن، (٢٠٠٦ م)، معهد المعارف الحكمية.

«**موسوعة مصطلحات صدر الدين الشيرازي**»، (جزآن)، سميح دغيم، (١٤٢٨م)، ذوي القربى، (قم).

(١٠) «**النظام الفلسفي لمدرسة الحكمة المتعالية**»، (٣ أجزاء)، عبد الرسول عبوديت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

وهذا الكتاب كافٍ في الوقوف علىٰ مطالب الأسفار العقلية، فمن شاء التوسع فليقرأها، وليستعن بشرح كمال الحيدري الصوتي عليها في موقع صوت الشيعة، وهي مطبوعة.

(١١) «**تعليقات علىٰ الحكمة المتعالية**»، مصطفىٰ الخميني، (١٤٢٧ م)، مرسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، (طهران).

(١٢) «**شرح إلهيات الشفا**»، صدر المتألهين، تحقيق: جنفلقي حبيبي، (١٣٨٢م)، بنياد حكمت إسلامي صدرا، (طهران).

ثم يتوسع بعد ذلك في قراءة مصنفات أعلام الفلاسفة الإسلاميين، شرقًا وغربًا، والدراسات المكتوبة حولهم وحول اتجاهاتهم.

(٣)

الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ

علم الملل والنحل: هو العلم الذي يدرس (يصف ويحلل) آراء وأقوال الناس في الوجود والأخلاق، من حيث نشأة هذه الآراء وتطورها وأنباء قائليها وحججهم، سواء صدروا في أقوالهم عن وحي ظاهر أم لا.

وكاصطلاح خاص فسنجعل معاني المصطلحات المذكورة في العنوان كما يلي:

الملل: الأديان التوحيدية والرسالات السماوية.

النحل: الفلسفات الوضعية.

الفرق: الخلافات داخل الدين الواحد فيما يتعلق بأصول هذا الدين.

المذاهب: الاختلافات داخل الدين الواحد فيما لا يمس أصول هذا الدين، **ولا يتم الاشتغال بها في علم الملل والنحل غالبًا.**

وتتوزع فروع هذا العلم إلىٰ ما يلي:

(١) الملل: وهي الآراء والأقوال التي قالها الناس في الوجود والأخلاق تبعًا لإيمانهم بوحي مقدس هو مرجع أساسي أو وحيد في أقوالهم هذه. وندرس فيها تاريخ الرسالات السماوية مع العناية باليهودية والمسيحية والإسلام، ويدرس فيها تاريخ هذه الديانات وتطورها والتداخلات الحادثة بين مضامينها العقدية والفقهية وبين الواقع الاجتماعي والسياسي، وأيضًا يدرس في هذا الفرع:

(٢) الفرق والمذاهب داخل كل دين.

(٣) النحل: وهي الآراء والأقوال التي قالها الناس في الوجود والأخلاق لم يستندوا فيها إلىٰ الوحي كمرجع مقدس قاض علىٰ غيره من المرجعيات العقلية والتجريبية، بل تكون المرجعيات العقلية أو التجريبية أو الروحية هي المرجع الأساسي. وفي هذا الفرع تتم دراسة الفلسفات الأسيوية والديانات الوثنية والأخلاقية (أديان مصر القديمة-والفلسفات والأديان الأخلاقية اليابانية والصينية والهندية مثل الطاوية والبوذية والكونفوشيوسية والفلسفة الغربية بمراحلها الأربع: الفلسفة اليونانية - الفلسفة الوسيطة - الفلسفة الحديثة - الفلسفة المعاصرة) ويلحق بها المذاهب الفكرية، أي: التي أنتجتها العلوم والفنون المختلفة وأثرت

في واقع الناس فيما يتعلق بالدين والثقافة والقيم والأخلاق مثل المذاهب الاقتصادية كالاشتراكية والأفكار العلمية كالنظرية النسبية.

ولدراسات الملل والأديان وظيفتان:

الأولىٰ: وظيفة وصفية لا تشتغل بالأحكام القيمية علىٰ الأديان والملل محل الدراسة.

الثانية: وظيفة تقويمية تنتهي من الوصف فتشرع في التقويم، مشتغلة بوزن الملل والنحل، وتتنوع الموازين التي يستعملها القائمون بوظيفة التقويم، والذي ينطلق من منطلقات إسلامية= فإن الوحي يكون هو ميزانه الذي يزن به مقالات الأديان والملل والفرق والطوائف ذلك أن ينطلق من أصل ثابت وهو أن الله أرسل نبيه بالدين الخاتم مصدقًا لما بين يديه من الكتب والرسالات السابقة ولكنه في الوقت نفسه مهيمنًا عليها لا سلطة لشيء غير هذا الوحي المقدس في صياغة المفاهيم والقيم والأفكار، وإذا كان الإسلام مهيمنًا بوحيه علىٰ ما بين يديه من الأديان والرسالات، فمن باب أولىٰ أن يكون مهيمنًا علىٰ جميع الفلسفات والأفكار التي لا تخرج عن كونها خليطًا من أديان صحيحة ومحرفة، وأفكار بشرية هي حاصل نظر الحس في الواقع وتلك الأديان الصحيحة والمحرفة.

وكل ما يصك سمعك عن الإنتاج البشري المجرد في أبواب القيم = هو كذب، وليس بين يدي بني آدم من النظريات والأفكار شيء إلا وأصله دين صحيح أو محرف، وليس للعقل مادة أخرىٰ يمكن أن يستمد منها القيم ومفاهيمها إلا والدين لبها، فجاء الإسلام مهيمنًا علىٰ كل ما بين يدي بني آدم في هذا العالم، بحيث أصبح نطقه في كل باب مستوجبًا خرس الفلسفات، وخضوع الأديان الأخرىٰ، ولو كان موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعه ﷺ.

والحق أن باب دراسة الملل والنحل من الأبواب الجليلة جدًّا؛ إذ لا يكفيك دائمًا أنْ تعرف الحق لتنجو حتىٰ تكون فقيهًا بالباطل ومساربه ومسالكه، والباطل لا يكاد يوجد إلَّا مشوبًا بشيء من الحق؛ لذا كان لزامًا أن تكون لصاحب الحق معرفة بالباطل تقيه الاشتباه وتؤمنه من دخول الباطل إلىٰ قلبه في إهاب من الحق مدبوغ.

قال شيخ الإسلام: «لا ينفق الباطل في الوجود إلَّا بشوب من الحق»[(١)].

وقال الشيخ: «كل ذي مقالة فلا بُدَّ أن تكون في مقالته شبهة من الحق، ولولا ذلك لما راجت واشتبهت»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «من عرف الشر وذاقه، ثم عرف الخير وذاقه، فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له - أكمل ممَّن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما؛ بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر، فلا يعرف أنه شر، فإمَّا أن يقع فيه، وإمَّا أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه.

ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ: «**إنَّما تُنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة: إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية**».

وهو كما قال عمر؛ فإنَّ كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند مَن علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم؛ ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره.

ولهذا كان الصحابة ﷺ أعظم إيمانًا وجهادًا ممَّن بعدهم؛ لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لِمَا علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي؛ ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص علىٰ الغنىٰ والصحة والأمن ممَّن لم يذقْ ذلك.

ولهذا يُقال: «**والضد يُظهر حسنَهُ الضد**»، ويُقال: «**وبضدها تتبيَّن الأشياء**».

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «**لست بخب ولا يخدعني الخب**».

فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأمَّا مَن لا يعرف الشر؛ فذاك نقص فيه لا يمدح به.

---

(١) «مجموعة الفتاوىٰ»: (٣٥/ ١٩٠).

(٢) «قاعدة في المحبة»: (٢٨٩).

وليس المراد أنَّ كلَّ من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون أعلم بذلك وأكره له ممَّن لم يذقه مطلقًا؛ فإنَّ هذا ليس بمطرد، بل قد يكون الطبيب أعلم بالأمراض من المرضىٰ، والأنبياء ﷺ أطباء الأديان، فهم أعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها، وإن كان أحدهم لم يذق من الشر ما ذاقه الناس، ولكن المراد أنَّ من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس»(١).

وقال: «ونحن -ولله الحمد- قد تبيَّن لنا بيانًا لا يحتمل النقيض فساد الحجج المعروفة للفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم التي يعارضون بها كتاب الله، وعلمنا بالعقل الصريح فساد أعظم ما يعتمدون عليه من ذلك، وهذا -ولله الحمد- ممَّا زادنا الله به هدىٰ وإيمانًا؛ فإن فساد المعارض ممَّا يؤيد معرفة الحق ويقويه، وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق، ويروىٰ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما تُنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة: إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية**».

وهذا حال كثير ممَّن نشأ في عافية الإسلام، وما عرف ما يعارضه ليتبيَّن له فساده؛ فإنَّه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين»(٢).

وقال: «والآخرون يخرجون إلىٰ الغفلة المذمومة، فيبالغون في سلامة الباطن حتىٰ يجعلون الجهل بما تجب معرفته من الشر الذي يجب اتقاؤه - من سلامة الباطن، ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهي عنه، وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور بها»(٣).

ويقول: «فإذا افتقر العبد إلىٰ الله، ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله، وكلام رسوله، وكلام الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدىٰ؛ ثم إنْ كان قد خُبِّرَ نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب؛ وعرف أنَّ غالب

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (١٠/ ٣٠٠-٣٠١).
(٢) «درء التعارض»: (٥/ ٢٥٨).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ»، (١/ ١٦).

ما يزعمونه برهانًا هو شبهة ورأي، وأنَّ غالبَ ما يعتمدونه يَؤُول إلىٰ دعوىٰ لا حقيقة لها؛ أو شبهة مركبة من قياس فاسد؛ أو قضية كلية لا تصح إلَّا جزئية؛ أو دعوىٰ إجماع لا حقيقة له؛ أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة، ثم إنَّ ذلك إذا رُكِّبَ بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمَّن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسُّنة؛ فإنَّ الضد يُظهر حسنه الضد، وكل من كان بالباطل أعلم؛ كان للحق أشدُّ تعظيمًا، وبقدره أعرف إذا هُدي إليه»[1].

ولا يمكن لطالب العلم أن يبدأ دراسته لهذا التخصص قبل أن يُنهي المرحلة الثالثة من علم العقيدة، وأن يكون الطالب قد قرأ القائمة الموجودة في الفرق والملحقة بمنهج العقيدة، وأن يكون بعدها قد قرأ القائمة المذكورة في في فرع الفلسفة، وفي فرع الأديان، والمذكورة في الفصل الخاص بالعلوم الإنسانية من كتابنا هذا.

والمقصود هنا أن تكون دراسة الطالب لهذا الفرع المعرفي دراسة تحقيق، وإلا فمجرد الوقوف علىٰ مقالات الطوائف من وجهة نظر أهل الحديث يكفي فيها القائمة المذكورة في علم العقيدة، أما هنا فلا بد من ضم وجهات نظر أخرىٰ، يعيبها أحيانًا ارتكازها علىٰ أسس غير دينية، لكن فيها إضافات معرفية من حقول شتىٰ، كما لا بد هنا من بداية الاطلاع علىٰ نصوص والمصادر الأصلية للملل والنحل المختلفة، وهي المصادر التي سيجمع أسماءها من مجموع قراءاته تلك كلها.

وترتيب الدراسة هنا يكون علىٰ النحو التالي:

يقرأ الطالب في فروع الملل والنحل التالية بحسب احتياجه، وليس الترتيب شرطًا، فما هاهنا هو بمنزلة قوائم أولية للقراءة والبحث، وسأتوسع فيها في كتاب مستقل بإذن الله.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (٥/ ١١٨).

أولًا: قائمة أساسية.

(١) سلسلة الأديان، فراس السواح، دار علاء الدين.

(٢) سلسلة تاريخ الفلسفة، إميل برهييه، دار الطليعة: بيروت.

(٣) سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، نشر: دار الطليعة: بيروت.

ثانيًا: الفلسفات والأديان الأسيوية وفلسفات الشرق القديم.

(١) «الفكر الشرقي القديم»، جون كولر، نشر: عالم المعرفة: الكويت.

(٢) «الفلسفات الأسيوية»، جون كولر، نشر: المنظمة العربية للترجمة: بيروت.

(٣) «فلسفة الشرق»، مهرداد مهرين، المركز القومي للترجمة: مصر.

(٤) «حكمة الصين»، فؤاد شبل، دار المعارف.

ثالثًا: الفلسفة اليونانية القديمة.

(١) «من الميثولوجيا إلىٰ الفلسفة»، حسام الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت.

(٢) «تاريخ الفلسفة»، فريدريك كوبلستون، المجلد الأول، نشر: المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(٣) سلسلة تاريخ الفكر الغربي، الطيب بو عزة، مركز نماء: بيروت.

(٤) «أفلاطون»، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية: القاهرة.

(٥) «أرسطو»، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية: القاهرة.

(٦) «خريف الفكر اليوناني»، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية: القاهرة.

(٧) «الفلسفة الرواقية»، عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة.

رابعًا: الفلسفة الوسيطة:

(١) «الآراء الدينية والفلسفية لفيلون السكندري»، إميل برهييه، نشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) «الفلسفة المسيحية»، إتين جيلسون، دار تنوير.

(٣) «تاريخ الفلسفة»، فريدريك كوبلستون، المجلد الثاني والثالث، نشر: المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(٤) فلسفة العصر الوسيط، الآن دي ليبيرا، نشر: دار شرقيات: القاهرة.

(٥) الفلسفة في الحضارة العربية، عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٦) «فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية»، لويس غارديه وجورج قنواتي، نشر: در العلم للملايين.

خامسًا: الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

(١) سلسلة عبقريات فلسفية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر.

(٢) «الفلسفة النسقية عند سبينوزا»، فاطمة حداد، منشورات بيت الحكمة: تونس.

(٣) نيتشه ونقد الحداثة، نور الدين الشابي، دار المعرفة: القيروان.

(٤) «هيجل»، إمام عبدالفتاح إمام، دار المعارف.

(٥) «تاريخ الفلسفة»، فريدريك كوبلستون، باقي مجلدات الكتاب، نشر: المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(٦) «الفلسفة الغربية»، كتاب جماعي، حرره: علي عبود محمداوي، منشورات ضفاف.

(٧) «مدرسة فرانكفورت النقدية»، كتاب جماعي، حرره: علي عبود محمداوي، منشورات ضفاف.

سادسًا: اليهودية.

(١) «العهد القديم»، ترجمة الرهبانية اليسوعية، نشر: دار المشرق.

(٢) «التلمود»، نشرت ترجمة تامة له حديثًا.

(٣) «موسوعة اليهودية والصهيونية»، عبدالوهاب المسيري، نشر: دار الشروق.

(٤) «مفصل العرب واليهود عبر التاريخ»، أحمد سوسة، دار الوراق.

(٥) «تاريخ اليهود في بلاد العرب»، إسرائيل ولفنسون، نشر: المركز الأكاديمي للأبحاث.

(٦) «التوراة اليهودية مكشوفة علىٰ حقيقتها»، إسرائيل فنكلشتاين، وفيل أشر سيلبرمان، نشر: دار صفحات: دمشق.

(٧) «التلمود: كتاب اليهود المقدس»، أحمد ايبش، نشر: دار قتيبة: دمشق.

(٨) «تاريخ وعقائد الكتاب المقدس»، يوسف الكلام، دار صفحات: دمشق.

(٩) «نقد التوراه في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي»، أحمد محمود هويدي، نشر: دار رؤية.

سابعًا: المسيحية.

(١) «العهد الجديد»، ترجمة الرهبانية اليسوعية، نشر: دار المشرق.

(٢) «المدخل إلىٰ الكتاب المقدس»، بولس الفغالي، دار المنشورات البولسية: بيروت.

(٣) «تاريخ الفكر المسيحي»، حنا الخضري، دار الثقافة: القاهرة.

(٤) «تاريخ المسيحية الشرقية»، عزيز سوريال عطية، نشر: المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(٥) «تاريخ وعقائد الكتاب المقدس»، يوسف الكلام، دار صفحات: دمشق.

(٦) «تحريف مخطوطات الكتاب المقدس»، علي الريس، مكتبة النافذة.

ثامنًا: علم الكلام الإسلامي.

(١) «مدخل إلىٰ علم الكلام»، حسن الشافعي، مكتبة وهبة.

(٢) «الدرس العقدي»، عمرو بسيوني، مركز نماء للبحوث والدراسات، وهو كتاب مهم جدًا.

(٣) «مذاهب الإسلاميين»، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين: بيروت.

(٤) «فلسفة المتكلمين، ولفنسون»، المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(٥) «الكلام في التوحيد»، الحبيب عياد، دار الكتاب الجديد.

(٦) «مقالات الإسلاميين»، أبو الحسن الأشعري.

(٧) «الملل والنحل»، الشهرستاني.

(٨) «الانتصار»، ابن الخياط.

(٩) «المغني في أبواب العدل والتوحيد»، القاضي عبد الجبار.

(١٠) «الشفاء»، ابن سينا، نشر: دار الكتب المصرية.

(١١) «فصل المقال»، ابن رشد، نشر: دار المعارف.

(١٢) «الإبانة»، أبو الحسن الأشعري.

(١٣) «التمهيد»، الباقلاني.

(١٤) «الإنصاف»، الباقلاني.

(١٥) «الإرشاد»، الجويني.

(١٦) «الاقتصاد في الاعتقاد»، الغزالي.

(١٧) «المعالم»، فخر الدين الرازي.

(١٨) «تأسيس التقديس»، فخر الدين الرازي.

(١٩) «نهاية العقول»، فخر الدين الرازي.

(٢٠) «المطالب العالية»، فخر الدين الرازي.

(٢١) «المحصل»، فخر الدين الرازي.

(٢٢) «الأربعين»، فخر الدين الرازي.

(٢٣) «أبكار الأفكار»، الآمدي، نشر: دار الكتب المصرية.

(٢٤) «حاشية زكريا الأنصاري»، علىٰ شرح العقائد النسفية، نشر: دار الضياء.

(٢٥) «تجريد العقائد»، الطوسي بشرح: شمس الدين الأصفهاني، نشر: دار الضياء.

(٢٦) «المعتبر في الحكمة»، ابن ملكا، دائرة المعارف العثمانية: حيدر أباد.

(٢٧) «دلائل الحائرين»، ابن ميمون، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة.

تاسعًا: قائمة مكملة في الفرق

(١) «المعتزلة»، زهدي جار الله، الدار العربية.

(٢) «فلسفة المعتزلة»، ألبير نصري نادر، دار نشر الثقافة.

(٣) «التصوف»، أبو العلا عفيفي، دار المعارف.

(٤) «مدخل إلىٰ التصوف الإسلامي»، أبو الوفا التفتازاني، دار الثقافة.

(٥) «التصوف الإسلامي»، محمد جلال أشرف، دار المطبوعات.

(٦) «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، لعبد القادر محمود، نشر دار الفكر العربي.

(٧) «التصوف»، «ودراسات عن التصوف»، إحسان إلهي ظهير، دار ابن حزم.

(٨) «دراسات عن التصوف»، مجموعة بحوث لنيكلسون وماسينيون، نشر: القاهرة.

(٩) «الحلاج»، ماسينيون، نشر: بيروت.

(١٠) «الفرق الهامشية في الإسلام»، المنصف بن عبد الجليل، دار المدار الإسلامي.

(١١) «الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم»، فرهاد دفتري، دار الساقي: بيروت.

(١٢) «الحركات الباطنية»، لمحمد عبد الله الخطيب نشر دار عالم الكتب.

(١٣) «الإسماعيلية»، و«القاديانية» و«البهائية»، ثلاثة كتب لإحسان إلهي ظهير، دار ابن حزم.

(١٤) «الدروز»، لعبد الرحمن بدوي، طبع بيروت.

(١٥) «الفلسفة الطبيعية والإلهية عند الفارابي»، لزينب عفيفي، نشر دار الثقافة الدينية.

(١٦) «الفارابي: الكتاب التذكاري الصادر في الذكرىٰ الألفية لوفاته» (١٩٥٠)، وفيه بحوث مهمة لإبراهيم مدكور وحسن حنفي وماجد فخري وجورج قنواتي.

(١٧) «ابن باجة وآراؤه الفلسفية»، لزينب عفيفي نشر: دار الثقافة الدينية.

(١٨) «المهرجان الألفي لوفاة ابن سينا» (١٩٥٢)، وفيه أبحاث نفيسة لإبراهيم مدكور وزهدي جار الله وألبير نصري وجميل صليبا وجورج قنواتي.

(١٩) «ابن رشد والرشدية»، لأرنست رينان، نشرته نشرة أخيرة دار الثقافة الدينية.

(٢٠) «مهرجان ابن رشد في الذكرىٰ المئوية الثامنة لوفاته» (١٩٧٨)، وفيه بحوث نفيسة للأب جورج قنواتي حول مؤلفات ابن رشد، وباقي بحوث المهرجان المذكور فنشرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجلدين تحت عنوان: «ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب».

(٢١) «ابن رشد سيرة: وثائقية»، لمحمد بن شريفة نشر: دار الغرب.

(٢٢) «موسىٰ بن ميمون حياته ومصنفاته»، لإسرائيل ولفنسون، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢٣) «ابن سبعين وفلسفته الصوفية»، لأبي الوفاء التفتازاني، نشر دار الكتاب اللبناني.

(٤)

الدِّرَاسَاتُ الْمَنْطِقِيَّةُ

أمَّا المنطق القديم في نفسه؛ فليس شيئًا يُطلب أو يُراد لذاته، وإنَّ أقل قواعده، وقوانينه هي التي تعصم بمراعاتها الذهن عن الخطأ كما يزعمون، وإنَّ بعضًا ممَّا يكتب اليوم عن مناهج البحث ومهارات التفكير وعيوبه وأخطائه = هو أنفع في عصمة الذهن عن الخطأ من هذا المنطق اليوناني، وجدير بالذكر أنَّ هذا العلم عند وضعه كان مجرد بيان للسان الذي يتخاطب به فلاسفة اليونان ويؤسسون عليه حججهم، وكثرت عليه الانتقادات منذ وضعه أرسطو، وإنَّما رفعَ شأنه وجعله عِلمًا وخلطه بغيره من العلوم بعض الفلاسفة وتبعهم بعض علماء المسلمين.

ثم لمَّا اختلط هذا العلم بالنحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وعلم الكلام لم يعد يسع طالب العلم أن يتجاهل تعلُّمه والوقوف عند حدوده؛ ليفقه حقه من باطله؛ فلا يلتبس عليه، وليستعين به علىٰ فهم كتب العلوم المذكورة فهمًا هو أول منازل نقدها وقبول صوابها ورد خطئها، ولسنا نرتضي أن يَذُمَّ الرجل تلك العلوم لاحتوائها علىٰ المنطق والفلسفة اليونانية ذمًّا مطلقًا؛ لأنَّ فيها صواب وحق لا بُدَّ من طلبه وتخليصه من أوضار الباطل، ولا يتم هذا الطلب المخلِّص من غير فهم تامٍّ لهذه العلوم، أمَّا مجرد الذم = فهو دعوىٰ يُحسنها كل قاعد، وهدم ليس وراءه للعلم والدين عائد.

لكن هذا كله عن المنطق القديم؛ لذلك الذي يعتني بدراسة المنطق القديم وفق المراحل الثلاث المذكورة هنا هو المشتغل بالتخصص في العقيدة والدراسات الكلامية، أمَّا المشتغل بغير ذلك؛ فيكفيه المرحلة الثانية.

أمَّا التفكير المستقيم ومهارات التفكير، فهي مهمة جدًّا للجميع، وبقطع النظر عن التخصص؛ لذلك سنبدأ به منهجنا المقترح في الدراسات المنطقية.

أَوَّلًا: التَّفْكِيرُ الْمُسْتَقِيمُ

(أَنْوَاعُهُ وَنَوَاقِضُهُ)

وهذا الفرع المعرفي هو الذي أنصح طالب العلم أن يبدأ به، وأن يجعله مرحلته الأولىٰ في الدراسات المنطقية.

والكتب التي أرشحها هنا بحيث يقرأها الطالب كلها مع تكرار وتلخيص الكتب الثلاثة الأخيرة:

(١) «**فصول في التفكير الموضوعي**»، عبد الكريم بكار، دار القلم.

(٢) «**التفكير المستقيم**»، روبرت. هـ ثاولس.

(٣) «**المغالطات المنطقية**»، عادل مصطفىٰ، دار رؤية.

(٤) «**التفكير النقدي**»، عمرو صالح، مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها، الشبكة العربية للأبحاث.

(٥) «**التفكير الناقد: ادرس الحكم**»، بروس إن. والر، الدار الأهلية للنشر والتوزيع. وهذا الكتاب مهم جدًّا، لكني أنصح ألَّا يقرأ الطالب هذا الكتاب إلَّا بعد الانتهاء من المرحلة الأولىٰ من دراسة المنطق القديم.

ثانيًا: تَرْتِيبُ طَرِيقَةِ دِرَاسَةِ

الْمَنْطِقِ القديم عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتُونِ

* المرحلة الأولى:

الذي يناسب هذه المرحلة، وتتوفر له الشروح الكافية خاصة المعاصر منها، متن واحد وهو: متن «السلم المنورق»، وله شروح مكتوبة ومسموعة، ومن أحسن ما يضبط به هذا العلم حفظ هذا المتن مع فهم «شرح القويسني»، أو: «شرح الدمنهوري»، ويمكن أن يرتب ذلك كالتالي: يدرس الطالب السلم بشرح الدمنهوري، مع الاستعانة بشرح عبد الرحيم فرج الجندي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، مع الاستماع للشرح المختصر على السلم المنورق، وهو صوتي لأحمد الحازمي، ثم دراسة الشرح علىٰ شرح القويسني، وهو صوتي للحازمي ولا مانع من أن يستمع الطالب بعد ذلك لشرح الحازمي على شرح زكريا الأنصاري على إيساغوجي؛ للتعرف على متن إيساغوجي، ويمكن الاستعانة مع شرح الحازمي بحاشية الشيخ عليش على هذا الشرح، وهناك شرح موسع للسلم المنورق فيه زبدة شروح وحواشي السلم، قام به الشيخ محمد الأمين الأثيوبي الهرري، وسماه: «الكوكب المشرق في سماء علم المنطق على السلم المنورق»، ونشرته: دار المنهاج، يمكن أن يقرأه الطالب بعد نهاية كل ذلك.

* المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «توشيح عبد السلام علىٰ السلم»، وطبع بالإمارات مع شرح وجيز جدًّا مختصر، وهو متوفر علىٰ الشبكة، وله شرح متوسط بعنوان: «**تسهيل المرام ورفع الإبهام على نظم السلم المنورق وتوشيحات عبد السلام**»، مشتاق صالح المشاعلي، نشر، مكتبة أهل الأثر: الكويت. ووضع الشارح بخاتمته شرح

السجاعي على المقولات وهو مناسب للدراسة في هذه المرحلة. وهذه المرحلة أيضًا مناسبة لمطالعة الحواشي المطولة في المنطق مثل: «**حاشية الصبان على شرح الملوي على السلم**».

(٢) «**تهذيب المنطق**»، للسعد التفتازاني، بشرح الخبيصي، وعليه حاشيتان للدسوقي والعطار، وعلى التهذيب أيضًا شرح معتمد في التدريس وضعه عبد الله اليزدي، نشر دار الضياء، وقد نشرت الدار معه في نفس المجلد شرح الدواني.

* المرحلة الثالثة:

* **يدرس فيها الطالب «شرح التفتازاني علىٰ الشمسية»**، نشر دار النور المبين، بتحقيق جاد الله بسام صالح وعلى هذا الشرح عدة حواشي يجدها الطالب في مكتبات درب الأتراك الأزهر.

ثَالِثًا: تَرْتِيبُ طَرِيقَةِ دِرَاسَةِ الْمَنْطِقِ الْقَدِيمِ عَلَى طَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ

* المرحلة الأولى:

يدرس الطالب في هذه المرحلة واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «المنطق التوجيهي»، أبو العلا عفيفي، دار عالم الأدب. وهذا هو ما أرشحه.

(٢) «آداب البحث والمناظرة»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (القسم الأول الخاص بالمنطق).

* المرحلة الثانية:

يُرشح للطالب فيها ثلاثة كتب يختار الطالب ما يناسبه منها:

(١) «ضوابط المعرفة»، للشيخ عبد الرحمن حنبكة الميداني، نشر دار القلم. وهو أكثر مناسبة لعموم طلبة العلم والمثقفين.

(٢) «طرق الاستدلال ومقدماتها»، ليعقوب الباحسين، نشر مكتبة الرشد، وهو مهم جدًّا. وهو أكثر مناسبة للمشتغل بعلم أصول الفقه.

(٣) «المنطق الصوري»، علي سامي النشار، دار المعارف. وهو أكثر مناسبة للمشتغل بالفلسفة والمنطق والاعتقاد، وحبذا لو قرأ هذا الطالب معه كتاب: «المنطق»، لمحمد رضا المظفر.

* فائدة:

الذي أراه في المنطق هو الجمع بين الطريقتين بدراسة المرحلة الأولىٰ من

طريقة الكتب المدرسية، ثم المرحلة الأولىٰ من طريقة المتون ثم المرحلة الثانية من الكتب المدرسية، إلَّا للمشتغل بالدراسات الكلامية = فلا بُدَّ له من أن يزيد دراسة المرحلة الثانية والثالثة علىٰ طريقة المتون.

رَابِعًا: عِلْمُ آدَابِ الْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ

هذا العلم في نظري ترجع أهميته الأساسية؛ لكونه يعين علىٰ فهم الكتب التراثية المؤلفة منذ القرن السابع الهجري وحتىٰ القرن الثالث عشر، خاصة في علمي الكلام وأصول الفقه.

وفي هذا العلم متون شتىٰ، ومجموعة من الكتب المعاصرة، وأنا أرجح دراسة هذا العلم بطريقة الكتب المدرسية كالتالي:

أولًا: مطالعة رسالة «**حسن المحاورة في آداب البحث والمناظرة**»، عبد الملك السعدي، دار النور المبين.

ثانيًا: دراسة رسالة «**آداب البحث والمناظرة**»، للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

ثالثًا: قراءة يتم تكرارها مرتين لقسم آداب البحث والمناظرة، وهو النصف الثاني من كتاب: «**آداب البحث والمناظرة**»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

رابعًا: قراءة يتم تكرارها مرتين لكتاب: «**علم آداب البحث والمناظرة**»، محمد ذنون يوسف فتحي، دار الفتح.

* **ومن أراد دراسته بطريقة المتون؛ فليدرس المتنين التاليين**:

أولًا: «**الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة**»، ساجقلي زاده المرعشي، وعليها شرح لعبد الوهاب الآمدي نشرته دار نور الصباح.

ثانيًا: «**رسالة الآداب في البحث والمناظرة**»، للسمرقندي مع شرحها: «**فتح الوهاب بشرح الآداب**»، للشيخ زكريا الأنصاري، نشر دار الضياء.

خَامِسًا: الْمَنْطِقُ الْحَدِيثُ

* يكتفي الطالب في هذا العلم بدراسة واحد من الكتابين التاليين:

(١) «**المنطق الحديث ومناهج البحث**»، محمود قاسم، دار المعارف.

(٢) «**المنطق الحديث**»، محمد مهران، دار النهضة العربية.

سَادِسًا: الْـمَنْطِقُ الرِّيَاضِيُّ

يكتفي الطالب في هذا الفرع بدراسة كتاب «أصول المنطق الرياضي» لمحمد ثابت الفندي، دار النهضة العربية.

* ثم يدرس واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «**المنطق الرياضي**»، عادل الفاخوري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(٢) «**مدخل إلىٰ المنطق الرياضي**»، هادي فضل الله، دار الهادي.

سابعًا: قَائِمَةُ قِرَاءَةٍ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفُرُوعِ الْخَمْسَةِ السَّابِقَةِ

(١) «**تطور المنطق العربي**»، روبير بلانشي، ترجمة محمد مهران.

(٢) «**المنطق عند ابن تيمية**»، عفاف الغمري، نشر دار قباء.

(٣) «**منطق ابن تيمية**»، محمد حسني الزين، المكتب الإسلامي.

(٤) «**أثر المنطق الأرسطي في الإلهيات عند ابن تيمية**»، لعلي عبيد، نشر دار الحكمة.

(٥) «**الحد الأرسطي**»، سلطان العميري، دار الميمان.

(٦) «**علاقة علم المنطق بعلم أصول الفقه**»، وائل الحارثي، مركز نماء للبحوث والدراسات.

(٧) «**الرد علىٰ المنطقيين**»، شيخ الإسلام، الطبعة الهندية.

(٨) «**قواعد أساسية في البحث العلمي**»، لمحمد سعيد صيني.

(٩) «**اللسان والميزان**»، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي.

(٥)

عِلْمُ التَّفْسِيرِ

عِلمُ القُرآنِ العَظيم[١]: هو أرفعُ العلوم قدرًا، وأجلُّها خطرًا، وأعظمُها أجرًا، وأشرفُها ذِكرًا، وإنَّ أحق ما صُرفت إلىٰ علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضًا، وللعالِم به إلىٰ سبيل الرشاد هُدًىٰ، وإنَّ أجمعَ ذلك لباغيه، كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيلُه الذي لا مِريةَ فيه، الفائزُ بجزيل الذخر وسنىٰ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[٢].

وقد ظهرت العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم حين نزل علىٰ النبي ﷺ، وبدأ النبي ﷺ بتبليغ معانيه كما بلغ ألفاظه.

* **نشأ التفسير في عهد النبي ﷺ، وكان هذا التفسير على أنواع:**

(١) فمنه ما يقع ابتداءً من النبي ﷺ، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»**[٣].

(٢) ومنه ما يقع جوابًا لسؤال أو إشكال يقع عند الصحابة -رضوان الله عليهم-، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ -تعالىٰ-: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]؟ قَالَ: **«مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»**[٤].

وفي هذا العصر ظهر الكلام في علوم القرآن، تبعًا للكلام في التفسير، كالكلام عن: الناسخ والمنسوخ، والكلام في المكي والمدني، وكذلك في عصر الصحابة ؓ.

* **وكان للتفسير في عصر الصحابة ؓ، عدة ملامح، يُمكننا إجمالُها في الآتي:**

(١) كان التفسير عِلمًا مستقلًّا قائمًا بذاته.

---

(١) وضع منهج التفسير وعلوم القرآن خصيصًا لكتابنا، صاحبنا: الشيخ عمرو صبحي الشرقاوي.

(٢) مقدمة «جامع البيان»، للطبري، (١/ ٧)، و«تفسير الإمام ابن جزي»، (١/ ١٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٤٧٩)، ومسلم: (٣٠١٥).

(٤) أخرجه البخاري: (٤٨٠٣)، ومسلم: (١٥٩).

(٢) كان التفسير قائمًا علىٰ الرواية، وكان لبعض الصحابة مجالس خاصة للتفسير، كعمر وابن مسعود.

(٣) لم يظهر تدوين خاصٌّ بالتفسير.

(٤) ظهور الاجتهاد في التفسير، وبروز القول بالرأي المحمود.

(٥) ظهور الوجوه المتعدد للنصِّ القرآن، وبروز اختلاف التنوع في تفسيراتهم.

(٦) تمازج علوم القرآن في نصوص التفسير الواردة عن الصحابة، كالناسخ والمنسوخ والمبهمات ومشكل القرآن وغيرها.

(٧) وقوع سؤالات من الصحابة لبعض أهل الكتاب أو من عنده علم بالكتب السابقة.

(٨) ظهور بعض الأساليب التي يُستفاد منها في تأصيل أصول التفسير، كالاستدراك الذي وقع من بعضهم علىٰ بعض.

(٩) ظهور الانحراف في التفسير في آخر عهد الراشدين.

(١٠) كانت تفسيراتهم متنوعة، وشاملة لمعلومات القرآن من المبهمات، والغريب، وأسباب النزول، وغيرها[١].

وقد بدأ التدوين في علوم القرآن بنوعين:

الأول: كتابة النُّسخ التفسيرية، فظهرت الكتابات الجزئية للتفسير، وذلك إمَّا أن تكون رواية لتفسير أحد أعلام المفسرين؛ كمجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) الذي كتب تفسير شيخه ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨ هـ)، وإمَّا أن تكون لعدد من المفسرين؛ كتفسير سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ).

وفي هذين النوعين لم يصلنا تفسير كاملٌ لجميع القرآن.

والثاني: الكتابة الشاملة لجميع القرآن، وقد نُسب هذا التصنيف علىٰ هذا الأسلوب للضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥ هـ)، ومنه كذلك تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وهو كاملٌ مطبوع، وتفسير يحيىٰ بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)، وتفسيره لجميع القرآن، والموجود منه بعضه.

---

(١) مستفاد من محاضرات الشيخ مساعد الطيار حول تاريخ التفسير.

*** وهذه الكتابات في التفسير تشتمل في ثناياها علىٰ مسائل منثورة من أنواع علوم القرآن؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النُّزول، وبيان الغريب، والمكي والمدني، والقراءات، وغيرها من المسائل.**

وليست هذه الأنواع في هذه الكتب علىٰ تصنيف معيَّن، بل تأتي ضمن الكلام عن تفسير الآية؛ حيث يُذكر ما فيها من تفسير وبيان غريب، وذكر سبب نزول . . . إلخ.

* وظهرت في هذه الفترة كذلك الكتابة الجزئية في علوم القرآن، كالمكي والمدني: فقد كتب فيه أعلام هذا العصر تحت عنوان (نزول القرآن)، وممَّن كتب فيه: الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، والزهري (ت: ١٢٤هـ)، والناسخ والمنسوخ: كتب فيه قتادة (ت: ١١٧هـ)، والزهري (ت: ١٢٤هـ)، والوجوه والنظائر: ككتاب مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وكتاب هارون الأعور (ت: ١٧٠هـ)، وكتاب يحيىٰ بن سلام (ت: ٢٠٠هـ) بعنوان «**التصاريف**».

* وكذلك دخلت علوم القرآن في تدوين الحديث النبوي، ولو تفحصنا الكتب الستة وجدناها تحتوي جملة جيدة من أنواع علوم القرآن.

* ومع تدوين علم أصول الفقه علىٰ يد الشافعي رحمه الله دخلت علوم القرآن كمباحث ضمن مباحث الأصول، كالمجمل، والعموم والخصوص، والناسخ والمنسوخ.

* وقد استمرت الكتابة في التفسير، والكتابة في نوع من أنواع علوم القرآن في هذه المرحلة، وبعدها، وفيها كتابات كثيرة تفوق الحصر، وهو ليس مقصدًا هنا، لكن يمكن التمثيل لبعضها علىٰ سبيل التذكير، فمن كتب التفسير: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»، للطبري (ت: ٣١٠ هـ)، و«**المحرر الوجيز**»، لابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ)، و«**الجامع لأحكام القرآن**»، للقرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، و«**البحر المحيط**»، لأبي حيان (ت: ٧٤٥ هـ)، و«**تفسير القرآن العظيم**»، لابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، وغيرها كثيرٌ جدًّا جدًّا.

ومن كتب علوم القرآن المفردة: «**فضائل القرآن**»، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، و«**تأويل مشكل القرآن**»، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، و«**أحكام**

القرآن»، للطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، و«**الناسخ والمنسوخ**»، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، و«**التبيان في إعراب القرآن**»، للعكبري (ت: ٦١٦هـ)، و«**البرهان في ترتيب سور القرآن**»، لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وغيرها كثيرٌ جدًّا جدًّا.

ويُمكن أن نقول: إنَّ هذه المرحلة تميَّزت بميزتين من جهة كتابة علوم القرآن عمَّا سبقها:

الأولىٰ: وجود كتب التفسير التي قصد مؤلفوها بها أن تكون علىٰ ترتيب موضوعات علوم القرآن، حيث رتَّب كتابه علىٰ الموضوعات: التفسير، القراءات، الإعراب، الأحكام . . . إلخ. وبعضهم وإن لم يرتبها؛ فإنَّه نصَّ علىٰ الاعتناء بجملة من علوم القرآن، ومن هذه التفاسير:

(١) كتاب «**الاستغناء في تفسير القرآن**»، لمحمد بن علي بن أحمد، المعروف بالأُدْفُوي (ت: ٣٨٨هـ).

(٢) كتاب «**البرهان في تفسير القرآن**»، لعلي بن إبراهيم بن سعيد، المعروف بالحوفي (ت: ٤٣٠هـ).

(٣) كتاب «**الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**»، لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ).

الثانية: ظهور مجموعة من الكتب التي جمعت أنواعًا من أنواع علوم القرآن، **ومن المطبوع من هذه الكتب:**

(١) «**فهم القرآن**»، للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ).

(٢) «**التَّنبيه علىٰ فضل علوم القرآن**»، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن ابن حبيب (ت: ٤٠٦هـ).

(٣) «**فنون الأفنان في علوم القرآن**»، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

(٤) «**جمال القراء، وكمال الإقراء**»، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ).

(٥) «**المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز**»، لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ).

* ويلاحظ في رصد ما كُتِب في علوم القرآن في هذه المرحلة أمور:

الأول: إنَّ بعض كتب التفسير عُنونت من قِبَلِ مؤلفيها بعلوم القرآن أو أحد مرادفاته، فهي وإن كانت لا تخلو من علوم القرآن، لكنَّها سارت علىٰ منهاج كتابة التفسير المعروفة، وهي تفسير الآيات آيةً آية، وهي بهذا تكون في علم التفسير الذي هو جزء من علوم القرآن.

ومن هذه الكتب التي سارت على هذه الطريقة مع أنَّ عنوان الكتاب في علوم القرآن:

(١) «**الجامع لعلم القرآن**»، لعلي بن عيسىٰ الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ)، وهو مخطوط، والموجود منه جزء صغير.

(٢) «**التسهيل لعلوم التنْزيل**»، لابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، وهو مطبوع.

الثاني: إنَّ إدخال كتاب في علوم القرآن لا يلزم أن يكون من أجل تسميته بهذا الاسم، بل الصحيح أن يُنظر إلىٰ محتواه؛ لذا يُعدُّ كتاب «**فهم القرآن**»، للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)، وكتاب «**جمال القراء وكمال الإقراء**»، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) من كتب علوم القرآن لقيام الكتابين علىٰ جملة من علوم القرآن، أما لو كانت علوم القرآن جزءًا من موضوع الكتاب، وليست قصدًا كما في كتاب «الرسالة»، للشافعي (ت: ٢٠٤هـ) = فإنَّه لا يُعدُّ من كتب علوم القرآن.

وعلىٰ هذا التصنيف؛ فإنَّ أول كتاب وصل إلينا في علوم القرآن هو كتاب الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ).

الثالث: إنَّه اتسعت الكتابة وكثرت في مجال كتب التفسير، والكتب المفردة في علوم القرآن، لكن لم يصلنا كتاب متكاملٌ يقصد جمع كل علوم القرآن.

* بعد ذلك؛ ظهر الجمع الكلي لمسائل علوم القرآن، فظهر كتاب «**البرهان**»، للزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، إلىٰ كتاب «**الإتقان**»، للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، والذي صار عمدةً في كتب علوم القرآن، مع استحضار أنَّه لا زال التصنيف في التفسير مستمرًا، ومن ذلك: «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**»، لبرهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، وهو مطبوع، **ولا زال التصنيف في علوم القرآن المفردة مستمرًا، ومن ذلك:**

(١) «**العجاب في بيان الأسباب**»، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، وهو مطبوع.

(٢) «**مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور**»، لبرهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، وهو مطبوع.

ومن الكتب التي ظهرت في تلك الفترة، وتتسم بالجمع الكلي، كتاب: «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**»، للبلقيني (ت: ٨٢٤هـ)، ويعدُّ تصنيفه لأنواع علوم القرآن من أجود أنواع التصانيف لها، وكتاب «**التحبير في علوم التفسير**»، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

وبالنظر إلىٰ أنواع علوم القرآن التي كتبها الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) في «**البرهان في علوم القرآن**»، والبلقيني (ت: ٨٢٤هـ) في «**مواقع العلوم من مواقع النجوم**»، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) في «**التحبير في علم التفسير**»، وفي «**الإتقان في علوم القرآن**» = يظهر أثر بعض العلوم في منهج كتابة أنواعٍ من علوم القرآن، فتجد جملة من مسائل علم الأصول، وعلوم البلاغة العربية، وعلوم الحديث قد دخلت في تصنيف أنواع علوم القرآن، حتىٰ صارت كأنَّها منه عند قوم، ومُنْتَقَدَةٌ بكونها من هذه العلوم عند آخرين، وقد سبقت الإشارة إلىٰ شيءٍ من سبب دخولها في كتب علوم القرآن.

* وبعد كتاب «**الإتقان**» يكاد يكون التأليف في علوم القرآن قد توقف سوىٰ بعض كتبٍ ظهرت، إمَّا تشقيقًا لِمَا ذكره السيوطي (ت: ٩١١هـ)، كما فعل محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ) في كتابه «**الزيادة والإحسان في علوم القرآن**»، وإما كتابةً لبعض أنواع علوم القرآن، كما فعل طاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨هـ) في كتابه «**التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن علىٰ طريق الإتقان**».

ولمَّا دخلت مادة (علوم القرآن) في مناهج الجامعات ظهرت مجموعة من كتب علوم القرآن لأعضاء هيئة التدريس الذين درَّسوا هذا المنهج، فكان منها ما هو عالي الجودة في التأليف، وكان منها ما هو نقل بلا زيادة ولا تحقيق.

وفي العصر الحاضر ظهرت عدة مراكز بحثية اهتمت بالدراسات القرآنية،

وأحدثت تجديدًا حقيقيًّا في مسائل علوم القرآن[١].

ولم تتوقف الكتابة في تفسير القرآن قديمًا ولا حديثًا، بل يجد الباحث في كل عصر من الأعصار عدة كتب في تفسير القرآن، وتبيين معانيه للأمة.

* تنبيه:

هناك فرق بين المصطلحات الثلاثة: (علوم القرآن - التفسير - أصول التفسير)، فعلوم القرآن أوسع هذه المصطلحات، ويطلق علىٰ جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطًا خاصًّا المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وقراءاته ومكيِّه ومدنيِّه وأسباب نزوله، وما إلىٰ ذلك.

ويدخل تحته علوم التفسير والتي تختص بكل ما يتصل بتفسير القرآن وبيان معانيه.

وأخص من علوم التفسير أصول التفسير التي تعنىٰ بالأصول التي ينبغي علىٰ من يرغب في فهم التفسير أو التأليف فيه الالتزام بها.

من **نافلة القول**: إنَّ علوم القرآن لم تحظَ بما حظيت به العلوم الأخرىٰ من اهتمام ملحوظ بنوع الكتابة المتنية، فكان رسم منهج يقوم علىٰ الفصل بين الدراسة بطريقة المتون، والدراسة بطريقة الكتب، فسيقوم هذا المنهج علىٰ مقاربة تقوم علىٰ المزج بين الطريقتين[٢].

---

(١) انظر في تاريخ علوم القرآن:

١- «علوم القرآن ... تاريخه وتصنيف أنواعه»، د. مساعد الطيار، مجلة معهد الإمام الشاطبي.

٢- «علوم القرآن بين الإتقان والبرهان»، د. حازم حيدر: (ص/ ٦٩-١٢٠).

٣- «مناهل العرفان.. دراسة وتقويم»، د. خالد السبت.

٤- «إسهامات المعاصرين في تجديد علوم القرآن»، عمرو الشرقاوي.

(٢) تنبيه: هذا المنهج موضوع بالأساس لطلبة العلم، أمَّا مريد معرفة معاني كلام الله -تعالىٰ-، فنوصيه بالتالي:

المرحلة الأولىٰ: القراءة عن الكتاب:

وذلك بشحذ الهمة بقراءة الكتب التي تحدثت عن عظمته، وشوقت إليه، ورغبت فيه، والنصيحة: ألَّا يستغرق الإنسان في قراءة هذه الكتب وينسىٰ المقصود، وهو الكتاب نفسه. =

. . . .

= ومن الكتب المقترحة:
١- «**هذه رسالات القرآن، وبلاغ الرسالة القرآنية**»، للأستاذ الشيخ: فريد الأنصاري.
٢- «**مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف**»، للدكتور: حازم حيدر.
٣- «**الطريق إلىٰ القرآن**»، للأستاذ: إبراهيم السكران.
٤- «**المشوق إلىٰ القرآن**»، للأستاذ: عمرو الشرقاوي.

بعد ذلك: لا بُدَّ من جرد كتاب من كتب التفسير المناسبة لمستوىٰ القاري، ومختصرات التفسير كثيرة جدًّا، والتفضيل بينها ليس بالأمر اليسير، وأغلبها متقاربة، وهذا السؤال معيق عن القراءة عند كثير من السائلين؛ لذلك: فإنَّ الإنسان لن يعدم فائدة إن اختار من الكتب التي يُنصح بها، ولن يفوته شيء كثير في الكتب التي تركها.

ويُمكن مراجعة هذه الكتب في كتاب المشوق إلىٰ القرآن.

ولغير المتخصص فسأرشده إلىٰ منهج يقترب ممَّا يبحث عنه أكثر الناس من معانٍ تحتوي علىٰ لطائف وملح، وقبل ذلك فلا بُدَّ من التنبيه علىٰ أنَّه لا يوجد كتاب من كتب التفسير مُحضت لذكر اللطائف والملح، وتلك اللطائف لا يصح أصلًا أن تكون بمعزل عن أصل المعنىٰ الذي أخذت منه.

١- لا بُدَّ عليه أن يعرف المعنىٰ الذي دلَّت عليه الآية، ومن الكتب المعينة: (**المعين لمجد مكي، وتفسير السعدي**)، وسبب اختيار هذين الكتابين، يسرهما واعتناؤهما بشيء من اللطائف، وممَّا يمكن أن يلحق بهما: المختصر في التفسير.

٢- اعتنىٰ مركز تدبر بنشر لطائف الآيات في إصدارات متميزة تحت عنوان: «**ليدبروا آياته**»، ويُمكن أن يُحرص عليها، مع كتاب «**أفياء**»، للشيخ: عبد الله بلقاسم، ومتابعة جوال تدبر، وكتاب: «**ليتفكروا**»، للشيخ: عبد الله القرشي، وكتاب الشيخ: عبد العزيز الطريفي، ولهم جميعًا استنباطات لطيفة جدًّا، مع التزامهم بأصول البيان، والبعد عن التكلف والإغراب -غالبًا-.

٣- الاعتناء بقراءة كتب الشيخ: فريد الأنصاري، والاستماع إلىٰ تفسير الصوتي والمنشور علىٰ الشبكة، وكذلك كتب الأستاذ: السكران، وغيرهم ممَّن له عناية بهذا الباب.

٤- القراءة في كتب التفسير التي تعتني باللطائف، كـ«**محاسن التأويل**»، للقاسمي، و«**الظلال**»، لسيد قطب.

٥- القراءة عن مقاصد السور والآيات معين علىٰ استخراج كثير من اللطائف، وقليلة هي المصادر العامة والخاصة لهذا العلم، وهو باب يحتاج إلىٰ كتابة، وتيسير للناس، وممَّا يصلح لهذا الأمر:
- «**أغراض السور في التحرير والتنوير**»، د. محمد الحمد.
- «**أسماء السور وفضائلها**»، د. منيرة الدوسري، فقد تعرضت لشيء من ذلك.
- «**جنىٰ القلب الهائم**»، لعدنان عبد القادر. =

وينبغي أن أشير هنا إلىٰ أن دراسة التفسير بطريقة مدرسية أمر عسر جدًّا لم يستوفيه منهج تامٌّ عند أكثر من كتب في هذا الباب، وما نختاره هنا يشترك مع ما يذكره كثيرون غيرنا في أسماء الكتب، إلَّا أنَّه يخالف كل أولئك في ترتيب طريقة التعامل مع هذه الكتب وصولًا للمطلوب، ولعلَّ هذا يستدعي أن نضبط ما هو المطلوب تحقيقه من دراسة علم التفسير، فأقول:

قدمتُ أنَّ غرض هذا الكتاب هو رسم مراحل الطلب والتحصيل إلىٰ ما قبل مرحلة التخصص مباشرة بحيث يكون من أتقن المراحل التي نذكرها قد تخطىٰ عتبة المبتدئ والمتوسط والمشارك، وانتهىٰ من القدر الذي يجزيه؛ ليكون إذا جمع غيره إليه متفننًا، ووقف عند عتبة التخصص، فإن شاء اجتازها، وإن شاء لا .

ولكن تصور قدر التحصيل هذا وصورته في علوم التفسير خاصة يكتنفه غموض ظاهر عند أكثر من كتبوا في هذا الباب، وإذا تولينا كشف هذا الغموض علىٰ ما نراه الحق في هذا الباب، والأشبه بمناهج التعليم؛ فإنَّ الوصول لعتبة التخصص في هذا العلم يقتضي أن يكون الطالب ضابطًا ضبطًا تامًّا لخلاف السلف ووفاقهم في كل مفردة وآية في كتاب الله ﷻ، مُلِمًّا إلمامًا متوسطًا بالأقوال الزائدة بعد السلف، سواء كانت من جنس خلاف التضاد أو التنوع، والوصول لهذه الغاية -فيما نرىٰ- يكون باجتياز المراحل التالية:

= ٦- الاهتمام بالاستماع للبرامج القرآنية، ومنها: (برنامج بينات علىٰ قناة المجد، وبرنامج التفسير المباشر علىٰ قناة دليل، وتفسير الشيخ الشعراوي).

٧- والباقي يعتمد علىٰ الإنسان نفسه في تثوير القرآن، شريطة ألَّا يتعجل نشر ذلك إلَّا بعد عرضه للتصويب أو التخطئة.

الْمَرْحَلَةُ الْأُوْلَى

(الْمُرُورُ عَلَى مَتْنِ الْتَّفْسِيرِ قِرَاءَةً وَاطِّلَاعًا)

والغرض الأساس من هذه المرحلة، تكسير قشرة الجهل البسيط، وتمهيد الطريق لفقه كتاب الله ﷻ.

*** والمطلوب من الطالب في هذه المرحلة:**

(١) (إدراك غريب القرآن)، ومن أيسر كتبه: «السراج»، للخضيري، وأجلها: «مفردات الراغب»، و«المعجم الاشتقاقي المؤصل»، للدكتور محمد جبل.

*** ومن الكتب المشهورة في هذا الباب:**

١- **«كلمات القرآن»**، لحسنين مخلوف.

٢- **«غريب القرآن»**، للسجستاني، وقد صعبه ترتيبه علىٰ حروف المعجم، إلَّا أنَّ د. إبراهيم الشربيني أصدره مع عمل تعليمي متميز ونافع.

٣- **«وجه النهار»**، د. عبد العزيز الحربي، نشر دار ابن حزم.

٤- **«غريب القرآن»**، لكاملة الكواري، نشر دار ابن حزم.

*** والمختار: أن يبدأ الطالب بكتاب الشيخ د. محمد الخضيري، وقد نشر مرارًا، ومن أفضل نشراته نشرة كرسي القرآن الكريم وعلومه.**

(٢) (إدراك المعنىٰ الإجمالي)، ويهتم بالكتب التي تصور المعنىٰ في ذهنه تصويرًا صحيحًا، ويبتعد عن الكتب التي كتبت بالأسلوب الإنشائي؛ فإنَّها ستشوش عليه ذهنه، **ومن الكتب التي أقترحها لك:**

١- **«التفسير الميسر»**، نشر مجمع الملك فهد.

٢- **«المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»**، للشيخ مجد مكي، نشر دار الريان.

٣- **«المختصر في التفسير»**، نشر مركز تفسير للدراسات القرآنية.

٤- **«تفسير ابن جزي»**، ط. المنتدىٰ الإسلامي، وتتوفر مصورة علىٰ الشبكة، أو طبعة دار الضياء الكويتية(١).

٥- **«تفسير ابن أبي زمنين»**، ط. الفاروق.

٦- **«تفسير الإيجي»**، جامع البيان، ط. غراس.

*** والمختار: أن لا يكتفي في هذه المرحلة بكتاب واحد، بل يجمع بين كتابين من كتب التفسير؛ لئلَّا يتعنىٰ في المرحلة التالية، وهما: «التفسير الميسر»، و«تفسير الإمام ابن جزي الكلبي»، أو «المعين»، للشيخ مجد مكي، و«تفسير الإمام ابن جزي الكلبي»، وينبغي الاعتناء بتكرار قراءة الكتاب أكثر من مرة.**

*** وبعد هذه المرحلة يفترض من السالك أن يدرك:**

(١) المعنىٰ الإجمالي، مع معرفة الغريب.

(٢) طرفًا من علوم القرآن وأصول التفسير، ومناهج المفسرين.

(٣) مع دراسة لمبادئ العلوم الشرعية؛ إذ هن إخوة لعلات.

*** فائدة**

وللأخ الكريم فهد الجريوي من أعضاء ملتقىٰ أهل التفسير مقارنة نافعة بين الكتب الثلاثة الأخيرة نوردها؛ لفائدتها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء المرسلين، نبينا محمد صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، **أمَّا بعدُ**؛ فأسأل الله أنْ يجعلنا وإيَّاكم من التالين المتدبرين لكتاب الله العظيم.

هذا تعريف موجز بثلاثة كتب، صدرت حديثًا في غريب القرآن، ومقارنة يسيرة بينها، بعد أن رأيت جملة من الأسئلة عنها فأحببت الإفادة، وأسأل الله أن أوفق لها، وسأبدأ بمقارنة يسيرة بين كتابي الشيخ الخضيري، والأستاذة كاملة الكواري، وأختم بكتاب **«وجه النهار»**، للشيخ عبد العزيز الحربي، وهي للتعريف أقرب منها

---

(١) »ويعلق عليه د. الشيخ خالد السبت.

للمقارنة، لكن لعلها تعطي انطباعًا عامًّا علىٰ الكتب الواردة في هذا التعريف.

كتب الشيخ محمد الخضيري في مقدمة كتابه وفَّقه الله: «جمعت هذا الكتاب؛ ليكون تذكرة لمن يريد معرفة معاني غريب ألفاظ القرآن، وقد جمعته من كتب التفسير، وكتب غريب القرآن القديمة والمعاصرة، وسهَّلت العبارة، وحاولت صياغة الأقوال المختلفة في عبارة واحدة جامعة متىٰ كان ذلك ممكنًا، وإلَّا لجأت إلىٰ الترجيح».

وكتبت الأستاذة الفاضلة كاملة في مقدمتها وفقها الله: «اخترت فيه أهم الكلمات التي تحتاج إلىٰ بيان، ونقلت شرحها من كتب التفسير وغريب القرآن ممَّا كتبه الأقدمون والمعاصرون».

ذكر الشيخ محمد الخضيري أنَّه اعتمد علىٰ كتب الغريب القديمة والمعاصرة، ولم يذكر المراجع، أمَّا الأستاذة كاملة فقد ذكرت المصادر والمراجع كاملة وهي:

(١) «**إيجاز البيان عن معاني القرآن**»، للنيسابوري.

(٢) «**أيسر التفاسير**»، لأبي بكر الجزائري.

(٣) «**بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب**»، للتركماني.

(٤) «**التبيان في تفسير غريب القرآن**»، لشهاب الدين أحمد بن محمد ابن عماد.

(٥) «**تذكرة الأريب في تفسير الغريب**»، لابن الجوزي.

(٦) «**الترجمان عن غريب القرآن**»، لليماني.

(٧) «**تفسير البشائر وتنوير البصائر**»، للشربجي.

(٨) «**تفسير القرآن الكريم**»، (جزء عم، سورة الحجرات، وقاف، وجزء الذاريات، وآل عمران، وسورة الصافات، وسورة الفاتحة والبقرة، وسورة الكهف، وسورة ص، وسورة يس) (جميعها للشيخ ابن عثيمين.

(٩) «**تفسير الشيخ السعدي**».

(١٠) «**زبدة التفسير**»، للأشقر.

(١١) «**غرائب التفسير وعجائب التأويل**»، للكرماني.

(١٢) «**غريب القرآن وتفسيره**»، لليزيدي.

(١٣) «**المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**»، للمباركفوري.

(١٤) «**وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار**».

(١٥) «**معارج التفكر ودقائق التدبر**»، للميداني.

وهذا نموذج لبيان عدد الكلمات في الكتابين (سورة البقرة، وسورة الحجرات وسورة ق، والجزء السابع والعشرين، والثامن والعشرين والتاسع والعشرين نموذجًا).

الرقم الأول ما يتعلَّق بكتاب الشيخ الخضيري والرقم الثاني ما يتعلق بكتاب الأستاذة كاملة..

البقرة: (٢٣٠-٤٩٥).	الحجرات: (٢٧-٧).	ق: (٦٣-١٧).
الذاريات: (٥٠-١٩).	الطور: (٤٩-٢٠).	النجم: (٤٦-٢٣).
القمر: (٦٩-١٨).	الرحمن: (٦٤-٢٢).	الواقعة: (٨٢-٢٣).
الحديد: (٥٧-١٤).	المجادلة: (٣٤-٩).	الحشر: (٥١-٣٠).
الممتحنة: (٣٣-٢٠).	الصف: (١٨-٩).	الجمعة: (١٨-١١).
المنافقون: (٢١-١٢).	التغابن: (١٨-٧).	الطلاق: (٢٥-١٧).
التحريم: (٢٣-٢٤).	الملك: (١٧-٤٠).	القلم: (٥٥-٤٨).
الحاقة: (٥١-٣٢).	المعارج: (٣٧-٣٠).	نوح: (٢٣-٢٣).
الجن: (٤٠-٢٩).	المزمل: (٢٩-٢٤).	المدثر (٣٤-٣٨).
القيامة (٣٢-١٩).	الإنسان: (٤٢-٢٨).	المرسلات: (٣٢-٢١).

ففي هذا القدر من السور، بلغت الكلمات التي بيَّن معانيها الشيخ الخضيري: (١٣٧٠)، أمَّا الأستاذة كاملة الكواري فبلغ عدد الكلمات المبينة: (١١٢٩).

الشيخ محمد الخضيري تميَّز كتابه باستيعاب غالب الكلمات مع الاقتضاب، أمَّا الأستاذة كاملة فبخلاف ذلك؛ فالكلمات أقل مع إسهاب في البيان ودونكم الأمثلة:

في بيان قوله تعالىٰ «الم» في سورة البقرة:

الشيخ الخضيري: هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف ولا تستطيعون الإتيان بمثله.

الأستاذة كاملة الكواري: أصح الأقوال فيها أنَّه حروف ليست لها معنىٰ؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، وليس لهذه الحروف معنىٰ في العربية، وهذا قول (مجاهد)، وأمَّا الحكمة منها؛ فهي الإشارة إلىٰ بيان إعجاز القرآن، وهذا اختيار (شيخ الإسلام وتلميذه).

«كصيب»:

الخضيري: كمطر شديد.

الكواري: المطر، من الصوب وهو النزول؛ لأن المطر يصوب، أي: ينزل من السحاب إلىٰ الأرض، والمراد: أصحاب الصيب؛ لأنَّ المشبه به الذين أصابهم الصيب.

«الغمام»:

الخضيري: السحاب.

الكواري: سمي السحاب غمامًا؛ لأنَّه يغم السماء أي: يسترها.

«ذات الحبك»:

الخضيري: ذات الخلق الحسن، وذات الطرق التي تسير فيها الكواكب.

الكواري: أقسم بالسماء صاحبة الخلق الحسن المستوي المنسق كتنسيق الزرد المتشابك المتداخل الحلقات، وقِيلَ: ذات الزينة بالنجوم، وقِيلَ: ذات الطرق التي تسير فيها الكواكب، والحبك: جمع حبيكة، قال ابن الأعرابي: كلٌّ شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته، يقال: حبك الثوب يحبكه حبكًا، أي: أجاد نسجه.

وبعض المواطن يأتي التفسير من الشيخ الخضيري أعمَّ، ومن الأستاذة الكواري أخصَّ مثاله: «رجزًا».

الخضيري: عذابًا.

الكواري: وباء الطاعون.

وبعد تأمل بين الكتابين ظهر لي أنَّ كتاب الشيخ الخضيري أدق وألصق بكتب الغريب لاقتضابه ودقته، بخلاف كتاب الأستاذة كاملة الكواري فهو توسط بين كتب الغريب وكتب التفسير ومَنْ أجال نظره في مراجع ومصادر الكتاب بان له ذلك، فبعض المفردات التزمت الباحثة بالاقتضاب والدقة، وفي بعضها أسهبت ورجَّحت وذكرت الأقوال، بل في بعض الأحيان قد تذكر سبب نزول الآية، وينظر مثلًا، قوله -تعالىٰ- في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾(١).

أمَّا كتاب «**وجه النهار**»؛ فلا يصح جمعه مع كتب غريب القرآن، وإن شابهها من وجه، فقد قال مؤلفه في مقدمة كتابه: «إنَّني لم أرد بما كتبته في مصنفي هذا أن أشرح آيات القرآن، ولا أن أعرض أحكامه وحكمه علىٰ طريقة من سبق، ولم أشأ أن أعمد إلىٰ ألفاظه الغريبة فأشرحها؛ كما صنع من صنف في (مفردات القرآن)؛ ولكنِّي نحوت منحىٰ آخر: جمعت فيه بين تفسير مفردات القرآن، وبين جمله الغريبة التي يشكل تركيبها أو معناها الجملي، أو ضمائرها، أو صيغها، وحليته بالفوائد، ونكات، واستنباطات؛ ممَّا قرأته، واطلعت عليه في كتب التفسير، وغيرها من كتب الفقه والأصول والمعارف، وممَّا سمعته من أهل العلم، وممَّا فتح الله به عليَّ.

وهذا عرض موجز للكتاب وذكر جملة من فوائده:

أولًا سبب تسمية الكتاب: لِمَا أتىٰ عند قوله -تعالىٰ- في سورة آل عمران: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾(٢).

قال: «وجه النهار»: أوله، وبهذا اللفظ الشريف سميت كتابي هذا وورد مثله في الشعر، ومن ذلك قول الربيع بن زياد:

من كان مسرورًا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

---

(١) البقرة: (٢٠٧).

(٢) آل عمران: (٧٢).

قال المصنف عن كتابه: «ومن تأمل بإنصاف ما أجمعه من تفسير في اللفظ الواحد، وما أذكر من لطائف ونكات؛ يدرك صِدْقَ ما قلته».

قلت: صدق -وفقه الله وحفظه- وإن كان لم يكثر من ذلك، أقول هذا بعد الفراغ من قراءة الكتاب كاملًا.

هذه بعض اللطائف والنكات العلمية التي ساقها المصنف في كتابه، والمصنف -أمتع الله به- ساق جملة من النكات العلمية واللطائف التي لم يعزها، وتمنيت لو وثَّق جميع هذه اللطائف، وأعلمُ أنَّ هذا لا يخفىٰ علىٰ شريف علمه، ولعلَّه آثر الاختصار، أو أنَّه نقلها من الذاكرة:

(١) في سورة الشعراء لما ذكر الله سبحانه الأنبياء في الآية (١٠٥) بدأ سبحانه قصة نوح وقوله لقومه، فقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، ثم ذكر بعده سبحانه قصة هود وصالح ولوط، في كل هذه القصص يذكر سبحانه أُخُوَّتهم لأقوامهم، فلمَّا أتىٰ سبحانه لشعيب قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾[1]، ولم يذكر لفظ الأخوة، فما السر في ذلك؟ قال المصنف لوجهين:

١ - إما أنَّه ليس من قبيلتهم، وهم غير مدين، وأرسل إليهم أيضًا.

٢ - أو لأنه حين نسبهم إلىٰ الأيكة التي هلكوا فيها نُزِّهَ عن النسبة إليها.

(٢) في قوله -تعالىٰ- في سورة النمل: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

قال المصنف: وليس في القرآن شين مضمومة منونة غير هذه.

(٣) في قوله -تعالىٰ- في سورة عبس: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾.

قال المصنف: قدم في الفرار الأخ ثم الأم فالأب فالصاحبة فالابن تدريجًا من القريب للأقرب؛ لأن المقام مقام فرار فلو ذكر الأقرب لم يكن في ذكر من دونه فائدة.

قال المصنف: وقدم في المعارج الأقرب؛ لأن المقام مقام افتداء يود المجرم لو يفتدي بهم كلهم.

---

(١) الشعراء: (١٧٧).

(٤) قال -تعالىٰ- في سورة آل عمران عن البيت الحرام: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

قال المصنف: «ومن المفسرين من جعل من آياته:

انحراف الطير عن المرور علىٰ هوائه في جميع الأزمان، وهو مردود بالواقع المشاهد».

هذه قبسات يسيرة من هذا الكتاب الماتع المبارك رفع الله قدر مؤلفه في الدارين، هذا ما تهيأ إعداده وتيسر إيراده والسلام عليكم».

قلت: وبناءً على هذه الدراسة الجيدة من الأخ فهد؛ فأنا أرشح للطالب أولًا العمل الدراسي النافع لإبراهيم الشربيني على كتاب السجستاني؛ فإن لم يتوفر له تحصيله؛ فأرى تقديم كتاب السراج للشيخ الخضيري.

أمَّا طريقة دراسته؛ فأرىٰ أن تكون بالتوازي مع المرحلة الأولىٰ التي سيقرأ فيها كتاب «**التفسير الميسر**»، بحيث تتم دراسة الكتابين في شهرين، يقرأ الأول ثلاث مرات في شهرين، ويحفظ كلمات حزب كامل كل يوم فينهيه في شهرين أيضًا، وضابط الحكم بإتقان كتب غريب القرآن أن يجتاز اختبارين، أحدهما شفهي، والآخر تحريري يجيب فيهما عن معاني الكلمات علىٰ ألا تقل نسبة الإصابة في كل اختبار عن ثمانين بالمائة.

*** الفرع الثاني من الفروع التي يجب ضبطها في المرحلة الثانية: (أسباب النزول):**

وهناك عدة كتب يقترحها المصنفون في المناهج للتدريس في هذا الموضع، لكنَّ الحقَّ أنَّ واحدًا منها فقط هو المعتبر، والباقي عيوبه كثيرة خاصة من ناحية تحرير أسانيد الروايات؛ لذلك فالكتاب الذي نرشحه هنا هو:

«**الصحيح المسند من أسباب النزول**»، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، نشر دار الآثار بصنعاء.

وطريقة دراسة هذا الكتاب هي حفظ الأحاديث المذكورة وربطها بالآيات بحيث ينتهي الدارس من الكتاب، وقد حفظ سبب نزول كل آية من الآيات التي ذكر الكتاب أسباب نزولها.

* **الفرع الثالث من الفروع التي يجب ضبطها في المرحلة الثانية: (إجماعات المفسرين):**

وهناك كتاب فرد واحد يصلح لهذه المرحلة وهو كتاب:

«**الإجماع في التفسير**»، للشيخ محمد عبد العزيز الخضيري، نشر دار الوطن.

الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ

وغاية هذه المرحلة: «معرفة الأقاويل في التفسير»، وضبط خلاف المفسرين في الآيات.

* ومن الكتب المرشحة لهذه المرحلة:

(١) «**زاد المسير**»، للإمام ابن الجوزي، ط. المكتب الإسلامي، أو دار الفكر، وهو أحد الكتب التي كان يعتمدها الشيخ تقي الدين.

(٢) «**تفسير الإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير**»، وأصح طبعاته (طيبة - عالم الكتب - ابن الجوزي)، وهي متقاربة[١].

(٣) كتاب «**التفسير**»، للإمام ابن أبي حاتم، وليست له طبعة جيدة، والموجود طبعة نزار الباز.

(٤) «**الدر المنثور**»، للحافظ السيوطي، وأصح طبعاته طبعة دار هجر، والتي صورتها عالم الكتب.

(٥) «**التحرير والتنوير**»، للإمام الطاهر ابن عاشور، وأصح طبعاته الدار التونسية، ثم طبعته المتداولة للسحار.

(٦) «**أضواء البيان**»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وأصح طبعات الطبعة التي قام عليها الشيخ بكر أبو زيد، والمطبوعة بمجمع الفقه.

---

(١) هذا الكتاب من أكثر الكتب التي اعتنىٰ الناس بتلخيصها، ومن أفضل مختصراته:
١- «**اليسير في اختصار ابن كثير**»، بإشراف الشيخ د. صالح بن حميد.
٢- «**عمدة التفسير**»، للشيخ العلامة أحمد شاكر.
٣- «**المصباح المنير**»، للشيخ المباركفوري، وقد علق عليه الشيخ د. خالد السبت.

وفي هذه المرحلة، إما أن يعتمد علىٰ القراءة، وإمَّا -وهو المختار- أن تلخص الأقوال مع الاعتناء بتحفظها، ونسبتها إلىٰ أصحابها.

والجامع لهذه الكتب هي الاهتمام بجمع الأقاويل في الآيات، مع ما في بعضها من التحرير.

* ولا تصلح مذاكرة هذه المرحلة مرة واحدة؛ ولذلك فإن المختار:

وضع «زاد المسير» كأصل لهذه المرحلة، مع مذاكرة أحد كتب التفسير الأخرىٰ المعينة علىٰ شيء من التحرير، وأفضلها: «تفسير ابن كثير»، و«التحرير والتنوير».

ولا أختار في هذه المرحلة كتاب الإمام الشوكاني **«فتح القدير»**؛ فإنَّه مع ضعف في التحرير يشوش علىٰ الطالب بالفصل بين كلام السلف، وما قال عنه أنه الدراية، وليس في الكتاب كبير فائدة تضيع علىٰ الطالب ممَّا يجعله في حرص علىٰ الكتاب.

الْمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ

يبدأ بكتاب **الإمام ابن عطية**، (وأصح طبعاته طبعة دار الكتاب الإسلامي وأعادته وزارة الشؤون الإسلامية بقطر) فيفهمه، ويقلِّبه، ويجعله سميره، فهو كتاب مؤسِّس لا يستغني عنه طالب هذا العلم الجليل، وهذا الكتاب يحتاج إلىٰ نظر دقيق، وتأمل أنيق.

* وعليه في أثناء قراءته، بالاعتناء بالتالي:

(١) معرفة أقوال السلف، مع ضبط ما حدث بعدهم من الأقوال الصحيحة المحتملة.

(٢) القواعد العلمية التي يستخدمها العلماء من أهل التحقيق.

(٣) طريقة الوصول للمعنىٰ.

(٤) مناقشة الاختلاف بين المفسرين، مع توجيه أقوال السلف خصوصًا عند ابن عطية.

(٥) التعرف علىٰ منهجية المفسر، وهي مهمة جدًّا في إدراك المؤثرات علىٰ المفسر، كعقيدته، أو توجه تفسيره.

وممَّا ينبغي الاهتمام به، الاهتمام بتطبيقات علوم القرآن في كتب المفسرين، وإنَّما -نبهت علىٰ هذا- لأن كتب التفسير تحتوي علىٰ تطبيقات لا توجد في مصنفات علوم القرآن.

* نصائح عامة حول كتب التفسير:

(١) **اقصد البحر وخل القنوات**، وأعني بهذا الاعتناء بأصول الكتب لا مختصراتها؛ فإنَّ كثيرًا من المختصرات من شأنها، أن تبعد الاستفادة من منهجية

التعامل مع مشكلات التفسير، وذلك كأن يقرأ مختصرًا لابن كثير (علىٰ جودة بعض مختصراته)، فستضيع فائدة تعامل الإمام مع أسانيد التفسير، وهي من الدقائق.

(٢) الإشكالات في كتب التفسير كثيرة، ولذلك فلا بُدَّ من الحرص علىٰ تجاوز هذه الإشكالات، وعدم الإغراق فيها، بل كلٌّ بحسبه.

(٣) لا بُدَّ من جعل كتاب يكون أصلًا تضاف إليه فوائد الكتب الأخرىٰ أثناء القراءة، بحيث يستطيع أن يستظهر الأقوال وتوجيها من خلاله.

(٤) لا بُدَّ من العناية بالتعرف علىٰ منهج السلف، ومن سار علىٰ منهجهم من خلال التطبيقات العملية التي يقومون بها في تفاسيرهم.

(٥) الاعتناء بتطبيق أصول التفسير علىٰ ما يقرأ من التفسير.

(٦) معرفة المنهج العام للمفسر، والربط بين معلومات الكتاب، وهذا ممَّا يعين في فهم ما يستغلق من كلام المفسر، وكذلك الرجوع إلىٰ موارد المفسر الأصلية إن أمكن، فقد يتبين من خلال ذلك خطأ في فهم المفسر لمن نقل عنه، كما أن بعض المفسرين يختصر بعض الأخبار والآثار ممَّا قد ينبهم علىٰ من يقرأ كلامه، فإذا عاد إلىٰ أصوله التي نقل منها توضح هذا الإبهام[١].

(١) [مستفاد من مقال، للشيخ مساعد الطيار].

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «**تفسير الطبري**»، وأصح طبعاته طبعة عالم الكتب، ولطالب علم التفسير أن ينظر في تعليقات الشيخ العلامة محمود شاكر[١].

(٢) «**نكت القرآن**»، للإمام الكرجي القصاب، وأصح طبعاته طبعة دار ابن عفان.

(٣) «**تفسير الكشاف**»، وطبعته مع حاشية الطيبي أجل حواشيه، بجائزة دبي للقرآن، ثم طبعة الحلبي.

(٣) «**تفسير القرطبي**»، وأصح طبعاته طبعة الرسالة.

(٤) «**تفسير الآلوسي**»، وأصح طبعاته طبعة الرسالة، أو الطبعة المنيرية.

(٥) «**البحر المحيط**»، للإمام أبي حيان، وأفضل طبعاته البولاقية، فطبعة الرسالة العالمية[٢]، وأرىٰ أن يقرأ كتاب الدر المصون للسمين الحلبي، وهو غاية في النفاسة مع تحقيقه للفاضل الدكتور أحمد الخراط.

(٦) «**تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**»، طبعة دار ابن الجوزي.

(٧) «**بدائع التفسير**»، لابن القيم، طبعة دار ابن الجوزي.

(٨) «**نظام القرآن**»، للإمام الفراهي، طبعة دار الغرب الإسلامي.

(٩) «**تفسير القاسمي**»، طبعة الحلبي.

(١٠) «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**»، مصورة حيد آباد.

---

(١) وللشيخ د. مساعد الطيار، تعليق عليه يحسن متابعته.

(٢) وهو يحقق في دار هجر، ولعله يكون أفضل.

(١١) «**البسيط**»، للإمام الواحدي، وهو متميز في جانب النحو واللغة وتوجيه القراءات، وهو أوسع كتب الواحدي في التفسير.

(١٢) تفسير الفخر الرازي «**التفسير الكبير**»، وقد أعرضت عنه مع أهميته للمتخصص حتىٰ لا أرهق غير المتخصص بعلم الكلام والفلسفة التي ملأ بها كتابه.

(٦)

عُلُومُ الْقُرْآنِ وَأُصُولُ التَّفْسِيرِ

الْمُسْتَوَى الْأَوَّلُ

(التَّعْرِيفُ الْعَامُّ بِالدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ)

* يهدف هذا المستوى إلى الآتي:

تعريف الدارس بالدراسات القرآنية تعريفًا عامًا، يدرك من خلاله (تعريف العلم - تاريخه - أهم مسائله - أبرز المؤلفات فيه - أبرز المؤلفين فيه وإسهاماتهم).

* ويتم ذلك عبر الآتي:

(١) الاستماع لدورة (المنتقىٰ من كتب الدراسات القرآنية - إعداد فضيلة الشيخ عبدالرحمن الشهري).

* والمقصود:

معرفة عامة المصنفات في العلم الشريف، مع ما يطرق ذهن الدارس من أسماء المصنفين، وعلماء الفن.

(٢) قراءة بحث: «**علوم القرآن . . . تاريخه وتصنيف أنواعه**»، والمنشور بمجلة الإمام الشاطبي، للشيخ مساعد الطيار.

* والمقصود:

معرفة تاريخ علوم القرآن، وأبرز المصنفات فيه، وتصنيف أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن، ويفتقر البحث للجانب المُعاصر.

(٣) قراءة بحث: «**جهود الأمة في أصول التفسير**»، للشيخ مساعد الطيار.

* والمقصود:

معرفة تاريخ أصول التفسير، وأبرز المصنفات فيه، وكيفية الاستفادة من الكتب المؤلفة فيه.

(٤) قراءة كتاب: «**مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف**»، د. حازم حيدر.

*** والمقصود:**

معرفة قضايا مهمة تتعلق بالقرآن الكريم، كتعريفه، وجمعه، ورسمه ... إلىٰ غير ذلك، وهو مدخل حسن إلىٰ التعامل مع القرآن، والتعامل مع علوم القرآن.

الْمُسْتَوَى الثَّانِـي

مَرْحَلَةُ الْـمُبْتَدِئِ فِـي الدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

* **ويهدف هذا المستوى إلى الآتي:**

تعريف الدارس بأهم مسائل علوم القرآن وأصول التفسير.

* **ويتم ذلك عبر الآتي:**

(١) مذاكرة **«القواعد الأساسية»**، للشيخ عبد الله الجديع.

* **والمقصود:**

معرفة القضايا الأساسية في علوم القرآن، وتقرير المسائل المذكورة في الكتاب علىٰ ما قرره الشيخ الجديع.

(٢) مذاكرة **«التحرير في أصول التفسير»**، للشيخ مساعد الطيار.

* **والمقصود:**

معرفة كيفية تحرير الأقوال في أصول التفسير، ولا بُدَّ من مساعدة الشيخ للطالب في وضع يده علىٰ نوع الأدلة والمصادر التي يُعتمد عليها في التحرير.

(٣) مذاكرة **«شرح مقدمة ابن جزي الكلبي** رَحِمَهُ اللَّهُ».

* **والمقصود:**

معرفة كيفية معالجة المتقدمين لمسائل علوم القرآن، وأصول التفسير.

* **المطالعة:**

(١) قراءة كتاب: **«أنواع التصانيف المتعلقة بالقرآن الكريم»**، للشيخ مساعد الطيار.

(٢) قراءة كتاب: **«مواقع العلوم في مواقع النجوم»**، للإمام البلقيني.

(٣) قراءة مقال: «**فوائد وأفكار من شرح منظومة الزمزمي في علوم القرآن**».

(٤) قراءة كتاب: «**دراسات في علوم القرآن**»، للشيخ فهد الرومي.

* والمقصود:

تثبيت المقاصد السابقة، وعرض الموازنات بين كتب المتقدمين من جهة، وكتب المتأخرين من جهة أخرىٰ.

* **التطبيق**:

(١) قراءة فصول في «**أصول التفسير**»، مع الاستماع لشرح الشيخ عليه، مع عقد موازنة بينه وبين التحرير.

(٢) استخراج علوم القرآن من تطبيقات المفسرين من خلال سورة.

الْمُسْتَوَى الثَّالِثُ

الْمَرْحَلَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ

* وتهدف هذه المرحلة إلى الآتي:

تعميق معرفة الطالب بالمسائل التي درسها في المرحلة الأولىٰ مع ما يستجد عليه من مسائل.

* ويتم عبر الآتي:

(١) مذاكرة: «**المحرر في علوم القرآن**»، للشيخ مساعد الطيار.

* والمقصود:

معرفة كيفية تحرير الأقوال في أصول التفسير، ولا بُدَّ من مساعدة شيخ للطالب في وضع يده علىٰ نوع الأدلة والمصادر التي يُعتمد عليها في التحرير.

ولو كلَّف الطالب نفسه في هذه المرحلة بمطالعة بعض مصادر المسألة، وزيادة تحرير المسألة، ولم خيوطها = لكان حسنًا.

(٢) مذاكرة: «**مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية**» مع شرحي الشيخ مساعد الطيار، والشيخ بازمول.

* والمقصود:

ربط كلام المعاصرين بكلام المتقدمين في أصول التفسير، والاطلاع علىٰ مدونة أصلية في العلم.

* المطالعة:

(١) قراءة: «**علوم القرآن بين الإتقان والبرهان**»، للشيخ حازم حيدر سعيد.

(٢) قراءة «**مناهل العرفان**»، للزرقاني مع تقويم السبت (قراءة سريعة).

(٣) الاستماع لمحاضرات «**شرح مختصر الإتقان**»، للشيخ البحياوي.

* **والمقصود:**

اطلاع الدارس علىٰ معاقد الاتفاق والاختلاف بين أهم المصنفات في علوم القرآن، مع الاطلاع علىٰ مدونة معاصرة في علوم القرآن، ونقدها، مع ربط له بعالم من علماء القرآن تلقيًا وأخذًا.

* **التطبيق:**

(١) دراسة الإسرائيليات، وأثرها في التفسير.

(يقرأ الطالب بحث الشيخ مساعد).

(٢) دراسة الاختلاف في التفسير والإجماع، وأثره في التفسير.

(يقرأ بحث الشيخ محمد صالح، وبحث الشيخ محمد الخضيري).

(٣) دراسة موضوع الاستدراك في التفسير.

(يقرأ بحث الشيخ نايف الزهراني).

الْمَرْحَلَةُ الْأَخِيـرَةُ

* والهدف منها أن يقرأ الطالب ما يُؤهِّله للخوض في الدراسات القرآنية بعامة، والذي أقترحه في هذه المرحلة كالآتي:

(١) قراءة: «**علوم القرآن عند الإمام الشاطبي**»، للشيخ مساعد الطيار، باعتناء الشيخ أحمد سالم، نشر مركز تفسير.

(٢) قراءة رسالتي: «**قواعد الترجيح**»، للشيخ الحربي، (دار القلم)، وقواعد التفسير، للشيخ السبت (دار ابن عفان).

(٣) «**إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن**»، وهو كتاب حسن جليل مهم مغفول عنه (دار الإمام البخاري).

(٤) «**الميسر في علم الرسم**»، للشيخ غانم قدوري الحمد (معهد الإمام الشاطبي).

(٥) «**الميسر في علم عد الآي**»، للشيخ أحمد خالد شكري (معهد الإمام الشاطبي).

(٦) «**مقدمات في علم القراءات**»، للشيخ القضاة وآخرون (دار عمار).

(٧) «**الدراسات الصوتية**»، للشيخ غانم قدوري (دار عمار).

(٨) «**محاضرات في علوم القرآن**»، للشيخ غانم قدوري (دار عمار).

(٨) «**المحرر في أسباب النزول**»، للشيخ خالد المزيني (دار ابن الجوزي).

(٩) «**المسائل المشتركة**»، للشيخ فهد الوهبي (مركز تفسير).

(١٠) «**الاستدلال علىٰ المعاني**»، للشيخ نايف الزهراني (مركز تفسير).

(١١) «**المكي والمدني**»، د. عبد الرازق حسين أحمد (دار ابن القيم).

(١٢) **«النسخ»**، د. مصطفىٰ زيد (دار اليسر).

(١٣) **«أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص»**، د. عماد الدين الرشيد.

(١٤) **«تعريف الدارسين بمناهج المفسرين»**، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (دار القلم).

(١٥) **«التفسير والمفسرون»**، للشيخ الذهبي (دار الحديث).

(١٦) **«الشاهد الشعري»**، د. عبد الرحمن الشهري (دار المنهاج).

(١٧) يستمع للمحاضرات التالية:

١ - **«بداية المفسر»**.

٢ - **«تاريخ القرآن»**.

٣ - **«تاريخ التفسير»**.

٤ - **«مناهج واتجاهات المفسرين، والتعريف بكتب التفسير»**، وكلها للشيخ مساعد الطيار.

(١٨) قراءة كتب العلامة الشيخ فريد الأنصاري (دار السلام).

(١٩) الاهتمام بإصدارات المراكز البحثية المتميزة في مجال الدراسات القرآنية: (مركز تفسير - مركز مبدع - الجمعية السعودية للقرآن وعلومه).

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «**المفسر**»، أحمد سهيل، مكتبة الرشد.
(٢) «**مقدمات في علم القراءات**»، لمحمد مفلح القضاة وزميلاه، دار عمار.
(٣) «**القراءات القرآنية**»، عبد الحليم قابة، نشر دار الغرب الإسلامي.
(٤) «**رسم المصحف**»، غانم قدوري الحمد، بغداد.
(٥) «**شرح المقدمات الجزرية**»، غانم قدوري الحمد، دار ابن الجوزي.
(٦) «**الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**»، غانم قدوري الحمد، دار عمار.
(٧) «**الإجماع في التفسير**»، محمد الخضيري، دار الوطن.
(٨) «**الأقوال الشاذة في التفسير**»، عبد الرحمن المدهش، الحكمة.
(٩) «**أسباب الخطأ في التفسير**»، طاهر يعقوب، دار ابن الجوزي.
(١٠) «**اختلاف السلف في التفسير**»، محمد صالح، دار ابن الجوزي.
(١١) «**أسباب اختلاف المفسرين**»، سعود الفنيسان، دار إشبيليا.
(١٢) «**قواعد الترجيح بين المفسرين**»، حسين الحربي، دار القاسم.
(١٣) «**قواعد التفسير**»، خالد السبت، دار ابن عفان.
(١٤) «**استداركات السلف في التفسير**»، نايف الزهراني، دار ابن الجوزي.
(١٥) «**منهج الاستنباط من القرآن الكريم**»، فهد الوهبي، دار ابن الجوزي.
(١٦) «**المحرر في أسباب النزول**»، خالد المزيني، دار ابن الجوزي.
(١٧) المجلد الثالث عشر من «**مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية**».
(١٨) «**تفسير التابعين**»، محمد الخضيري، دار الوطن.

(١٩) **«المكي والمدني»**، عبد الرزاق حسين، دار ابن عفان.

(٢٠) **«تاريخ القرآن»**، لنولدكه مع العناية بالكتب التي ناقشته.

(٢١) **«الشاهد الشعري»**، عبد الرحمن الشهري، دار المنهاج.

(٢٢) **«إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من علوم القرآن»**، دار الإمام البخاري.

(٧)

عِلْمُ التَّجْوِيدِ

عِلْمُ التَّجْوِيدِ(١)

* المرحلة الأولىٰ:

دراسة متن «تحفة الأطفال»، للشيخ سليمان الجمزوري، بتحقيق الأستاذ محمد فلاح المطيري، أو تحقيق الشيخ محمد تميم الزُّعْبي، أو تحقيق الدكتور أيمن سُوَيد.

ولهذا المتن عدة شروح أنسبها للمبتدئ -فيما أرىٰ-: تحقيق المنال بشرح تحفة الأطفال، للشيخ سليمان بن خالد الحربي - دار التدمرية.

أما شروح النظم الأخرىٰ فيُرجَع إليها -في هذه المرحلة- عند الحاجة، وأهمها: فتح الملك المتعال للشيخ المِيْهِي، ومنحة ذي الجلال للشيخ الضَّبَّاع بتحقيق أشرف عبد المقصود.

- يقرأ الطالب بعد ذلك كتاب «التجويد المُيَسَّر» الذي ألَّفه نُخبة من أهل العلم، وصدر عن مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- يكثر الطالب خلال هذه المرحلة الاستماع لتسجيلات القراء المتقنين، برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، ويلاحظ أثناء استماعه الأحكام التجويدية التي يدرسها.

والقُرّاء المتقنون الذين يُنصَح باستماع تلاواتهم لتحصيل الفائدة التجويدية = متوافرون -بحمد الله- ولكن نقتصر علىٰ الوصية ببعض المصاحف المُرَتَّلة المُعتمَدة من لجان علمية متخصصة، فمن أبرزها: المصحف المُرَتَّل للدكتور علي

(١) وضع منهج التجويد والقراءات الشيخ ضيف الله الشمراني المعيد بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية خصيصًا لكتابنا.

بن عبد الرحمن الحذيفي، والمصحف المُرَتَّل للدكتور محمد أيوب.

بعد إتقان هذه المرحلة يبدأ الطالب ختمة الإجازة برواية حفص عن عاصم علىٰ شيخ متقن مُدَقِّق مُجاز.

المرحلة الثانية:

دراسة متن «**المقدمة فيما علىٰ قارئ القرآن أن يَعْلَمَه**» المعروفة اختصارًا بـ(المقدمة الجزرية) للإمام ابن الجزري، بتحقيق الأستاذ محمد فلاح المطيري، أو تحقيق الشيخ محمد تميم الزعبي، أو تحقيق الدكتور أيمن سويد، أو تحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

وشروحها كثيرة أختارُ منها: «**شرح المقدمة الجزرية**»، للأستاذ الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- أما شروح النظم الأخرىٰ فيُرجَع إليها -في هذه المرحلة- عند الحاجة، ومن أهمها: «**الطِّرازات المُعْلَمة**» للعلّامة عبد الدائم الحديدي الأزهري، وشرح العلّامة طاش كبري زاده، و«**الفوائد السَّرِية**» للعلّامة ابن الحنبلي، و«**المِنَح الفِكْرية**» للعلّامة مُلّا علي القاري، و«**الجواهر المضيّة**» للعلّامة الفَضَالي، وشرح الدكتور أبي بِشْر محمد خليل الزَّرُّوق.

- يحسن بعد دراسة الجزرية قراءة كتاب «**التمهيد**»، للإمام ابن الجزري، تحقيق: الدكتور غانم قَدُّوري الحمد، وقراءة مسائل التجويد التي ذكرها الإمام ابن الجزري في كتابه «**النشر في القراءات العشر**».

- يقرأ الطالب بعد ذلك كتاب «**هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري**» للشيخ عبد الفتاح المرصفي، وهو كتاب جامع نفيس لا يستغني عنه طالب هذا الفن.

- ثم يقرأ كتاب «**اللحن في قراءة القرآن الكريم**» للشيخ علي بن سعد الغامدي المكي، طبعة دار البشائر الإسلامية.

المرحلة الثالثة:

يعتني الطالب في هذه المرحلة بدراسة كتب الأئمة المتقدِّمين، ومن أبرز هذه الكتب:

- «رائية الخاقاني»، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد، وعليها شرح نفيس للإمام أبي عمرو الدَّاني، حققه الأستاذ غازي العَمْري، ولعله يُطبَع قريبًا -إن شاء الله-.

- «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة»، للإمام مَكِّي بن أبي طالب، بتحقيق الدكتور أحمد فرحات.

- «التنبيه علىٰ اللحن الخفي واللحن الجلي»، للإمام السَّعِيدي، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- «التحديد في الإتقان والتجويد» للإمام الدَّاني، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- «الموضح في التجويد»، للإمام عبد الوهاب القُرطبي، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- «الإنباء في تجويد القرآن» للإمام ابن الطَّحَّان.

- «بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء»، للإمام ابن البَنّاء الحنبلي، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- «التمهيد في معرفة التجويد»، للإمام أبي العَلاء الهَمَذاني، بتحقيق الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- «نونيّة السخاوي»، بشرح العلّامة المُرَادي.

(٨)

علم القراءات

علم القراءات(١)

*** المدخل إلىٰ علم القراءات**

يقرأ الطالب هذه الكتب:

١- «**القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها**»، للدكتور عبد الحليم قابة، دار الغرب الإسلامي.

٢- «**مقدِّمات في علم القراءات**»، لمجموعة مؤلفين، دار عَمّار.

٣- «**المدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف**»، للدكتور حازم سعيد حيدر، طبعة معهد الإمام الشاطبي.

المرحلة الأولىٰ:

- دراسة متن «**حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**» المعروف اختصارًا بـ«الشاطبية»، للإمام أبي القاسم الشاطبي.

ولهذا النظم تحقيقات كثيرة أتقنها -فيما أرىٰ-: تحقيق الشيخ علي بن سعد الغامدي المكي - طبعة دار البشائر الإسلامية.

- وشروح الشاطبية كثيرة جدًّا أختارُ منها: «**الوافي في شرح الشاطبية**»، للشيخ عبد الفتاح القاضي، طبعة معهد الإمام الشاطبي، أما شروح النظم الأخرىٰ فيُرجَع إليها -في هذه المرحلة- عند الحاجة.

- ومن أهمِّ شروح الشاطبية التي لا يستغني عنها المتخصِّص في هذا الفن: «**فتح الوصيد**» للعلّامة عَلَم الدين السَّخَاوي، و«**الدُّرَّة الفريدة**» للعلّامة مُنْتَجَب الدين الهَمَذاني، و«اللآلئ الفريدة»، للعلّامة أبي عبد الله الفاسي، و«كنز المعاني»

(١) وضعه الشيخ ضيف الله الشمراني.

للعلّامة محمد الموصلي المعروف بـ"شُعْلة"، و«إبراز المعاني» للعلّامة أبي شامة المقدسي، و«**كنز المعاني**» للعلّامة الجَعْبَري، و«**العِقْد النضيد في شرح القصيد**» للعلّامة السَّمِين الحَلَبي.

- بعد دراسة الطالب للشاطبية يبدأ بعرض ختمة كاملة بالقراءات السبع علىٰ شيخ متقن مُدَقِّق مُجاز.

- من الكتب المعينة علىٰ القراءة بجمع القراءات السبع من طريق الشاطبية «**غيث النفع**»، للشيخ الصفاقسي، و«**قطر من غيث النفع**» للشيخ محمد نبهان مصري، و«**المنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية**»، للدكتور خالد الحافظ، و«**التحفة المرضية**»، للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم، و«**البدور الزاهرة**»، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

المرحلة الثانية:

دراسة متن «**الدرة المضية في القراءات الثلاث المُتَمِّمَة للعَشْر**»، للإمام ابن الجزري، بتحقيق الشيخ علي الضَّبَّاع، أو تحقيق الشيخ محمد تميم الزُّعْبي، أو تحقيق الدكتور أيمن سويد.

ولهذه المنظومة عدة شروح أرشِّحُ منها: «**الإيضاح لمتن الدرة**» للشيخ عبد الفتاح القاضي، بتحقيق الدكتور عبد القيوم السِّنْدي، أما شروح النظم الأخرىٰ فيُرجَع إليها -في هذه المرحلة- عند الحاجة.

ومن أبرز شروح الدُرَّة: شرح العلّامة النُّوَيري بتحقيق الشيخ عبد الرافع رضوان، و«**البهجة السَّنِيَّة**» للعلّامة الإبياري.

- بعد دراسة الطالب للدرة يبدأ بعرض ختمة كاملة بالقراءات الثلاث علىٰ شيخ متقن مُدَقِّق مُجاز، وإن تيسَّرَ له أن يقرأ بعد ذلك ختمة بالعشر الصُّغرىٰ = فحسنٌ جدًّا.

- من الكتب المعينة علىٰ القراءة بجمع القراءات الثلاث من طريق الدرة = «**عبير من التحبير**» للشيخ محمد نبهان مصري.

- من الكتب المعينة علىٰ القراءة بجمع القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة (**العشر الصُّغرىٰ**) = «**البدورة الزاهرة**» للعلّامة عبد الفتاح القاضي، وإتحاف المهرة للأستاذ قدري عبد الوهاب.

المرحلة الثالثة:

- قبل الشروع في دراسة طيبة النشر أستحسنُ أن يمهِّد لها الطالب بمدخل يشتمل علىٰ قراءة كتابين:

الأول: شرح مِنْحَة مُوْلِي البِرّ فيما زاده كتاب النشر في القراءات العشر علىٰ الشاطبية والدرة، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

الثاني: حلية السفرة البررة فيما زادته الطيبة علىٰ الشاطبية والدرة، للأستاذ مؤمن سعيد حسن السكندري.

- وبعد ذلك يشرع الطالب في دراسة متن «**طيبة النشر في القراءات العشر**»، للإمام ابن الجزري، بتحقيق الشيخ الضباع، أو تحقيق الشيخ الزُّعْبي، أو تحقيق الدكتور أيمن سويد، أو تحقيق الشيخ إيهاب فكري.

وشروح الطيبة قليلة جدًا لا تفي بما يحتاجه النظم، وأختارُ أن يجعل الطالب شرح العلّامة أحمد ابن الجزري المعروف بـ(ابن الناظم)= أصلًا له، يضيف إليه ما يحتاجه من الشروح الأخرىٰ وغيرها، وأفضل طبعاته التي نشرها مُجَمَّع الملك فهد بتحقيق أ.د. عادل بن إبراهيم رفاعي.

ولا بد أن يكون للمتخصِّص في القراءات عناية خاصة بكتاب «**النشر في القراءات العشر**» لمحقِّق علم القراءات الإمام ابن الجَزَري، فيقرأه قراءة تحقيق وتدقيق علىٰ أصوله المستقىٰ منها، ويحسن أن يكون له وِرْدٌ منه، بحيث يعيِّن له مُدَّة يختمه فيها، ثم يستأنف قراءته مرة أخرىٰ، وهكذا دَوَالَيك.

وأفضل طبعات «**النشر**» التي نشرها مُجَمَّع الملك فهد بتحقيق أ.د. السالم الجكني.

بعد دراسة الطالب للطيبة يبدأ بعرض ختمة كاملة بالقراءات العشر الكبرىٰ علىٰ شيخ متقن مُدَقِّق مُجاز.

من الكتب المعينة علىٰ القراءة بجمع القراءات العشر من طريق طيبة النشر (العشر الكُبرىٰ) = «البُشرىٰ في تيسير القراءات العشر الكُبرىٰ» للشيخ محمد نبهان مصري، و«فريدة الدهر في جمع وتأصيل القراءات العشر» للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم.

المرحلة الرابعة:

قراءة كتاب «القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب» للعلّامة عبد الفتاح القاضي.

ثم دراسة متن «الفوائد المعتبرة في الأحرف الأربع الزائدة علىٰ العشرة»، للعلّامة المتولي، بتحقيق الشيخ علي بن سعد الغامدي المكي، طبعة دار البشائر الإسلامية.

وعليها شرح للناظم سماه: «موارد البررة»، مطبوع طبعة تجارية، وحقَّقه الشيخ علي بن سعد الغامدي المكي في بحث أكاديمي، ولعله يُطبَع قريبًا -إن شاء الله-.

علم التحريرات

المرحلة الأولىٰ:

دراسة متن **«إتحاف البريّة بتحريرات الشاطبية»**، للشيخ حسن بن خلف الحسيني، بشرح العلّامة علي الضَّبَّاع «مختصر بلوغ الأمنية»، طبعة مكتبة أضواء السلف.

- ثم قراءة الفتح الرحماني للشيخ الجمزوري، بتحقيق الشيخ عبد الرازق علي موسىٰ، طبعة دار ابن عفان.

المرحلة الثانية:

دراسة كتاب «**حَلّ المشكلات وتوضيح التحريرات**»، للعلّامة محمد الخليجي، طبعة مكتبة أضواء السلف.

المرحلة الثالثة:

- دراسة متن «**تنقيح فتح الكريم**» مع شرحه للشيخ أحمد عبد العزيز الزَّيَّات، طبعة الكويت.

- ثم قراءة الروض النضير للعلّامة المتولي بتحقيق د. خالد أبو الجود، وبدائع البرهان علىٰ عمدة العرفان للعلّامة الإزميري، ومقرِّب التحرير للعلّامة الخليجي بتحقيق د. عبد الغفار الدروبي.

علم توجيه القراءات

المرحلة الأولىٰ:

دراسة كتاب «**قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر**»، للشيخين محمد الصادق قمحاوي وقاسم الدجوي.

- ثم كتاب «**المُغْني في توجيه القراءات العشر**» للدكتور محمد سالم محيسن.

المرحلة الثانية:

دراسة كتاب «**الكشف عن توجيه القراءات السبع وعللها**»، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محي الدين رمضان.

- ثم كتاب «**توجيه مُشْكِل القراءات العَشْرية الفَرْشية**» للأستاذ الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي.

- ثم كتاب «**التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**» للدكتور أحمد سعد محمد.

المرحلة الثالثة:

- قراءة كتاب: «**الأصول النحوية والصرفية في «الحجة» لأبي علي الفارسي**»، للدكتور محمد عبد الله قاسم، دار البشائر - دمشق.

- ثم دراسة كتاب «**الحُجَّة للقراء السبعة**» للإمام أبي علي الفارسي، طبعة دار المأمون.

المرحلة الرابعة:

دراسة كتاب: «**المحتسب**» للإمام ابن جِنّي، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه.

علم أسانيد القراءات

- دراسة كتاب «**أسانيد القراءات ومنهج القُرَّاء في دراستها**»، للدكتور أحمد بن سعد المطيري، مطبوع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

علم طبقات القراء وتراجمهم

- قراءة «**معرفة القراء الكبار**» للإمام الذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة، وطبعة د. طيار آلتي قولاج، والطبعة الثانية لمركز الملك فيصل.
- ثم «غاية النهاية» للإمام ابن الجزري.

علم الوقف والابتداء

المرحلة الأولىٰ:

دراسة كتاب «**الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنىٰ في القرآن الكريم**» للأستاذ الدكتور عبد الكريم صالح.

- ثم كتاب «**الاختلاف في وقوف القرآن الكريم**» للأستاذ عادل السنيد.

المرحلة الثانية:

دراسة كتاب «**منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا**»، للعلّامة الأشموني.

علم رسم المصحف

المرحلة الأولىٰ:

- دراسة قسم الرسم من كتاب: «**الميسر في رسم المصحف وضبطه**»، للأستاذ الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- ثم قسم الرسم من كتاب «**سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحبير سمير الطالبين**» للدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت.

المرحلة الثانية:

دراسة أحد متنين:

الأول: «**عقيلة أتراب القصائد**»، للإمام أبي القاسم الشاطبي، مطبوع بتحقيق د. أيمن سويد.

وله عِدَّة شروح أختار منها: تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد لابن القاصح، أما شروح النظم الأخرىٰ فيُرجَع إليها -في هذه المرحلة- عند الحاجة.

ومن أهم شروح العقيلة: «**كشف الوسيلة**» لعَلَم الدين السَّخاوي، و«**جميلة أرباب المراصد**» للجَعْبَري، و«**الدرة الصقيلة**» لأبي بكر بن عبد الغني الشهير بـ(اللبيب).

الثاني: قسم الرسم من «**كشف العَمَىٰ والرَّيْن**» للعلّامة محمد العاقب الجَكَني، مع شرحه «**رَشْف اللّمىٰ**».

المرحلة الثالثة:

- دراسة «**مَورِد الظمآن**»، بتحقيق الدكتور أشرف طلعت، وبالشرح المسمَّىٰ: «**دليل الحيران**» للشيخ المارغني، أو «**لطائف البيان**» للشيخ أحمد أبو زيتحار.

- ومن أهم شروح المورد: «**التبيان**» للعلّامة ابن آجطا، و«**فتح المَنَّان**» لابن عاشر، وهو مطبوع بتحقيق الدكتورة سلوىٰ الأشقر.

- ثم قراءة كتاب «**مختصر التبيين في هجاء التنزيل**» للإمام أبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق الدكتور أحمد شرشال.

علم ضبط المصحف

المرحلة الأولىٰ:

- دراسة قسم الضبط من كتاب: «**المُيَسَّر في رسم المصحف وضبطه**»، للأستاذ الدكتور غانم قَدُّوري الحمد.

- ثم قسم الضبط من متن «**كشف العمىٰ**» للعلّامة محمد العاقب، بشرح الناظم «**رشف اللمىٰ**»، وقسم الضبط من كتاب «**سفير العالِمين في إيضاح وتحرير وتحبير سمير الطالبين**» للدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت.

المرحلة الثانية:

- دراسة ذيل الضبط الملحق بمتن «**مورد الظمآن**» مع شرحه المسمَّىٰ: «**دليل الحيران**» للشيخ المارغني.

- وأبرز شروح ذيل الضبط: «**الطراز في شرح ضبط الخرّاز**» للعلّامة التَّنَسي.

- ثم قراءة كتاب «**أصول الضبط وكيفيته علىٰ جهة الاختصار**» للإمام أبي داود سليمان بن نجاح، تحقيق الدكتور أحمد شرشال.

علم عَدِّ الآي

المرحلة الأولىٰ:

- دراسة كتاب: «**الميسَّر في علم عد الآي**»، للأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري.

- وبالتزامن مع ذلك حفظ أبيات متن «**الفرائد الحِسان في عد آي القرآن**» للشيخ عبد الفتاح القاضي، تحقيق الدكتور أشرف طلعت، ويراجع لحلّ أبيات النظم شرح الناظم «**نفائس البيان**» وشرح الشيخ عبد الرازق موسىٰ «**مُرشِد الخِلّان**».

المرحلة الثانية:

دراسة متن «**ناظمة الزُّهْر**» للإمام أبي القاسم الشاطبي، تحقيق الدكتور أشرف طلعت، وشرح الشيخ عبد الفتاح القاضي «**بشير اليُسْر**».

تنبيهات

١- البدء بدراسة علم القراءات بعد إنهاء المرحلة الثانية من دراسة علم التجويد.

٢- علم التحريرات يُدرَس مع علم القراءات.

٣- علم الضبط يُدرَس بعد علم الرسم.

٤- علم توجيه القراءات يُدرَس بعد قراءة متقنة لكتاب متوسط في النحو، ومختصر في الصرف، والبلاغة، والتفسير.

٥- الشروع في طلب علم القراءات قبل إتقان حفظ رواية واحدة = خلل منهجي كبير لا تُحمَد عاقبتُه.

٦- يلزم الطالب إذا أراد ضبط هذه العلوم أن يحفظ متونها، ولا يكتفي بفهمها ودراسة شروحها، فيحفظ في التجويد: تحفة الأطفال والجزرية، ويحفظ في القراءات: الشاطبية والدرة والطيبة، ويحفظ في التحريرات: تنقيح فتح الكريم، ويحفظ في الرسم: مورد الظمآن -وهو أجمعها- أو كشف العمىٰ، أو العقيلة، ويحفظ في عد الآي: الفرائد الحِسان، وناظمة الزُّهْر.

٧- علم القراءات وثيق الصلة بعلوم العربية، وعليه؛ فينبغي لطالب هذا الفن أن يعتني بعلوم العربية، ويدرسها بتوسُّع وإتقان.

٨- «العَشْر النافعية» أو «العَشْر الصغير» المشهورة عند أهل المغرب ليست معروفة عند أكثر المشارقة؛ ولذلك لم أدرجها ضمن هذا البرنامج، وأقترح علىٰ من أراد تلقّيها أن يجعل ذلك بعد قراءة العشر من طريق طيبة النشر.

٩- في ثنايا بعض كتب التفسير وإعراب القرآن توجيهات للقراءات المتواترة والشاذة، وبعضها لا يوجد في كتب توجيه القراءات، فحريٌّ بالمتخصص أن يهتم

بها ويرجع إليها، ويعتني بدراسة التفسير وأصوله وعلوم القرآن؛ ليحسن التعامل مع كتب التفسير.

١٠- علىٰ المقرئ أن يكون مُلِمًّا بالحد الأدنىٰ من علوم الشريعة، وأن لا ينشغل بدقائق علم القراءات عما يجب عليه تحصيله، وخاصة في علمي الاعتقاد والفقه.

فوائد:

١- أوسع الكتب اعتناءً بضبط نظمي الجزرية وتحفة الأطفال = «الإحكام في ضبط المقدّمة الجزرية وتحفة الأطفال»، للأستاذ محمد بن فلاح المطيري.

٢- أحسن معاجم مصطلحات التجويد والقراءات: (التجريد لمعجم مصطلحات التجويد) و(مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات) للأستاذ الدكتور إبراهيم الدوسري، و(معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به) للدكتور عبد العلي المسئول.

٣- من أفضل المصاحف المطبوع بحاشيتها خلاف القراء = مصحف القراءات السبع من طريق الشاطبية، ومصحف القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، ومصحف القراءات العشر من طريق طيبة النشر، وكلها من مطبوعات دار الصحابة بمصر.

٤- معجم الرسم العثماني للدكتور بشير الحِمْيَري = عملٌ ضخم، فريد من نوعه، لا يستغني الباحث في علم رسم القرآن عنه.

٥- من أبرز العلماء والباحثين المعاصرين في علوم القراءات الذين أوصي باقتناء كتبهم: الشيخ عبد الفتاح القاضي (صدر مجموع مؤلفاته عن معهد الإمام الشاطبي)، والدكتور عبد الهادي حميتو، والدكتور غانم قَدُّوري الحمد، والدكتور أيمن سُوَيد، والدكتور أحمد شرشال، والدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، والشيخ علي بن سعد الغامدي المكي.

٦- من الجهات العلمية المعتنية بكتب وأبحاث علوم القراءات: مُجَمَّع الملك لطباعة المصحف الشريف، والجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

(تبيان)، ومعهد الإمام الشاطبي بجدَّة، ومركز تفسير للدراسات القرآنية، وكرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ووزارة الأوقاف الكويتية.

٧- من أفضل الملتقيات العلمية المتخصصة في علوم القراءات علىٰ شبكة الإنترنت = ملتقىٰ القراءات والتجويد والرسم والضبط، ضمن ملتقىٰ أهل التفسير.

(٩)

عُلُومُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

أَوَّلًا: متون السنة

وتشيع تسميته بعلم الرواية، والمراد بعلم الحديث رواية هنا ليس علم الدراية أي: المصطلح والعلل ونحوها، وإنَّما المراد هنا هو علم الرواية، أي: متون السنة وشروحها.

أولًا: حفظ السنة النبوية:

والأسئلة كثيرة في مسألة حفظ السُّنة، وليس هناك جواب واحد يصلح لكل الطلبة، والذي أراه يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

(١) محلُّ ما أتكلم عنه هنا هو من يريد أن يكتفي بقدر من الحفظ، أما أهل الحفظ وجمع السنن فهؤلاء لا يحدهم حد بارك الله لهم في مواهبهم.

(٢) الحد الأدنىٰ للحفظ عندي هو **«الأربعون النووية»**، و**«مختصر ابن أبي جمرة»**.

(٣) الوعاظ والدعاة ونحوهم أرشح لهم الجمع بين حفظ **«عمدة الأحكام»**، وحفظ **«رياض الصالحين»**.

(٤) المتخصصون في الفقه والأصول أرشح لهم حفظ **«بلوغ المرام»**، وعدم الاكتفاء بالعمدة، ومن أطاق فليحفظ **«المنتقىٰ»**، للمجد، أو **«السنن والأحكام»** للضياء المقدسي، والفقيه لا يستغني عن البلوغ علىٰ الأقل.

(٥) المتخصص في علوم الحديث أرشح له الطريقة التي عرضها الشيخ حاتم العوني في كتابه النافع: **«نصائح منهجية لطالب علم السُّنة النبوية»**، وهي أن يحفظ بقدر طاقته، وملكته، وعندي أن يبدأ بـ**«الموطأ»**، ثم **«الصحيحين»**، ولو حفظ بطريقة الزوائد التي يقوم بها الشيخ يحيىٰ اليحيىٰ أو صالح الشامي = يكن خيرًا،

وأما من لم تسعفه ملكته علىٰ الحفظ النصي المرتب، فليدم النظر في كتب السُّنَّة، ويكون له ورد ثابت؛ فإنَّه بتكرار القراءة والنظر يثبت قدر عظيم من متون الحديث مع خلل في دقة الضبط.

(٦) غير المتخصص فيما تقدم يحفظ **«الأربعون النووية»**، و**«مختصر ابن أبي جمرة»**، ثم يحفظ أكثر الأحاديث دورانًا في علمه، فيحفظ الأصولي مثلًا: الأحاديث المستدل بها في المنهاج ومختصر ابن الحاجب ونحوها، ويزيد عليها ما يرىٰ أنه ينفحه في الاحتجاج علىٰ القواعد الأصولية.

*** طُرُقُ حِفْظِ السُّنَّةِ**

يقول الشيخ حاتم العوني: للحفظ طريقتان، لا يعجز عن إحداهما جميع الناس، ولكلٍّ طريقة منهما مميزاتها وعيوبها؛ فيحسن أن نذكرهما، بما لهما من محاسن وعيوب.

*** الطريقة الأولى (وهي أشهر الطريقتين):**

وهي أنفع للصغار والشباب ممَّن أُوتِي موهبة الحفظ: وهي بأَنْ يقرر الطالب علىٰ نفسه لكل يوم جزءًا يسيرًا، كأن يكون حديثًا أو حديثين أو أكثر.

ويستحسن أن يكون قدرًا يسيرًا؛ فإنَّ القليل يثبت والكثير لا يحصل؛ فيتحفظ هذا المقرر يوميًا، حتىٰ يغيبه في صدره؛ ويستقر علىٰ ذلك فترة طويلة، وهي سنوات طلبه للعلم؛ مع تعهُّد المحفوظ دائمًا، علىٰ المنهج الذي ذكرناه سابقًا في التعهد.

*** ولهذه الطريقة مميزات وعيوب:**

- **فمن مميزاتها:** أنَّها طريقة منتجة منضبطة، يمكن للطالب مع التزامها والمداومة عليها حفظ كتب برمتها، وتغيب مصنفات بأكملها.

- **ومن مميزاتها أيضًا:** أنَّها أسرع حفظًا من الطريقة التالية، إذ قد لا يجلس الطالب للتحفظ إلا ربع ساعة أو نصفها.

- **ومن عيوبها:** أنَّها أسرع في التفلت من الطريقة التالية، وأنَّها أحوج ما تكون للتعهد للمحفوظ والمراجعة له دائمًا، وعدم الانقطاع عليه من فترة لأخرىٰ.

- **ومن عيوبها**: أنَّ الذي يلتزم بها الغالب أضيق في الاطلاع من صاحب الطريق التالية؛ لأن الطالب معها مُقيد بمقرر معين.

*** وأما الطريق الثانية للحفظ:**

وهي أنفع لكبار السن، ولمن لم يؤتَ موهبة الحفظ: وتتلخص في إدمان مجالسة كتب السنة، وإدامة القراءة فيها، والجَلَدِ في ذلك والصبر عليه، مع الإكثار من النَّسْخِ والكتابة، وتعويد اليد علىٰ ذلك.

ولذلك لـمَّا قِيل للإمام البخاري: ما البلاذر؟ وهو دواء كانوا يظنون قديمًا أنَّه يقوي الذاكرة وينشط الذهن علىٰ الحفظ، فأجاب الإمام البخاري، صارفًا لهم البلاذر حقًّا، حيث قال: «هو إدامة النظر في الكتب»[(١)].

وقال عبد الله بن المبارك: «من أحب أن يستفيد، فلينظر في كتبه»[(٢)].

وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن الفرات (ت: ٢٥٨هـ): «لم نَزَلْ نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا أنَّه ليس شيء أبلغَ فيه من كثرة النظر»[(٣)].

وأمَّا الكتابة وأثرها في الحفظ، فقد سبق أن ذكرنا أنَّ المحفوظ كلما اشترك فيه أكثر من حاسة، كلمَّا كان ذلك أقوىٰ وأرسخ، فإذا نظر القارئ، وجهر بالقراءة، ثم كتب؛ فإنَّه -علىٰ حد تعبير والد الزبير بن بكار- يكون له ما أدَّىٰ بصره إلىٰ قلبه، وما أدىٰ سمعه إلىٰ قلبه، وما أدت يده إلىٰ قلبه؛ فلا ينسىٰ بإذن الله تعالىٰ؛ لأنَّه اشترك في تحفظه ثلاث حواس.

وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما **لبنيه وبني أخيه**: «تَعلَّمُوا العلم؛ فإنَّكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»[(٤)].

---

(١) «**جامع بيان العلم**»، لابن عبد البر، (رقم/ ٢٤١٤).

(٢) «**الجامع**»، للخطيب، (رقم/ ١٨١٣).

(٣) «**الجامع**»، للخطيب، (رقم/ ١٨٧٣).

(٤) «**جامع بيان العلم**»، لابن عبد البر، (رقم/ ٤٨٤)، و«**المدخل إلىٰ سنن البيهقي**»، (رقم/ ٦٣٢، ٧٧٢).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «ما سمعت شيئًا إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني»[١].

* **ولهذه الطريقة في الحفظ مميزات وعيوب**:

- **فمن مميزاتها**: أنَّ صاحبها بطيء النسيان لمحفوظاته؛ لأنَّ طريقة حفظه تتضمن التعهد معها، بل هو إنما حفظ بالتعهد الكبير!

- **ومن مميزاتها**: أنَّ صاحبها أوسع استحضارًا من صاحب الطريقة السابقة؛ لأنَّه أوسع إطلاعًا.

- **ومن عيوبها**: أنَّ صاحبها لا يستطيع الجزم بأنَّه يحفظ كتابًا ما، خاصة المطولات، وأيضًا لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يؤدي ما حفظ باللفظ، وإنَّما يؤديه بالمعنىٰ؛ وللرواية بالمعنىٰ شروط، وتحوم حولها أخطار.

- **ومن عيوبها**: أنَّها تستلزم وقتًا طويلًا للحفظ، وجَلَدًا وصبرًا، وانقطاعًا كاملًا؛ إذا أراد صاحبها أن ينافس صاحب الطريقة الأولىٰ.

وأمَّا من جمع بين طريقتي الحفظ هاتين فهو الحافظ الكامل، الذي جمع بين محاسن الحفظ، ونجا من عيوبه كلها.

---

(١) «**جامع بيان العلم**»، لابن عبد البر، (رقم/ ٤٤٧).

ثَانِيًا: الْقِرَاءَةُ

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ: «ينبغي للطالب أن يُقدِّم الاعتناء بالصحيحين، ثم بالسُّنن، كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي، وهو أكبر كتاب في أحاديث الأحكام، ولم يصنف في بابه مثله، ثم بالمسانيد، وأهمها: «مسند أحمد بن حنبل»، ثم بالكتب الجامعة المؤلفة في الأحكام، وأهمها: «موطأ مالك»، ثم كتب ابن جريج، وابن أبي عروبة، وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ثم كتب العلل، ثم يشتغل بكتب رجال الحديث وتراجمهم وأحوالهم، ثم يقرأ كثيرًا من كتب التاريخ وغيرها»(١).

وإنِّي لأعلم من الناس ناسًا، تزيَّوا بزي أهل الحديث، ورفعوا شعارهم، وكتبوا، وصنفوا، وقالوا: هذا عندنا ضعيف، وهذا عندنا ثقة، ولسوف نردُّ علىٰ فلان، وننقض رأي فلان»، أقول: «إنَّ هؤلاء إذا رأيتهم؛ فلربما أعجبك سمتهم وهالَك رسمهم، وإنِّي -والذي رفع السماء بلا عمد- أعرف منهم من لم يتم أحد الصحيحين قراءة ولو مرة واحدة، وأعرف منهم الذي يشتغل بتحقيق الحديث الواحد أيامًا طوالًا، فإذا سألته عن متن هذا الحديث الذي يحققه، حار وأبلس وصار لسانه مضغة لحم خرساء تجوب الحنك، فالله المستعان علىٰ رفع بلاء أولئك، واقرأ كلام الشيخ أبي الأشبال، وتفكَّر فيه، واعمل به؛ فتلك -لعمر الله- طرائق أهل العلم، وسنن الربانيين من أهل الفهم، والسلام.

* **واتخاذ جرد كتب السنة عادة هو من الأشياء النافعة جدًّا لطالب العلم، وحبذا لو كان بهذا الترتيب:**

(١) «الموطأ»، طبعة الأعظمي، المنشورة بالإمارات، أو طبعة بشار عواد معروف، المنشورة بدار الغرب.

(٢) «صحيح البخاري»، الطبعة السلطانية، (صوَّرتها دار طوق النجاة، ثم دار الطبري)، أو طبعة مؤسسة الرسالة.

---

(١) «الباعث الحثيث»، (ص/ ٢٣٦).

(٣) «**صحيح مسلم**»، طبعة المطبعة العامرة باسطنبول (صوَّرتها دار المودة أو دار طيبة.

(٤) «**سنن النسائي**»، طبعة دار البشائر.

(٥) «**سنن أبي داود**»، طبعة دار المنهاج بجدة.

(٦) «**سنن الترمذي**»، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٧) «**سنن الدارمي**»، طبعة دار المغني.

(٨) «**سنن الدارقطني**»، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٩) «**سنن البيهقي**»، نشر دار عالم الكتب.

(١٠) ثم خاتمة المطالعة والنظر، ديوان الإسلام، «**مسند أحمد**»، طبعة المكنز الإسلامي وتوزعها دار المنهاج.

(١١) ومطالعة المجاميع المجردة مثل: «**جامع السنة النبوية**»، لصالح الشامي، قد تكون أنسب خيار لغير المتخصص في الحديث؛ لأنَّ المتخصص يحتاج لمطالعة الأسانيد وتكرار النظر فيها.

ثَالِثًا: الشُّرُوحُ

(١) «الموطأ».

يقرأ الطالب شرحه «**التمهيد**»، طبعة دار عالم الكتب، و«**الترتيب الفقهي**»، المنشور بدار الفاروق متوسط المستوىٰ، وهو أحسن الموجود.

(٢) «صحيح البخاري».

يقرأ الطالب في البداية «**شرح ابن بطال**»، نشر مكتبة الرشد، وهو سهل مفيد جدًّا.

ثم يقرأ «**فتح الباري**»، لابن حجر، وأصح طبعات «**فتح الباري**» طبعة دار طيبة، فالرسالة، فبولاق، فأبي حيان، فالسلفية الأولىٰ، والكتاب بحاجة لتحقيق جديد.

ولا بُدَّ للطالب من قراءة «**فتح الباري**»، لابن رجب، طبعة دار ابن الجوزي.

(٣) «صحيح مسلم».

يقرأ الطالب «**شرح النووي**»، والكتاب يحتاج لتحقيق، ونسخة مقاربة، ومن أقربها طبعة مؤسسة قرطبة، والمعرفة، ودار ابن رجب، وهو وشرح ابن بطال علىٰ البخاري من الكتب التي أرشح قراءتها لعموم طلبة العلم إذا أنهوا المرحلة الثانية من معظم العلوم الشرعية.

وللكتاب شروح عدة أخرىٰ من أوسعها «**شرح الأثيوبي**»، الذي ينشره منجمًا بدار ابن الجوزي.

(٤) «سنن النسائي».

لها شرح موسع هو «**شرح الأثيوبي**»، وتوزعه دار ابن الجوزي.

(٥) «سنن أبي داود».

يقرأ الطالب شرحه «**عون المعبود**»، نشر دار المعارف، بتحقيق مشهور حسن، وقد نشرت دار المعارف «**تهذيب السنن**»، لابن القيم أيضًا وهو مفيد جدًّا.

(٦) «سنن الترمذي».

يقرأ الطالب شرحه «**تحفة الأحوذي**»، وليس له طبعة مميزة، وهناك شرح صوتي عليه، لكنَّه لم يتم بعد، للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي.

(٧) «سنن ابن ماجه».

لها شرح موسع هو: «**شرح الأثيوبي**»، تنشره دار ابن الجوزي.

(٨) «عمدة الأحكام».

وللمتن شروح عدة أوسعها: «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام»، لابن الملقن وهو أكثر الشروح فوائد، وممَّا أرشحه في دراسة شرح هذا المتن أن يجمع الطالب بين «**تيسير العلَّام**» للشيخ البسام طبعة دار الميمان، وبين الشرح الصوتي للشيخ محمد المختار الشنقيطي، أمَّا «**الإحكام**»، لابن دقيق العيد فأصح طبعاته طبعة مكتبة أولاد الشيخ، وهو من كتب المطالعة لمن كان قد تقدم في دراسة الفقه والأصول.

(٩) «بلوغ المرام».

للمتن عدة شروح منها شرح ابن عثيمين علىٰ «**بلوغ المرام**»، نشر دار الوطن أو المكتبة الإسلامية، وشرح الشيخ عبد الله الفوزان، نشر دار ابن الجوزي، وهو أوسع شروح المتن، وشرح «**توضيح الأحكام**»، للبسام، طبعة دار الميمان، وشرحه المهم «**سبل السلام**»، للصنعاني.

(١٠) «منتقىٰ الأخبار».

شرح: «**نيل الأوطار**»، هو أوسع شروح «**منتقىٰ الأخبار**»، للمجد ابن تيمية، وفيه فوائد تعلق بتمرين الطالب علىٰ النظر في الخلاف والجدل الفقهي، وأنصح بمطالعته لمن أنهىٰ دراسة المرحلة الثانية في الفقه والأصول.

ثَانِيًا: عُلُومُ الإسناد

* المرحلة الأولى:

* الكتب المرشحة لهذه المرحلة كثيرة جدًّا، ومنها:

(١) «**البيقونية**»، وأحسن شروحها شرح أبي الحسن السليماني مصطفىٰ بن إسماعيل المأربي، ونشرته دار الكيان.

(٢) «**مصطلح الحديث في سؤال وجواب**»، للشيخ مصطفىٰ العدوي، نشر دار مكة مع كتاب شرح علل الأحاديث.

(٣) «**المدخل إلىٰ علوم الحديث**»، للشيخ طارق عوض الله، نشر دار ابن عفان.

(٤) «**المعلم في علوم الحديث**»، لعمرو عبد المنعم، نشر دار الضياء.

* والذي أختاره أنا: هو دراسة المعلم لعمرو عبد المنعم.

* المرحلة الثانية:

* والكتب المرشحة لهذه المرحلة كثيرة منها:

(١) «**نُخبة الفِكَر**»، بشرحها.

١- هناك شروح كثيرة للنخبة وللنزهة، منها: «**نزهة النظر شرح نخبة الفكر**»، لمؤلفها الحافظ ابن حجر طبعة دار ابن الجوزي، وشرح الشيخ الخضير علىٰ النخبة: «**تحقيق الرغبة في توضيح النخبة**»، نشر دار المنهاج، و«**النهج المبتكر**»، لحازم الشربيني، وهو جيد يمكن مطالعته مع شرح الخضير، وشرح الشيخ حاتم العوني الصوتي للنزهة

٢- وللمتن منظومة قصيرة شرحها الشيخ عبد المحسن الزامل ونشرتها دار ابن الجوزي.

(٢) «**الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**»، نشر دار الميمان أو مكتبة السنة.

(٣) «**تيسير مصطلح الحديث للطحان**»، نشر دار المعارف.

(٤) «**تيسير علوم الحديث**»، لعمرو عبد المنعم، نشر دار ابن عفان.

١- والذي أختاره أنا لهذه المرحلة هو: دراسة «**تيسير علوم الحديث**» لعمرو عبد المنعم طبعة دار ابن عفان، ثم دراسة وإتقان النخبة مع شرحها للخضير، وشرحها: «**النهج المبتكر**» لحازم الشربيني، وشرح النزهة للشريف حاتم العوني، مع قراءة الباحث الحثيث.

٢- يُطالع الطالب بعد الانتهاء كتاب: «**الموقظة**»، للذهبي طبعة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، وأفضل شروحها شرح الشيخ حاتم العوني، نشر دار ابن الجوزي.

* المرحلة الثالثة:

وبداية منها سيتم توزيع الدراسة علىٰ محاور تستوعب علوم الحديث.

*** المحور الأول: مصطلح الحديث:**

(١) يدرس فيها الطالب كتاب: «**علوم الحديث لأبي عمرو ابن الصلاح**» مع «**التقييد والإيضاح**»، و«**النكت**» مجموعين في طبعة دار ابن عفان بتحقيق طارق عوض الله، ويستمع للشرح الصوتي للشيخ حاتم العوني علىٰ الكتاب، وهو شرح نفيس.

(٢) ثم يطالع الطالب كتاب «**تدريب الراوي**»، للسيوطي طبعة دار ابن الجوزي؛ و«**النكت علىٰ ابن الصلاح**»، للزركشي طبعة أضواء السلف.

* **المحور الثاني**: علم الجرح والتعديل:

* **يدرس فيها الطالب**:

- «**خلاصة التأصيل في علم الجرح والتعديل**»، للشريف حاتم العوني مع شرحها الصوتي له.

- ثم يقرأ: «**مباحث في علم الجرح والتعديل**»، قاسم علي سعد، أو «**تحرير قواعد الجرح والتعديل**»، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار ابن عفان.

* المحور الثالث: علم العلل:

يدرس الطالب مقدمة الدكتور همام سعيد لتحقيقه لكتاب: «**شرح علل الترمذي**»، لابن رجب الحنبلي، وبعد ذلك هناك كتابان مهمان يصلحان كمدخل لهذا العلم، فينصح الطالب باختيار أحدهما ولو درسهما معًا لكان أحسن:

(١) «**شرح علل الحديث**»، للشيخ مصطفىٰ العدوي، نشر مكتبة مكة.

(٢) «**مذكرة علل الحديث من تيسير علوم الحديث**»، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار الضياء.

* المحور الرابع: علم التخريج ودراسة الأسانيد:

* بالنسبة للتخريج فقد وضعت في هذه المرحلة عدة كتب نذكر للطالب أهمها وأحسنها:

(١) «**أصول التخريج ودراسة الأسانيد**»، للدكتور محمود الطحان، نشر دار المعارف بالرياض.

(٢) «**علم تخريج الأحاديث**»، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار ابن عفان.

(٣) «**طرق تخريج أحاديث رسول الله ﷺ**»، للدكتور عبد المهدي عبد القادر، نشر دار الفضيلة.

* أمَّا بالنسبة لدراسة الأسانيد، فأفضل كتبه علىٰ الإطلاق هو كتاب الشيخ عمرو عبد المنعم سليم «**تيسير دراسة الأسانيد**»، نشر دار ابن عفان.

* المحور الخامس: محور التطبيق العملي:

بعد انتهاء الطالب من كتب المرحلة الأولىٰ بقسميها، وانتهائه من كتب المرحلة الثانية بمحاورها، فيسرنا أن نبشره أنَّه صار مؤهلًا من الناحية النظرية لخوض معمعة التطبيق العملي لما درس، وذلك بدراسة وتخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد دراسة ميدانية، ثم الحكم عليها حكمًا تدريبيًّا، لا الحكم الذي يُبنىٰ عليه

عمل أو عبادة، ومن المؤسف أنَّ معظم الدراسات الأكاديمية لا تستطيع إيفاء هذه المرحلة حقها؛ لكثرة عدد الطلبة وضِيق وقت المدرسين، ولكنَّنا نُوجِّه حديثنا هنا لطالب العلم الرباني الذي حمل علىٰ عاتقه مهمة الذبِّ عن حديث رسول الله ﷺ، وإنَّها لغاية يهون أمامها كل عسير.

فليستعِنِ الطالب بمكتبته الخاصَّة، أو مكتبة الجامعة، أو المكتبات العامة، ثم بطالب علم ذكي مُتقدم ليشير عليه وليدله وليكون عونًا له بعد الله ﷻ علىٰ ما يصبو إليه، ثم ليسهر ليله، ويكد نهاره حتىٰ تستوي ثمرة درسه علىٰ سوقها، وليخرج من ضيق الدراسة النظرية المهمة إلىٰ سعة الدراسة العملية التي تكمل للدراسة النظرية أهميتها، ولا ينسىٰ قبل كل ذلك ومعه وبعده أن يدعو الله، وأن يسأله التوفيق والرشاد.

* المرحلة الرابعة:

عمومًا نحن لا ننصح غير مريد التخصص أن يصل لهذه المرحلة، ولسنا نزعم كذلك أنَّ هذه المرحلة هي مرحلة المتخصصين.

وإنَّما نقول: إنَّ هذه المرحلة هي أولىٰ عتبات التخصص، وأول مراحل السفر الطويل إلىٰ ديار أهل الحديث، وما قبلها بالنسبة لها كسير من لم يفارق العمران، والله المستعان.

* المحور الأول: مصطلح الحديث:

هما كتابان يشتغل الطالب بمطالعتها، وبدراسة ما يحتاجه منها، وهي على الترتيب:

(١) «**فتح المغيث**»، للسخاوي، نشر دار المنهاج.

(٢) «**تحرير علوم الحديث**»، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان.

* المحور الثاني: علم الجرح والتعديل:

يدرس الطالب في هذه المرحلة كتابًا واحدًا هو: «**المدخل إلىٰ علم الجرح والتعديل**»، حازم الشربيني، مركز تراث.

وهناك بعد ذلك كتابان مهمان في هذه المرحلة يقرأهما الطالب وهما:

(١) «**دراسات في الجرح والتعديل**»، للدكتور/ محمد مصطفىٰ الأعظمي، نشر دار السلام بالرياض.

(٢) «**الجرح والتعديل**»، للدكتور/ إبراهيم اللاحم، نشر مكتبة الرشد.

* أمَّا بالنسبة لألفاظ الجرح والتعديل فلا مناص من قراءة الكتاب الذي أوفىٰ علىٰ الغاية وهو: «**شفاء العليل في ألفاظ الجرح والتعديل**»، لأبي الحسن المأربي، نشر مكتبة ابن تيمية.

- ويبقىٰ كتاب واحد مَن لم يقرأه؛ فلم يقرأ شيئًا؛ إنَّه الذهب والتبر الأصيل المسمىٰ بـ«**التنكيل**»، لفخر اليمن، وعلَّامتِها ذهبيِّ العصر المعلمي اليماني عليه -رحمة الله-.

* **المحور الثالث: علم العلل:**

هناك كتابان مهمان في هذه المرحلة يدرسان معًا:

(١) «**العلة وأجناسها**»، لأبي سفيان مصطفىٰ باحو، نشر دار الضياء.

(٢) «**الجامع في العلل والفوائد**»، لماهر الفحل، نشر دار ابن الجوزي.

مع العناية بكتاب «**التتبع**»، للدارقطني، **والاستعانة عليه بثلاثة كتب:**

(١) «**الأحاديث المنتقدة علىٰ الصحيحين**»، لأبي سفيان مصطفىٰ باجو، نشر دار الضياء.

(٢) «**الإلزامات والتتبع**»، تحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، نشر دار الآثار.

(٣) «**بين الإمامين مسلم والدارقطني**»، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، نشر مكتبة الرشد.

* **المحور الرابع: علم الرجال:**

وهو محور جديد تمامًا، ويُعنىٰ الطالب فيه بمحاولة ضبط أسماء مشاهير الرواة ومشاهير أصحابهم بحيث يستطيع استحضارهم وقت الحاجة، وأحسن كتاب في هذا هو كتاب: «**معرفة الرواة المكثرين**»، لفهد بن عبد الله العمار، نشر مكتبة الرشد.

ثم العناية برجال الصحيحين وضبط أسماءهم وكناهم، وليستعِنِ بكتاب «**قرة العين في تراجم رجال الصحيحين**»، للشيخ محمد الأثيوبي، نشر دار ابن الجوزي.

أمَّا من رَام فوق هذا، فالعلم بحر لا ساحل له، ولا يستطاع العلم براحة الجسم.

* ولا غنىٰ للطالب عن مطالعة كتاب الدكتور/ محمد مطر الزهراني الموسوم بـ «**علم الرجال نشأته وتطوره**»، نشر دار ابن عفان.

* ولا غنىٰ للطالب أيضًا عن قراءة مقدمة «**الجرح والتعديل**» لابن أبي حاتم، ومقدمة «**التقريب**»، و«**اللسان**»، و«**ميزان الاعتدال**»، وقراءة «**هدي الساري**»، للحافظ ابن حجر العسقلاني.

* **المحور السادس: السنة تاريخها وحجيتها ومكانتها:**

وهذا المحور من الأهمية بمكان في ظلِّ الهجمة الاستشراقية العلمانية العقلانية التي نتعرض لها منذ نحو نصف قرن متواصلة، وكل الكتب التي سنذكرها هنا لازمة القراءة والإطلاع.

أولًا: تاريخ السنة:

(١) «**السنة قبل التدوين**»، لمحمد عجاج الخطيب.

(٢) «**بحوث في تاريخ السنة**»، لأكرم ضياء العمري، نشر مكتبة العلوم والحكم.

(٣) «**دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**»، للدكتور محمد مصطفىٰ الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي.

ثانيًا: حجية السنة ومكانتها:

(١) «**حجية السنة**»، للدكتور عبد الغني عبد الخالق، نشر دار الوفاء.

(٢) «**دفاع عن السنة**»، لمحمد محمد أبي شهبة، نشر مكتبة السنة.

(٣) «**السنة ومكانتها في التشريع**»، لمصطفىٰ السباعي، نشر المكتب الإسلامي.

ثَالِثًا: مُنَاقَشَاتٌ لِلاعْتِرَاضَاتِ وَالشُّبُهَاتِ عَلَى السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

(١) «السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها» ، عماد السيد الشربيني، دار اليقين.

(٢) «الأنوار الكاشفة»، المعلمي اليماني، عالم الفوائد.

* المحور السابع: التخريج ودراسة الأسانيد:

يُعنى الطالب في هذه المرحلة بقراءة الكتب التالية:

(١) «**التلخيص الحبير**»، وأصله «البدر المنير»، وصنوهما: «**نصب الراية**».

(٢) «**إرواء الغليل**».

(٣) «**السلسلة الصحيحة**».

(٤) «**السلسلة الضعيفة**».

(٥) تعليقات الشيخ أحمد محمد شاكر علىٰ الترمذي، وعلىٰ مسند أحمد، ثم العناية بقراءة تحقيقات المحققين المتقنين من أمثال:

(١) الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

(٢) الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

(٣) الشيخ أبو إسحاق الحويني.

(٤) الشيخ طارق عوض الله.

(٥) الشيخ سعد الحميد، وغيرهم ممَّن يُوصي بقراءة تحقيقاتهم الحديثية أهل العلم، والعلة في كل ذلك أن تستوي مع الوقت ملكة عرض الطرق والأسانيد واختزالها وبسطها حسب الحاجة من غير إضرار بالمادة العلمية.

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

إذا تمم طالب العلم المراحل السابقة؛ فهذا بيان ببعض ما ينبغي عليك الاشتغال به:

(١) ترتيب كتب المصطلح: ترتيبًا زمنيًا من الأقدم إلىٰ الأحدث، ومطالعتها، وتسجيل الفوائد.

(٢) ترتيب كتب الرجال: ترتيبًا زمنيًا من الأقدم إلىٰ الأحدث، ومطالعتها، وتسجيل الفوائد.

(٣) قراءة الأبحاث المعاصرة المميزة: سواء كنت تتفق مع وجهة نظر كاتبها أم لا؛ فإنَّ في هذه الأبحاث خيرًا كثيرًا، وهذا قائمة بأهم هذه الأبحاث:

١- «**المنهج المقترح لفهم المصطلح**»، للشريف حاتم العوني، نشر دار الهجرة.

٢- «**الأحاديث المنتقدة علىٰ الصحيحين**»، لأبي سفيان مصطفىٰ باجو.

(٣) «**الموازنة بين منهج المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها**»، لحمزة المليباري، نشر دار ابن حزم.

(٤) «**إجماع المحدثين علىٰ عدم اشتراط العلم بالسماع بين المتعاصرين**»، للشريف حاتم، دار عالم الفوائد.

(٥) «**الاتصال والانقطاع**»، لإبراهيم اللاحم، مكتبة الرشد.

(٦) «**موفق الإمامين البخاري ومسلم من الحديث المعنعن**»، لخالد الدريس، دار ابن حزم.

(٧) «**عبقرية مسلم في ترتيب أحاديث مسند الصحيح**»، لحمزة المليباري.

(٨) **«ما هكذا تورد يا سعد الإبل»**، لحمزة المليباري، دار ابن حزم.

(٩) **«التنكيل بما في توضيح المليباري من الأباطيل»**، لربيع المدخلي.

(١٠) **«طليعة فقه الإسناد»**، لطارق عوض الله.

(١١) **«الإرشادات لتقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات»**، لطارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية.

(١٢) **«الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم»**، لصالح بن حامد الرفاعي.

(١٣) **«الحديث الحسن»**، لخالد الدريس، دار أضواء السلف.

(١٤) **«التدليس أحكامه وآثاره النقدية»**، لصالح بن سعيد الجزائري، دار ابن حزم.

(١٥) **«المقترب في بيان المضطرب»**، لأحمد عمر بازمول.

*** ثم ينطلق طالب العلم باحثًا محررًا في أبواب هذا العلم الشريف.**

*** وأختم هذا المنهج بهذا النصِّ العالي لِعَلَمٍ من أعلام علوم الحديث في هذا الزمان وهو الشيخ الشريف حاتم العوني قال في رسالته: «نصائح لطالب علم السنة النبوية» (ص/ ٤٧):**

«بعد ذكر المميزات السابقة لعلم الحديث، وما تستلزمه كل ميزة منها من أسلوب معين تواجه به في الطلب والتحصيل؛ بقي وضع تصوُّر عامٍّ لمنهج القراءة والتعلم في كتب الحديث وعلومه:

ولن أكون في هذا المنهج بعيدًا عن الواقع، فأطالب جيل اليوم بما كان يلزم به السلف طلاب العلم في زمانهم؛ **كما سئل الإمام أحمد:** «عن الرجل يكون معه مائة ألف حديث، يقال إنَّه صاحب حديث؟ قال: لا، قيل: عنده مائتا ألف حديث، يقال له صاحب حديث؟ قال: لا، قيل له: ثلاثمائة ألف حديث؟ فقال بيده يمنة ويسرة»، **وقال أبو بكر ابن أبي شيبة:** «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث».

بل لن أزن طلاب اليوم بعُرف أهل العلم في القرن الثامن الهجري! **فقد قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): «إنَّما المُحدِّث من عَرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ من ذلك جملة مستكثرة من المتون، وحفظ البعض من الأسانيد، وسمع الكتب الستة، و«مسند أحمد»، و«سنن البيهقي»، و«معجم الطبراني»**، وضمَّ إلىٰ هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية، هذا أقل درجاته؛ فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار علىٰ الشيوخ، وتكلَّم في العلل والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله مَن شاء ما شاء».

فهذا كله بحسب عُرفهم! لكن (لكل زمان دولة ورجال)، فلن أخاطب إلَّا أهل زماني، بضعف هممهم، وكثرة الصوارف لهم عن طلب العلم ... وفي الله الخلف، وهو المستعان!

فأول ما يلزم طالب الحديث: هو إدمان النظر في الصحيحين «**صحيح البخاري**» و«**صحيح مسلم**»، بل ينبغي أن يضع الطالب لنفسه مقدارًا مُعيَّنًا من الصحيحين يقرؤه كل يوم، ليختم الصحيحين قراءة في كل سنة مرة في أقل تقدير، ويستمر علىٰ ذلك أربع سنوات -مثلًا-، خلال دراسته الجامعية أو الثانوية؛ فلا يتخرج إلَّا وقد

قرأ الصحيحين عدة مرات؛ ليكون مستحضرًا غالب متون الصحيحين.

ثم ينتقل بعد ذلك إلىٰ بقية الكتب التي اشترطت الصحة، كـ«**صحيح ابن خزيمة**»، و«**صحيح ابن حبان**»، و«**موطأ مالك**»، و«**منتقىٰ ابن الجارود**».

ويتمم هذه بسنن «**أبي داود، والنسائي**»، و«**جامع الترمذي**»، و«**سنن الدارمي**»، و«**سنن الدارقطني**»، و«**السنن الكبرىٰ**»، للبيهقي.

فيقرأ الطالب هذه الكتب، بعناية وتدقيق، ويُكثر من القراءة فيها، وخاصة التي اشترطت الصحة، وعلىٰ رأسها الصحيحان.

فإن كان طالب العلم هذا ممَّن أُوتي موهبة الحفظ؛ فليجمع عزمه علىٰ ما يستطيعه من هذه الكتب، ويمكنه أن يبدأ بحفظ «**الأربعين النووية**»، وما ألحقه ابن رجب بها لتمام خمسين حديثًا، ثم ينتقل إلىٰ «**عمدة الأحكام**»، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، ثم إلىٰ «**بلوغ المرام**»، لابن حجر، أو «**اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**»، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ثم إلىٰ الصحيحين؛ ثم ما شاء ممَّا يوفقه الله -تعالىٰ- إليه من الكتب، وأنصحه ألَّا يضيف إلىٰ محفوظه إلَّا ما حكم عليه بالصحة والقبول من إمام معتبر، إلَّا بعد أن يستوعب ذلك.

ويمكن طالب الحديث أن يكمل قراءته لكتب السُّنة بقراءة شروح مختصرة لكتب الحديث، مثل «**أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**»، للخطابي، و«**شرح النووي لصحيح مسلم**»، و«**شرح الطيبي لمشكاة المصابيح**»، و«**فيض القدير للمناوي**»، وأسهل من ذلك كله، أن يضع الطالب بجواره أثناء قراءته لكتب السنة كتاب «**النهاية في غريب الحديث والأثر**»، لابن الأثير؛ لأنَّه كتاب يُعنىٰ بتفسير الكلمات الغريبة لغويًّا الواردة في الأحاديث والآثار؛ ليستطيع من خلال ذلك أن يفهم المعنىٰ العام للحديث، وأن لا يروي ما لا يدري، فإن أراد التوسع: فعليه بمثل «**التمهيد**»، لابن عبد البر، و«**طرح التثريب**»، للعراقي، و«**فتح الباري**»، لابن حجر.

أمَّا بالنسبة لكتب علوم الحديث والمصطلح: فإن كان الطالب صغير السن (في مثل المرحلة الدراسية المتوسطة)، فيبدأ بـ«**البيقونية**»، أو «**نخبة الفكر**»، لابن حجر، مع شرح مُيسَّر لها؛ وإن كان في المرحلة الثانوية أو بداية الجامعة

فيبدأ بـ «**نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**»، لابن حجر، أو «**الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير**»، لأحمد محمد شاكر، أو «**الغاية شرح الهداية**»، للسخاوي، ثم ينتقل إلىٰ كتاب ابن الصلاح في علوم الحديث، ويضم إليه شروحه كـ «**التقييد والإيضاح**»، للعراقي، و«**النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح**»، لابن حجر، ويتلو ذلك كتاب «**الموقظة**»، للذهبي، ثم ينتقل إلىٰ الكتب الموسعة في علوم الحديث، مثل «**تدريب الراوي**»، للسيوطي، و«**فتح المغيث**»، للسخاوي، و«**توضيح الأفكار**»، للصنعاني. ثم يدرس بعمق كتاب «**الكفاية**» للخطيب، و«**معرفة علوم الحديث**»، للحاكم، و«**شرح علل الترمذيٰ**»، لابن رجب، ومقدمة «**التمهيد**»، لابن عبد البر، ومقدمة «**الإرشاد**»، للخليلي، ثم ينتهي بالتفقه في كلام الشافعي في «**الرسالة**»، ومسلم في مقدمة «**الصحيح**»، وأبي داود في (**رسالته إلىٰ أهل مكة**)، ونحوها.

وبعد تعلمه لـ «**نزهة النظر**» أو ما ذكرناه في درجتها، وأثناء قراءته لكتاب ابن الصلاح، عليه أن يُكثر مطالعة كتب التخريج، مثل «**نصب الراية**»، للزيلعي، و«**البدر المنير**»، لابن المُلقِّن، و«**التلخيص الحبير**»، لابن حجر، و«**تنقيح التحقيق**»، لابن عبد الهادي، والسلسلتين و«**إرواء الغليل**»، للألباني، ويحاول خلال هذه القراءة أن يوازن بين ما عرفه من كتب المصطلح وما يقرؤه في كتب التخريج تلك؛ ليرىٰ نظريًا طريقة التطبيق العملي لتلك القواعد ومعاني المصطلحات.

وإذا ما توسَّع في قراءة كتب التخريج السابقة، ويدرس كتابًا من الكتب الحديثة في أصول التخريج، مثل «**أصول التخريج ودراسة الأسانيد**»، للدكتور/ محمود الطحان، ثم يدرس كتابًا أو أكثر في علم الجرح والتعديل، مثل «**الرفع والتكميل**»، للكنوي، وأحسن منه «**شفاء العليل**»، لأبي الحسن المصري، ويدرس أيضًا كتابًا من الكتب التي تعرف بمصادر السُّنَّة، كـ «**الرسالة المستطرفة**» للكتاني، و«**بحوث في تاريخ السنة النبوية**»، للدكتور/ أكرم ضياء العمري.

ثم يبدأ بالتخريج ودراسة الأسانيد بنفسه، وكُلَّما بكَّر في ذلك (ولو من أوائل طلبه) كان ذلك أعظم فائدة وأكبر عائدة؛ لأنَّ ذلك يجعله يطبق القواعد

فلا ينساها، ويتعرف علىٰ مصادر السنة ومناهجها، ويتمرن في ساحات هذا العلم، والغرض من هذا التخريج -كما سبق- هو الممارسة للتعلم، لا للتأليف؛ وقد تقدم الحديث عن أهمية هذه الممارسة في علم الحديث.

وأثناء قيامه بالتخريج، عليه أيضًا أن يخصَّ علم الجرح والتعديل التطبيقي بمزيد عناية كذلك؛ وذلك بقراءة كتبه الكبار، مثل: «**تهذيب التهذيب**»، لابن حجر، و«**ميزان الاعتدال**»، للذهبي؛ وكتبه الأصول، مثل: «**الجرح والتعديل**»، لابن أبي حاتم، و«**الضعفاء**»، للعقيلي، و«**المجروحين**»، لابن حبان، و«**الكامل**»، لابن عدي، وكتبه التي هي أصول الأصول، مثل: تواريخ يحيىٰ بن معين وسؤالاته هو والإمام أحمد، «**التاريخ الكبير**»، للبخاري، ونحوها، وهو خلال قراءته هذه يحاول أن يوازن بين استخدام الأئمة لألفاظ الجرح والتعديل، وما ذُكر عن مراتب هذه الألفاظ في كتب المصطلح، وإن مرَّ به أحد الرواة الذين كثر الاختلاف فيهم، فعليه أن يطيل في دراسته، فإنَّ هؤلاء الرواة مادة خصبة للدراسة والاستفادة.

وما يزال الطالب في الترقي العلمي في قراءة كتب علوم الحديث، فلا يدع منها شاردة ولا واردة، وفي التوسع في التخريج، وفي تمحيص علم الجرح والتعديل؛ حتىٰ يصل إلىٰ منزلة يصبح قادرًا فيها علىٰ دراسة كتب العلل، مثل: «**العلل**»، لابن المديني، والترمذي، وابن أبي حاتم، وأجلُّها «**علل الأحاديث**»، للدارقطني، فيقرأ الطالب هذه الكتب قراءة تدقيق شديد، وتفقُّه عميق؛ ليدري بعضًا من أساليب الأئمة في عرض علل الأحاديث، وطرائق اكتشاف تلك العلل، وقواعد الحكم علىٰ الأحاديث.

فإذا وصل طالب الحديث إلىٰ هذه المرحلة، فلا بُدَّ أنَّ رأسه قد امتلأ بالمشاريع العلمية والبحوث الحديثية، التي تزيده تعمقًا في علم الحديث، فليبدأ (علىٰ بركة الله) مشوار العلم الطويل، منتفعًا ونافعًا، مستفيدًا مفيدًا.

فإن بلغ طالب الحديث هذه الرتبة، وأسبغ الله عليه نعم توفيقه وتسديده، ومد عليه عمره في عافية، وطالت ممارسته لهذا العلم؛ فيا بشرىٰ العالم الإسلامي، فقد ولد له محدث!

وأنبه -أخيرًا- أنَّ هذا المنهج التعليمي إنما نطرحه للطالب الذي لم يجد من يوجهه، أما من وجد عالمًا ربانيًّا يعتني به توجيهًا وتعليمًا، فعليه أن يُقبل عليه بكُلِّيته، وأن يلزم عتبة داره؛ فهو علىٰ خير عظيم، وعلىٰ معارج العلم يترقىٰ، ما دام جاثيًا في حلقة ذلك العالم.

والله أعلم.

(١٠)

عِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ

أولًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ

* للعلماء تعريفات لعلم أصول الفقه:

الأول: هو معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد، وهو التعريف الذي اختاره غالب المتكلمين(١).

والمقصود بمعرفة الأدلة: أن يَعرِف العالمُ أنَّ القرآن والسُّنَّة والإجماع والقياس أدلةٌ يُحتج بها، وأنَّ الأمر للوجوب والنهي للتحريم ما لم يصرفه عن ذلك قرينة، وأنَّ العامَّ يدلُّ علىٰ جميع أفراده ما لم يُخصَّص، ونحو ذلك، والمعتبر في حق الأصولي إنَّما هو معرفة الأدلة من حيث الإجمال لا التفصيل، ككون الإجماع حجة قطعية يقينية، والقياس حجة ظنِّيَّة غالبة الظنِّ الذي يكفي في مجال العمل.

ومعرفة كيفية الاستفادة من تلك الأدلة يراد بها استفادة الفقه العملي من دلائله، أي: استنباط الأحكام الشرعية منها، وذلك يتطلب معرفة شرائط الاستدلال، كتقدُّم النصِّ علىٰ الظاهر والمتواتر علىٰ الآحاد ونحوه.

ومعرفة حال المستفيد، أي: طالب حُكم الله -تعالىٰ-، وهو المجتهد والمقلِّد، ففي هذا العلم نتعرَّف علىٰ شروط الاجتهاد وشروط التقليد، لمعرفة ضوابط المجتهد الذي يُقبل قوله حين استنباطه الأحكام الشرعية من الأدلة، والاستنباط فنٌّ دقيق جدًّا يتطلَّب أهليَّة عالية، وكفاءة متميزة في مصادر التشريع، ومقاصده واللغة العربية وقواعدها؛ لأنَّ دلالة الأدلة ظنِّيَّة غالبًا، ومعرفة الظنِّ ومدلوله يحتاج إلىٰ الاجتهاد، ثم يأتي دور المقلِّد المجتهد، فهو الذي يستفيد

(١) يُنظر: «المنهاج»، للقاضي البيضاوي مع الإسنوي والبدخشي: (١/ ١٦)، و«حاشية البناني علىٰ جمع الجوامع»: (١/ ٢٥)، و«شرح اللمع»، للشيرازي (١/ ٣٥)، و«شرح جمع الجوامع»، للمحلي: (١/ ٥٢).

الأحكام من طريق المجتهد؛ إذ لا يحسن استنباط الحكم لعدم تخصُّصه، فيحتاج إلىٰ مَن يرشده إلىٰ الطريق الأقوم، والمنهج الأسلم لمعرفة حكم الشرع في مسألة من المسائل.

الثاني: هو القواعد التي يوصل البحث فيها إلىٰ استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية، أو هو العلم بهذه القواعد، وهو التعريف الذي ذهب إليه جمهور الحنفية[(١)].

وهذا يعني أنَّ الأصوليَّ لا يبحث عن الأدلة الجزئية ولا عن دلالتها، كالاستدلال علىٰ إباحة البيع وحرمة الربا بقول الله -تعالىٰ-: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ . . .، والاستدلال علىٰ فرضية الصيام بقوله -تعالىٰ-: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وإنَّما يبحث في الأدلة الكُلِّيَّة ودلالتها لوضع وصياغة القواعد الكلية، مثل الكتاب والسُّنَّة أدلة يحتج بها، والنصُّ مُقدَّمٌ علىٰ الظاهر، والمتواتر مُقدَّمٌ علىٰ الآحاد، والمطلق يُحمل علىٰ المقيد، وكلُّ ما أمر به الشارع؛ فهو واجب، ونحو ذلك من المبادئ أو القواعد العامة.

- والأدلةُ التفصيليَّةُ: هي الأدلة الجزئية، وهي ما تتعلَّق بمسألة بخصوصها، ويدلُّ كلُّ واحد منها علىٰ حكم بعينه، كقول الله -تعالىٰ-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ . . . الآيَةَ، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ . . . الآيَةَ، فالأول يدلُّ علىٰ حكم بعينه هو حرمة الزواج بالأم أو البنت وغيرهما من المحارم، والثاني يدلُّ علىٰ حرمة الزنا.

- **وأمَّا الأدلةُ الكُلِّيَّةُ أو الإجماليَّةُ**: فهي لا تتعلَّق بمسألة بخصوصها، ولا تدلُّ علىٰ حكم بعينه، كمصادر الأحكام الشرعية الأربعة: الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس وما يتعلَّق بها، مثل: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، وهذه محلُّ بحثِ الأصولي، وأمَّا الأدلة التفصيلية؛ فهي محلُّ بحث الفقيه.

وموضوعُ أصول الفقه عند الحنفيَّةِ: هو الأحكامُ من حيث ثبوتُها بالأدلةِ، وهي

---

(١) يُنظر: «**شرح العضد المختصر المنتهىٰ**»، لابن الحاجب: (١/ ١٨)، و«**التقرير والتحبير**»، لابن أمير الحاج: (١/ ٢٦، ٢٨)، و«**مرآة الأصول**»، لمنلاخسرو: (١/ ٣٩)، و«**المدخل إلىٰ مذهب أحمد**»، لابن بدران، (ص/ ٥٨).

الأحكام التكليفيَّةُ من وجوبٍ وندبٍ وحُرمةٍ وكراهةٍ وإباحةٍ[١].

ويرىٰ بعض الحنفيَّةُ أنَّ موضوع الأصول هو الأدلة؛ لأنَّها التي تثبت بها الأحكام، والأحكام ثمرة الأدلة[٢].

ويرىٰ جمهور الأصوليين أنَّ موضوع أصول الفقه: الأدلة الشرعية من حيث بيانُ أقسامها، واختلافُ مراتبها، وكيفيَّةُ استثمار الأحكام الشرعية منها علىٰ وجه كلي[٣].

وهذا هو الراجح؛ فموضوع علم الأصول: هو الأدلة الشرعية الكُلِّيَّة من حيث ما يثبت بها من الأحكام الكلية، والأحكام الشرعية من حيث ثبوتها بالأدلة؛ فيكون بحثُ كُلٍّ من الأدلة والأحكام في ميدان الأصول أمرًا أصيلًا وضروريًّا واختصاصيًّا؛ لأنَّ بحث أحدهما هو الأصل والآخر تابع له.

* أُصول الفقه والفقه والقواعد الفقهية:

هناك فرق بين: **الفقْهِ، وأُصول الفقْهِ، والقواعد الفقهية**.

فأصول الفقه؛ هي المناهج التي تحدُّ وتُبين الطريق الذي يلتزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلتها، ويرتب الأدلة من حيث قوتها: فيقدم القرآن علىٰ السُّنَّة، والسُّنَّة علىٰ القياس وسائر الأدلة التي لا تقوم علىٰ النصوص المباشرة.

أمَّا الفقه؛ فهو استخراج الأحكام مع التقيد بهذه المناهج، وأصول الفقه بالنسبة للفقه كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعهما من الخطأ، كذلك علم أصول الفقه هو ميزان للعقل يضبطه، وهو بالنسبة للفقيه يضبطه ويمنعه من الخطأ في الاستنباط.

وأمَّا القواعد الفقهية؛ فهي مجموعة من الأحكام المتشابهة التي ترجع إلىٰ قياسٍ واحدٍ يجمعها، أو إلىٰ ضبطٍ فقهي يربطها، كقواعد الملكية في الشريعة، وكقواعد الضمان، وكقواعد الخيارات، فهي ثمرة للأحكام الفقهية الجزئية

---

(١) «التوضيح لصدر الشريعة»: (١/ ٢٢).

(٢) «التقرير والتحبير»، (١/ ٣٢).

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام»، للآمدي، (١/ ٨، ٩).

المتفرقة، فالقواعد الفقهية يصح أن يُطلق عليها: «النظريات العامة للفقه الإسلامي»، وعلىٰ ذلك؛ فدراسة القواعد الفقهية من قَبيل دراسة الفقه، لا من قَبيل دراسة أصول الفقه[1].

*** فائدة أصول الفقه:**

من فوائد علم أصول الفقه:

(١) **ضبط أصول الاستدلال**، وذلك ببيان الأدلة الصحيحة من الزائفة.

(٢) **إيضاح الوجه الصحيح للاستدلال**، فليس كل دليل صحيح يكون الاستدلال به صحيحًا.

(٣) **تيسير عملية الاجتهاد**، وإعطاء الحوادث الجديدة ما يناسبها من الأحكام.

(٤) **بيان ضوابط الفتوىٰ**، وشروط المفتي، وآدابه.

(٥) **معرفة الأسباب التي أدت إلىٰ وقوع الخلاف بين العلماء**، والتماس الأعذار لهم في ذلك.

(٦) **الدعوة إلىٰ اتباع الدليل حيثما كان**، وترك التعصب والتقليد الأعمىٰ.

(٧) **حفظ العقيدة الإسلامية** بحماية أصول الاستدلال والرد علىٰ شبه المنحرفين.

(٨) **صيانة الفقه الإسلامي** من الانفتاح المترتب علىٰ وضع مصادر جديدة للتشريع، ومن الجمود المترتب علىٰ دعوىٰ إغلاق باب الاجتهاد.

(٩) **ضبط قواعد الحوار والمناظرة**، وذلك بالرجوع إلىٰ الأدلة الصحيحة المعتبرة.

(١٠) **الوقوف علىٰ سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها**، والاطلاع علىٰ محاسن هذا الدين[2].

---

(١) يُنظر: «**أصول الفقه**»، للشيخ محمد أبو زهرة، (ص/ ٥-٨).

(٢) «**معالم أصول الفقه**»، للجيزاني، (ص/ ٢٣).

ثانيًا: ترتيب دراسة علم أصول الفقه

على طريقة الأحناف

طريقة الأحناف في علم أصول الفقه تختلف عن طريقة الجمهور أو طريقة المتكلمين كما تُسمىٰ، وطالب العلم الذي يسير في تفقهه علىٰ مذهب الأحناف ينبغي أن يصرف عنايته أولًا للدراسة الأصولية الحنفية، ثم لا بد له بعد ذلك من اختيار مرحلة أو مرحلتين يدرس فيهما علم أصول الفقه علىٰ طريقة المتكلمين، والذي نرشحه للطالب الحنفي هو ما يلي:

أولًا: يقرأ الطالب «تلخيص الأصول» لحافظ ثناء الله الزاهدي، نشر: دار ابن حزم، و«الوجيز في الأصول»، لعبيد الله أسعدي، نشر: دار السلام، ثم يستمع الطالب لشرح محمد رشيد الحنفي على مختصر المنار، ولشرح لؤي الخليلي على توضيح المباني وتنقيح المعاني، ثم يدرس الطالب متن «المنار» للنسفي مع شرح الحصني المسمىٰ: «إفاضة الأنوار»، ثم إذا أنهىٰ قراءة المتن مع الشرح أكثر من مرة، قرأ حاشية ابن عابدين علىٰ هذا الشرح والمسماة: «**نسمات الأسحار**»، والشرح والحاشية مطبوعان بمطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ومتوفران علىٰ الشبكة.

ويقرأ الطالب إذا أنهاه كتاب: «**تطور أصول الفقه الحنفي**»، هيثم خزنة، دار الرازي.

ثانيًا: يدرس الطالب شرح ابن الملك علىٰ متن «**المنار**» أيضًا مع حواشيه، طبعة دار ابن حزم.

ثالثًا: يطالع الطالب الكتب التالية:

(١) أصول البزدوي، نشر: دار البشائر.

(٢) تقويم أصول الفقه، للدبوسي، نشر مكتبة الرشد.

(٣) أصول السرخسي، تحقيق: الأفغاني.

(٤) الفصول في الأصول، الجصاص، نشر: وزارة الأوقاف الكويتية.

(٥) «بذل النظر»، للإسمندي، نشر: دار التراث.

رابعًا: يدرس الطالب بعناية كتاب كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري.

خامسًا: يدرس الطالب المرحلة الأولىٰ ثم الرابعة والخامسة من منهج دراسة أصول الفقه علىٰ طريقة المتكلمين.

ثَالِثًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ

على منهج المتكلمين بطريقة الْمُتُونِ

علم أصول الفقه قد تكون فيه وعورة علىٰ القارئ للمرة الأولىٰ؛ لأجل ذلك أرشح للطالب أن يبدأ بقراءة كتابي: «**مقدمة في علم أصول الفقه**» سواء كان سيدرس علىٰ طريقة المتون أم علىٰ طريقة الكتب المدرسية، وكذلك يستمع لسلسلة التعريف بعلم أصول الفقه للشيخ حسن بخاري، وهي متوفرة علىٰ موقعه.

⋆ **المرحلة الأولىٰ:**

يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من المتون التالية:

(١) «**الورقات**»، لإمام الحرمين الجويني، ومن أنفع شروحه للمبتدئين شرح الشيخ عبد السلام الحصين: «**إضاءات علىٰ متن الورقات**»، وهو شرح مبدع، ومن بدأ اطلاعه علىٰ هذا العلم بالورقات = أرىٰ أنه لا يستغني عن هذا الشرح.

* وللمتن شرح ذائع الصيت كسائر شروح مؤلفه ﵀، وهو شرح جلال الدين المحليِّ، وأصح طبعاته طبعة العبيكان، وعليه حواش كثيرة من أسهلها حاشية الدمياطي، ومن أعسرها لكنها مفيدة: حاشية النفحات للجاوي، ولشرح المحلي نشرة مع «**أوضح العبارات**»، للدكتور/ محمد يسري، نشر دار اليسر، وهو مفيد في التقييم الذاتي والاختبارات.

* وقد شرحه الشيخ عبد الله الفوزان بشرح مفيد، نشرته دار المنهاج، أرىٰ أن يمر عليه الطالب قراءة.

* وأوسع شروحه هو «**الشرح الكبير**»، لابن قاسم العبادي، نشر مؤسسة قرطبة، ولا يصلح للمبتدئين مطلقًا.

* ومن شروح الورقات شرح التلمساني: «**غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**» نشرته دار ابن حزم، وهو مفيد لطلبة العلم المالكية بعد مرورهم على الشروح السهلة.

(٢) «**نظم الورقات**»، للعمريطي بشرح الشيخ ابن عثيمين، نشر دار ابن الجوزي، ولها شرح مختصر دقيق لعبد الحميد قدس نشر بمطبعة الحلبي، وكنت قد حققته منذ سنوات ولعلي أنشره قريبًا، وللنظم أيضًا شرح مفيد جدًا للشيخ سعيد الكملي نشرته دار ابن حزم.

١- ولأخينا الفاضل الدكتور عامر بهجت منظومة أصولية هي كالتعديل علىٰ نظم الورقات أضاف فيها اختيارات الحنابلة، وله عليها شرح صوتي، **وحبذا لو تم شرح المتن المنثور بشرح يراعي ذكر أقوال الحنابلة.**

٢- وشرحه الشيخ الحازمي بشرحين؛ أحدهما مطول، والآخر مختصر، وهما مفيدان لمن أراد التمرن علىٰ لغة العلم ودقتها، ومفيدان أيضًا لمن سيقرأ شرح عبد الحميد قدس أو حاشية النفحات علىٰ شرح المحلي.

(٣) «**الأصول من علم الأصول**»، للشيخ ابن عثيمين بشرح المؤلف الذي نشرته مكتبة الرشد.

١- وله شرح مفيد جدًّا للشيخ عبد الله بن مانع العتيبي، نشرته دار ابن الجوزي، وأيًا ما كان اختيار طالب العلم في هذه المرحلة= فإني أحب له أن يطلع علىٰ هذا الشرح الجميل.

٢- وللكتاب شرح مختصر للشيخ سعد الشثري، وله أيضًا شرح صوتي للشيخ أحمد الحازمي.

٣- وللمتن نظم نشرته دار الحضارة لأحد الشناقطة.

وأنا أفضل أن يدرس الطالب كتاب الأصول من علم الأصول ويدرس شرح العتيبي عليه، ويقرأ شرح المؤلف الشيخ ابن عثيمين. ثم يمر علىٰ شرح الورقات لعبد الله الفوزان، وأوضح العبارات لمحمد يسري، ثم شرح نظم الورقات لعبد الحميد قدس، ثم شرح المحلى على الورقات بحاشية الدمياطي ولو أنهى

المرحلة الأولى في المنطق القديم فليقرأ حاشية الجاوي، ولو لم يكن أنهاها، فليعد للجاوي بعد أن ينهيها، حتى لو كان قد تخطى المرحلة الأولى في العلم، وكل ذلك مرور قراءة ومطالعة وتدوين فوائد، إلَّا لمن يريد الالتزام بالورقات لتعلقها ببرنامج آخر مثل من يريد ربط الأصول بفقهه المذهبي الشافعي فهذا الطالب يمكنه البداية بشرح ميسر للورقات ثم شرح عبد الحميد قدس على النظم ثم شرح المحلى وحواشيه.

أما من يريد ربط الورقات بمذهبه المالكي فيمكنه قراءة شرح أبي العباس التلمساني على الورقات والمسمى: «غاية المرام في شرح مقدمة الإمام»، نشر: دار ابن حزم. ولكن بعد المرور على الشروح الميسرة للورقات وعلى كتاب: «المدخل إلى أصول الفقه المالكي»، للمختار ولد أباه، نشر: دار ابن حزم.

⋆ المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من المتون التالية:

(١) «اللمع في أصول الفقه»، لأبي إسحاق الشيرازي.

١- وعلىٰ اللمع حاشية بعنوان: «بغية المشتاق من لمع أبي إسحاق».

٢- وعليها شرح صوتي للشيخ محمد سالم بحيري.

٣- وللمؤلف نفسه شرح علىٰ كتابه، نشرته دار الغرب الإسلامي.

وهذا المتن أنسب لمن درس «الورقات»، وأنسب لمن يدرس فقه الشافعية.

(٢) «غاية الوصول شرح لب الأصول»، للشيخ زكريا الأنصاري، وكتابه هذا مختصر لجمع الجوامع، وهو مفيد جدًا للشافعية.

(٣) «قواعد الأصول ومعاقد الفصول»، للصفي الهندي، بشرح الشيخ عبد الله الفوزان، نشر دار ابن الجوزي، وهو أحسن شروح الكتاب.

١- وشرحه الشيخ سعد الشثري، ونشرته دار إشبيليا.

٢- وله شرح في مجلدين نشرته دار العاصمة.

٣- وشرحه الشيخ أحمد الحازمي مطولًا ومختصرًا.

وهذا المتن أنسب لمن درس «**الأصول من علم الأصول**»، خاصة إن كان سيدرس بعد ذلك «**روضة الناظر**»، لابن قدامة، وأنسب لمن يدرس فقه الحنابلة.

(٤) «**البلبل في أصول الفقه**»، للطوفي، بالشرح الصوتي للشيخ حسن البخاري والشرح المكتوب الذي وضعه الشيخ سعد الشثري، ونشرته دار التدمرية.

١- وللمتن شرح مطول للمؤلف نفسه، نشرته مؤسسة الرسالة، لكنَّه لا يصلح لهذه الطبقة.

٢- وللمتن تحقيق ممتاز، طبعته دار المنهاج بالرياض.

(٥) «**تقريب الوصول إلى علم الأصول**» لابن جزي، وقد نظمه ابن عاصم في منظومة «**مرتقىٰ الوصول إلى علم الأصول**» ولها أكثر من شرح على الشبكة العنكبوتية، وهذا الكتاب ونظمه مناسب للطالب المالكي، وهناك «**شرح التحفة البهية في القواعد الأصولية**»، منظومة وشرحها للدكتور التواتي بن التواتي الأغواطي الجزائري، نشر: دار ابن حزم، وهي مفيدة أيضًا للطالب المالكي ويطالع معها: «**إيصال السالك**» لمحمد المختار الولاتي.

*** تنبيه: يستحسن بعد الانتهاء من هذه المرحلة وقبل الدخول في المرحلة الثالثة مطالعة الكتب التالية:**

(١) كتاب «**علم أصول الفقه النشأة والتطور**»، يعقوب الباحسين، نشر: مكتبة الرشد.

(٢) «**الفكر الأصولي**»، للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان.

(٣) «**تفسير النصوص**» لمحمد أديب صالح، نشر المكتب الإسلامي.

(٤) «**اختيارات ابن القيم الأصولية**»، عبد المجيد جمعة، دار ابن عفان.

(٥) «**حصول المأمول من كلام شيخ الإسلام في علم الأصول**»، نشر دار الوطن.

(٦) **المجلدان (١٩، ٢٠) من «مجموعة الفتاوىٰ»**.

(٧) «**مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه**»، نشر الجامعة الإسلامية، أو الدار الأثرية، ويعتني الطالب جيدًا بهذا الكتاب فيكرر قراءته ويعود إليه فيما يحتاج إليه من مسائل ستمر عليه في المراحل القادمة.

(٨) «**المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين**»، نشر مكتبة الرشد.

⋆ المرحلة الثالثة:

يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من الكتب التالية:

(١) «**روضة الناظر وجنة المناظر**»، بشرح الشيخ علي سعد الضويحي، نشرته دار ابن الجوزي، وللروضة طبعة جيدة نشرتها مكتبة الرشد بتحقيق الدكتور/ عبد الكريم النملة. وإذا أتقن الطالب شرح الروضة= فليطالع لزامًا شرح مختصر الروضة للطوفي نشر مؤسسة الرسالة وهذا المتن والترتيب نرشحه للمتمذهب على طريقة الحنابلة.

١- شرحه الشيخ عبد الكريم النملة، ويستفاد منه في توضيح بعض المواطن، لإسرافه في التسهيل.

٢- ويستفاد أيضًا من مذكرة الشنقيطي علىٰ «**روضة الناظر**»، نشر دار عالم الفوائد.

(٢) «**منهاج البيضاوي**»، وله عدة شروح أنسبها للطالب في هذه المرحلة شرح الشمس الأصفهاني، نشر مكتبة الرشد. أو شرح ابن الجزري نشر دار ابن حزم، وهذا المتن أنسب لمن درس «**الورقات**»، فـ«**اللمع**»، وهو أنسب للطلبة الشافعية.

١- أحسن طبعات «المنهاج» هي التي حققها الدكتور/ أحمد قطب الدخميسي، ونشرتها مكتبة قرطبة بمصر، وله طبعة أصدرتها دار ابن حزم، بتحقيق شعبان إسماعيل لم أنظر فيها.

٢- صدر تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل لشرح ابن السبكي في طبعة جديدة عن دار ابن حزم.

٣- صدرت طبعة رائعة جدًّا تجبُّ ما قبلها لـ«شرح ابن السبكي علىٰ المنهاج»، نشرتها دار البحوث والدراسات بدبي في سبعة مجلدات.

٣- صدرت طبعة جديدة نشرتها دار ابن حزم لـ«**شرح الإسنوي علىٰ المنهاج**»، بتحقيق الدكتور/ شعبان إسماعيل.

٤- من الكتب المهمة التي تتصل بالمنهاج كتاب «**أصول الفقه**»، للشيخ محمد أبي النور زهير، وتنشره مكتبة الكليات الأزهرية وطبعة دار البصائر منه أصح،

ويعتمد عليه طلبة الأزهر وأساتذته كثيرًا في حل «شرح الإسنوي علىٰ المنهاج».

٥- للشيخ المطيعي حاشية مهمة علىٰ شرح الإسنوي علىٰ المنهاج.

(٣) «**مختصر ابن الحاجب**»، وله عدة شروح أنسبها للطالب في هذه المرحلة شرح الشمس الأصفهاني «بيان المختصر»، نشر دار السلام. وهذا المتن أنسب للمالكية.

١- وللمتن طبعة ممتازة نشرتها دار ابن حزم بتحقيق الدكتور نزيه حماد.

٢- وعلىٰ شرح العضد علىٰ مختصر ابن الحاجب حواش مهمة منشورة بمكتبة الكليات الأزهرية.

٣- للمتن شرح مهم نشرته دار عالم الكتب وهو: «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب»، لابن السبكي.

*** وبالتوازي مع هذه المرحلة الثالثة يعتني الطالب بقراءة كتب وصوتيات المرحلة الأولى من مراحل أصول الفقه الحنفي التي ذكرناها هنا، وكتاب تطور الفكر الأصولي الحنفي لهيثم خزنة، نشر: دار الرازي.**

وبعد ذلك يقرأ الطالب الأبحاث المهمة للمعاصرين في هذا العلم ومنها:

(١) «**الحكم الشرعي**»، صلاح زيدان.

(٢) «**السبب**»، الدكتور عبد العزيز الربيعة.

(٣) «**المانع**»، عبد العزيز الربيعة.

(٤) «**عوارض الأهلية**»، عبد الله الجبوري، منشورات جامعة أم القرىٰ.

(٥) «**القطع والظن**»، سعد الشثري، دار الحبيب.

(٦) «**الأصول والفروع**»، سعد الشثري، دار المسلم.

(٧) «**دراسات في القرآن الكريم**»، محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث.

(٨) «**حجية السنة**»، عبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء.

(٩) «**السنة ومكانتها في التشريع**»، مصطفىٰ السباعي، المكتب الإسلامي.

(١٠) «**خبر الآحاد**»، القاضي برهون، مكتبة التراث الإسلامي.

(١١) «**حجية الإجماع**»، عدنان السرميني، مؤسسة الريان.

(١٢) «**أدلة التشريع المختلف فيها**»، عبد العزيز الربيعة.

(١٣) «**القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية**»، وليد بن علي الحسين، مكتبة الرشد.

(١٤) «**القياس في العبادات**»، محمد منظور إلهي، مكتبة الرشد.

(١٥) «**مباحث العلة عند الأصوليين**»، عبد الحكيم الأسعدي، دار البشائر.

(١٦) «**تفسير النصوص**»، محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي.

(١٧) «**المنهج الفريد في الاجتهاد والتقليد**»، وميض العمري، دار النفائس.

(١٨) «**التعارض والترجيح**»، محمد إبراهيم الحفناوي، دار الوفاء.

(١٩) «**الاستدلال**»، أسعد عبد الغني، دار السلام.

(٢٠) «**إرشاد النجباء إلىٰ مباحث الاجتهاد والتقليد والإفتاء**»، محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث.

(٢١) «**الاجتهاد بتحقيق المناط وسلطانه**»، دار الحديث.

(٢٢) «**الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية**»، عابد السفياني، دار الفرقان.

(٢٣) «**القواعد الأصولية عند ابن تيمية**»، مكتبة الرشد.

(٢٤) «**دلالات الألفاظ عند ابن تيمية**»، كنوز إشبيليا.

⋆ المرحلة الرابعة: يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من الكتب التالية:

(١) «**جمع الجوامع**»، لابن السبكي، وللمتن طبعة جيدة نشرتها دار ابن حزم، ونشرت دار البشائر كتاب المؤلف: «**منع الموانع**»، وهو مهم. ويدرس الطالب هذا المتن بشرح شهاب الدين الكوراني: «**الدرر اللوامع**»، نشر الجامعة الإسلامية، أو بشرح ابن حلولو، نشر مكتبة الرشد، وللمتن شرح صوتي ألقاه الشيخ محمد سالم بحيري وآخر للشيخ حسن البخاري.

١- **أوسع شروح هذا المتن**: شرح الزركشي، نشر مؤسسة قرطبة.

٢- «**شرح المحلىٰ علىٰ الجمع**»: وجيز مكثف دقيق، وله طبعة حسنة، نشرتها مؤسسة الرسالة، ونشرته مكتبة الرشد مع حاشية زكريا الأنصاري عليه وعلى شرح المحلى أيضًا عدة حواشي أهمها: حاشية ابن قاسم العبادي، وحاشية البناني، وحاشية العطار.

(٢) «مختصر التحرير» مع شرحه: «الكوكب المنير».

١- وللمتن شرح مطبوع للشيخ ابن عثيمين، لكن لم يتمه الشيخ، وشرح آخر للشيخ أحمد الحازمي، وهي شروح مختصر يستعان بها، لكن من المفترض أن طالب هذه المرحلة تجاوزها، فالعناية هنا تكون بالكوكب المنير ثم بمطالعة «**التحرير**»، الذي هو أصل المختصر، نشرته دار البصائر بالقاهرة، و«**شرح التحرير**»، للمرداوي، **نشرته مكتبة الرشد. وهذا الكتاب مع شرحه وأصله وشرحه = يناسب طالب الفقه الحنبلي**.

٢- ومن كان معتنيًا بحفظ المنظومات= فليحفظ مع ذلك إحدى المنظومتين التاليتين:

(١) «مراقي السعود»، بشرح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر عالم الفوائد.

* له شرح للناظم منشور بدار الكتب العلمية، له شرح صوتي مفيد للشيخ مصطفىٰ مخدوم، وعدة شروح أخرى على الشبكة.

(٢) «الكوكب الساطع»، للسيوطي، بشرح محمد علي آدم الأثيوبي، نشر دار ابن الجوزي.

* وقد شرحه الناظم ونشر شرحه أستاذنا الدكتور/ محمد إبراهيم الحفناوي بدار السلام. وشرح قطعة منه أحمد الحازمي.

⋆ المرحلة الخامسة: والمقصود من هذه المرحلة دراسة الكتب التي جمعت بين طريقة المتكلمين وطريقة الأحناف. ويدرس فيها الطالب واحدًا فقط من الكتب التالية:

(١) «**التحرير**» للتفتازاني وهو أهم هذه الكتب، وعليه شرحان:

الأول: «**تيسير التحرير لأمير باداشاه**»، ونشرته دار السلام.

الثاني: «**التقرير والتحبير**» لابن أمير الحاج.

(٢) «**التوضيح**» لصدر الشريعة، مع شرحه التلويح، نشر: دار الكتب العلمية.

(٣) «**بديع النظام**» الساعاتي، نشر: دار ابن عفان، وعليه شرح نفيس للشمس الأصفهاني، حقق بجامعة أم القرىٰ، لكن لم يُنشر.

رابعًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ بِطَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ

★ المرحلة الأولى:

يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من الكتب التالية:

(١) «**مقدمة في علم أصول الفقه**»، أحمد سالم. وأرشحه هو للدراسة.

(٢) «**علم أصول الفقه**»، لعبد الوهاب خلاف.

(٣) «**الوجيز في أصول الفقه**»، لعبد الكريم زيدان.

(٤) «**الواضح في أصول الفقه**»، لمحمد الأشقر.

(٥) «**تيسير علم أصول الفقه**»، لعبد الله الجديع.

(٦) «**الجامع في مسائل أصول الفقه**»، لعبد الكريم النملة.

★ المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا فقط من الكتب التالية:

(١) «**المصفىٰ في أصول الفقه**»، لابن الوزير، نشر: دار الفكر. وأرشحه هو للدراسة.

(٢) «**أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**»، لعياض السلمي، نشر المكتبة التدمرية.

(٣) «**أصول الفقه**»، لمحمد الخضري، نشر دار ابن رجب.

(٤) «**أصول الفقه**»، لمحمد أبي زهرة، نشر دار الفكر العربي.

(٥) «**معالم أصول الفقه عند أهل السُّنة والجماعة**»، لمحمد حسين الجيزاني،

وتنشره دار ابن الجوزي بالدمام. **ولو لم يختره الطالب للدراسة؛ فلا بُدَّ أن يقرأه علىٰ الأقل.**

وله نظم قام به الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي، وشرحه، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض وسماه: «**المنحة المرضية**».

⋆ المرحلة الثالثة:

يدرس الطالب فيها واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «**أصول الفقه**»، محمد أبو النور زهير.

(٢) «**أصول الفقه الميسر**»، شعبان إسماعيل.

⋆ المرحلة الرابعة:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «**إرشاد الفحول**»، محمد بن علي الشوكاني، نشر: دار الفضيلة، وهذا **الكتاب مهم جدًّا وتكرار قراءته يفيد طالب العلم بشكل كبير بقطع النظر عن الخطة الدراسية التي يختارها.**

(٢) «**المهذب في علم أصول الفقه المقارن**»، عبد الكريم النملة، نشر مكتبة الرشد.

خامسًا: قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

* ويعتني فيها الطالب بجرد الكتب المصنفة في هذا الفنِّ بعد ترتيبها ترتيبًا تصاعديًا من الأقدم إلى الأحدث، وحبَّذا لو جعل هذا الجرد على ثلاثة مراحل:

★ المرحلة الأولى:

يطالع فيها الكتب التالية:

(١) «**الرسالة للشافعي**»، بتحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث.

(٢) «**قواطع الأدلة**»، لأبي مظفر السمعاني، دار المكتبة المكية.

(٣) «**جامع بيان العلم وفضله**»، لابن عبد البر، دار ابن الجوزي.

(٤) «**الفقيه والمتفقه**»، للخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي.

(٥) «**الإحكام في أصول الأحكام**»، لابن حزم، دار الآفاق الجديدة.

(٦) «**إعلام الموقعين**»، لابن القيم، دار ابن الجوزي.

(٧) «**المباحث الأصولية التي كتبها شيخ الإسلام**»، ويستعان بها علىٰ الوقوف عليها بالفهرسة التي قام بها الشيخ محمد حسين الجيزاني في نهاية كتاب «**معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**».

(٨) «**الموافقات**»، أبو إسحاق الشاطبي، مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان.

(٩) «**مذكرة أصول الفقه**»، و«**شرح مراقي السعود**»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(١٠) «**المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين**»، محمد العروسي عبد القادر، مكتبة الرشد.

(١١) «**آراء المعتزلة الأصولية**»، علىٰ بن سعد الضويحي، مكتبة الرشد.

* المرحلة الثانية:

يطالع فيها الطالب كتب المتكلمين، وليعتن بالكتب التالية:

(١) «**شرح اللمع**»، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبد الحميد التركي، دار الغرب.

(٢) «**التقريب والإرشاد**»، أبو بكر الباقلاني، عبد الحميد أبو زنيد، مؤسسة الرسالة.

(٣) «**البرهان**»، إمام الحرمين الجويني، عبد العظيم الديب، دار الوفاء.

(٤) «**المعتمد**»، أبو الحسن البصري، المعهد العالمي الفرنسي.

(٥) «إحكام الفصول»، أبو الوليد الباجي، مؤسسة الرسالة.

(٦) «**المستصفىٰ**»، أبو حامد الغزالي، محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة.

(٧) «**المحصول**»، فخر الدين الرازي، طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة.

(٨) «**الإحكام في أصول الأحكام**»، الآمدي، عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، أو دار الصميعي.

(٩) «**شرح مختصر ابن الحاجب**»، عضد الدين الإيجي، شعبان إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية.

(١٠) «**شرح منهاج البيضاوي**»، ابن السبكي، دار البحوث والدراسات بدبي.

(١١) «**البحر المحيط**»، الزركشي، مجموعة من أهل العلم، وزارة الأوقاف الكويتية.

(١٢) «**شرح جمع الجوامع**»، المحلىٰ، مرتضىٰ الداغستاني، مؤسسة الرسالة.

(١٣) «**شرح الكوكب المنير**»، ابن النجار الفتوحي، نزيه حماد ومحمد الزحيلي، مكتبة العبيكان.

(١٤) «**فواتح الرحموت علىٰ مسلم الثبوت**»، لابن عبد الشكور، دار الكتب العلمية.

(١٥) «**إرشاد الفحول**»، الشوكاني، سامي العربي، دار الفضيلة.

*** المرحلة الثالثة:**

يطالع فيها الطالب كتب الأحناف، وليعتن بالكتب التالية:

(١) «**الفصول في الأصول**»، الجصاص، عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف الكويتية.

(٢) «**أصول البزدوي**»، نشر: دار البشائر.

(٣) «**تقويم الأصول**»، للدبوسي، نشر مكتبة الرشد.

(٤) «**أصول السرخسي**»، أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية.

(٥) «**بذل النظر**»، للأسمندي، نشر: دار التراث.

(٦) «**كشف الأسرار**»، علاء الدين البخاري، دار الكتب العلمية.

(٧) «**إصابة الأنوار شرح المنار**»، الحصني، مع حاشية ابن عابدين.

(١١)

عِلْمُ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمَيِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ

⋆ علم النحو:

لعلَّ أقدم محاولة لتعريف هذا العلم ما ذكره ابن السراج؛ إذ قال: «النَّحو إنَّما أُريد أن ينحو المتكلم إذا استعمله كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب».

يلي ذلك قول ابن جني: النَّحو «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والتركيب والنسب وغير ذلك».

وعرَّفه ابن عصفور بأنَّه: «علمٌ مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلىٰ معرفة أحكام أجزائه التي يأتلف منها».

وقد أخذ الأشموني بهذا التعريف، وعقَّب عليه بقوله: «فعلم أنَّ المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا: علم العربية، لا قسيم الصرف».

وعرَّفه ابن حيان بحد مشابه لما تقدم، لكنَّه يمتاز عنه بصياغة لفظية مختصرة، قال: «النحو علم بأحكام الكلمة إفرادًا وتركيبًا».

ولعلَّ أوَّلَ مَن عرف النحو بحد يجعله مستقلًا عن الصرف = هو الشيخ خالد الأزهري، قال: النحو «علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم إعرابًا وبناءً».

وقد أعطاه الفاكهي صورته النهائية بقوله: النحو «علم بأصول يُعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً».

★ علم الصرف:

يُعتبر أقدم تعريف وصلنا في التصريف قول سيبويه في «الكتاب»، في باب: «**ما بنت العرب من الأسماء، والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة**»: «وما قِيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجئ في كلامهم إلَّا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل»[(١)].

أمَّا التصريف عند ابن مالك: «فهو تحويل الكلمة من بنية إلىٰ غيرها، لغرض لفظي أو معنوي، وهذا التحويل بعضه ضروري كصوغ الأسماء والصفات والأفعال، وبعضه الآخر غير ضروري كمسائل التمرين»[(٢)].

★ أهمية تعلم النحو والصرف وعلاقتهما بعلوم الشريعة:

(١) تعلمهما فرض على الكفاية:

«معلوم أنَّ تعلُّمَ العربيَّة وتعليم العربية فَرض علىٰ الكفاية، وكان السَّلَف يُؤَدِّبُون أولادهم علىٰ اللَّحن، فنحن مأمورونَ أمر إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ أن نحفظَ القانونَ العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فَهم الكتاب والسُّنَّة، والاقتداء بالعرب في خِطَابِها، فلو تُرِكَ النَّاسُ علىٰ لَحْنِهِم كان نقصًا وعيبًا»[(٣)].

(٢) ضبطهما من الدِّين:

«إنَّ اللهَ لَمَّا أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مُبَلِّغًا عنه الكتابَ والحكمةَ بلسانه العَرَبي، وجعل السَّابقينَ إلىٰ هذا الدين مُتَكَلِّمينَ به، ولم يكن سبيل إلىٰ ضبط الدِّين ومعرفته إلَّا بضبط هذا اللِّسان، صارت معرفته منَ الدِّين، وصار اعتبار التَّكَلُّم به أسهل علىٰ أهل الدِّين في معرفة دين الله، وأقرب إلىٰ إقامة

---

(١) «الكتاب»، لسيبويه، (٤/ ٢٤٢)، مكتبة الخانجي، (١٩٨٨ م).

(٢) انظر: «إيجاز التعريف في علم التصريف»، لابن مالك، (ص/ ٥٨)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، (٢٠٠٢ م).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ»، (٣٢/ ٢٥٢).

شعائر الدِّين، وأقرب إلىٰ مُشابهتهم للسَّابقينَ الأوَّلينَ منَ المُهَاجرينَ والأنصار في جميع أمورهم»[١].

(٣) من أدوات العلم ومفتاح التفقه في الدين:

«مَن أحب العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال علىٰ تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء علىٰ المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف علىٰ مجاريها ومصارفها إلَّا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان؛ لكفىٰ بهما فضلًا، فكيف وقد خصها الله ﷻ من ضروب الممادح ما يكل أقلام الكتبة، ولمَّا شرفها ﷻ وعظمها وكرمها وأوحىٰ بها إلىٰ خير خلقه، وجعلها لسان أمينه علىٰ وحيه»[٢].

(٤) علاقة تعلمهما بتفسير كتاب الله ﷻ ومعرفة أسراره:

«إنَّما يُعرف فضل مَن عرف كلام العرب، وعلم العربية، وعرف علم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها، ومقالاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة، ودروب الفصاحة، وأجناس التجنيس، وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك في هذا الكتاب العزيز، ورأىٰ ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان = فقد أوتي فيه العجب العجاب»[٣].

(٥) علاقتهما بباقي العلوم الشرعية:

يجد المطالع في العلوم الشرعية اهتمامًا بالغًا بالمسائل اللغوية، ويلحظ أنَّ الأساس اللغوي كان موجهًا لمسائل كثيرة من هذه العلوم، سواء أكان ذلك مباشرًا

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم»، (١/ ٤٥٠)، دار عالم الكتب، (١٩٩٩م).

(٢) «فقه اللغة وسر العربية»، للثعالبي، (ص/ ١٥)، إحياء التراث العربي، (٢٠٠٢م).

(٣) «الفوائد المشوق إلىٰ علوم القرآن»، (ص/ ٧)، مطبعة السعادة، (١٣٢٧هـ).

أم غير مباشر، وذلك لارتباط هذه المسائل بتحليل النصوص الشرعية ومعرفة وجوه دلالاتها.

ولقد ذكر الغزالي أنَّ أعظم علوم الاجتهاد تشتمل علىٰ ثلاثة فنون: الحديث، واللغة، وأصول الفقه.

وقرر الشاطبي أهمية المعرفة اللغوية في هذه العلوم بأنَّه لا غنىٰ لمجتهد في الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد في كلام العرب.

وللقواعد اللغوية صلة ببناء الأحكام الشرعية واستنباط أدلتها ممَّا يستفاد من التحليل التركيبي، وتحديد معاني حروف المعاني، والمسائل اللغوية الدلالية والمسائل اللغوية العرفية العامة، والقضايا المتعلقة بالقياس والعلة.

وتظهر هذه العلاقة بين النحو والصرف، وعلوم الشريعة، وفي مقدمتها الفقه والعقيدة في كتاب: «**الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية علىٰ القواعد النحوية**»، لجمال الدين الإسنوي، وكذلك كتاب: «**إعراب مشكل القرآن**»، لابن قتيبة، ويظهر ذلك أيضًا في منهج الطوفي في تخريج الفروع الفقهية علىٰ الأصول اللغوية من كتابه: «**الصعقة الغضبية في الرد علىٰ منكري العربية**»، وكذلك في كتاب: «**زينة العرائس من الطرف والنفائس**»، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي.

ثانيًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ النَّحْوِ بِطَرِيقَةِ الْمُتُونِ[(١)]

إذا أراد طالب العلم أن يدرس علمًا من العلوم، فلا بُدَّ أن تكون دراسته علىٰ سبيل التدريج والترقي شيئًا فشيئًا؛ لأنَّه إذا أخذ العلم جملةً؛ فسوف يذهب عنه جملةً، كما قال بعض السلف.

وقد اعتاد العلماء تقسيم طريق الطلب إلىٰ ثلاث مراحل، لكن لا مانع من تقسيمها إلىٰ أكثر من ذلك أو أقل، فالعبرة بالتدرج ومراعاة ما يصلح للطالب، والمقصود بهذه المراحل (المراحل التأسيسية)، أي: التي يكون صاحبها بعد الانتهاء منها عارفًا بأصول هذا العلم ومسائله إجمالًا، وليس المقصود بذلك أنَّه سيكون متخصصًا في هذا الفنِّ، أو أنَّه لن يحتاج إلىٰ التوسع فيه بعد ذلك، بل الواقع أنه سيكون أقرب إلىٰ المبتدئ منه إلىٰ المنتهي في هذا الفن.

وينبغي أن يعلم أيضًا أنَّ مسألة الاختيار في المتون أمرها واسع، ما دام طالب العلم ملتزمًا بالضوابط الصحيحة والمنهج السليم في طريق الطلب.

وينبغي أن يعلم أيضًا أنَّ الطالب إن كان له شيخ يقوم علىٰ تعليمه، فلن يكون بحاجة إلىٰ مثل هذه الاختيارات؛ إذ يستطيع الاكتفاء بما يقوله شيخه، حتىٰ وإن كان مفضولًا؛ لأنَّه إذا وجد من يتابعه ويشرف عليه في الطريقة المفضولة؛ فهذا أفضل من أن يسير وحده في طريق آخر لا يجد من يحل له إشكالاته.

ولذلك تجد طرائق الطلب تختلف من بلد إلىٰ بلد، ومن عصر إلىٰ عصر، ومن شيخ إلىٰ شيخ، ومع ذلك فالجميع يصلون إلىٰ المطلوب أو علىٰ الأقل يتقاربون في الوصول.

---

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا هذا، الأخ الكريم الشيخ أبو مالك العوضي.

وينبغي لطالب العلم أن يكون له اختيار فيما بعد مرحلة المبتدئين؛ لأنَّ المفترض أن يكون حينئذٍ علىٰ درجة من المعرفة بهذا العلم تمكنه من اختيار ما يناسبه، والتجربة أثبتت أن الطالب إذا درس المتن الذي يحبه فسوف يستفيد أكثر من استفادته إذا درس متنًا لا يميل إليه، حتىٰ وإن كان الأول مفضولًا.

والناس يتفاوتون في مداركهم ومشاربهم وطبائعهم؛ لذلك ينبغي أن يختار الطالب ما يناسبه؛ فإن كان يحب النثر؛ فلا يجبر نفسه علىٰ النظم، وإن كان يميل إلىٰ النظم؛ فلا يلزمه أن يدرس النثر، وهكذا.

⋆ المرحلة الأولىٰ:

«**الآجرومية**»، للصنهاجي، أو نظمها للعمريطي، أو نظمها لابن أَبَا، أو «**ملحة الإعراب**»، للحريري، أو «**الدرة اليتيمة**»، لابن نبهان الحضرمي، أو «**الأزهرية**»، لخالد الأزهري.

وسوف تجد متونًا أخرىٰ كثيرة تناسب هذه المرحلة؛ لكنَّها لم تشتهر عند أهل العلم؛ مثل «**اللمحة البدرية**»، لأبي حيان، و«**التفاحة**»، لأبي جعفر النحاس، و«**المنظومة الشبراوية**»، مع تكملتها لحافظ حكمي، و«**التحفة الوردية**»، لابن الوردي، و«**اللؤلؤة في علم العربية**»، للسرمري، وغير ذلك كثير.

والذي ينصح به طالب العلم أن يتخذ متنًا واحدًا من هذه المتون أصلًا، ثم إن أراد أن يطلع علىٰ المتون الأخرىٰ وينتقي منها الفوائد فسوف ينتفع انتفاعا كبيرًا.

وينبغي للطالب أن يكون تركيزه علىٰ المتن نفسه أكثر من غيره، فيقرأ المتن وحده أولًا ويحاول أن يتفهمه بنفسه ويتدبره بنظره، ويكرر ما فيه حتىٰ يتضح له، ويربط بين أوله وآخره حتىٰ لا يكون فيه تناقضات ولا إشكالات، ويختار الشرح الذي يفك عبارات المتن، ويتجنب الشروح التي تتوسع في المسائل التي لا تناسب مرتبته، إلا إن كان يريد الاقتصار علىٰ هذه المرحلة من الطلب؛ فإنَّه حينئذٍ يُمكنه أن يجعل تدرجه في شروح هذا المتن نفسه؛ فمثلًا:

(١) يمكنه أن يبدأ بـ«**شرح الآجرومية**»، للشيخ فيصل بن مبارك، أو أيسر الشروح للشيخ الحربي.

(٢) ثم يثني بـ«التحفة السنية»، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، أو شرح الشيخ ابن عثيمين[(١)].

(٣) ثم يثلث بشرح الشيخ حسن الحفظي، نشر مكتبة الرشد.

(٤) ويمكنه أن يستفيد من الشروح الموسعة المطولة لنظم الآجرومية؛ مثل: «**الدرة الكيفانية في شرح نظم ابن أبا**»، ومثل: «**غرر الدرر الوسيطية**»، لابن عنقاء في شرح نظم العمريطي، ولعل هذا الأخير أوسع الشروح علىٰ الإطلاق.

⋆ المرحلة الثانية:

«**متممة الآجرومية**»، للحطاب الرعيني، أو «**قطر الندىٰ**»[(٢)]، أو «**شذور الذهب**» مع «**قواعد الإعراب**»[(٣)]، كلها لابن هشام.

مع ملاحظة أنَّ «**متممة الآجرومية**» هي خلاصة لأهم أبواب ألفية ابن مالك؛ لذلك يمكن أن يكتفي الطالب بها إن أراد الاقتصار علىٰ هذه المرحلة من مراحل دراسة علم النحو.

ومع ملاحظة أنَّ «**قواعد الإعراب**»، لابن هشام هو كتاب تكميلي وليس تأسيسيًّا؛ لأنَّه يحتوي علىٰ مسائل تكميلية مهمة لطالب العلم، لكنَّه لا يصلح للاكتفاء به.

وعادة ما تكون المرحلة الثانية من مراحل الطلب مرحلة مظلومة مهضومة عند طلبة العلم، وعند المشايخ أيضًا؛ لأنَّهم يجعلونها مرحلة عابرة؛ فلا يعطونها حقَّها من التأصيل والترسيخ، ولذلك تجد أكثر المتون المصنفة في العلوم إمَّا أن تناسب

---

(١) ومن الكتب الموضوعة علىٰ طريقة الأسئلة والأجوبة، والمناسب مطالعتها هنا مع الأجرومية، كتاب علوي الحضرمي، «الفرائد اللؤلؤية»، وهو كتاب جميل جدًا. [أحمد سالم]

(٢) شرحه ابن هشام نفسه، وله نشرة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، من وجد طبعتها القديمة فليقتنها أو فليشتر طبعة دار الطلائع، وللمتن شرح نشرته دار ابن الجوزي للشيخ عبد الله الفوزان. [أحمد سالم]

(٣) شرحها الشيخ خالد الأزهري بشرح: «موصل الطلاب»، وله نظم شرحه الشيخ عبد الله الفوزان ونشرته دار ابن الجوزي وهو سهل مفيد. [أحمد سالم]

المبتدئ، وإمَّا أن تناسب المتقدم، **وأمَّا المتون الموضوعة للمتوسطين فهي -غالبًا- قليلة في جميع الفنون.**

فينبغي لطالب العلم أن يقاوم هذا ويعالجه بما يستطيع من وسائل الترسيخ والتقويم والتأمل والتدريب والتمرين والممارسة لمسائل العلم؛ لأنَّها لو لم تكن راسخة؛ فلن يستطيع الانتقال إلىٰ المرحلة التي تليها، حتىٰ وإن ظن أنَّه قادر علىٰ ذلك، فسوف يظهر الخلل عنده فيما بعد، ويصعب عليه استدراكه بالعلاج.

★ المرحلة الثالثة:

«**ألفية ابن مالك**»[١]، أو «**كافية ابن الحاجب**» أو نظمها لابن الحاجب نفسه، أو «**المفصل**»، للزمخشري.

ويتعلَّق بهذه المرحلة كثير من المتون التي كانت مشهورة في عصر من العصور، لكن شهرتها زالت أو كادت في هذه العصور المتأخرة؛ مثل «**اللمع**»، لابن جني، و«**الجمل**»، للزجاجي، و«**المقدمة الجزولية**»، لأبي موسىٰ الجزولي، وغير ذلك؛ فهذه المتون كان لها شهرة كبيرة قديمًا، ولبعضها عشرات الشروح، لكن كتب ابن مالك وابن هشام طغت عليها في العصور المتأخرة.

وسوف تجد في هذه المرحلة أيضًا كثيرًا من المتون المناسبة لها، لكنَّها لم تشتهر عند أهل العلم؛ مثل: «**ألفية ابن معطي**»، ومثل: «**ألفية السيوطي**»، ومثل: «**ألفية شعبان الآثاري**»، وفي هذه الألفيات فوائد وزوائد كثيرة جدًّا؛ فلذلك يُنصح طالب العلم أن يطلع عليها ويستخرج منها الفوائد المنتقاة للحفظ.

وقد ذكر شعبان الآثاري في شرحه علىٰ ألفيته أنَّها تفضل «**ألفية ابن مالك**» بكثير من الأمور؛ منها: أنَّه استدرك ما تركه ابن مالك من النواقص المهمة في النحو، وهي فيما زعم أكثر من مائة باب أو فصل؛ كالقسم والتقاء الساكنين ونحو ذلك.

---

(١) ومن شروح الألفية: الشرح الميسر للشيخ عبد العزيز الحربي ويصلح للمطالعة أثناء الحفظ، وشرح ابن عقيل، ودليل السالك للشيخ عبد الله الفوزان وهو مناسب للطالب الذي لا شيخ له، ومن الكتب الموضوعة علىٰ طريقة الأسئلة والأجوبة، والمناسب مطالعتها هنا، كتاب علوي الحضرمي، «النحو المستطاب» للأهدل، نشر: دار ابن حزم. [أحمد سالم]

فالمقصود: أنَّ طالب العلم ينبغي أن يتوسط؛ فلا يكون اختياره لأحد المتون هجرًا للباقي هجرانًا تامًّا، وكذلك لا يضيع عمره في استقصاء هذه المتون؛ لأنَّها لا حصر لها.

والفائدة التي يجنيها طالب العلم من النظر في متون وكتب مختلفة بجانب المتن الذي يدرسه أن المعلومات عنده تصير أكثر هضمًا وأعمق فهمًا؛ لأنَّ حدود الألفاظ كثيرًا ما تعطي ظلالًا من المعاني المبهمة، أو التي تحتمل أوجها متعددة من الفهم، ويزول هذا الأمر إذا اطلع طالب العلم علىٰ المعلومة في كلام أهل العلم بأساليبهم المتنوعة، ويستخلص خلاصة الفهم الصحيح من بين ذلك.

وليعلم طالب العلم أنَّه لو ركز علىٰ أحد المتون المطولة المعتمدة ودرسه دراسة جادة وأتقنه إتقانًا تامًّا، فسوف يجد الاطلاع علىٰ باقي المتون والكتب مثل النزهة! لأنَّه سيجد أكثر المعلومات معروفة عنده، فيستطيع تحصيل الزوائد واستخلاصها بسهولة، ويستطيع كذلك أن يعرف مراتب المعلومات ودرجاتها، ويسهل عليه أن يحفظ الأقوال والاختلافات والآراء، إلىٰ غير ذلك من الفوائد التي يجنيها.

* وإذا أراد طالب العلم أن يضيف مرحلة رابعة؛ فيناسبها:

«**الكافية الشافية**»، لابن مالك، أو «**تسهيل الفوائد**»، لابن مالك، أو «**الاحمرار علىٰ الألفية**»، لابن بونا، أو «**جمع الجوامع في النحو**»، للسيوطي، الذي شرحه في «**همع الهوامع**».

ومن درس «**ألفية ابن مالك**»، فيناسبه أكثر أن يدرس «**الكافية الشافية**»؛ لأنَّها امتداد لها، وفيها أبيات كثيرة منها.

وكذلك يناسبه أن يدرس «**الاحمرار**»، لابن بونا؛ لأنَّه زاد علىٰ «**ألفية ابن مالك**» ما في «**التسهيل**» ممَّا لم يذكر في الألفية.

⋆ خاتمة وتنبيه:

العبرة في طلب العلم ليست باختيار كتاب معين، أو تسلسل معين من الكتب، وإنَّما العبرة بالمنهجية التي يسلكها الطالب في أثناء الطلب، وهذه المنهجية معناها: (الضوابط العامة التي يجب أن يلتزم بها)؛ مثل: [الحفظ، التفهم،

التدرج، الترسيخ، التطبيق، الربط بباقي العلوم، الاستشهاد، التعبير بأسلوبك].

* وإليك توضيحها باختصار:

الحفظ: أي: أنْ تكرر المتن الذي تدرسه حتىٰ يكون محفوظًا لديك في ذهنك تستطيع ذكره عن ظهر قلب، وهذا الحفظ ليس هو أهم شيء في طلب العلم، لكنَّه يفيدك عند كبر السن؛ لأنَّه يقلل من ضياع المعلومات وفقدانها.

التفهم: أي: أنْ يكون الحفظ السابق ذكره مقرونًا بالفهم الصحيح للكلام، ولا يلزم أن يكون فهمًا مُوسَّعًا مبنيًّا علىٰ الشروح المطولة، بل يكفي أن يكون فهمًا إجماليًّا للمعنىٰ العام مبدئيًّا، ثم بعد ذلك يمكنك التوسع في الشروح كما تشاء.

التدرج: معناه أنْ تحصل المسائل السهلة الواضحة أوَّلًا ولا تدخل في الأبواب والمسائل المعقدة إلَّا بعد إتقان ما يسبقها؛ لأنَّ العلم كالبناء لا بُدَّ من إعداد الطابق الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا، ولا يمكن بناء الطابق الرابع مثلا قبل الأول.

الترسيخ: معناه دفع الشبهات والإشكالات المتعلقة بالمسائل العلمية حتىٰ تصير ثابتة في صدرك فلا تزحزحها الجبال؛ لأنَّ كثيرًا من طلبة العلم قد تراه -مثلًا- يحفظ القرآن ويحفظ كثيرًا من الأحاديث، وتراه قد درس الفقه والتفسير وغيره من العلوم الشرعية، لكنَّه غير مرسخ، بمعنىٰ أنَّه لو جاءه شخص وألقىٰ إليه أدنىٰ شبهة؛ فتراه يهتز ويرجع، ولا يركن إلىٰ ركن وثيق يستطيع به دفع هذه الشبهة.

التطبيق: معناه أنَّ كل قاعدة تعرفها؛ فلا بُدَّ من تطبيقها علىٰ الأمثلة، ويستحسن أن تكون هذه الأمثلة من الكتاب والسُّنة ومن العبارات المستعملة بين العلماء.

الربط بباقي العلوم: معناه أنْ تربط ما تدرسه في النحو -مثلًا- بما تدرسه في الفقه، وما تدرسه في الأصول بما تدرسه في التفسير، وهكذا؛ لأنَّ المقصود من العلم هو استعماله، فلو فصلنا بين العلوم فلن تكون لها فائدة؛ فالنحو -مثلًا- لا يُراد لذاته، وإنَّما يُراد لفهم الكتاب والسُّنة، فإذا لم أستطع ربطه بالآيات والأحاديث؛ فكيف أستعمله في فهم الكتاب والسُّنة؟

الاستشهاد: هذا وسيلة من وسائل تثبيت العلم، فمثلًا إذا كنت تقرأ في كتاب

-أيِّ كتاب- وجاءت قاعدة نحوية، فاكتب في الحاشية -مثلًا- البيت الذي يتعلَّق بهذه القاعدة من «**ألفية ابن مالك**»، وإذا كنت تتدارس مع بعض أصدقائك في مسائل العلم ووردت مسألة أصولية، فاستشهد بما تحفظه من «**مراقي السعود**» مثلًا أو غيره من متون الأصول، والمقصود بذلك تثبيت العلم بكثرة الاستشهاد بالمحفوظ حتىٰ يثبت ويرسخ.

التعبير بأسلوبك: هذا معناه أنَّك إذا قرأت شيئًا -مثلًا-، أو حفظت قاعدة، أو درست أصلًا أو غير ذلك، فحاول أن تشرحه بأسلوبك أنت، وحاول أن تُعبِّر عنه بكلامك أنت من غير رجوع إلىٰ المصادر، وبعد أن تفعل ذلك اعرض ما كتبته علىٰ العلماء أو علىٰ الكتب، وانظر: هل يوجد خلل؟ هل يوجد نقص؟ هل هناك ما أخطأت فيه؟ هل هناك ما نسيته؟ هل هناك ما يحتاج إلىٰ تعبير أدق؟ كل ذلك يفيدك فوائد عظيمة جدًّا؛ لأنَّه يعالج كل جوانب القصور إن وجدت في طلبك للعلم.

فإن قال قائل: أنا حفظت «**ألفية ابن مالك**» كاملة من غير شرح، فماذا أفعل؟

فالجواب: إنَّ هذه الطريقة خاطئة في طلب العلم، لكن يمكن معالجة ذلك.

وإصلاح هذا الخلل يكون فيما أرى بالخطوات الآتية:

(١) اختيار شرح مناسب للمتن لا يكون قصيرًا جدًّا، ولا يكون متوسعًا جدًّا، بل يكون متوسطًا، ويفضل أن يكون الشرح مراعيًا لحل الألفاظ، وفك العبارات.

(٢) قراءة باب أو فصل أو مقدار معين من الشرح قراءة تدبر، وتأمل وتفهم وتصور للمسائل.

(٣) يترك الكتاب جانبًا، ويأتي الطالب إلىٰ المتن فيشرحه بأسلوبه من غير رجوع إلىٰ المراجع شرحًا مختصرًا يوضح فيه فقط المعنىٰ الإجمالي لكل بيت مع الاهتمام ببيان مرجع الضمير، ومتعلق الجار والمجرور، وتوضيح التقديم والتأخير، ونحو ذلك إن وجد.

(٤) يرجع الطالب إلىٰ الشرح مرة أخرىٰ ويعرض ما كتبه هو علىٰ ما في الكتاب، فإن وجد جميع ما فيه صحيحًا موافقًا للكتاب، انتقل إلىٰ رقم (٦).

(٥) وإن وجد خطأ في فهمه أو ضعفًا في تحرير مسألة، أو خلطًا في تصور أو نحو ذلك؛ فإنَّه يكتب الفهم الصحيح لهذه المسألة خاصة في ورقة مفردة، بطريقة واضحة وأسلوب مناسب لفهمه.

(٦) يستمر الطالب علىٰ هذه الطريقة [من (٢) إلىٰ (٥)] إلىٰ أن ينتهي من الكتاب، ثم يجمع الأوراق التي احتوت علىٰ المسائل التي أخطأ فيها.

(٧) يكتب الطالب الأبيات المتعلقة بهذه المسائل في أوراق مفردة، ثم يحاول أن يشرحها هو بأسلوبه مرة أخرىٰ دون النظر في الشرح.

(٨) يرجع الطالب إلىٰ الشرح، ويعرض ما كتبه في هذه المسائل علىٰ ما في الكتاب، فإن وجده صحيحًا؛ فبِهَا ونعمت، وإن وجد خطأ؛ رجع إلىٰ (رقم ٥) وكرر الخطوات إلىٰ أن يكون فهمه صحيحًا لجميع الكتاب.

ثَالِثًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ النَّحْوِ بِطَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ(١)

⋆ المرحلة الأولى:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:

(١) «**النحو الواضح**»، نشر دار المعارف، وله طبعة حديثة، نشرتها مؤسسة الرسالة في مجلدين، والكتاب مقسم لمرحلتين، الأولىٰ كانت للمدارس الابتدائية، والثانية للمدارس الثانوية.

(٢) «**التطبيق النحوي**»، لعبد الراجحي، نشر دار المعارف بالرياض.

١- ويقرأ الطالب مع هذه المرحلة كتاب: «**نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**»، للطنطاوي.

٢- ويقرأ الطالب ويمارس الإعراب في كتاب: «**مفاتيح الإعراب**»، لناصر الهويريني، نشر: دار الصميعي.

⋆ المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:

(١) «**النحو الوظيفي**»، لعبد العليم إبراهيم، نشر دار المعارف.

(٢) «**ملخص قواعد اللغة العربية**»، لفؤاد نعمة.

* ويقرأ الطالب -مع أو بعد انتهاء كتب هذه المرحلة- كتاب: «**شرح نظم قواعد الإعراب**»، للشيخ عبد الله الفوزان، نشر دار ابن الجوزي.

---

(١) هذا المنهج كتبه أحمد سالم.

⋆ المرحلة الثالثة:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:

(١) «**نحو العربية**»، لعبد اللطيف الخطيب وزميليه، نشر دار العروبة.

(٢) «**في علم النحو**»، لأمين السيد، نشر دار المعارف.

(٣) «**الوسيط في النحو**» كاملة الكواري، نشر: دار ابن حزم، وهو أنسب هذه الكتب الثلاثة.

* يقرأ الطالب مع أو بعد الانتهاء من هذه المرحلة كتاب «**أصول النحو وابن مالك**»، نشرته مكتبة الآداب.

* يقرأ الطالب مع أو بعد هذه المرحلة كتاب: «**معجم قواعد اللغة العربية**»، لعبد الغني الدقر نشر دار القلم.

وإن أراد الطالب زيادة مرحلة رابعة؛ فليطالع فيها:

(١) «**النحو الوافي**»، عباس حسن، دار المعارف.

(٢) «**مغني اللبيب**»، ابن هشام الأنصاري.

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «**المدارس النحوية**»، لشوقي ضيف.

(٢) «**النحو العربي أصوله وقضاياه وكتبه**»، لمحمد إبراهيم عبادة، نشر مكتبة الآداب.

(٣) «**فيض نشر الانشراح من طي روضىٰ الاقتراح**»، لمحمد بن الطيب الفاسي تحقيق محمود فجال، نشر مؤسسة الأحمدية.

(٤) «**الإنصاف في مسائل الخلاف**»، لابن الأنباري، نشر مكتبة الخانجي.

رَابِعًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ الصَّرْفِ بِطَرِيقَةِ الْمُتُونِ(١)

وهو من العلوم المهمة التي يغفل الناس عنها في زحمة العناية بالنحو، ولعل غفلتهم أيضًا ترجع؛ لكونهم لا ينتبهون لفائدته العظيمة في الوقاية من اللحن في بنية الكلمة، وفي فهم الخلافات المبنية علىٰ التصريف في تفسير القرآن وشروح الأحاديث.

وهذه منهجية مقترحة لدراسة علم الصرف علىٰ طريقة المتون، ولا يخفىٰ أن هذه المناهج من الأمور الاجتهادية التي تختلف من زمان إلىٰ زمان، ومن قُطر إلىٰ قطر.

ومعلوم أنَّ النحو والصرف أخوان، الكلام عن أحدهما يجر إلىٰ الآخر، وكثير ما يسأل الطلبة: هل أدرس الصرف أولًا ثم النحو؟ أم العكس؟

والذي أراه أن مقتضىٰ النظر العقلي هو تقديم الصرف علىٰ النحو؛ وذلك لأنَّ الصرف يبحث في (الجزء)، والنحو يبحث في (الكل)، ومعلوم أنَّ معرفة (الجزء) مقدمة علىٰ معرفة (الكل) عند العقلاء والمناطقة.

لكن مع ذلك جرىٰ العمل عند المتأخرين علىٰ تقديم النحو علىٰ الصرف في الجملة، وذلك؛ لسهولة النحو إذا ما قُورن بالصرف، ولدقة مسالك ومباحث الصرف، وقد نص علىٰ هذا المعنىٰ من الصرفيين: ابن عصفور رَحِمَهُ اللَّهُ.

وإذا تأملنا أكثر: وجدنا أنَّ الأعاجم يشتغلون أولًا بالصرف، ثم بالنحو، والعرب بالعكس، وذلك لشدة حاجة الأعجمي إلىٰ المفردات، **وهذا التفصيل**

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا: الأخ الفاضل الشيخ سالم بن محمد القحطاني.

أحسن ما يقال في المسألة، والله أعلم

فبالنسبة للعربي، أرىٰ ألَّا يشتغل بالصرف أبدًا إلَّا بعد فراغه من النحو تمامًا، وذلك بأن يكون قد فرغ من «الألفية» حفظًا ودراسةً، وبدراسته للألفية يكون قد أخذ قدرًا نافعًا عظيمًا في الصرف؛ إذ إن مباحث الصرف في الألفية استغرقت قرابة ثلاثمائة بيت، وهذا كمٌ ليس باليسير كما ترىٰ، خصوصًا ما يتعلَّق بتصريف الأسماء، وأمَّا تصريف الأفعال؛ فقد قام الناظم بإفراد الكلام عليه في تصنيف مستقل، كما هو معلومٌ.

ثم ينتقل إلىٰ دراسة الصرف فنًّا مستقلًا.

فيبدأ المرحلة الأولى: بمتن (البناء) وهو من المتون المختصرة جدًّا، ولن يعسر علىٰ من قرأ الألفية هذا المتن، فقد قرأه عندي بعض الإخوة في جلستين، ويستعين عليه بشرح لطيف معاصر اسمه «**الأساس في الصرف**» لخالد الزاهدي، ويكتفي في دراسته لهذا الكتاب بتكرار النظر والفهم الجيد ومحاولة الاستظهار، ولا يحتاج إلىٰ حفظه -مع سهولته لمن أراد ذلك- وإن أحب شرحًا صوتيًّا؛ فليستمع إلىٰ شرح الشيخ أحمد الحازمي علىٰ الشبكة.

ثم ينتقل إلى المرحلة [redacted]. ويدرس فيها «**لامية الأفعال**»، لابن مالك: وقد كثر الكلام عن اللامية ومدىٰ نفعها في الدرس الصرفي، كما يكثر سؤال الطلبة عن مقارنته بنظم المقصود الذي أعطاه شهرة مؤخرًا شرح الشيخ أحمد الحازمي له، والأمر في هذا يسير، لكن لطالما نصح العلماء بأن يشتغل الإنسان بالكتاب المشهور في قطره - وإن كان فيه قصور -، ولا شكَّ أنَّ العلماء قد احتفوا باللامية وعنوا بها عناية كبيرة منذ أن صنفها إلىٰ الآن، سواء عند المشارقة أم المغاربة، وهذه العناية الكبيرة المتنوعة من شرح وحاشية وتتميم واختصار = لم تكن عبثًا؛ بل لأنَّه محيط بالمهم من هذا الفن، **وقد يحوي التفاصيل من يتحضر الجملا!**

نعم؛ لا يخلو النظم من بعض العيوب، فقد خلت اللامية من مباحث صرفية مهمة جدًّا تركها الناظم اختصارًا؛ لذلك فإنَّ اللامية لا تكفي، وهذا ما جعلني أقترح كتابًا آخر بعدها كما سيأتي.

وكذلك صعوبة حفظ بعض أبياتها، وكونها علىٰ بحر البسيط، خلافًا لسائر

المنظومات التي تكون علىٰ بحر الرجز، وهو أسهل في الحفظ بلا شكٍّ.

وقد تأملت النظم أكثر من مرة، ومن خلال تدريسي له: فوجدت أنَّ الأبيات التي يشتكي منها الطلبة لا تكاد تصل إلىٰ عشرة أبيات تقريبًا، وهي بضعة أبيات في باب (مزيد الثلاثي) التي نظم فيها ابن مالك أفعالًا غريبة (علينا) ومهجورة الاستعمال لدينا، وبعض الأبيات في باب المصدر، وما سوىٰ ذلك فهي أبيات ميسورة الحفظ، ويتأتَّىٰ الاستشهاد بها وقت الحاجة.

ومن محاسن اللامية: كثرة الشروح المكتوبة والصوتية بل والمرئية عليها! وهذه ميزة لا يشاركها فيها غيرها من المنظومات الصرفية فيما أعلم.

ومن أحسن الشروح المختصرة: **«محنك الأطفال»**، للعلامة محمد الأمين الهرري، وهو مطبوع في مجلد لطيف بدار المنهاج - جدة، فيبدأ بهذا الشرح، ويستعين به علىٰ فهم النظم وحفظه.

فإن عسر عليه هذا الشرح، وأراد شرحًا أيسر منه، علىٰ الطريقة المعاصرة المدرسية: فليقرأ شرح علال نوريم المسمىٰ: **«فتح الأقفال شرح لامية الأفعال»** مطبوع في المغرب - غلاف صغير، وهو أسهل شرح علىٰ الإطلاق للنظم فيما أعلم، وهو يغني عن الأستاذ خصوصًا لمن لم يجد أحدًا يشرح له النظم.

فإذا فرغ من حفظ النظم، واستوعب **«محنك الأطفال»**، فليطالع الشرح العظيم الجليل **«فتح الأقفال»** المسمىٰ بـ**«الشرح الكبير»**، للعلامة بحرق الحضرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وكل من جاء بعده من الشراح فهو عالة عليه**، وقد قام الشيخ الحسن بن زين الشنقيطي بنظم مهمات هذا الشرح -وإن لم يصرح بذلك- وذلك في نظمه المشهور بين الشناقطة بـ**«الاحمرار»**، وهو نظم سلس عذب جميل، أعذب وألذ من نظم ابن مالك!

فإن حفظه الطالب؛ فهو حسن جدًّا، وإلَّا فليحفظ المهم منه، كنظمه لمعاني الأوزان التي أهملها ابن مالك، وغير ذلك من الفوائد والقواعد المهمة، وقد شرح **«الاحمرار»** مع أصله: الشيخ صلاح البدير في شرح سماه: **«حصول المسرة»** مطبوع في دار المنهاج - الرياض، وهو شرح جيد لا بأس به، علىٰ طريقة المعاصرين في التيسير، ولا يخلو من بعض الأوهام كأي كتاب بشري.

وكل هذه الشروح المكتوبة لا تغني عن قراءة هذا النظم علىٰ الأشياخ، ولن يعدم الإنسان من يشرح له اللامية، فما من شنقيطي متصدر للتدريس إلَّا ويحفظ اللامية ويُدرسها، وهذا غالبًا.

ثم في المرحلة الثالثة والأخيرة: يتنقل إلىٰ دراسة كتاب «**تصريف العزي**»، ويستعين علىٰ فهمه بشرح العلامة التفتازاني، والمتن والشرح مطبوعان طبعة متقنة جدًّا في دار المنهاج بجدة، ولا يخلو شرح التفتازاني من صعوبة أحيانًا، لكن إذا استبعدنا بعض المسائل المنطقية، وتوسعه في التعليلات الصرفية: فالشرح نافع جدًّا في حل ألفاظ المتن، وضرب الأمثلة، وقد كتبه وعمره حينها (١٦ سنة!)، والله المستعان.

ويستمع إلىٰ شرح صوتي لشيخنا العلامة عبد الرشيد المولوي الهندي علىٰ متن العزي، وهو شرح نافع جدًّا يعتمد فيه الشيخ علىٰ كثرة الأمثلة وتدريب الطالب علىٰ تصريف الكلمة، ويساعد علىٰ تنمية الملكة الصرفية، وهو موجود كاملًا علىٰ الشبكة.

ثم بعد ذلك -كأي علم من العلوم- تأتي مرحلة المطالعة وتوسيع المدارك، ولا غنىٰ له عن مطالعة متن «**الشافية**» وشروحها، وقد كان الطلبة قديمًا يحفظونها عن ظهر قلب، وأوصىٰ الشوكاني بحفظها، وقال إنَّ الطالب لا يلم بأطراف وشتات هذا العلم إلَّا إذا كانت الشافية من محفوظاته، ولكن قلَّ من يحفظها الآن، وكان من رأي مشايخنا كالشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي والشيخ عبد الرشيد المولوي أنَّ الطالب لا يحتاج إلىٰ حفظ كتاب كبير في حجم الشافية، سواء نظمًا أو نثرًا؛ وعليه فإنَّ الطالب في هذه المرحلة: يدمن النظر في «الشافية» وشروحها -وما أكثرها-، **ومن أحسنها وأوسعها: شرح العلامة الرضي،** وهو مطبوع في أربعة مجلدات.

*** فخلاصة المنهج المقترح:**

المرحلة الأولىٰ: متن البناء.

المرحلة الثانية: لامية الأفعال.

المرحلة الثالثة: تصريف العزي.

* المرحلة العملية:

علم الصرف أساسًا علم نظري له قواعد، وتحت هذه القواعد تندرج جزئيات كثيرة، التي نسميها نحن بتطبيقات القاعدة، وما لم يُعمل الطالب القواعد التي درسها ويباشرها بنفسه ويتذوق فيها حلاوة العمل الصرفي = فإن دراسته للكتب المتقدمة كلا شيء، ولو حفظ في الصرف الألفيات.

ومجالات (التطبيق) -مع التحفظ علىٰ دلالة هذه المفردة- واسعةٌ، فيستطيع من خلال شروح المعلقات -مثلًا- أن يتمرن علىٰ الكثير من المسائل الصرفية، وسيجد في المعلقات الكثير من الشواهد والمسائل التي تعد جزئيات وتطبيقات للقواعد النظرية التي درسها، وهناك من ينصح بمطالعة تفسير «الروح والريحان»، للهرري، لكنَّه ضخم جدًّا، فيستطيع أن ينتقي قصار السور منه ويتمرن عليها، وهناك رسالة مختصرة لعلي بن محمد البكري من علماء اليمن (ت: ٨٨٢هـ)، نشرتها المكتبة العصرية وهي في تفسير وتحليل الفاتحة وقصار السور وبعض الأذكار، اسمها: «**إعراب أذكار الصلوات المكتوبة وكشف أسرارها المحجوبة**» يتكلم عن الفاتحة والأذكار من الجانب اللغوي والصرفي والنحوي، بأسلوب واضح وسهل، وهي رسالة نافعة جدًّا للمبتدئ في مجال التطبيق، وبالله التوفيق.

خامسًا: تَرْتِيبُ دِرَاسَةِ عِلْمِ الصَّرْفِ بِطرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ

⋆ المرحلة الأولى:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:

(١) «**مختصر الخطيب في التصريف**»، لعبد اللطيف الخطيب، نشرته دار العروبة.

(٢) «**التطبيق الصرفي**»، لعبده الراجحي، نشر دار المعارف، الرياض.

* يطالع الطالب ويستعين بكتاب «**دروس التصريف**»، لمحمد محيي الدين عبد الحميد.

⋆ المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:

(١) «**شذا العرف**»، للحملاوي، طبعة دار المعارف، الرياض.

(٢) «**المغني في تصريف الأفعال**»، لمحمد عبد الخالق عضيمة، نشر دار الحديث.

⋆ المرحلة الثالثة:

يدرس فيها الطالب كتابًا واحدًا وهو:

- «**المستقصىٰ في التصريف**»، لعبد اللطيف الخطيب، نشر دار العروبة.

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «**مناهج الصرفيين**»، حسن هنداوي، دار إشبيليا.

(٢) «**الخلاف التصريفي وأثره في تفسير القرآن**»، نشر: دار ابن الجوزي.

(٣) «**الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**»، محمود صافي.

(٤) «**شرح الرضىٰ علىٰ شافية ابن الحاجب**»، نشر المؤسسة العصرية، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وزميليه.

(٥) «**شرح فصيح ثعلب**»، لابن هشام اللخمي، نشر دار البشائر.

(٦) «**اللحن في اللغة**»، نشر مكتبة الآداب.

(٧) «**أزاهير الفصحىٰ**»، نشر دار المعارف.

(٨) «**قل ولا تقل**»، لمصطفىٰ جواد.

من أهم كتب النحو والصرف والأصول والعلل

(١) «**كتاب سيبويه**». (يجمع بين طبعة بولاق، وعبد السلام هارون، وباريس، والبكَّاء).

(٢) «**شرح كتاب سيبويه**»، للسيرافي. (طبعة دار الكتب المصرية، غير مكتملة)، ويُستعان بمخطوط شرح السيرافي (نسخة كاملة خزائنية، كُتبت برسم مطالعة السلطان محمد خان في مكتبة فيض الله - تركيا برقم: (١٩٨٣)، وكُتبت تقريبًا في القرن (٩هـ)، ويُمكن تحميلها من موقع جامع المخطوطات).

(٣) «**التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**»، لأبي حيان الأندلسي. (تحقيق: د. حسن هنداوي. ط. دار القلم، دمشق، وكنوز إشبيليا)، ويُستعان بالمخطوط.

(٤) «**ارتشاف الضرب من لسان العرب**»، لأبي حيان الأندلسي. (تحقيق: رجب عثمان محمد، رمضان عبد التواب. ط. مكتبة الخانجي).

(٥) «**المغني**»، لأبي الخير بن فلاح اليمني. (تحقيق: د. عبد الرزاق أسعد السعدي. ط. دار الشؤون الثقافية، بغداد).

(٦) «**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**»، للسيوطي. (تحقيق: د. عبد العالم سالم مكرم. ط. مؤسسة الرسالة).

(٧) «**الأصول في النحو**»، لابن السراج. (تحقيق: د. الفتلي. ط. مؤسسة الرسالة).

(٨) «**المسائل المنثورة**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: د. شريف عبد الكريم النجار. ط. دار عمار).

(٩) «**المسائل الحلبيات**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: د. حسن هنداوي. ط. دار القلم، دمشق).

(١٠) «**المسائل البصريات**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: د. محمد الشاطر. ط. مطبعة المدني، القاهرة).

(١١) «**المسائل الشيرازيات**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: د. حسن هنداوي. ط. كنوز إشبيليا).

(١٢) «**المسائل العسكرية**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: محمد الشاطر أحمد. ط. مطبعة المدني، وتحقيق: د. علي جابر المنصوري. ط. مطبعة بغداد).

(١٣) «**المسائل البغداديات**»، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي. ط. مطبعة العاني، بغداد).

(١٤) «**المسائل المصلحة**»، (**الإغفال**)، لأبي علي الفارسي. (تحقيق: د.عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم. ط. المجمع الثقافي، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث).

(١٥) «**أسرار العربية**»، لأبي البركات الأنباري. (تحقيق: د. محمد راضي مذكور، ووائل محمود سعد ط. مجلة الوعي الإسلامي).

(١٦) «**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**»، لأبي البركات الأنباري. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط. مطبعة السعادة، وتحقيق: د. جودة مبروك. ط. مكتبة الخانجي).

(١٧) «**التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين**»، لأبي البقاء العكبري. (تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين. ط. دار الغرب الإسلامي).

(١٨) «**علل النحو**»، لأبي الحسن الوراق. (تحقيق: د. محمود جاسم الدرويش. ط. مكتبة الرشد، الرياض).

(١٩) «**الإيضاح في علل النحو**»، لأبي القاسم الزجاجي. (تحقيق: مازن

المبارك. ط. دار النفائس، بيروت).

(٢٠) «**اللباب في علل البناء والإعراب**»، لأبي البقاء العكبري. (تحقيق: غازي مختار طليمات. ط. دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق).

(٢١) «**الخصائص**»، لابن جني. (تحقيق: محمد علي النجار. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب).

(٢١) «**فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح**»، لأبي علي الفارسي، وفي أعلاه: «**الاقتراح في أصول النحو وجدله**»، للسيوطي. (تحقيق: د. محمود يوسف فجال. ط. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي).

(٢٢) «**ارتقاء السيادة في علم أصول النحو**»، للشاوي الجزائري. (تحقيق: د. عبد الرزاق السعدي. ط. دار الأنبار، ودار سعد الدين).

(٢٣) «**الصاحبي**»، لابن فارس. (تحقيق: السيد أحمد صقر ط. مطبعة دار إحياء الكتب العربية).

(٢٤) «**أمالي ابن الشجري**». (تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. ط. مكتبة الخانجي).

(٢٥) «**مجالس ثعلب**». (تحقيق: عبد السلام هارون. ط. دار المعارف).

(٢٦) «**خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب**»، لعبد القادر البغدادي، (تحقيق: عبد السلام هارون. ط. مكتبة الخانجي).

(٢٧) «**شرح الملوكي في التصريف**»، لابن يعيش. (تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط. المكتبة العربية، حلب).

(٢٨) «**الممتع الكبير في التصريف**»، لابن عصفور الإشبيلي. (تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط. مكتبة لبنان ناشرون).

(٢٩) «**شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي، مع شرح شواهده**»، لعبد القادر البغدادي. (تحقيق الأساتذة: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف. ط. دار الكتب العلمية).

(٣٠) «**رسالة الملائكة**»، لأبي العلاء المعري. (تحقيق: د. محمد سليم الجندي. ط. دار صادر).

(٣١) «**المغني في تصريف الأفعال**»، لمحمد عبد الخالق عضيمة. (ط. دار الحديث القاهرة).

(٣٢) «**علم الصرف**»، لفخر الدين قباوة. (ط. مكتبة لبنان ناشرون).

(٣٣) «**القواعد والتطبيقات في الإبدال والإعلال**»، لعبد السميع شبانة. (ط. الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة).

(٣٤) «**معاني النحو**»، د. فاضل السامرائي. (ط. شركة العاتك لصناعة الكتب، درب الأتراك القاهرة).

(١٢)

عِلْمُ الْبَلَاغَةِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ الْبَلَاغَةِ

والمراد بها هنا البلاغة الصناعية التي يقتدر بها علىٰ تمييز البيان الحسن من غيره وتحصل الملكة بالدربة علىٰ تقبل أفانينها، أمَّا أن يكون المتكلم نفسه صاحب بيان حسن، فطريق هذا سنوضحه في علم الأدب.

* تعريف البلاغة:

البلاغة هي أحد علوم اللغة العربية، وهو اسم مشتق من فعل بلغ بمعنىٰ إدراك الغاية أو الوصول إلىٰ النهاية. والبليغ من له بلاغة. فالبلاغة تدلُّ في اللغة علىٰ إيصال معنىٰ الخطاب كاملًا إلىٰ المتلقي، سواء أكان سامعًا أم قارئًا، فالإنسان حينما يمتلك البلاغة يستطيع إيصال المعنىٰ إلىٰ المستمع بإيجاز، ويؤثر عليه أيضًا، فالبلاغة لها أهمية في إلقاء الخطب والمحاضرات. ووصفها النبي محمد في قوله: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»(١).

مناسبة المعنىٰ اللغوي بالاصطلاحي أنَّ المتكلم يبلغ ما في نفسه من معانٍ إلىٰ الآخرين، وينهيها إليهم في أقصر عبارة، وأجود أسلوب، فإذا بلغ مراده بغير غموض ولا لبس يُعدُّ بليغًا.

تعريف البلاغة للقزويني: «هي مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال مع فصاحة ألفاظه»(٢).

وقد نبَّه القزويني في تعريفه علىٰ شرط أساسي، وهو فصاحة الألفاظ -مفردة ومركبة- من العيوب القادحة، فإذا كان كذلك ووظَّفها المتكلم في المقام أصبح

---

(١) أخرجه البخاري، (٥١٤٦).

(٢) «الإيضاح في علوم البلاغة»، (١/ ٤١).

كلامه الفصيح بليغًا، أمَّا إذا كان هناك قادح من قوادح الكلمة أو التركيب؛ فيدلُّ ذلك علىٰ أن هناك خارمًا من خوارم البلاغة.

يقول ابن الأثير: «مدار البلاغة كلها علىٰ استدراج الخصم إلىٰ الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها»(١).

* **فروعها**:

(١) **علم المعاني**: وموضوعه اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعاني التي هي الأغراضُ المقصودةُ للمتكلِّم، من جعلِ الكلام مشتملًا علىٰ تلك اللَّطائف والخصوصيَّات، التي بها يُطابقُ مُقتضَىٰ الحال.

* **وفائدتُهُ**: معرفةُ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، من جهةِ ما خصَّهُ الله به من جودةِ السبَّكِ، وحُسن الوصفِ، وبَراعةِ التَّراكيبِ، ولُطفِ الإيجاز، وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التَّركيبِ، وجزالةِ كلماتِهِ، وعُذوبةِ ألفاظِهِ وسلامتِها، إلىٰ غير ذلك من محاسنِهِ التي أقعدتِ العربَ عن مناهضتِهِ، وحارتَ عقولهُم أمامَ فصاحتِهِ وبلاغتِهِ.

وكذلكَ معرفة أسرارِ كلامِ النبيِّ ﷺ، فهو أبلغُ البلغاءِ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ، وذلك ليصارَ للعملِ بها، ولاقتفاء أثره في ذلكَ.

والوقوفُ علىٰ أسرارِ البلاغةِ والفصاحةِ في مَنثورِ كلامِ العرب ومنظومِه كي تحتذيَ حذوهُ، وتَنسُجَ علىٰ منوالِهِ، وتَفرِّقَ بين جَيِّدِ الكلام ورديئِهِ.

(٢) **علم البيان**: وهو أصولٌ وقواعدُ، يُعرفُ بها إيراد المعنَىٰ الواحدِ، بطرقٍ يختلفُ بعضُها عن بعضٍ، في وُضوحِ الدَّلالةِ العقليةِ علىٰ نفسِ ذلك المعنَىٰ، فالمعنَىٰ الواحدُ يُستطاعُ أداؤهُ بأساليبَ مُختلفةٍ.

وموضوع هذا العلم: الألفاظُ العربية، من حيث التشبيهُ، والمجازُ، والكنايةُ.

وثمرته: الوقوفُ علىٰ أسرارِ كلامِ العربِ منثورِه ومنظومِه، ومعرفةُ ما فيه من

---

(١) «المثل السائر»، لابن الأثير، (٢/ ٦٤).

تفاوتٍ في فنونِ الفصاحةِ، وتبايُنٍ في درجاتِ البلاغةِ التي يصلُ بها إلىٰ مرتبةِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، الذي حارَ الجنُّ والإنسُ في مُحاكاته وعجزوا عن الإتيانِ بمثله.

(٣) **علم البديع**: وهو علمٌ يُعْرفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسْنًا وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقًا، بعدَ مُطابقته لمقتضىٰ الحال، مع وُضوح دلالته علىٰ المراد لفظًا ومعنىٰ.

وأثرُ علم البديع في الكلام لا يتعدَّىٰ تزيين الألفاظ أو المعاني بألوانٍ بديعةٍ من الجمال اللفظي أو المعنوي.

*** كيف الوصول إلى البلاغة؟**

- البلاغة في هذا السؤال معناها حسن البيان، وليس علم البلاغة بمفهومه كصناعة، والطريق إلىٰ هذا هو القراءة في أساليب البلغاء والنظر في بيانهم؛ لأنَّه يحتاج إلىٰ مثال يُحتذىٰ به وإلىٰ نماذج يقلدها، ويقدم ذلك علىٰ التمرين، وأبلغ أسلوب هو القرآن الكريم، ثم يليه سنة النبي ﷺ ثم كلام الشعراء والأدباء، فهذه الأساليب تنشط القارئ وتدرب لسانه وتكسب لغته ثراءً.

- ثم بالتمرين والتدريب علىٰ أساليب البيان والبلاغة فهو السبيل الذي لا بُدَّ أن يسلكه السائل عن البلاغة، وسيأتي تفصيل لهذا عند الكلام عن علم الأدب.

*** الفرق بين الفصاحة والبلاغة:**

(١) **الفصاحة**: تُعنىٰ بسلامة الألفاظ، وبُعدها عن الغرابة ومن مخالفة القياس النحوي والصرفي، وكذلك بعد الألفاظ عن القلق والركاكة والغموض، أمَّا البلاغة: فتُعنىٰ بالمعاني والمقامات.

(٢) **الفصاحة أعم من البلاغة؛** لأنَّها معنيَّة بثلاثة عناصر (الكلمة والكلام والمتكلم)، أمَّا البلاغة فهي أخص؛ لأنَّها معنية بعنصرين (الكلام والمتكلم)، فالكلمة لا توصف بأنَّها بليغة؛ لأنَّ الكلمة لا تظهر دلالتها بشكل مؤثر إلَّا في كلام منتظم متسق.

(٣) يُمكن أن يُقال: «**كل كلام بليغ؛ فهو فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغ**»؛ لأنَّ من شرط بلاغة الكلام أن تكون كلماته مفردة ومركبة فصيحة، والكلام الفصيح إن طابق المقام كان بليغًا وإلَّا يبقىٰ فصيحًا وغير بليغ، فبينهما عموم وخصوص.

ثَانِيًا: مَرْحَلَةُ دِرَاسَةِ الْعِلْمِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتُونِ

⋆ المرحلة الأولى:

ويدرس فيها الطالب متنًا واحدًا:

(١) «مائة المعاني والبيان»، لابن الشحنة.

ولها عدة شروح أصلحها لأهل زماننا:

١-«نور البيان»، لمحمد محفوظ الشنقيطي.

٢- الشرح الصوتي للشيخ أحمد بن عمر الحازمي.

٣- الشرح المكتوب للشيخ محمد نصيف، وهو شرح لطيف حسن، وهو ما أوصي به.

⋆ المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا من المتون التالية:

(١) «الجوهر المكنون»، للأخضري.

وله عدة شروح منها:

١- شرح الدمنهوري، «حلية اللب المصون»، نشر مكتبة الحلبي.

٢- شرح علال نوريم المنشور بالمغرب.

٣- الشرح الصوتي للشيخ أحمد بن عمر الحازمي.

٤- الشرح الصوتي للشيخ عصام البشير، وهو أحسن شروحها، وبلغني أن الشيخ يعده للنشر مكتوبًا.

(٢) «**تلخيص المفتاح**»، للخطيب القزويني.

وهو الأصل الذي سارت عليه كتب المتأخرين، وله شروح كثيرة مطبوعة مجموعة ومفرقة، من أحسنها:

١- «**الإيضاح**»، للخطيب القزويني، وعليه تعليقة مختصرة، لعبد المتعال الصعيدي سماها: «**بغية الإيضاح**» ونشرتها مكتبة الآداب بالقاهرة.

٢- «**عروس الأفراح**»، لابن السبكي، نشر: دار الكتب العلمية.

٣- الشرحان «**المطول**»، و«المختصر» كلاهما **للتفتازاني**، نشر: دار الكتب العلمية.

وللتلخيص نظمان:

(١) «**عقود الجمان**»، للسيوطي، وقد شرحه السيوطي نفسه، وطبعه الحلبي.

(٢) «**لآلئ التبيان**»، للدكتور/ حسن إسماعيل عبد الرزاق، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، وهي ألفية رائعة جدًّا، لكنها غير مشروحة.

ويقرأ الطالب بالتوازي مع هذه المرحلة، الجزء الأخير من كتاب إعراب القرآن الكريم لمحيي الدين الدرويش، ويعتني في هذه القراءة بالجزء الخاص ببلاغة الآيات.

⋆ المرحلة الثالثة:

وأرىٰ أن يدرس الطالب فيها كتب المرحلة الثالثة علىٰ الطريقة المدرسية، الآتي ذكرها؛ فهي أنفع له من المتون التي شاعت في القرون المتأخرة.

ثَالِثًا: مَرَاحِلُ دِرَاسَةِ الْعِلْمِ عَلَى طَرِيقَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ

⋆ المرحلة الأولى:

ويدرس فيها الطالب كتاب «البلاغة الواضحة»، لعلي الجارم، وأحمد أمين، نشر دار المعارف.

⋆ المرحلة الثانية:

ويدرس فيها الطالب كتاب: «جواهر البلاغة»، للسيد أحمد الهاشمي، وهو كتاب مفيد جدًّا يعادل التلخيص ويزيد عليه.

ويقرأ الطالب بالتوازي مع هذه المرحلة، الجزء الأخير من كتاب إعراب القرآن الكريم لمحيي الدين الدرويش، ويعتني في هذه القراءة بالجزء الخاص ببلاغة الآيات.

⋆ المرحلة الثالثة:

ويدرس فيها الطالب واحدة من سلاسل الكتب التالية:

(١) «سلسلة علوم البلاغة»، لوليد قصاب، نشر دار الفكر دمشق.

(٢) «سلسلة علوم البلاغة»، لعبد العزيز عتيق، نشر دار الآفاق العربية.

(٣) «سلسلة علوم البلاغة»، للدكتور/ بسيوني فيود، نشر دار المختار.

(٤) «سلسلة المنهاج الواضح في البلاغة»، لحامد عوني.

(٥) «سلسلة علوم البلاغة»، لفضل عباس، نشر دار المنار.

* وأحسنها عندي: الأولى فالثالثة فالرابعة، فليدرس الطالب سلسلة من هذه وليقرأ بالتوازي معها المجلد الأول والثاني من كتاب: «إعراب القرآن»، لمحيي الدين الدرويش.

* يقرأ الطالب بالتوازي مع هذه المرحلة وقبل الدخول في المرحلة الرابعة:

(١) «الشعر والشعراء لابن قتيبة».

(١) «البلاغة تطور وتاريخ»، للدكتور/ شوقي ضيف.

(٢) «البيان العربي»، للدكتور/ بدوي طبانة.

(٣) «النقد المنهجي عند العرب»، للدكتور/ محمد مندور، نشر دار نهضة مصر.

رَابِعًا: مَرْحَلَةٌ مُشْتَرَكَةٌ تَلْتَقِي عِنْدَهَا الطَّرِيقَتَانِ

* تدرس في هذه المرحلة الكتب التالية بعناية:

(١) «التصوير البياني».

(٢) «دلالات التراكيب».

(٣) «خصائص التراكيب».

(٤) «الإعجاز البلاغي».

وجميعها لشيخنا الدكتور/ محمد محمد أبي موسى، ونشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة، فليدرسها الطالب بعناية وليقرأ بالتوازي معها باقي مجلدات كتاب: «إعراب القرآن»، لمحيي الدين الدرويش.

ثم يقرأ الطالب بعد ذلك الكتب التالية بعناية:

(١) «التفكير البلاغي عند العرب»، حمادي صمود، دار الكتاب الجديد.

(٢) «البلاغة العربية»، محمد العمري، دار أفريقيا الشرق.

(٣) «النقد الأدبي الحديث»، لمحمد غنيمي هلال، نشر دار نهضة مصر.

ثم يقرأ الطالب «مدخل إلى كتاب عبد القاهر الجرجاني»، للدكتور محمد أبو موسى، ويقرأ بعده هذين الكتابين بعناية:

(١) «أسرار البلاغة».

(٢) «دلائل الإعجاز».

كلاهما في النشرة التي قرأها وشرحها الشيخ محمود شاكر.

خَامِسًا: قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري»، محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.

(٢) «شرح مائة حديث من صحيح البخاري»، محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.

(٣) «شرح مائة حديث من صحيح مسلم»، محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.

(٤) «قراءة في الأدب القديم»، محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.

(٥) «**طبقات فحول الشعراء**»، لمحمد بن سلام الجمحي، نشر مكتبة الخانجي.

(٦) «**البيان والتبيين**» و«**الحيوان**»، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.

(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، نشر دار المعارف.

(٨) «**إعجاز القرآن**»، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر.

(٩) «**الصناعتين**»، لأبي الهلال العسكري، بتحقيق علي البجاوي.

(١٠) «**البديع**»، لابن المعتز.

(١١) «**الوساطة بين المتنبي وخصومه**»، للجرجاني، طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم.

(١٢) «**العمدة**»، لابن رشيق القيرواني، نشر مكتبة الخانجي.

(١٣) «**الطراز للعلوي**»، نشر دار الكتب العلمية.

(١٤) «**المثل للسائر**»، لابن الأثير نشر دار نهضة مصر.

(١٥) «**سر الفصاحة**» للخفاجي نشر دار العلياء.

(١٣)

الْعَرُوضُ وَالْقَوَافِي

مَنْهَجُ عِلْمَيِ الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي(١)

يمكن الإحاطة بما يحتاج إليه من هذا العلم في مرحلتين فقط.

★ **المرحلة الأولى:**

يعتمد الطالب كتاب «ميزان الذهب» للسيد الهاشمي، ويقرأه قراءة درس وتحقيق، مع الحرص علىٰ إنجاز التمرينات، وتقطيع الأبيات تقطيعًا كاملًا.

* ثم يطالع الطالب بالترتيب:

(١) «شرح كتاب أهدىٰ سبيل إلىٰ علمي الخليل»، لمحمود مصطفىٰ، وينجز أسئلة التمرين.

(٢) «شفاء الغليل في علم الخليل»، لمحمد بن علي المحلي، وهو كتاب تعليمي نافع.

(٣) «كن شاعرًا»، للأستاذ عمر خلوف، وفيه محاولة تجديدية حسنة في العرض والترتيب، مع انتقاد اجتهادي لبعض المواضع في العروض الخليلي.

★ **المرحلة الثانية:**

يحفظ منظومة «مجدد العوافي من رسمي العروض والقوافي»، لمحمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي، وهو علىٰ قلة اشتهاره نافع جدًّا، ومحيط -مع الاختصار- بكل ما يحتاج إليه الطالب في هذا العلم، مع سلاسة في النظم، ويسر في التعبير.

---

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا الأخ الفاضل الشيخ عصام البشير المراكشي.

وهو بلا شكٍّ يغني عن المتون المتداولة في هذا الفن كـ«**الرامزة**»، للخزرجي، و«**منظومة الصبان**»، و«**متن الكافي**».

وعيبه الوحيد أنَّ شروحه قليلة، ويُمكن الاكتفاء في حلِّ ألفاظه بِطُرَّة الناظم، وبشرح البشير عصام الصوتي عليه.

* **ويطالع في هذه المرحلة:**

(١) «**العيون الغامزة**»، للدماميني.

(٢) «**الوافي في العروض والقوافي**»، للخطيب التبريزي.

(٣) «**الإرشاد الشافي في شرح متن الكافي في علمي العروض والقوافي**»، للدمنهوري.

(٤) «**في علم العروض والقافية**»، لأمين السيد نشر دار المعارف.

(٥) «**المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب وصناعتها**»، عبد الله الطيب.

ثم ينطلق -بعد أن أتقن علم الخليل- إلىٰ ما شاء من كتب المتقدمين والمعاصرين.

(١٤)

فِقْهُ اللُّغَةِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ فِقْهِ اللُّغَةِ وَجُهُودِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِيهِ

هذا من العلوم التي يغفل عنها من شغل قلبه ظنٌّ أنَّ العربية هي النحو والصرف، وأنقل هنا مبحثًا جليلًا للدكتور/ رمضان عبد التواب رحمه الله يغني الطالب عن النظر في غيره من مقدمات هذا العلم.

* بين فقه اللغة وعلم اللغة:

تطلق كلمة «فقه اللغة» عندنا الآن علىٰ العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف علىٰ القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة، دراسة تاريخية من كل جانب، ووصفية من جانب آخر.

وهو بهذا المعنىٰ يضم كل الدراسات اللغوية، التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية، واحتكاك اللغات المختلفة بعضها ببعض، ونشأة اللغة الفصحىٰ واللهجات، وكذلك تلك التي تبحث في أصوات اللغة، ودلالة الألفاظ وبنيتها، من النواحي التاريخية المقارنة، والنواحي الوصفية، وكذلك في العلاقات النحوية بين مفرداتها، كما تبحث أخيرًا في أساليبها، واختلاف هذه الأساليب، باختلاف فنونها من شعر ونثر، وغير ذلك.

وهذا هو ما يطلق عليه في الغرب اسم (Philology)، وإن كانت هذه الكلمة: قد تحددت عند الألمان، بدراسة النصوص اللغوية، دراسة تاريخية مقارنة؛ لمحاولة فهمها، والاستعانة بذلك في دراسة الفروع اللغوية الأخرىٰ، التي يبحث فيها علم آخر عندهم هو «علم اللغة».

ويرىٰ «ماريو باي»: «أنَّ موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فقط،

ولكن يجمع إلىٰ ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ، والنتاج الأدبي للغات موضوع الدراسة.

أمَّا علم اللغة؛ فيركز علىٰ اللغة نفسها، ولكن مع إشارات عابرة أحيانًا، إلىٰ قيم وثقافة تاريخية».

وكل علم من هذين العلمين، لا ينفصل في الواقع عن الآخر، انفصالًا حادًّا، ولا يُمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر مطلقًا، وفي هذه المسألة يقول «لومل» في رسالة له بعنوان: «**كيف يُدرس علم اللغة؟**»: «إنَّ علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب، ومن جانب آخر فإنَّه علم قائم بذاته، له وظيفة معينة، وطرق وميادين معروفة، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا؛ لأنَّ أهم مصادره هي النصوص اللغوية، والعلاقة وثيقة بين العلمين، إلىٰ درجة أنَّ الاستعمال الشائع للكلمتين، لا يكاد يفرق بينهما».

وقد ظهرت كلمة «فقه اللغة» في العالم العربي الحديث، في الجامعة المصرية، وبخاصة عندما استقدم جماعة من المستشرقين، ليعاونوا في التدريس، كما «ذكر السنيورجويدي» في محاضرته الأولىٰ بالجامعة المصرية (٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦م)، أنَّ كلمة (Philologie) تصعب ترجمتها بالعربية، وأنَّ لها في اللغات الغربية معنىٰ خاصًا، لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب؛ فمنهم من يرىٰ أنَّ هذا العلم مجرد درس لقواعد الصرف والنحو، ونقد نصوص الآثار الأدبية، ومنهم من يرىٰ أنَّه ليس درس اللغة فقط، ولكنَّه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها، وإذا صحَّ ذلك؛ فمن الممكن أن يدخل في دائرة الفيلولوجي، علم اللغة وفنونها المختلفة، كتاريخ اللغة، ومقابلة اللغات، والنحو، والصرف، والعروض، وعلوم البلاغة، وعلم الأدب في معناه الأوسع؛ فيدخل تاريخ الأدب، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية، وتاريخ الفقه من حيث تدوينه في المجاميع والمجلات، وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة، وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية، وتاريخ الفلسفة من حيث تأليف كتب الحكمة وكتب الكلام. ولا سبيل إلىٰ معرفة كنه هذه الحياة العقلية، إلَّا بدرس أحوال المركز، الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية».

وقد تخصَص «فقه اللغة» في الجامعات العربية، بدراسة «فقة اللغة العربية»، وإن اختلفت مناهجه فيه، بين الدراسة التقليدية القديمة، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة في الدرس اللغوي.

أمَّا «علم اللغة» ويطلق عليه أحيانًا اسم: «علم اللغة العام»، فقد دخل بعض الجامعات العربية حديثًا، وتعالج فيه عادة قضايا اللغة، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات؛ فاللغة يبحث فيها هذا العلم، ليست هي اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الألمانية، وإنَّما هي «اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها» كما يقول دي سوسير، هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني، فمع أنَّ اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية؛ فإنَّ هناك أصولًا وخصائص جوهرية، تجمع بين هذه اللغات من جانب، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني من جانب آخر، وهو أنَّ كلًا منها لغة، أو نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع وتحقق به وظائف معينة، وينتقل من جيل إلىٰ جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثرًا في ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية، وغير ذلك.

وهكذا نرىٰ أنَّ «علم اللغة» يستقي مادته من النظر في اللغات علىٰ اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلىٰ فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الإنسانية كلها في إطار واحد.

ثانيًا: جُهُودُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ[1]

اسم «فقه اللغة» قديم عند العرب، وإن لم يكن شاملًا لكلِّ فروعه، التي نهتم بها الآن، في «فقه اللغة العربية»، ولدينا بهذا الاسم كتاب لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (المتوفىٰ سنة ٤٢٩هـ)، المسمىٰ **«فقه اللغة وسر العربية»**، وفي تسمية هذا الكتاب بهذا الاسم، شيء من التجوز في الواقع؛ إذ ليس فيه من مسائل فقه اللغة، التي تحدثنا عنها فيما مضىٰ، سوىٰ باب: «سر العربية» في آخره، وما عداه عبارة عن معجم للغة العربية، رتبه علىٰ حسب الموضوعات، تمامًا كما فعل من قبله أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفىٰ سنة ٢٢٤هـ) في كتابه **«الغريب المصنف في اللغة»**، وكما فعل في عصره ابن سيده الأندلسي (المتوفىٰ سنة ٤٥٨هـ) في كتابه الضخم **«المخصص في اللغة»**، وسنعود لذلك بالتفصيل، عند حديثنا عن **«المعاجم العربية»** فيما بعد.

ولدينا كتاب آخر اسمه: **«الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفىٰ سنة ٣٥٩هـ)، ضمَّنه كثيرًا من مسائل فقه اللغة العربية، مثل نشأة اللغة وخصائص اللسان العربي، واختلاف لغات العرب، ولغات العامة من العرب، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية، وآثار الإسلام في اللغة العربية.

وهذا الموضوع ألَّف فيه أبو حاتم الرازي كتابه: **«الزينة في الكلمات الإسلامية»**، والمترادف، وحروف الهجاء العربية، وحروف المعنىٰ، وأسماء الأشخاص ومأخذها، وغير ذلك.

---

(١) لا يزال الكلام للدكتور/ رمضان عبد التواب رحمه الله.

ولابن فارس كتاب آخر اسمه «**مقاييس اللغة**»، وهو معجم لألفاظ اللغة العربية، مرتب علىٰ الحروف الهجائية، إلىٰ حد ما، غير أن فيه فكرتين جديدتين علىٰ حركة التأليف في المعاجم في عصره، وتعدان في الواقع من صميم «**فقه اللغة**»، وهما فكرتا «**الأصول**» و«**النحت**»؛ فهو يحاول بالفكرة الأولىٰ أن يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة، تحت أصل أو أصلين؛ مثل قوله: «الظاء الفاء والراء: أصلان صحيحان، يدل أحدهما علىٰ القهر والفوز والغلبة، والآخر علىٰ قوة في الشيء، ولعلَّ الأصلين يتقاربان في القياس، فالأول: الظفر، وهو الفوز بالشيء ... والأصل: الظفر، ظفر الإنسان.. إلخ»[١].

أمَّا فكرة النحت؛ فخلاصتها أنَّ ابن فارس جمع ما زاد علىٰ الثلاثي، من كل مادة، تحت أبواب معينة، وحاول تفسير بعضها بما يسمي النحت، مثل قوله: «بُحتُرُ، وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين: الباء والتاء والراء، وهو من بترته فبتر، كأنَّه حرم الطول فبتر خلقه، والكلمة الثانية: الحاء التاء والراء، وهو من حترت واحترات، وذلك ألا تفضل علىٰ أحد.

يقال: أحتر علىٰ نفسه وعياله، أي: ضيق عليهم؛ فقد صار هذا المعنىٰ في القصر؛ لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل»[٢].

ويذهب ابن فارس إلىٰ هذه النظرية كذلك في كتابه «**الصاحبي في فقه اللغة**»؛ فيقول: «هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة علىٰ ثلاثة أحرف، فأكثرها منحوت؛ مثل قول العرب للرجل الشديد: ضبطر، منضبط وضبر، وفي قولهم: صهصلق، أنَّه من: صهل وصلق، وفي الصلدم أنه من: الصلد والصدم»[٣].

ولا تقتصر جهود علماء العربية في فقه اللغة، علىٰ ما ألفه الثعالبي وابن فارس، فهناك أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفىٰ سنة **٣٩٢هـ**)، الذي ألف كتابه «**الخصائص**»، وضمَّنه كثيرًا من البحوث اللغوية القيمة، كبحثه في أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتعليل اللغة، والقياس، والاشتقاق، وغير ذلك.

---

(١) «**مقاييس اللغة**»، (١/ ٣٢٩).

(٢) «**مقاييس اللغة**»، (٣/ ٤٦٥).

(٣) «**الصاحبي**»، (ص/ ٢٧١).

وهناك بعض البحوث، التي ضمنها ابن سيدة الأندلسي كتابه «**المخصص**»، الذي أشرنا إليه من قبل، كالبحوث التي تناول بها الترادف، والاشتراك، والتعريب، والاشتقاق، والتذكير والتأنيث، والمقصور والممدود، وغير ذلك.

وهناك أيضًا تلك البحوث القيمة، التي أودعها جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ سنة ٩١١هـ) كتابه «**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**»، وهو كتاب ضخم في مجلدين، مليء بالبحوث اللغوية المختلفة؛ مثل البحث في نشأة اللغات، والمصنوع، والفصيح والحوشي والغريب، والمستعمل والمهمل، وتوافق اللغات، وتداخلها، والمولد والمعرب، والاشتقاق، والترادف والاشتراك والتضاد، والإبدال، والقلب، والنحت، وغير ذلك.

وهو دائرة معارف واسعة، اعتمد فيها علىٰ الكثير من المؤلفات اللغوية المتخصصة، والتي فُقد معظمها، وبقي منها تلك الاقتباسات، التي أدخلها السيوطي في كتابه «**المزهر**».

هذا؛ وللمُحْدثين من العرب جهود مشكورة، في التأليف في موضوعات فقه اللغة العربية، وعلم اللغة العام، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة، وهذه قائمة بأهم المصادر العربية في الدرس اللغوي، مرتبة علىٰ حسب أسماء أصحابها:

الدكتور/ إبراهيم أنيس:

(١) «**الأصوات اللغوية**».

(٢) «**في اللهجات العربية**».

(٣) «**دلالة الألفاظ**».

الدكتور/ إبراهيم السامرائي:

(١) «**دراسات في اللغة**».

(٢) «**التطور اللغوي التاريخي**».

أحمد حسين شرف الدين:

- «**اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام**».

الدكتور/ أحمد مختار عمر:

(١) «**من قضايا اللغة العربية والنحو**».

(٢) «**دراسة الصوت اللغوي**».

الدكتور/ أحمد نصيف الجنابي:

- «**الدراسات اللغوية والنحوية في مصر، حتىٰ القرن الرابع الهجري**».

الدكتور/ تمام حسان:

(١) «**مناهج البحث في اللغة**».

(٢) «**اللغة بين المعيارية والوصفية**».

(٣) «**اللغة العربية، معناها ومبناها**».

الدكتور حسين نصار:

- «**المعجم العربي، نشأته وتطوره**».

الدكتور/ رمضان عبد التواب:

(١) «**لحن العامة والتطور اللغوي**».

(٢) «**التذكير والتأنيث في اللغة**».

(٣) «**فصول في فقه العربية**».

(٤) «**التطور اللغوي وقوانينه**».

(٥) «**اللغة العبرية، قواعد ونصوص ومقارنات باللغة السامية**».

(٦) «**نصوص من اللغات السامية**»، مع الشرح والتحليل والمقارنة.

(٧) «**اللغات السامية**»، لبروكلمان «**ترجمة**».

(٨) «**فقه اللغات السامية**»، لبروكلمان «**ترجمة**».

(٩) «**العربية**»، ليوهان فك (ترجمة».

(١٠) «**المدخل إلىٰ علم العام**».

وكتبه جميعًا لدىٰ مكتبة الخانجي.

الدكتور/ السيد يعقوب بكر:

(١) «دراسات في فقه اللغة العربية».

(٢) «دراسات مقارنة في المعجم العربي».

الدكتور/ صبحي الصالح:

- **«دراسات في فقه اللغة»**، طبعة دار العلم للملايين.

الدكتور/ عبده الراجحي:

- **«اللهجات العربية في القراءات القرآنية».**

الدكتور/ عبد الصبور شاهين:

(١) «دراسات لغوية».

(٢) «في التطور اللغوي».

الدكتور/ عبد الله الدرويش:

(١) «المعاجم العربية»، مع اعتناء خاص بكتاب العين.

(٢) الاشتقاق.

علي عبد الواحد وافي:

(١) «علم اللغة».

(٢) «فقه اللغة».

الدكتور/ كمال بشر:

(١) «قضايا لغوية».

(٢) «دراسات في علم اللغة».

(٣) «علم اللغة العام»

محمد الخضر حسين:

(١) «دراسات في العربية وتاريخها».

(٢) «القياس في اللغة».

محمد المبارك:

- «فقه اللغة وخصائص العربية».

الدكتور/ محمود حجازي:

(١) «علم اللغة العربية».

(٢) «مدخل إلىٰ علم اللغة».

الدكتور محمود السعران:

- «علم اللغة، مقدمة القارئ العربي».

ثَالثًا: منهج لِدِرَاسَةِ فِقْهِ اللُّغَةِ

الفرعان المتشابكان: فقه اللغة، وعلم اللغة (اللسانيات) يجب أن يعتني بهما طالب العلم، خاصة المتخصص في التفسير والفقه وأصوله والعقيدة.

وأنا أذكر هنا ثمانية كتب مقسمة إلىٰ مرحلتين، تتعلَّق بفقه اللغة، وهي لازمة لطلبة العلم عمومًا بقطع النظر عن تخصصاتهم، أمَّا كتب علم اللغة (أو اللسانيات)؛ فأؤخرها لأذكرها في قسم العلوم الإنسانية، وأستغني عن ذكر قائمة للقراءة وأكتفي بما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب في التعريف الذي ذكرته آنفًا.

* المرحلة الأولى:

(١) «**دراسات في فقه اللغة**»، لصبحي الصالح، نشر دار العلم للملايين، وقد يُستغنىٰ عنه بكتاب أيسر منه هو: «**فقه اللغة**»، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة.

(٢) «**فصول في فقه العربية**»، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي.

(٣) «**الميسر في فقه اللغة المطور**»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد: بيروت.

(٤) «**العربية خصائصها وسماتها**»، عبد الغفار هلال، مكتبة وهبة.

(٥) «**اللهجات العربية**»، كمال بشر، مكتبة غريب: القاهرة.

* المرحلة الثانية:

(١) «**اللغة العربية معناها ومبناها**»، تمام حسان، دار عالم الكتب: القاهرة.

(٢) «**الأصول**»، تمام حسان، دار عالم الكتب القاهرة.

(٣) «**المدخل إلىٰ علم أصوات العربية**»، غانم قدوري الحمد، دار عمار الأردن.

(١٥)

عِلْمُ الدَّلَالَةِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ الدَّلَالَةِ مَعَ مَرْحَلَةٍ دِرَاسِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِيهِ

هذا العلم فرع من فقه اللغة واللسانيات، وهو من العلوم المهمة التي لا ينتبه لها الناس، وهو أجلُّ علوم العربية؛ لأنَّه طريق ضبط أحد أجلِّ أبواب الدين، وهو باب دلالات الألفاظ التي كانت العرب قوم النبي ﷺ يتكلمون بها، ومعرفة فرق ما بين دلالات الألفاظ عندهم وبين دلالتها عند مَن بعدهم من أهل الألسنة المولدة؛ كي لا يفسر كلام الله سبحانه أو كلام نبيه ﷺ علىٰ معانٍ ودلالات لم تكن العرب أهل الطبقة الأولىٰ التي بُعث النبي ﷺ فيهم أهل اللسان الأولىٰ يعرفونها أو يتكلمون بها.

* وطريق فقه هذا الباب يكون بمراعاة النقاط التالية:

أولًا: قراءة بعض الكتب المعتنية ببيان معالم علم الدلالة، ويمكن قراءة واحد من التالية:

(١) «**علم الدلالة**»، لفايز الداية، نشر دار الفكر دمشق.

(٢) «**علم الدلالة**»، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب القاهرة.

(٣) «**علم الدلالة**»، فريد حيدر، مكتبة الآداب القاهرة.

* ثم يقرأ الطالب الكتب الستة التالية:

(١) «**مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد.

(٢) «**المعنىٰ اللغوي**»، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة.

(٣) «**التطور اللغوي**»، للدكتور/ رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي.

(٤) «**المعجم العربي**»، حسين نصار، مكتبة مصر.

(٥) «**الظاهرة الدلالية**»، صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم.

(٦) «**فهم الفهم**»، عادل مصطفىٰ، دار رؤية القاهرة.

* **تنبيه**: يجب التنبه لبنية المعجمات العربية، وأنها تفسر الألفاظ العربية غالبًا بمعانيها التي استعملت فيها تاريخيًّا، ولا تعتني -في كثير من الأحيان- بالبيان والفصل بين دلالة اللفظ التي كان يتكلم بها أهل اللسان الأول قبل دخول طبقات المولدين واختلاف الألسنة وبين الدلالات بعد ذلك.

ومن المعاجم الجيدة جدًّا والواجب الاعتناء بها خاصة بمقدمته: «**تهذيب اللغة**»، لأبي منصور الأزهري.

ثَانِيًا: قَائِمَةُ قِرَاءَةٍ لِلتَّوَسُّعِ فِي الدَّرْسِ الدَّلَالِيِّ

التوسع في الدرس الدلالي ضرورة للمتخصص في ثلاثة مجالات وهي علىٰ ترتيب اللزوم وأولوية الاحتياج لعلم الدلالة: علم أصول الفقه، علم الاعتقاد والجدل الكلامي، علم التفسير.

* وهذه قائمة أساسية بالكتب التي يجب على المتخصصين في هذه المجالات قراءتها:

(١) «رسالة في نشأة اللغة والمجاز»، رضا زيدان، دار عالم الأدب القاهرة.

(٢) «علم التخاطب الإسلامي»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد.

(٣) «علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجًا»، محيي الدين محسب، دار الكتاب الجديد.

(٤) «التفكير الدلالي عند المعتزلة»، علي حاتم الحسن، دار الكتاب الجديد.

(٥) «كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين»، كريم عبيد علوي، منشورات ضفاف.

(٦) «التفكير اللساني عند علماء العقليات المسلمين»، عماد أحمد الزبن، دار النور عمان.

(٧) «المعنىٰ وظلال المعنىٰ»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد.

ثَالِثًا: مُقْتَرَحٌ دِرَاسِيٌّ لِلتَّمَكُّنِ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ

ومن أراد التضلع من اللسان العربي الذي نزل به الوحي يجب عليه العناية التامة بالقرآن الكريم وصحيح السنة النبوية والشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، ثم في رتبة تالية شعر الأمويين إلىٰ المائة الهجرية الأولىٰ.

وقد سبق ذكر ما يتعلَّق بالقرآن وتفسيره والسنة وشروحها، ونوصي فقط بورد القرآن والسنة الدائمين، ونوصي بالعناية التامة بالقرآن الكريم والتفقه في دلالاته بكثرة النظر، وتتبع موارد اللفظ في القرآن الكريم، وبالعناية التامة بالسنُّة النبوية خاصة أحاديث الموطأ والصحيحين، وخاصة ما اتفقت عليه هذه الثلاثة.

*** وأمَّا الدراسة النصية للشعر والنثر القديمين؛ فتكون على النهج التالي**[1]:

(١) «المفضليات».

وأحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون، وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة، **ولها شروح، أهمها**: **«شرح التبريزي»**، **وأحسن طبعاته**: طبعة دار الفكر بدمشق، بتحقيق فخر الدين قباوة، وشرح الأنباري بتحقيق تشارلز لايل وتوزعه مصورًا الآن مكتبة الآداب بالقاهرة.

(٢) «الأصمعيات».

أحسن طبعاتها التي قام عليها الشيخ أحمد شاكر والأستاذ عبد السلام هارون، وأصدرتها دار المعارف بالقاهرة.

(١) لا بُدَّ من المرور علىٰ جميع الكتب القادمة.

(٣) «المعلقات السبع أو العشر».

علىٰ جلالتها لم تفرد المعلقات بنسخة مضبوطة مصححة، وإنَّما يطالبها الناس في تضاعيف شروحها. أو من نسخ الدواوين. وأحسن تلك الشروح شرح ابن الأنباري علىٰ السبع، والذي حققه عبد السلام هارون، ونشرته دار المعارف، وشرح التبريزي للقصائد العشر الذي حققه فخر الدين قباوة، ونشرته دار الفكر، أمَّا طبعات شرح الزوزني والشنقيطي فكلها سقيمة.

(٤) «جمهرة أشعار العرب».

أحسن طبعاته هي التي حققها محمد علي الهاشمي، وأصدرتها دار القلم، وهي طبعة حسنة جدًّا. وغيرها لا يطاولها.

(٥) «ديوان الهذليين».

أحسن طبعاته هي التي حققها عبد الستار فراج، وأخرجتها دار التراث، ولو جمع الطالب إليها نشرة دار الكتب المصرية أيضًا = لكان حسنًا.

(٦) لأحمد صفوت كتابان هما: **«جمهرة رسائل العرب»**، و**«جمهرة خطب العرب»**، فيُقرأ منها ما يتعلق بالجاهلية وصدر الإسلام مع ملاحظة أنَّ الثقة بنصوصها ليست كبيرة، وطبعت مؤسسة الرسالة كتابين جيدين هما: **«جمهرة الرسائل الأموية»**، و**«جمهرة الخطب الأموية»**، وهما مفيدان مع الإقرار بأن التثبت من صحة النصوص ليس متوفرًا في أحيان كثيرة.

* أمَّا قسم الدراسة الموضوعية والتحليلية:

فأقول: هناك كتب عدة في هذا الباب لكن الذي أرشحه هو أن تكون الدراسة بالصورة التالية:

أولًا: دراسة كتاب **«الأدب الجاهلي»**، للدكتور علي الجندي، نشر: مكتبة غريب، أو **«الأدب الجاهلي»**، لشوقي ضيف، نشر: دار المعارف.

ثانيًا: دراسة كتاب **«الحياة العربية في الشعر الجاهلي»**، للدكتور أحمد الحوفي، نشر مكتبة نهضة مصر.

ثالثًا: دراسة كتاب **«قراءة في الأدب القديم»**، للدكتور محمد أبي موسىٰ.

رابعًا: دراسة كتاب «**الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء**»، للدكتور محمد أبي موسىٰ نشر مكتبة وهبة.

* ومن الكتب المهمة المكملة:

(١) حفظ أشهر الألفاظ الجاهلية وشواهدها من الأبيات الجاهلية من كتاب: «**كفاية المتحفظ**»، لابن الأجدابي، نشرة ليبيا، أو نشرة دار الفكر.

(٢) دراسة كتاب: «**أيام العرب في الجاهلية**»، لمحمد أبي الفضل إبراهيم وزميليه، نشر المكتبة العصرية.

(٣) دراسة كتاب: «**طبقات فحول الشعراء**»، لمحمد بن سلام الجمحي، قراءة وشرح محمود شاكر.

(١٦)

الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ

هذا العلم شريف جدًّا، وهو باب من أبواب طلب اللسان الأول الذي نزل به الوحي؛ وإنَّما تدخل الآفة لصاحبه من الاشتغال بكتب المتأخرين اشتغالًا زائدًا؛ لذلك فالذي نراه لطالب العلم هو أن يدرس تاريخ الأدب كاملًا دراسة وافية، ويعتني بدراسة: الأدب في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام، وعصر بني أمية، وسنجمع في هذا المنهج بين الوسائل التعليمية التي تفيد الطالب علمًا بالأدب العربي في أدواره التاريخية المختلفة، وبين الوسائل التعليمية التي تعين الطالب علىٰ اكتساب ملكة البيان؛ فإنَّ ملكة البيان تكتسب بكثرة النظر في الكلام البليغ مع محاولة الكتابة والتصحيح والمراجعة حتىٰ يستقيم للطالب بيانه.

* المرحلة الأولى:

ويدرس فيها الطالب ما يفيده تعريفًا عامًّا بالأدب، وما يلزم الأديب من المعارف وأرشح في هذه المرحلة كتابين يقرأهما الطالب معًا، وهما:

(١) «**التوجيه الأدبي**»، طه حسين وزملاؤه، نشر دار عالم الأدب.

(٢) «**تكوين الملكة اللغوية**»، البشير عصام المراكشي، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات.

* ثم يدرس فيها الطالب ما يفيده تعريفًا عامًّا بالأدب العربي وتاريخه، والكتب التي في هذه المرحلة كثيرة فمنها:

(١) «**مدخل إلىٰ تاريخ الأدب العربي**»، أحمد عبد الباقي، دار عالم الأدب القاهرة.

(٢) «**تاريخ آداب العرب**»، لمصطفىٰ صادق الرافعي، وليست له طبعة مميزة.

(٣) «**تاريخ الأدب العربي**»، لأحمد حسن الزيات، وليست له طبعة مميزة.

(٤) «**المفصل في تاريخ الأدب العربي**»، لعلي الجارم وأصحابه، نشرته مكتبة الآداب في طبعة جديدة قريبًا.

* **والذي أرشحه هو: دراسة الكتاب الأول مع قراءة الكتاب الثالث أو الرابع.**

* **وبعد ما تقدم أو بالتوازي معه، يقرأ الطالب:**

(١) «**المختارات**»، للمنفلوطي.

(٢) «**العبرات**»، للمنفلوطي.

(٣) «**النظرات**»، للمنفلوطي.

(٤) «**الفضيلة**»، تعريب منفلوطي.

(٥) «**في سبيل التاج**»، تعريب المنفلوطي.

(٦) «**تحت ظلال الزيزفون**»، تعريب المنفلوطي.

(٧) «**مقالات الدكتور محمود الطناحي**»، نشر دار البشائر.

(٨) «**مذكرات عمر بن أبي ربيعة**»، محمود شاكر، ضمن «**جمهرة مقالاته**»، نشر مكتبة الخانجي.

(٩) «**مقالات: الانتحار**»، ضمن «**وحي القلم**»، للرافعي، نشر دار ابن حزم.

(١٠) «**رسائل عبد الله بن المقفع**»، نشر: عالم الأدب، القاهرة.

(١١) كتاب «**كليلة ودمنة**»، عبد الله بن المقفع، نشر دار المعارف.

* **المرحلة الثانية**:

تنقسم الدراسة فيه إلى محورين:

* **المحور الأول: الاطلاع على نماذج من الأدب العربي في عصوره المختلفة، ويبدأ الطالب بمطالعة الكتابين التاليين**:

ويستعين الطالب في هذا بواحد من الكتب الثلاثة التالية:

(١) «**المنتخب من أدب العرب**»، طه حسين وزملاؤه، نشر: عالم الأدب.

(٢) «**جواهر الأدب**»، السيد أحمد الهاشمي، نشر: دار المعارف: بيروت.

(٣) «**المجاني الحديثة**»، لويس شيخو.

* **ثم قراءة**:

(١) «**من أسرار التعبير القرآني**»، للدكتور محمد أبو موسي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) «**شرح مائة حديث من صحيح البخاري**»، للدكتور محمد أبو موسي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

(٣) «**شرح مائة حديث من صحيح مسلم**»، للدكتور محمد أبو موسي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

* **المحور الثاني: مطالعة المدونات الأدبية التراثية التالية:**

(١) «**الشعر والشعراء**»، ابن قتيبة، دار الحديث.

(٢) «**طبقات فحول الشعراء**»، محمد بن سلام الجمحي، مكتبة الخانجي.

(٣) «**الإمتاع والمؤانسة**»، لأبي حيان، تحقيق أحمد أمين.

(٤) «**عيون الأخبار**»، لابن قتيبة، نشر المكتب الإسلامي.

(٥) «**الحماسة**»، أبو تمام، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان.

(٦) «**شرح المعلقات السبع**»، الزوزني، دار صادر.

(٧) «**ديوان المتنبي**»، نشر دار عالم الأدب، القاهرة.

(٨) «**أدب الكاتب**»، ابن قتيبة، مؤسسة الرسالة.

* **المرحلة الثالثة:**

ويطالع فيها الطالب المدونات التراثية التالية:

(١) «**البيان والتبيين**»، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.

(٢) «**الرسائل**»، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.

(٣) «**البخلاء**»، الجاحظ، تحقيق طه الحاجري.

(٤) «**الحيوان**»، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.

(٥) «**الكامل**»، المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، نشر مؤسسة الرسالة.

(٦) «**الأمالي**»، أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، ومعه «**سمط اللآلي**» للراجكوتي، مصور في دار الكتب العلمية ودار الجيل وغيرها.

(٧) «**خزانة الأدب**»، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي.

* **المرحلة الرابعة:**

وهذه يشتغل عليها المتخصص بدراسة الأدب العربي، فيدرس الأدب الجاهلي

علىٰ النحو الذي بيناه في منهج علم الدلالة من كتابنا هذا، ثم بعد ذلك فهذه المرحلة معقودة لمن أراد التوسع في دراسة أدب العصور التالية والكتب في هذه المرحلة كثيرة جدًّا، لكن الذي نميل له طلبًا لوحدة أسلوب الكتابة واتفاق منهج النظر وسهولة الحصول علىٰ الكتب أن يقتصر الطالب علىٰ سلسلة تاريخ الأدب العربي التي ألَّفها الدكتور شوقي ضيف ﷺ ونشرتها دار المعارف، مع العناية بالكتب التي سنذكرها في قائمة القراءة.

ولا بُدَّ أن تسير كتب الدكتور شوقي جنبًا لجنب مع دراسة الشعر والنثر في الفترة التي يؤرخ لها الدكتور، وذلك بجمع الدواوين في طبعاتها الموثقة، وكتب أدباء النثر في العصر الذي يؤرخ له الدكتور.

* قائمة القراءة:

(١) «**كليلة ودمنة**»، نشر دار المعارف.

(٢) «**حماسة أبي تمام**»، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان، أو طبعة دار الجيل، مع قراءة «**شرح الحماسة**»، للمرزوقي بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) «**ديوان المتنبي**»، بشرح البرقوقي، ثم الشرح المنسوب للمعري، مع قراءة كتاب «**العود الهندي**»، نشر دار المنهاج بجدة.

(٤) «**البيان والتبيين للجاحظ**»، تحقيق عبد السلام هارون، ونشر دار الخانجي.

(٥) «**الكامل**»، تحقيق محمد أحمد الدالي، ونشر مؤسسة الرسالة. وقد أصدرت إحدىٰ الدور المنشقة عن مؤسسة الرسالة طبعة أخرىٰ لا قيمة لها والفيصل هو وجود اسم هذا المحقق علىٰ الطبعة.

(٦) «**أمالي أبي علي القالي**»، نشرة دار الكتب المصرية مع «**الذيل**»، للقالي، و«**التنبيه**»، للبكري، وتنشرها مصورة مع «**سمط اللآلي**»، للراجكوتي عدد من الدرر البيروتية.

(٧) «**جمهرة الأمثال**»، لأبي هلال العسكري، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، وتنشره مصورًا دار الجيل.

(٨) **«عيون الأخبار»**، تحقيق منذر سعيد أبو شعر، ونشر المكتب الإسلامي، وله طبعة أخرىٰ بدار الكتب المصرية لكن الأولىٰ أصح وأجمل.

(٩) **«العقد الفريد»**، طبعة دار التأليف والترجمة والنشر، بتحقيق أحمد أمين وزميلاه.

(١٠) **«الأغاني»**، طبعة دار الكتب المصرية، بتحقيق جماعة من مشايخها.

(١١) **«الإمتاع والمؤانسة»**، لأبي حيان، بتحقيق أحمد الزين، نشر مطبعة التأليف والترجمة والنشر.

(١٢) **«البصائر والذخائر»**، لأبي حيان، نشر دار الجيل.

(١٣) **«شرح نهج البلاغة»**، لابن أبي الحديد، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر دار الجيل.

(١٤) **«شرح مقامات الحريري»**، للشريشي، نشر دار الجيل.

(١٥) **«ديوان المعاني»**، لأبي هلال العسكري، طبعة مؤسسة العلياء.

*** مع العناية بالقراءة للأدباء المعاصرين التالية أسماؤهم:**

(١) مصطفىٰ صادق الرافعي.

*** أصح طبعات «وحي القلم»:** هي طبعة دار ابن حزم.

(٢) مصطفىٰ لطفي المنفلوطي.

*** أصح طبعات «النظرات»:** هي طبعة دار ابن حزم.

(٣) محمود محمد شاكر.

تنشر كتبه مكتبة الخانجي.

(٤) علي الطنطاوي.

تنشر كتبه مكتبة المنار بجدة، وتوزعها دار ابن حزم.

(٥) أحمد حسن الزيات.

لا يتوفر **«وحي الرسالة»** إلَّا مصورًا.

(٦) محمود الطناحي.

وتنشر مؤلفاته وتحقيقاته مكتبة الخانجي ما عدا مقالاته؛ فهي موزَّعة بين دار البشائر ودار الغرب الإسلامي.

(٧) **محمد البشير الإبراهيمي**، ونشرت مقالاته دار الغرب الإسلامي.

(٨) **محمد الخضر حسين**، ونشرت مجموع مصنفاته دار النوادر.

(٩) **السيد أحمد صقر**، ونشرت مقالاته ومقدماته بدار التوحيد.

(١٧)

عِلْمُ الْفِقْهِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ الْفِقْهِ

١- تعريف الفقه:

علم الفقه بمعناه العام هو: «الفهم والمعرفة المتعلقة بالأحكام الشرعية».

وفي المصطلح العلمي العام هو: «مجموعة من أنواع العلوم الشرعية الناتجة بالدراسة المنهجية، من خلال مراحل تأسيس المدارس الفقهية، وتتلخص -نظريًّا- في: موضوع: علم فروع الفقه ومنهج علم أصول الفقه والقواعد الفقهية العامة، وعمليات الاستدلال، وما يتعلَّق بذلك.

وعلم الفقه الإسلامي يشمل: الأصول والفروع، لكن غلب استعماله مخصوصًا بالفروع، حتىٰ صار الفقه أو علم الفقه لا يطلق بالمعنىٰ الاصطلاحي إلا علىٰ الفروع وهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المستمدة من أدلتها التفصيلية.

أو بعبارة أخرىٰ هو: «العلم الذي يبحث لكل عمل عن حكمه الشرعي»[(١)].

٢- موضوع علم الفقه:

موضوع علم الفقه هو: «**الأحكام الشرعية العملية**» المتعلقة بأفعال المكلفين من العباد، فيبحث فيه عمَّا يعرض لأفعالهم من حلٍّ وحُرْمة، ووجوب وندب وكراهة. ويدرس علم الفقه موضوع: «**الأحكام الشرعية العملية**» من «**أدلتها التفصيلية**»، فموضوعه هو: «**الأحكام الشرعية، وأدلتها**».

وفروع الفقه تتلخص في: علم فروع الفقه حسب الموضوع الذي يدرسه إلىٰ فروع كثيرة أهمها:

فقه عبادات: ويختص بأقسام أساسية أهمها: الطهارة، والصلاة، والزكاة،

---

(١) يُنظر: «موسوعة الفقه المصرية»، (١/ ١١).

والصوم، والحج، والعمرة، وتتضمن هذه الأقسام أبوابًا وفصولًا وتفريعات أخرىٰ.

فقه معاملات: ويختص بأبواب المعاملات مثل: الإجارة، والرهن، والربا، والوقف، والجعالة، والبيع، والصرف.. إلخ.

عدة فروع وأبواب أخرىٰ مثل: الجنايات، وأحكام الزواج، والطلاق، والصداق، والخلع، والظِّهار، والإيلاء، واللِّعَان، والعدة، والرضاع، والحضانة، والنفقات، والفرائض والمواريث، والأطعمة والأشربة، والقضاء والشهادات، والأيمان والنذور، والكفارات، وأحكام الصيد والذبائح والذكاة، ومعاملات أهل الكتاب، وأحكام الجهاد، والسبق والرمي، والعتق، ويدخل ضمن ذلك مواضيع أخرىٰ.

ثَانِيًا: دِرَاسَةُ الْفِقْهِ

دِرَاسَةَ اطِّلَاعٍ قَبْلَ التَّمَذْهُبِ

وهذه المرحلة نُوصي بها قبل بدء دراسة الفقه علىٰ ترتيب معين من التراتيب القادم ذكرها؛ لما لهذه المرحلة من أثر في اتساع مدارك الطالب وزيادة تأهيله للدراسة الفقهية المنهجية.

* ونرشح في هذه المرحلة دراسة واحد من الكتب التالية:

(١) «الفقه الميسر»، نخبة من العلماء، شرح وتعليق: محمد محمود عبد الهادي.

(٢) «فقه السنة»، السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي.

(٣) «الفقه الميسر»، عبد الله الطيار، نشر: مدار الوطن.

(٤) «فقه السنة الميسر»، عبد الله المطلق، دار كنوز إشبيليا.

ثالثًا: دراسة الفقه

بين التمذهب والاستقلال

طالب العلم الذي يطمح للتخصص في علم الفقه، أو على الأقل يطمح للتأهل للإفتاء حتى ولو كان متخصصًا في علم آخر= إما أن يكون فقيهًا مفتيًا على طريق الالتزام بمذهب واحد، وإما أن يكون فقيهًا مفتيًا على طريق الاجتهاد والترجيح الاستقلالي[١].

فالذي سيسلك طريق التمذهب، ستكون فتياه التزامًا بالمذهب سواء في ذلك ما يفتي به من المسائل المحررة داخل المذهب، أو ما سيخرجه على أصول المذهب من فتاوى المستجدات والنوازل، ويرى بعض أهل العلم أن الفقيه على المذهب تلزمه الفتيا بالمذهب حتى ولو ترجح عنده غيره، ويرى بعضهم أنه إن ترجح عنده غير المذهب= فإنه يجوز أو يجب أن يفتي بما ترجح عنده مع الإشارة إلى المذهب ما هو.

والذي يريد التفقه على هذا النحو سيكون ترتيب دراسته العلمية هو نفس ترتيب عمله في الفقه والفتيا بعد ذلك، أي: بالتزام مذهب فقهي غالبًا ما يكون هو أحد المذاهب الأربعة المتبوعة.

أما الفقيه والمفتي بطريق الاجتهاد والترجيح الاستقلالي، والذي ينظر في مواطن الإجماع الثابت فلا يخالفها، وينظر في مواطن الاجتهاد فيتخير من أقوال الفقهاء ما يراه أرجح عنده بالبينة= فهذا لا يلزمه أن يكون ترتيب دراسته على

---

(١) وانظر في تقرير جواز ووقوع وأدوات هذه الرتبة من التفقه: رسالة الصنعاني: «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد»، ضمن: «عون القدير من فتاوى ورسائل ابن الأمير»، (٤/ ٢١٥-٣٠٦)، نشر، دار ابن كثير: بيروت.

مذهب من المذاهب الأربعة، فقد يرتب دراسته كما سيرتب فقهه وفتواه بعد ذلك، أي: يرتبها علىٰ النظر في المسائل والخلاف حولها وأدلتها مباشرة، من غير ارتباط بصور المسائل وتفريعها علىٰ وفق مذهب معين.

لكن الطريقة التي أختارها، وأرىٰ أنها الأصح والأفضل هي أن يدرس أحد المذاهب الأربعة دراسة تمكنه من ضبط صور المسائل وتُكسبه ملكة التفقه والتفريع والتخريج، ثم يطلع بعد ذلك علىٰ شيء من التراتيب العلمية للمذاهب الأخرىٰ، ويعرف تاريخ ومصادر البحث والتفقه في كل مذهب من المذاهب المتبوعة وغيرها، ويعرف كيفية تعيين القول المعتمد في كل مذهب، مع استكمال باقي الأدوات التي تؤهله للاستقلال بالاجتهاد والفتيا.

وفيما يلي أذكر ترتيب الدراسة العلمية علىٰ كل مذهب من المذاهب الأربعة، مع الإشارة لترتيب الدراسة العلمية علىٰ طريقة بحث المسائل وأدلتها من غير ارتباط تعليمي بصور وفروع مذهب من معين، وهو ما أطلقت عليه اصطلاحًا هنا تبعًا للتسمية الشائعة: فقه الدليل.

الْفِقْهُ الْحَنَفِيُّ[1]

(١) انتخبته من منهج ذكره الدكتور لؤي الخليلي الحنفي، وآخر ذكره الشيخ محمد رشيد الحنفي، بالإضافة لاطلاعي الشخصي، وسؤالاتي لبعض المتخصصين.

مذهب أبي حنيفة رحمه الله هو واحد من المذاهب الأربعة المتبوعة، التي كان عليها عامة المسلمين ردحًا طويلًا من الزمن، وهو مذهب عظيم جليل، إلا أنه أقل المذاهب خدمة في عصرنا من حيث طباعة مدوناته وشروح متونه، أو من حيث توفر الشروح والتيسيرات المعاصرة له، وقد تأثر فيما أرىٰ بالدعايات السيئة والتشنيعات التي لا يصدق كثير منها، وهو مذهب ثري، حري بالانتشار، ولو كثر المتفقهون علىٰ نسقه= لكان ذلك خيرًا ورحمة، ما داموا يسيرون بسيرة أئمتهم فلا يتعصبون ولا يبخسون الناس أشياءهم.

وترتيب الدراسة الفقهية، والتخصص فيه يكون علىٰ النحو التالي:

* يدرس الطالب في المرحلة الأولىٰ واحدًا من المتون التالية:

(١) «نور الفلاح»، مع شرحه «مراقي الفلاح» .

١- وهو متن نفيس، ولو لم يكن خاصًا بالعبادات= لكان من أفضل المتون، خاصة وقد شرحه مؤلفه بشرحين، مختصر هو مراقي الفلاح هذا، ومطول هو: «إمداد الفتاح»، وعلىٰ الشرح المختصر حاشية مهمة للعلامة الطحطاوي، والكتب الثلاثة نشرتها دار «نور الصباح».

٢- للمتن تحقيق ممتاز قام به الدكتور سائد بكداش، ونشرته دار السراج بالتعاون مع دار البشائر الإسلامية.

٣- للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد تعليقة لطيفة علىٰ المتن مصحوبة بأسئلة تقويمية، اسمها: «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»، وأرىٰ أن يبدأ الطالب بقراءتها أولًا، ويجيب عن أسئلتها كتابة حتىٰ لو مع النظر في المتن عند الجواب، فيكون هذا كالمختصر للشرح. .

(٢) «إتحاف الطالب»، أبو بكر الملا، مع شرحه: «منهاج الراغب»، لكن هذا المتن يشيع أكثر في طلبة المذهب الحنفي في الأحساء؛ فالمتن الأولىٰ أشهر.

١- يمكن أن يطالع الطالب قبل أحد هذين المتنين كتاب: «الفقه الميسر علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة»، لمحمد شفيق الندوي.

٢- ويقرأ الطالب في هذه المرحلة: منظومة: «عقود رسم المفتي»، وشرحها لابن عابدين، وعليها شرحان صوتيان أحدهما للشيخ محمد رشيد والآخر للدكتور لؤي الخليلي الحنفي.

٣- ثم يقرأ الطالب كتاب: «المدخل إلىٰ مذهب أبي حنيفة»، أحمد سعيد حوىٰ، نشر: دار أطلس الخضراء.

٤- يحفظ الطالب بالتوازي مع دراسته للمتن المختار، كتاب: «**أدلة الحنفية من الأحاديث النبوية علىٰ المسائل الفقهية**»، محمد عبد الله بن مسلم البهلوي، نشر: دار القلم.

* **ويدرس في المرحلة الثانية أحد الكتابين التاليين:**

(١) «المختار في الفتوىٰ» مع شرحه «الاختيار لتعليل المختار» في الطبعة القديمة التي علَّق عليها الشيخ محمود أبو دقيقة، أو طبعة مؤسسة الرسالة، والكتاب بحاجة لتحقيق، كما أن شرحه هذا علىٰ نفاسته ليس مستوفيًا لمشكلات المتن ودقيق ألفاظه، بل عنايته بالدليل والتعليل، صاحبها مرور علىٰ ألفاظ المتن بلا حل.

١- وللمتن شرح مدحه من اطلع عليه، وهو: «**الإيثار لحل المختار**»، لمحيي الدين بن إلياس الشهيد، لكنه لا زال مخطوطًا، ويعمل الأستاذ إلياس قبلان علىٰ تحقيقه وإخراجه، وأرجو إن طبع أن يجعل هذا المتن هو الخيار الأفضل.

٢- وللمتن طبعة جيدة نشرتها دار البشائر بتحقيق الدكتور سائد بكداش.

(٢)- «مختصر القدوري».

١- ونشره نشرة حسنة سائد بكداش، وطبعته دار البشائر.

٢- وعليه شرح مشهور لعبد الغني الميداني اسمه: «**اللباب شرح الكتاب**»، ونشرته دار البشائر بتحقيق سائد بكداش.

٣- وعليه شرح أقدم من شرح الميداني وهو: «الجوهرة النيرة»، نشر دار البشائر أيضًا.

١- ويطالع الطالب في هذه المرحلة كتاب: «المذهب الحنفي»، لأحمد النقيب نشر، مكتبة الرشد: السعودية.

٢- ويطالع أيضًا كتاب: «أصول الإفتاء وآدابه»، محمد تقي الدين العثماني، نشر، دار القلم: بيروت.

٣- ويستمع الطالب في هذه المرحلة لشرح الشيخ محمد رشيد علىٰ مختصر المنار للحلبي.

٤- يقرأ الطالب كتاب: «منهج الحنفية في نقد الحديث بين النظرية والتطبيق»، كيلاني خليفة، نشر: دار السلام.

٥- ويقرأ: «دراسات في أصول الحديث علىٰ منهج الحنفية»، عبد المجيد التركماني، نشر: دار ابن كثير.

*** ويدرس في المرحلة الثالثة:**

(١) «الهداية شرح البداية»، للمرغيناني طبعة دار السلام، ويطالع شرحه **«فتح القدير»**، لابن الهمام، نشر: المطبعة المنيرية.

١- وعلىٰ **«الهداية»**، أيضًا شرح لعبد الحي اللكنوي، منشور بالهند، ومتوفر مصورًا.

٢- ويطالع الطالب مع شروح الهداية، **«مجلة الأحكام العدلية»** مع الشرح الذي وضعه الشيخ أحمد الزرقا في كتابه **«القواعد الفقهية»**، نشرة دار القلم، ثم يُطالع: «الأشباه والنظائر»، لابن نجيم.

٣- ويمر الطالب قراءة علىٰ: **«كنز الدقائق»** للنسفي، مع مطالعة أحد شروحه.

٤- يطالع الطالب كتاب: «أسباب عدول الحنفية عن الفتيا بظاهر الرواية»، لؤي الخليلي، نشر: دار الفتح.

المرحلة الرابعة: يجرد فيها الطالب خمسة كتب:

الأول: «عمدة الرعاية علىٰ شرح الوقاية» للكنوي، نشر: دار الكتب العلمية.

الثاني: حاشية **«رد المحتار علىٰ الدر المختار»**، وهي حاشية العلامة ابن عابدين المشهورة، نشر دار المعرفة.

الثالث: يطالع الطالب ويكرر قراءة: «**الفتاوىٰ الهندية**»، وهي نفيسة جدًا.

الرابع: «فتح الملهم شرح صحيح مسلم»، شبير العثماني وأكمله: تقي الدين العثماني، نشر: دار القلم.

الخامس: «عمدة القاري» شرح صحيح البخاري، للبدر العيني.

وقد سبق ذكر ترتيب دراسة أصول الفقه علىٰ طريقة السادة الأحناف.

قائمة القراءة

(١) «**موطأ مالك**»، برواية محمد بن الحسن، نشرة دار البشائر.

(٢) «**الآثار**»، لمحمد بن الحسن، نشرة دار النوادر مع مطالعة تعليقة الأفغاني.

(٣) «**الجامع الصغير**»، نشر: دار البشائر.

(٤) «**الجامع الكبير**»، تحقيق الأفغاني، وحبذا لو طالع معه: «**النافع الكبير**» للكنوي.

(٥) «**الحجة علىٰ أهل المدينة**»، نشرة عالم الكتب.

(٦) «**الأصل**»، محمد بن الحسن، نشر: دار ابن حزم.

(٧) «**المبسوط**»، للسرخسي، مصورة دار الكتب العلمية، أو دار النوادر.

(٨) «**بدائع الصنائع**»، للكاساني، نشر: دار الحديث.

(٩) «**شرح مختصر الطحاوي**»، الجصاص، نشر: دار البشائر.

(١٠) «**غمز عيون البصائر**»، للحموي.

(١١) «**الفتاوى**» **التتارخانية، نشر: الهند.**

(١٢) «**الدرر الحكام في شرح غرر الأحكام**»، لمنلا خسرو الحنفي.

❁ ❁ ❁

الْفِقْهُ الْـمَالِكِيُّ[1]

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا الأخ الفاضل الشيخ عصام البشير المراكشي.

مذهب الإمام مالك هو ثاني المذاهب الأربعة المتبوعة، وتكثر العناية به في بلاد المغرب العربي، وترتيب دراسته فيما نرىٰ علىٰ النحو التالي:

* المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة الخاصة بالمبتدئين، يمكن اعتماد أحد المتون الثلاثة الآتي ذكرها:

(١) «**المرشد المعين علىٰ الضروري من علوم الدين**»، لعبد الواحد بن عاشر، وهو منظومة تشتمل علىٰ العقيدة -علىٰ طريقة الأشعرية- وفقه العبادات وبعض مبادئ التصوف، والمقصود هنا أبواب الفقه فقط.

(٢) «**مختصر الأخضري**»، وهو متن نثري خاص بالطهارة والصلاة، لكنَّه فيهما أوسع من نظم ابن عاشر، خاصة في مسائل سجود السهو.

(٣) «**مختصر العشماوية**»، لمؤلفه عبد الباري العشماوي، وهو متن نثري خاص بالطهارة والصلاة والصيام.

والمختار من هذه المتون، متن المرشد المعين، وذلك للأسباب التالية:

(١) شهرته بين العلماء وطلبة العلم، وكثرة شروحه والحواشي عليه.

(٢) إحاطته بفقه العبادات كلها.

(٣) كونه نظمًا فيسهل حفظه.

(٤) التزامه مشهور المذهب، في أغلبه.

(٥) كثرة مسائله، مع شدة اختصاره، وذلك لبراعة ناظمه، وإقلاله من الحشو، وشروحه كثيرة، لكن أشهرها شرح «**الدر الثمين والمورد المعين علىٰ متن المرشد المعين**»، نشر: دار ابن حزم، وهو لتلميذ الناظم: محمد بن أحمد الفاسي المشهور بميارة، ويمكن أن يكتفي المبتدئ بـ«**مختصر الدر الثمين**»، للمؤلف نفسه، وهذا المختصر يفِي بالحاجة في فهم مراد الناظم، وتحقيق مذهب المالكية، وإن أشكل علىٰ الطالب شيء؛ فليرجع إلىٰ حاشية الطالب ابن حمدون ابن الحاج.

لكن هذا الشرح ضعيف في جانب الاستدلال، فيكمله الطالب بشرحين، هما:

١ - «**المبين عن أدلة المرشد المعين**»، لمحمد العمراوي، منشور بفاس بدون دار نشر، ويتحرىٰ التزام المذهب.

٢ - «**العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر**»، للمختار بن العربي الجزائري، نشر: دار ابن حزم.

* قائمة المطالعة:

(١) «**منح العلي في شرح كتاب الأخضري**»، لمحمد بن سالم الشنقيطي.

(٢) «**إيصال السالك في أصول الإمام مالك**»، لمحمد يحيىٰ الولاتي.

(٣) «**مدخل إلىٰ أصول الفقه المالكي**»، لمحمد المختار ولد أباه.

(٤) «**مباحث في المذهب المالكي بالغرب**»، لعمر الجيدي (وفيه مباحث كثيرة ليست خاصة بالمغرب).

* المرحلة الثانية:

هذه المرحلة يحفظ فيها الطالب «**متن الرسالة**»، لابن أبي زيد القيرواني، وهو متن نثري عظيم الفائدة، جمع فيه صاحبه بين العقيدة السنية السليمة، والفقه المالكي، (وله نظم واحد للعلامة عبد الله بن الحاج الشنقيطي، لكنَّه غير مخدوم بما يكفي من جهة الضبط والشرح).

وشروح هذا المتن كثيرة جدًّا، والمقترح أن يعتمد الطالب شرح أبي الحسن المنوني، في حلِّ الألفاظ وفهم المعاني الإجمالية (ويرجع لحاشية العدوي عند الحاجة فقط)، ومعه كتاب «**العجالة في شرح الرسالة**»، للشيخ بن حنفية العابدين.

وفائدة هذا الشرح أمران له فيهما تميز حسن:

(١) النقل لتحرير المذهب عن متقدمي أئمة المالكية، وعن الإمام مالك نفسه، من نحو «**النوادر والزيادات**»، لابن أبي زيد، وغيره.

(٢) الاستدلال الحسن من الأثر والنظر، مع المحافظة علىٰ العبارة الفقهية الدقيقة التي تعوز بعض المعاصرين.

* **ويدرس الطالب مع هذا الشرح:**

(١) **«الفواكه الدواني»، لأحمد بن غنيم النفراوي.**

(٢) **«شرح ابن ناجي التنوخي».**

(٣) **«مسالك الدلالة»، لأحمد بن الصديق الغماري.**

(٤) **«المناهل الزلالة في شرح وأدلة الرسالة»**، للمختار بن العربي الجزائري، نشر: دار ابن حزم.

* **قائمة المطالعة:**

(١) **«اصطلاح المذهب عند المالكية»**، لمحمد إبراهيم علي، يُغني عن كل ما أُلِّف في تاريخ المذهب ومدارسه ورجاله.

(٢) **«تبيين المسالك شرح تدريب السالك إلىٰ أقرب المسالك»**، لمحمد الشيباني بن محمد بن أحمد الشنقيطي (وهو كتاب نافع جدًّا، خاصَّة في جانب الاستدلال).

(٣) **«تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك»**، للفندلاوي.

(٤) **«المعونة علىٰ مذهب عالم المدينة»**، للقاضي عبد الوهاب.

(٥) **«مدونة الفقه المالكي»**، للصادق الغرياني.

(٦) **«الفقه المالكي وأدلته»**، الحبيب بن الطاهر.

* **المرحلة الثالثة:**

يحفظ الطالب فيها مختصر الشيخ خليل بن إسحاق، وهو متن نثري جامع لِمَا عليه الفتوىٰ في المذهب (ويحفظ النثر؛ لأنَّ منظوماته طويلة جدًّا).

والأصل في هذا الكتاب أن يقرأه علىٰ شيخ، لوعورة مسالكه، وصعوبة ألفاظه، فإن لم يجد شيخًا يقرأه عليه؛ فليدرسه عن طريق الشروح الكتابية، ولكن عليه أن يكرره بشروح مختلفة، حتىٰ ترسخ معانيه.

وشروح المختصر كثيرة جدًّا، لكن المقترح -وهو الغالب من فعل المشايخ عندنا- ما يلي:

(١) يعتمد أولًا **شرح العلامة الدردير**، ويرجع لحاشية الدسوقي عند الحاجة فقط.

(٢) ثم يقرأ **شرح الخرشي**، ويرجع **للعدوي** عند الحاجة أيضًا.

(٣) ثم يقرأ **شرح الزرقاني، وحاشية البناني، بتقريرات الرهوني.**

ويُكمل الشرح في المراحل كلها مع شرح الحطاب المرسوم بـ«**مواهب الجليل**»، وهو من أجلِّ شروح المختصر وأنفعها، وأفضل طبعاته: طبعته الشنقيطية عن دار الرضوان، بتصحيح جماعة علىٰ رأسهم الشيخ محمد سالم ولد عدود رحمه الله.

* **قائمة المطالعة:**

(١) «**نور البصر شرح خطبة المختصر**»، لأحمد بن عبد العزيز الهلالي.

(٢) «**شرح التلقين**»، للمازري، نشر: دار الغرب الإسلامي.

(٣) «**البيان والتحصيل**»، لابن رشد، نشر: دار الغرب الإسلامي.

(٤) «**المنتقىٰ**»، لأبي الوليد الباجي.

(٥) «**الذخيرة**»، القرافي، نشر: دار الغرب الإسلامي.

(٦) «**المعيار المغرب**»، الونشريسي، نشر: دار الغرب الإسلامي.

(٧) «**شرحا تحفة ابن عاصم**»، المشهورة بـ«**العاصمية**»، للتسولي وميارة (وإن حفظ التحفة فحسن)، ولا بن الناظم شرح عليها نشرته، دار ابن حزم: بيروت.

(٨) «**شرح المنهج المنتخب للزقاق**»، للعلامة المنجور، مع تكملة ميارة، (وهذا من أفضل وأجمع ما نظم في القواعد الفقهية علىٰ مذهب المالكية).

(٩) «**الفروق**»، للقرافي، نشر: مؤسسة الرسالة.

(١٠) «**أحكام القرآن**»، لابن العربي.

(١١) شروح الحديث المالكية: «**القبس**»، و«**العارضة**»، لابن العربي، و«**المعلم علىٰ صحيح مسلم**»، للمازري وفروعه، و«**التمهيد**»، و«**الاستذكار**»، لابن عبد البر، و«**المفهم**»، للقرطبي.

(١٢) «**المدونة**»، وفروعها.

الْفِقْهُ الشَّافِعِيُّ[1]

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا الأخ الفاضل الشيخ محمد سالم بحيري.

مذهب الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، هو أحد المذاهب الأربعة المتبوعة، وقد غلبت العناية به علىٰ ديار شتىٰ منها مصر وحضرموت، وغيرها.

ولدراسة الفقه علىٰ مذهب الشافعية لا بد من التنبه لأمر مهم حاصله أن أنه ثَمَّ فرقًا بين قولنا: «فلانٌ يحفظ مذهب الشافعية»، وقولنا: «فلانٌ شافعيٌّ»، فالأول يحفظ الفروع الفقهية علىٰ المذهب، أمَّا الثاني فإنَّ المذهب قد اختلط بلحمه ودمه ذاك الذي يمكن أن يقال فيه: «شافعيٌّ حقًّا»، أو إن شئتَ؛ فقل: «صاحبُ نَفَسٍ شافعي».

وهذا الاختلاط لا يحصل بدراسة مجموعة من المتون الفروعية بشروحها؛ إذ دراسة المتون الفروعية بشروحها أحد أركان الدراسة، ولكن يحصل بالدراسة والمطالعة في عشرة علوم علىٰ طريقة أهل المذهب، وهي دراسة المذهب: أصولًا، وفروعًا، وقواعدَ، وفروقًا، واصطلاحًا، وتخريجًا للفروع علىٰ الأصول، وجدلًا، وخلافًا، وإفتاءً وتنزيلًا، وطبقات.

فدراسة أصول الفقه تُكَوِّن لدية الملَكَةَ الاستنباطية وتُعْلِمُه بمآخذ الأحكام، ودراسة القواعد الفقهية تجمع له شتاتَ كثيرٍ من الفروع وتُكْسِبه المَلَكَةَ الاستقرائية للفروع الفقهية، ودراسة تخريج الفروع علىٰ الأصول تربط أصل المذهب بفرعه، ودراسة الجدل علىٰ طريقة المذهب تكسبه ملكة إقامة الحجة ورد الشبهة، ودراسة تاريخ المذهب واصطلاحه تطلعه علىٰ طريقة إمامه وتطور مذهبه وأشهر رجاله ومحققيه، ومطالعة كتب الطبقات تنفث فيه روح المذهب.

وإذا طبقنا ذلك علىٰ مذهب السادة الشافعية؛ فإنَّ الطالب يمكنه أن يستعين ببرنامجين: برنامج دراسة، وبرنامج مطالعة في تصانيف الأصحاب.

أَوَّلًا: فِي الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ

★ **نرى أن يدرس الطالب الفقه على مذهب الشافعية وفق الترتيب والتسلسل التالي:**

* المرحلة الأولى:

- يدرس فيها الطالب متن أبي شجاع، مع شرحه: «**الإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع**»، للخطيب الشربيني، طبعة دار ابن حزم.

ويستعين في فهمه بحاشية العلامة البجيرمي عليه، وكذلك يمكنه أن يستعين بحاشية البيجوري علىٰ شرح ابن قاسم الغزي علىٰ أبي شجاع؛ فإنَّ عبارته قريبة من عبارة «**الإقناع**»، ولكنَّها أكثر منها يسرًا.

ويُمكن أن يستبدل بهذا الكتاب أحد الكتب التالية:

١ - كتاب «**كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**»، ط. دار المنهاج، لتقي الدين الحصني، وهو أيسر من «**الإقناع**»، ولكن يعتني الطالب بضبط ترجيحات المسائل التي يحكيها تقي الدين الحصني دون ترجيح، وذلك من خلال «**الإقناع**».

٢ - «**حاشية البيجوري علىٰ شرح ابن قاسم الغزي علىٰ أبي شجاع**»، ط. دار المنهاج، وهذه الحاشية عبارة عن تبسيط وتيسير لعبارة الخطيب في «**الإقناع**»، وإنَّما آثرت «**الإقناع**»؛ لولوجه في المقصود مباشرة واقتصاره على المعلومة الفقهية دون الاستطراد في فوائد خارجة عن فن الفقه.

٣ - «**شرح العلامة الفشني علىٰ نظم العمريطي لأبي شجاع**».

ولو تعسر علىٰ الطالب هذه الكتب الثلاثة، فلم يستطيع أن يلج أيا منها، فيمكن أن يقدم عليها: «**شرح ابن قاسم الغزي علىٰ أبي شجاع**»، أي: يدرسه بدون

الحاشية، أو كتاب: «**التذهيب في شرح متن الغاية والتقريب**»، للشيخ مصطفىٰ البغا.

* **المرحلة الثانية:**

- يدرس فيها الطالب كتاب: «**المنهاج**» للنووي، مع شرحه: «**كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين**»، للجلال المحلي[١].

ويستعين في فهمه بحاشيتي قليوبي وعميرة عليه.

ويمكن أن يستبدل بكتاب «**فتح الوهاب شرح منهج الطلاب**»، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ويستعين الطالب علىٰ فهمه بحاشيتي العلامة البجيرمي أو العلامة الجمل، وكتاب «**كنز الراغبين**» -ولا شكَّ- أيسر من «**فتح الوهاب**».

* **المرحلة الثالثة:**

- **يدرس فيها الطالب كتاب: «نهاية المحتاج شرح المنهاج»**، للرملي[٢]، وفي هذه المرحلة يعتني المتفقه بضبط خلافات محققي المتأخرين (شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والهيتمي، والخطيب، والرملي)، **وذلك من خلال الحواشي التي اعتنت بهذه الخلافات، أو الكتب التي أفردت هذه الخلافات:**

(١) أمَّا الحواشي التي اعتنت بهذه الخلافات، فأفضلها حاشيتان؛ الأولىٰ: «**حاشية الشرواني علىٰ تحفة المحتاج**»، وهي أفضل الحواشي اعتناءً بخلافات المحققين الأربعة السابق ذكرهم، وكذا «**الحواشي المدنية**»، للعلامة الكردي، وهي تشمل ربع العبادات فقط.

(٢) وأمَّا الكتب التي أفردت هذه الخلافات؛ فأوسعها وأفضلها: «**المنهل النضاخ في اختلاف الأشياخ**»، للعلامة ابن القره داغي، وقد جمع فيه (١٨١٤ مسألة فيها خلاف بين الأربعة)، و«**إثمد العينين في بعض اختلاف الشيخين**»، لعلي

---

(١) طبعة دار المنهاج، وقريبًا إن شاء الله تصدر طبعة بتحقيقي عن دار الصميعي، (محمد سالم).

(٢) ويمكن أن يستبدل بأحد هذين الكتابين:

١ - «**مغني المحتاج**»، للخطيب الشربيني، ولكن يعتني الطالب بالمسائل خولف فيها الخطيب من قبل الهيتمي والرملي مجتمعين.

٢- «**تحفة المحتاج**»، للهيتمي، وعليه حاشيتان نفيستان للعلامة العبادي والعلامة الشرواني.

ابن أحمد بن سعيد باصبرين الحضرمي، وهو مطبوع، و«**فتح العلي بجمع الخلاف بين ابن حجر والرملي**»: لعمر بن حامد بافرج باعلوي، وهو مطبوع(١).

★ مُقْتَرَحٌ ثَانٍ فِي التَّدَرُّجِ فِي الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ:

* المرحلة الأولى:

- «**المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية**»، لابن حجر الهيتمي(٢).

---

(١) وإنَّما جمعتُ بين الحواشي المعتنية بالخلافات والمصنفات المفرِدة لها؛ لأنَّ في الحواشي فوائد لن يحصلها بمطالعة هذه المصنفات المفردة، **أهم هذه الفوائد**:

الفائدة الأولىٰ: أنَّ مطالعة مجموع هذه التصانيف ستطلعه علىٰ خلاف الرملي والهيتمي والخطيب، أمَّا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، فلا تذكره إلَّا قليلًا رغم وجود اختيارات له في المسائل التي ذكروها، سواءٌ في «**أسنىٰ المطالب**»، أو «**الغرر البهية**»، أو «**فتح الوهاب**»، فمطالعته لحاشية الشرواني والكردي فيها اطلاع علىٰ اختيارات شيخ الإسلام.

الفائدة الثانية: أنَّ في الحاشيتين اختيارات في مسائل فاتت أصحاب هذه التصانيف جميعها لن تفوت الطالب بمطالعة هاتين الحاشيتين.

الفائدة الثالثة: أنَّ في الحاشيتين فوائد أخرىٰ لا يحصلها الطالب بمطالعة مجموع هذه التصانيف، فلن يعدم الطالب إيضاح مشكل أو تخصيص عام أو تقييد مطلق أو تحريرًا لمحل الخلاف بين الأصحاب، وهذه فوائد عزيزة سيعدمها هناك.

الفائدة الرابعة: أنَّ دراسةَ الخلافِ كحاشية في موضعها من كلام الهيتمي أفضل في تثبيت المعلومة مطالعتها مفردة في كتابٍ، وإنَّما صنع أهل العلم هذه الكتب للحصر.

الفائدة الخامسة: أنَّ مطالعة هاتين الحاشيتين تجعله ألصق بكتب التراث وأهله، وأعلىٰ إسنادًا في التلقي، رغم فضل وعلم مصنفي هذه الكتب.

الفائدة السادسة: أنَّ رجوعه إلىٰ هذه التصانيف رجوعٌ إلىٰ الفرع، أمَّا رجوعه إلىٰ الشرواني والكردي؛ فهو رجوع إلىٰ الأصل، ولا يخفىٰ أهمية ذلك لا سيما مع قول صاحب «**المنهل النضاخ**» كثيرًا: «ومقتضىٰ كلام حج»، أو «وظاهر كلام حج».

الفائدة السابعة: **أن «المنهل»** -في الغالب- ينقل كلام الهيتمي في التحفة فقط، أمَّا الشرواني والكردي يجمع كل أقوال الهيتمي في المسألة الواحدة -إن اختلفت- من مصنفاته.

الفائدة الثامنة: أنَّ الشرواني ينقل لفظ الأشياخ في الغالب، فيقول: «وعبارة المغني»، أو «وعبارة النهاية»، وهكذا، وهو ما يعدمه الطالب في هذه التصانيف.

(٢) وعليه حاشيتان نفيستان للعلامة الكردي: «**الحواشي المدنية**»، «**المواهب المدنية**»، والأولىٰ مطبوعة، والثانية مخطوطة، وإذا عسر علىٰ الطالب هذا الكتاب، فيمكنه أن يستعين قبله بأبي شجاع وشرح عليه كشرح ابن قاسم الغزي، أو «**التذهيب**»، للشيخ مصطفىٰ البغا.

* المرحلة الثانية:

- «**عمدة السالك وعدة الناسك**»، لابن النقيب[(١)].

* المرحلة الثالثة:

- «**فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين**»، للمليباري، مع «**حاشية إعانة الطالبين عليه**»، لأبي بكر ابن شطا الدمياطي.

★ مقترح ثالث في التدرج في الفروع الفقهية[(٢)]:

* المرحلة الأولى:

- «**تحفة الطلاب شرح تحرير اللباب**»، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري[(٣)].

* المرحلة الثانية:

- «**أسنى المطالب في شرح روض الطالب**»، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري[(٤)].

* المرحلة الثالثة:

- «**الغرر البهية شرح البهجة الوردية**»، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري[(٥)].

---

(١) وعليه شرح للشيخ الغمراوي يسمىٰ «**أنوار المسالك شرح عمدة السالك وعدة الناسك**»، مطبوع بالحلبي، وثم شرح آخر للشيخ مصطفىٰ البغا، وهو «**تنوير المسالك بشرح وأدلة عمدة السالك وعدة الناسك**»، وهو مطبوع بدار المصطفىٰ بدمشق، وهو أحسن من سابقه.

(٢) هذا النموذج لا يستطيع الطالب أن يسير فيه إلَّا مع شيخ، بل شيخ متقن له دربة في تصانيف شيخ الإسلام.

(٣) وعليه حاشية نفيسة للعلامة الشرقاوي، وله تهذيبٌ لقاسم النوري يسمىٰ: «**الروض النضير الجامع بين تحفة الطلاب والتيسير**».
إذا تعسر علىٰ الطالب هذا الكتاب، فيُمكنه أن يستعين كما سبق بشرح الغزي علىٰ أبي شجاع قبله.
ويُمكن أن يستعاض عن هذا الكتاب بـ«**فتح القدير الخبير بشرح تيسير التحرير**»، للشيخ الشرقاوي، وهو شرح علىٰ نظم العمريطي للتحرير.

(٤) وعلية حاشية للرملي.

(٥) وعليه حاشيتان: «**حاشية العبادي**»، و«**حاشية عبد الرحمن الشربيني**».

ثَانِيًا: فِي أُصُولِ الْفِقْهِ

(١) يدرس الطالب: «شرح الجلال المحلي علىٰ الورقات»[١].

(٢) ثم يدرس الطالب: «اللمع»، لأبي إسحاق لشيرازي[٢].

(٣) ثم يدرس الطالب: شرح المحلي علىٰ جمع الجوامع[٣]، المسمىٰ: «البدر

---

(١) وأفضل حواشيه حاشيتا: «النفحات»، للجاوي و«الشرح الكبير»، و«الشرح الصغير»، للعبادي، ولكن لا يستفيد من هاتين الحاشيتين إلَّا من تمكن في علم المنطق، وأيسرها حاشيتا الدمياطي وقليوبي، وحاشية الدمياطي مطبوعة، وحاشية قليوبي لها نسخة خطية في المكتبة الأزهرية.
ويُمكن أن يستعاض عنه بشرح ابن إمام الكاملية علىٰ الورقات، أو بشرح ابن الفركاح عليها، ولكن شرح المحلي أيسر منهما.

(٢) ويمكن أن يستعاض عنه بـ«غاية الوصول شرح لب الأصول»، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ولكن «اللمع» أيسر وأوفق للطالب الذي درس «الورقات».

(٣) وأفضل حواشيه: «حاشية العطار»، ولكن لا يستفيد منها إلَّا من تمكن من علمَيْ المنطق والكلام، ويمكن أن يستعاض عنه بـ«نهاية السول»، للإسنوي.
وإنَّما آثرنا أن يكون الطريق إلىٰ أصول الفقه تراثيًّا خالصًا؛ لما اعترىٰ تصانيف أصول الفقه المعاصرة من عيوب منهجية، صحيحٌ لا يشكُّ ذو إنصاف في الخير الذي حملته لنا كتب أصول الفقه المعاصرة، ولكن عاب هذه التصانيف بعض ما أوجبه فتور الهمة عن التحقيق والتدقيق، أو طبيعة الدراسة التي كتب من أجلها المصنف، أو حالة الركود العلمي العام، أو غير ذلك، ومن هذه العيوب:
١ - عدم الاهتمام بتحقيق الحدود الأصولية كما كانت عادة الأصوليين التراثيين، وقد يظن لأول وهلة أنَّها إنَّما هي شقشقة منطقية، وفي الحقيقة هي من أهم ما تميز بها ماهية المحدود، ولا يعرف الشوق إلَّا مَن يكابده، ولا يخفىٰ أنا لا نعنىٰ بتحقيق الحد التشدق في النقض والنقد، والمراد واضح لذي معالجة.
٢ - المقارنة الجوفاء بين الحدود، هذا -طبعًا- إن قارن، فيقول له: (عرفه الآمدي بقوله، وعرفه =

الطالع في حل جمع الجوامع»، طبعة مؤسسة الرسالة.

و قد شاع في بعض كتب أصول الفقه المعاصرة نسبة كتاب «**جمع الجوامع**»، لمدرسة المتأخرين (الجمع بين الطريقتين)، وهذا - وإن قال به جماعةٌ من أفاضل مشايخنا ومشايخ مشايخنا - ففيه نظر، بل هو إلىٰ طريقة المتكلمين أقرب، **وذلك لشواهد عديدة، منها**:

١ - أنَّ طريقة المتأخرين ليس المرادُ بمنهجها محضَ المقارنة بين منهجي الحنفية والمتكلمين في المسائل الأصولية، وإنَّما يميزها -مع تقرير القاعدة في البداية تقريرًا مجردًا- كثرةُ الفروعِ الدالة علىٰ القاعدة، وكذا الربط -علىٰ نحو يليق بالأصول- بين القاعدة والفرع، وإلَّا -ففي الغالب- فما من كتاب علىٰ طريقة المتكلمين إلَّا ويُشير إلىٰ خلاف الحنفية، وما من كتاب علىٰ طريقة الحنفية إلَّا يُشير إلىٰ خلاف الشافعية، علىٰ اختلاف بسطهم وإيجازهم في ذلك.

٢ - أنَّ التاج السبكي قد نصَّ في مقدمة «**جمع الجوامع**» أنَّه وضع في «**جمع الجوامع**» زبدة ما في شرحيه علىٰ «**مختصر ابن الحاجب**»، و«**منهاج البيضاوي**»، وكلاهما علىٰ طريقة المتكلمين.

= البيضاوي بقوله)، وهذا أمر لا فائدة منه طالما أنَّه لا يتبعه بتحليل التعريفين والمقارنة بين ماصدق المحدود بالنظر إلىٰ كل منهما.

٣ - عدم الرجوع إلىٰ الأصول، ففي الغالب -إلَّا من رحم ربك وأنعم- يرجع المصنف إلىٰ كتاب العلامة الشيخ أبي زهرة وخلاف والخضري والبرديسي ومصطفىٰ شلبي وغيرهم من مشايخ مشايخنا، ولا ينهل من حيث نهلوا.

(د) الاضطراب المنهجي، فترىٰ المصنفَ جاريًا علىٰ مدرسة المتكلمين في باب العام والخاص، وعلىٰ مدرسة الحنفية في تقسيم الألفاظ، وعلىٰ مدرسة المتأخرين (الجمع بين الطريقتين) في باب المطلق والمقيد، وهذا عيب -بفضل الله- قد خلت منه كتب التراث في هذا العلم الشريف.

(هـ) نقل المذاهب من غير كتب أصحابها، فينقل المصنف مذهب الحنفية من كتب الشافعية، والعكس.

مع العلم بأنَّ ذلك الحكم لا ينسحب علىٰ كل التصانيف المعاصرة، وإنَّما أغلبها، وكتاب العلامة الشيخ محمد أبي النور زهير من أفضل ما صنف في زماننا، والله أعلم.

ثَالِثًا: فِي الْقَوَاعِدِ الْفِقْهِيَّةِ

(١) «**إيضاح القواعد الفقهية**»، لِلَّحْجِي، نشر: دار الضياء.

(٢) ثم «**الأشباه والنظائر**»، لتاج الدين السبكيِّ، نشر: دار السلام.

(٣) ثم قواعد العلائي، المسماة: «**المجموع المُذَهَّب في قواعد المَذْهب**»، وهذا نفيس جدًّا، وعنده ما ليس عند غيره من مباحث ماتعة.

رَابِعًا: الْفُرُوقُ الْفِقْهِيَّةُ

- «**الجمع والفرق**»، للشيخ أبي محمد الجويني، وهو مطبوع في دار الجيل.

خَامِسًا: تَخْرِيجُ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ

- «التمهيد في تخريج الفروع علىٰ الأصول»، للإسنوي.

سَادِسًا: تاريخُ المذهبِ واصطلاحاتُه وبيانُ المعتمدين

(١) «**المذهب عند الشافعية**»، (وهو بحث منشور)، للدكتور محمد إبراهيم أحمد علي، وهو -علىٰ وجازته- من أفضل ما كتب في هذا الباب.

(٢) ثم «**المدخل إلىٰ دراسة المذهب الشافعي**»، للدكتور أكرم القواسمي.

(٣) **ثم مقدمة العلامة الدكتور عبد العظيم الديب** رَحِمَهُ اللَّهُ **علىٰ نهاية المطلب لإمام الحرمين**، وهذا فيه خير كثير وعنده ما ليس عند غيره.

ثم ليقرأ الطالب: «**الفوائد المدنية**»، للعلامة الكردي، و«**الفوائد المكية**» للسقَّاف، وكذا - إن استطاع الطالب تحصيله-: «**مرشد الأنام لبر أم الإمام**»، للعلَّامة أحمد بك الحسيني، وهو مخطوط في دار الكتب المصرية في أربعة وعشرين مجلدًا، فيه مجلدان مقدمة في الفقه الشافعي ورجاله وتاريخه، وهو عبارة عن شرح لربع العبادات في «**الأم**»، للإمام الشافعي.

سَابِعًا: الْجَدَلُ

(١) «**المعونة في الجدل**»، للشيرازي، وهو مطبوع.

(٢) ثمَّ «**المُلَخَّص في الجدل**»، له أيضًا[1]، وهذا قيد الطباعة إن شاء الله.

---

(١) «المعونة مختصر الملخص».

ثَامِنًا: الْخِلَافِيَّاتُ

(١) «الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية»، لأبي المعالي الجويني.

(٢) «الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة»، لأبي المظفر السمعاني.

(٣) «النكت في الخلافيات»، لأبي إسحاق الشيرازي.

تاسعًا: الفتوى والتنزيل

وهو باب مطالعة، ويستطيع الطالب أن يطالع: «فتاوىٰ القاضي حسين»، و«فتاوىٰ البغوي»، و«فتاوىٰ ابن الصلاح»، و«فتاوىٰ النووي»، و«فتاوىٰ السبكي»، و«فتاوىٰ البلقيني»، و«فتاوىٰ الهيتمي»، و«فتاوىٰ الشهاب الرملي».

عَاشِرًا: طَبَقَاتُ الْأَصْحَابِ

وهذا باب مطالعة، وأروعه: «**طبقات الشافعية الكبرىٰ**»، للتاج السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم «**طبقات الشافعية**»، لابن هداية الله الحسيني، ثم -إن استطاع- «**طبقات الشافعية**»، للشيخ عبد الله الشرقاوي.

بَرْنَامَجُ الْمُطَالَعَةِ

إذا أتمَّ الطالبُ هذا البرنامجَ الدراسيَّ عكف على مطالعة كتب الأصحاب، ويمكننا تقسيم هذه الكتب إلى خمس طبقات[1]:

- **الطبقة الأولىٰ: تصانيف أئمة التنقيح الثاني**، وهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والهيتمي والخطيب والرملي.

- **الطبقة الثانية: تصانيف ما بين التَّنْقِيحَيْن**، وهي التصانيف التي كتبت علىٰ كتابَي: «**الشرح الكبير**»، للرافعي، و«**الروضة**»، للنووي، ولم يُطبع منها إلَّا «**المهمات في شرح الرافعي والروضة**»، للإسنوي، وقد كتب الشافعية تصانيف كثيرة في رد نقود الإسنوي علىٰ الشيخين، وأجمعها كتابُ تلميذه ابن العماد المسمىٰ بـ«**التعقبات علىٰ المهمات**»، وكتاب «**خادم الرافعي والروضة**»، للزركشي، ولا يزالا في عداد المخطوط، ولكن نسخهما الخطية كثيرة متوافرة في الظاهرية وغيرها.

- **الطبقة الثالثة: تصانيف أئمة التنقيح الأول**، وهما الرافعي، والنووي، وأهمها: «**العزيز شرح الوجيز**»، و«**روضة الطالبين**».

- **الطبقة الرابعة: تصانيف أئمة الطريقتين (الخرسانيين والعراقيين) والجامعين بينهما**، كـ«**الحاوي الكبير**»، للماوردي، و«**التهذيب**»، للبغوي، و«**المهذب**»،

---

(١) وإنَّما رتبت كتب المذهب في المطالعة من المتأخر إلىٰ المتقدم؛ لأنَّ القارئ لن يتمكن من فهم عبارة المتقدم وتحقيق مرادها إلَّا بعبارة المتأخر الجامعة لزبدة ما كتب المتقدمون، وكذا لن يتمكن من فهم عبارة الإمام الشافعي ﷺ إلَّا بالاطلاع علىٰ طرائق أصحابه في فهم عبارته.

و«**التنبيه**»، للشيرازي، و«**نهاية المطلب**»، لإمام الحرمين، و«**الوسيط**»، للغزالي، وفي هذه الطبقة تصانيف كثيرة لم تطبع بعد.

- **الطبقة الخامسة: تصانيف إمام المذهب وما رواه الأصحاب عنه** ﷺ، كـ«**الأم**»، و«**مختصر المزني**»، و«**مختصر البويطي**»، وغيرها.

الْفِقْهُ الْحَنْبَلِيُّ[1]

(١) تكرم بوضع هذا المنهج خصيصًا لكتابنا الشيخ الفاضل أحمد بن ناصر القعيمي، والحق أن فيما كتبه فوائد نفيسة ينتفع بها سائر طلبة المذاهب.

التَّعْرِيفُ بِالْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ

مذهب الحنابلة: هو أقوال للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك من خلال أجوبته علىٰ أسئلة تلاميذه، ثم أثرىٰ ذلك أتباعه تخريجًا وقياسًا علىٰ نصوصه وأصوله؛ حتىٰ تَكَوَّنَ المذهبُ علىٰ أيدي كبار من أعلام الأمة: كالخرقي، والقاضي أبي يعلىٰ، وأبي الخطاب، وابن عقيل، وابن الجوزي، وابن قدامة، ومجد الدين أبي البركات ابن تيمية، وحفيده شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وابن مفلح وابن رجب، ثم انتهىٰ المذهب إلىٰ الإمام علي بن سليمان المرداوي، فأسس مذهبَ المتأخرين وحَرَّرَهُ حتىٰ انحصر المذهب في كتبه، ثم جاء الشيخُ الحجاويُّ، والشيخُ ابنُ النجار فسبكا المذهب سبكًا فريدًا، وجمعاه في كتابيهما «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**»، ثم تفرَّعت المختصرات منهما.

* **المراد بالحنابلة المتأخرين:**

هم الذين في الطبقة الثالثة، ويبدءون من الإمام المرداوي (ت: ٨٨٥هـ) إلىٰ يومنا هذا.

اصطلح متأخرو الأصحاب علىٰ تقسيم علماء المذهب (وهم نحو ٥٠٠ فقيه، بلغ مجموع مؤلفاتهم فيه نحو ١٤٠٠ كتابًا) إلىٰ ثلاث طبقات زمانية، وهي:

(١) طبقة المتقدمين (٢٤١ هـ-٤٠٣هـ).

(٢) طبقة المتوسطين (٤٠٣ هـ-٨٨٤هـ).

(٣) طبقة المتأخرين (٨٨٥ هـ- إلىٰ الآخر)[1].

والمتأخرون: يبدأون من العلامة المرداوي (ت: ٨٨٥هـ) مرورًا بطبقته فمن بعدهم علىٰ توالي القرون إلىٰ الآخر.

---

(١) وقد قِيل في تقسيم الطبقات غير ذلك، لكن المُؤلِّف مشىٰ علىٰ ما ذكره ...

المرحلة الأولى من مراحل برنامجنا

لدراسة المذهب الحنبلي

يدرس الطالب في هذه المرحلة جميع الكتب التالية:

(١) «أخصر المختصرات».

(٢) «كافي المبتدي».

كلاهما للشيخ محمد بن بدر الدين بن بلبان (ت: ١٠٨٣هـ).

(٣) «عمدة الطالب».

(٤) «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، كلاهما للشيخ منصور البهوتي (ت: ١٠٥١هـ).

(٥) «دليل الطالب»، للشيخ مرعي الكرمي، (ت: ١٠٣٣هـ).

(٦) «زاد المستقنع»، للشيخ موسىٰ الحجاوي (ت: ٩٦٨هـ).

* الأهداف المراد تحقيقها:

(١) معرفة معاني كلمات المسألة.

(٢) معرفة صورة المسألة بصورة تكاملية أو شبه تكاملية.

(٣) معرفة حكم المسألة.

(٤) معرفة دليل المسألة، مع وجه الدلالة فيه.

* كيفية العمل في هذه المرحلة:

(١) يبدأ الطالب بحفظ أحد المتون الخمسة السابقة، أو يكثر من قراءته ويجعل له فيه وردًا يوميًا.

وأولىٰ المتون هو متن «زاد المستقنع»، ثم «دليل الطالب»، ثم «أخصر

المختصرات»، ثم «**عمدة الطالب**»، و«**كافي المبتدي**».

(٢) يدرس الطالب ذلك المتن علىٰ شيخ حنبلي، ويضم مع ذلك مدارسته مع صاحبه.

(٣) ثم بعد أن ينتهي الطالب من دراسة المتن مع شرحه، يقرأ بقية المتون علىٰ شيخه، أو مع صاحبه.

وإذا فهم الطالب المتن الأول، سهل عليه بقية المتون، ولن يأخذ فيها وقتًا طويلًا لقراءتها وفهمها.

فمثلًا: يبدأ الطالب بـ«**أخصر المختصرات**»، ثم «**عمدة الطالب**»، ثم «**دليل الطالب**»، ثم «**كافي المبتدي**»، ثم «**زاد المستقنع**»، وبهذا التدرج تزداد عنده الإشكالات كلما صعد إلىٰ ما هو أعلىٰ منه.

وإن أراد أن يعكس، فلا بأس، وبهذا التدرج تقل عنده الإشكالات؛ لأنَّه بدأ بالأصعب فسيهون عليه ما دونه.

ومن أراد أن يقتصر علىٰ بعض المتون الخمسة، فلا أقل من أن يدرس متونًا ثلاثة: «**زاد المستقنع**»، و«**دليل الطالب**»، و«**أخصر المختصرات**»، ويجوز لغير المتخصص الاقتصار علىٰ متن واحد من هذه الثلاثة.

(٤) فإذا انتهىٰ الطالب من قراءة وفهم المتون الخمسة، أو الثلاثة يبدأ بقراءة: «**الروض المربع شرح زاد المستقنع**»، والتعليق عليه بمثل دراسة أول متن، وهو آخر ما يقرأ في هذه المرحلة.

* طريقة دراسة المتن الفقهي:

* الطريقة التي ينتهجها **الطالب** لدراسة مسائل المتن الفقهي هي ما يلي:

أولًا: تصور المسألة، وذلك بفهم المعنىٰ الإجمالي للمسألة فهمًا صحيحًا مستعينًا في ذلك بشيخ، وشرح لذلك المتن.

ثانيًا: تحليل المسألة، وذلك بتناولها بمثل تناول الشيخ المرداوي لمسائل المقنع، وقد بَيَّنَ -رحمه الله تعالىٰ- ذلك في مقدمته علىٰ التنقيح.

*** تلخيص أهم ما فعله المرداوي مع «المقنع» في كتاب «التنقيح»:**

(١) تصحيح الخلاف المطلق، وذلك بالجزم بالصحيح من الروايات في المذهب.

(٢) ذكر الشروط التي أهملها صاحب المقنع.

(٣) إبدال ما جزم الشيخ ابن قدامة فيه بالمذهب وهو ليس كما قال.

(٤) ذكر ما يستثنىٰ من العموم.

(٥) ذكر ما يقيد المطلق.

(٦) إزالة الإبهام الذي في الحكم أو في اللفظ.

(٧) إصلاح ما فيه خلل في العبارة.

(٨) تغيير بعض ألفاظ المصنف بألفاظ أخرىٰ.

(٩) ذكر بعض الفروع التي لم يذكرها ابن قدامة.

* وسأبين الآن تلك الأمور التي ذكرها المرداوي مع التمثيل، وسأضيف عليها أمورًا أخرى:

*** الأمور التي يجب أن تراعى لدراسة المتن الفقهي:**

*** الأمر الأول - تبيين المبهم:**

والمبهم في اللغة: الكلام الغامض الذي لا يتحدد المقصود منه.

والإبهام عند فقهاء الحنابلة: إمَّا أن يكون في الحكم، وإمَّا أن يكون في اللفظ.

والمراد بالمبهم في الحكم: ذكر المسألة دون أن يبين حكمها من حيث الحكم التكليفي، أو من حيث الحكم الوضعي.

والمراد بالمبهم في اللفظ: ذكر كلمة أو جملة تحتاج لإزالة الغموض عنها.

ومن **أمثلة المبهم في الحكم:** قول الحجاوي في «زاد المستقنع»، (باب إزالة النجاسة): «وإن خفي موضع نجاسة غسل حتىٰ يجزم بزواله».

ذكر الحجاوي أنَّه إن خفي علىٰ الإنسان موضع النجاسة من الثوب؛ فإنَّه يغسل منه ما يجزم بزوال النجاسة عنه، لكنَّه لم يبين حكم غسله، وقد صرح الشيخ

البهوتي بحكم ذلك، فقال في «**الروض المربع**»: «(وإن خفي موضع نجاسة) في بدن أو ثوب أو بقعة ضيقة وأراد الصلاة (غسل) وجوبًا (حتىٰ يجزم بزواله)، أي: زوال النجس؛ لأنَّه متيقن فلا يزول إلا بيقين الطهارة».

والإبهامات في الحكم كثيرة في «**زاد المستقنع**»، ولا تكاد توجد في «**دليل الطالب**»، فلا يذكر مسألة إلَّا ذكر حكمها في الغالب الأعم، وهذا من أهم ما يتميز به «**دليل الطالب**» علىٰ غيره من المتون.

ومن أمثلة المبهم في اللفظ: قول صاحب «**زاد المستقنع**» وغيره في باب الآنية: «إلا ضبة يسيرة».

فقوله: (ضبة) مبهمة تحتاج لبيان، وهي: ما يربط به بين طرفي المنكسر.

ومن الإبهامات في اللفظ التي تحتاج إلىٰ بيان: إطلاق المؤلف الحكم في المسألة بقوله بعدها: (مطلقًا)، أو (علىٰ الإطلاق)، فلا يدري الإطلاق عن ماذا؟

ولا بُدَّ أن يهتم الطالب ببيان كلمة (مطلقًا)، وهي في الغالب مبينة في الشروح، ولا يكاد شارح للمتون الخمسة يتركها.

ومن الأمثلة علىٰ ذكر (مطلقًا) من بعض المتون: قول الشيخ ابن بلبان في «**أخصر المختصرات**»، (في باب الطهارة): «(الثالث -أي: من المياه- نجس يحرم استعماله مطلقًا)، بينه الشارح بقوله في «**كشف المخدرات**»: (أي: في العبادات وغيرها ولو لم يوجد غيره)».

وأقل المتون المختصرة يوجد فيها كلمة (مطلقًا) هو: «زاد المستقنع»، **وأكثر من ذكرها**: «**كافي المبتدي**»، **ويليه**: «**أخصر المختصرات**»، **ويليه**: «**دليل الطالب**».

ومن الإبهامات التي تحتاج أيضًا إلىٰ بيان: المكاييل والأوزان والمسافات: كالصاع، والمد، والدينار، والدرهم، والفرسخ والبريد وغيرها.

*** الأمر الثاني - تقييد المطلق، وتخصيص العموم**:

المطلق في اللغة: ما لا يقيد بقيد أو شرط.

ومن الأحكام: ما لا يقع فيه استثناء.

والمراد بتقييد المطلق في الفقه: إطلاق الحكم في مسألة دون قيد في حين أنَّها مقيدة.

والمقيدات هي نفس مخصصات العموم: وهي الاستثناء، والشرط، والصفة، والغاية.

وهذه التقييدات توجد غالبًا في شروح ذلك المتن، ومن أمثلتها:

مثال علىٰ التقييد بالصفة: ما ذكره صاحب «**زاد المستقنع**»، (باب الاستنجاء في تحريم قضاء الحاجة تحت الشجرة التي عليها ثمرة) بقوله: وتحت شجرة عليها ثمرة.

وكلمة: (ثمرة) مطلقة تشمل كل ثمرة، والمذهب: أنَّه لا بُدَّ أن تكون ثمرة مقصودة، وإلَّا فلا يحرم كما في «**الإقناع**»، وغيره.

مثال علىٰ التقييد بالشرط: قول صاحب «**زاد المستقنع**» وغيره: تقتل الجماعة بالواحد.

وهذا ليس علىٰ إطلاقه، فقد قيَّده الشيخ البهوتي في «**الروض**» بقوله: إن صلَح فعل كل واحد لقتله.

مثال علىٰ التقييد بالغاية: قوله في «**زاد المستقنع**»، (كتاب الصلاة في باب شروط الصلاة): وتعجيلها - أي: صلاة الظهر - أفضل إلَّا في شدة حر.

وقد بين البهوتي هذه الغاية بقوله: (إلَّا في شدة حر)، فيستحب تأخيرها إلىٰ أن ينكسر.

مثال علىٰ التخصيص بالاستثناء: قوله في «أخصر المختصرات»، (فصل الآنية): والمنفصل من حي كميت.

وهذا يفيد أنَّ كل ما انفصل من حيوان حي؛ فهو كميتته طهارة ونجاسة، إلَّا أنَّه يستثنىٰ من هذه المسألة مسائل أوصلها الشيخ منصور البهوتي في «**كشاف القناع**» إلىٰ خمسة، منها: الطريدة إذا قطع منها شيء، والولد، والمسك، وفأرته.

*** الأمر الثالث - بيان مخالفة المذهب**:

ينبغي الحرص علىٰ بيان مخالفات المتن للمذهب، وكل المتون الخمسة

لا تخلو من مسائل مخالفة للمذهب، ولكنَّها مسائل يسيرة، وأكثر متن فيه مسائل مخالفة للمذهب: «**زاد المستقنع**»، ثم «**كافي المبتدي**»، لكن مخالفاته قليلة جدًّا بالنسبة للزاد، ثم «**دليل الطالب**»، و«**عمدة الطالب**»، و«**أخصر المختصرات**»، ومخالفات الثلاثة الأخيرة يسيرة جدًّا.

* **وينبغي عند ذكر مسألة مخالفة للمذهب لأي متن من المتون مراعاة ما يلي:**

الأول: التأكد من ذكر الشارح أو المحشي لهذه المسألة.

الثاني: إذا لم يذكرها ينبغي إعادة النظر فيها كثيرًا.

الثالث: المخالفة للمذهب تكون لِمَا اتفق عليه كِتابَا: «**المنتهىٰ**»، و«**الإقناع**».

الرابع: لا بُدَّ أن يكون الحكم -الذي خالف المؤلف فيه الحكمَ في المذهب- موافقًا لرواية أو وجه أو احتمال أو قول في المذهب، فإن لم يوجد فينبغي أن تؤوّل المسألة بما يوافق المذهب لا بما يخالفه إذا أمكن ذلك، وهذا ما فعله المرداوي في «**المقنع**»، و«**الفروع**».

ويقتصر الطالب علىٰ ما يذكره شيخه من المخالفات ولا يبحثها بنفسه.

مثال علىٰ مخالفات للمذهب من المتون الخمسة: قول صاحب «أخصر المختصرات»، (كتاب الجنائز): ويجب -أي: الإسراع- في نحو تفريق وصية.

والمذهب: يسن الإسراع في تفريق وصية الميت ولا يجب، قال الشيخ ابن جامع: والصحيح: يسن، كما مشىٰ عليه في «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**».

* **الأمر الرابع - الاهتمام بترتيب المسائل:**

ترتيب مسائل الباب يزيد من تصور الطالب للباب أكثر ممَّا لو كانت مسائله غير مرتبة، ومن أكثر المتون المختصرة التي تحتاج أبوابه إلىٰ ترتيب: «**زاد المستقنع**»، ولو اتبع ترتيب «**المقنع**» لكان أولىٰ، ومن أفضل المتون ترتيبًا لمسائل الباب هو «**دليل الطالب**»، فانظر -مثلًا- لباب الفدية في «**زاد المستقنع**» مقارنة بما في «**دليل الطالب**»، وماذا يفيده ترتيب «**دليل الطالب**»، وما يفيده عدم ترتيب «**زاد المستقنع**».

* **الأمر الخامس - الاهتمام بالحدود والضوابط:**

يجب على طالب العلم أن يهتم ويعرف ضوابط تتكرر معه مثل:

(١) ضابط الماء القليل والكثير.

(٢) ضابط المكيل والموزون، وغيرها من الضوابط المهمة.

* **الأمر السادس - الاهتمام بأدلة المسائل:**

يجب الاهتمام بأدلة المسائل، ووجه الاستدلال بها، ومن أعظم الكتب التي اعتنت بأدلة المذهب شرح شيخ الإسلام ابن تيمية لـ«**عمدة الفقه**» لابن قدامة، فشرحه مثقلٌ بأدلة وآثار من مصادر موجودة ومفقودة.

الأمر السابع - بيان الخلل في العبارة:

المراد بالخلل في العبارة: التعبير عن المسألة بعبارة لا تفي بكل المقصود من تلك المسألة.

مثال علىٰ الخلل في العبارة: قول صاحب «**زاد المستقنع**»، وغيره في كتاب الصيام (باب صوم التطوع): يسن صيام أيام البيض.

وفيها قصور؛ لأنَّها لا تشمل استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر مطلقًا حتىٰ لو كانت غير الأيام البيض، والمذهب: يسن ذلك، ويسن أن تكون هذه الثلاثة أيام الأيام البيض، ولذا قال الشيخ منصور في «**الروض المربع**»: (ويسن صيام) ثلاثة أيام من كل شهر والأفضل أن يجعلها (أيام) الليالي (البيض).

* **الكلام على المتون الخمسة وشروحها وحواشيها:**

١- أخصر المختصرات:

مؤلفه: محمد بن بدر الدين بن بلبان البعلي (ت: ١٠٨٣هـ).

أصله: «**كافي المبتدي**»، للمؤلف نفسه.

وهو متن مختصر فيه فوائد وزوائد علىٰ متون مختصرة أطول منه، سهل العبارة، احتوىٰ علىٰ جملة صالحة من أمهات المسائل، وقد أبدع في ترتيب مسائله، وهو مع صغر حجمه إلَّا أنَّه كبير في معانيه.

* شروحاته:

(١) «**كشف المخدرات**»، و«**الرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات**»، للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البعلي (ت: ١١٩٢هـ).

قال عنه ابن بدران في «**المدخل**»: محرر منقح كثير النفع للمبتدئين.

(٢) «**الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات**»[١]، للشيخ عثمان بن عبد الله بن جامع الحنبلي الأحسائي (ت: ١٢٤٠هـ).

قال عنه شيخه الشيخ محمد بن فيروز التميمي الأحسائي (ت: ١٢١٦هـ): شرح مبسوط، جمع فيه من الفوائد زبدة كتب المذهب.

(٣) «**حاشية على أخصر المختصرات**»، للشيخ عبد القادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ).

قال عنها الشيخ بكر أبو زيد في «المدخل المفصل»: وهي حاشية نفيسة اعتنى فيها بذكر بعض النوازل الفقهية مخرجًا لها على المذهب[٢].

٢- «عمدة الطالب»:

لشيخ المذهب: العلامة منصور بن يونس البهوتي المصري (ت: ١٠٥١هـ).

وهو كتاب مختصر اشتمل على كثير من أمهات المسائل، وهو أطول من «**أخصر المختصرات**»، وأسلوبه في الوضوح كالحجاوي، وفي تحرير المذهب متابع لابن النجار، وهي عادته في كل كتبه.

شروحه:

(١) «**هداية الراغب لشرح عمدة الطالب**»[٣]، للشيخ عثمان بن أحمد بن قائد النجدي (ت: ١٠٩٧هـ)، كثير منه من شرح البهوتي على «**زاد المستقنع**» ومن «**المنتهى**»، و«**الإقناع**».

---

(١) وقد حققته وعلقت عليه تعليقات مهمة للمبتدي. [أحمد سالم]

(٢) نشرتها دار البشائر الإسلامية مع المتن. ومن الشروحات: شرح صوتي للشيخ أحمد القعيمي كاتب هذا المنهج. [أحمد سالم]

(٣) نشرته مؤسسة الرسالة.

(٢) شرح الشيخ خالد بن علي المشيقح:

وهو شرح ليس بالطويل ولا بالقصير، وإذا بدأ الطالب في «**عمدة الطالب**»؛ فعليه به، وهو في موقع فضيلته في الشبكة العنكبوتية.

٣- دليل الطالب لنيل المطالب:

للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت: ١٠٣٣هـ)، وهو كتاب لا يحتاج لفهمه كثير عناء، وخلا من بعض الأبواب المهمة، والأقرب أنَّه مختصر من «**المنتهىٰ**».

بعض شروحه وحواشيه:

(١) «**نيل المآرب بشرح دليل الطالب**»، للشيخ عبد القادر بن عمر التغلبي (ت: ١١٣٥هـ).

وهو شرح مهتم ببيان المعاني بشكل مبسط مع ذكر بعض القيود والأدلة، ولم يزد علىٰ أصله مسائل، ومع ذلك قال عنه ابن بدران (ت: ١٣٤٦هـ) في «**المدخل**»: غير محرر وليس بواف بمقصود المتن.

(٢) «منار السبيل شرح الدليل»، للشيخ إبراهيم بن محمد الرسي النجدي الشهير بابن ضويان (ت: ١٣٥٣هـ).

قال عنه في «المدخل المفصل»: ملخص من الكافي، وهو قليل المسائل، ومن مزاياه: ذكر الدليل، واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) «نيل المطالب لشرح دليل الطالب»:

للشيخ محمد بن سليمان آل جراح الحنبلي (ت: ١٤١٧هـ) فقيه الكويت، وهو مجموع من شرح مسجل، مع إملاءاته علىٰ طلابه، وما هو مكتوب علىٰ نسخته، وغير ذلك، وهو شرح سهل، أكثر الشيخ فيه من ذكر الأمثلة وتصوير المسائل بأسلوب واضح وميسر.

(٤) «فتح وهاب المآرب علىٰ دليل الطالب لنيل المطالب»:

وهو حاشية للشيخ أحمد بن محمد بن عوض المرداوي (ت: ١١٤٠هـ) جردها ابنه أحمد، وهي من أنفس الحواشي علىٰ الدليل؛ لأنَّه أودع فيها تقريرات عن شيوخه، أو استقاها من مطولات الشروح في المذهب.

ولا يكاد يوجد موضع إلَّا علق عليه، وبذلك تكون أقرب إلىٰ الشرح.

(٥) الجمع بين دليل الطالب وغيره:

خرج كتاب يجمع بين «**دليل الطالب**»، و«**زاد المستقنع**»، وهو: «**قصد السبيل في الجمع بين الزاد والدليل في فقه الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**»، للشيخ حامد بن الخضر بن جاد آل بكر، وهو جمع فريد، اعتمد متن «الدليل»، وأضاف له زيادات «الزاد»، وقد بذل فيه جهدًا كبيرًا، وجمع فيه بين مزايا الكتابين، ولكنَّه يصلح للقراءة فحسب، فالأولىٰ دراسة كل متن علىٰ حدة، لاختلاف منهجهما، وغير ذلك.

٤- «كافي المبتدي»:

للشيخ محمد بن بدر الدين ابن بلبان البعلي (ت: ١٠٨٣هـ) أصل متن «**أخصر المختصرات**»، زاد فيه مسائل كثيرة، وتميز بميوله الكثير إلىٰ اختيارات الشيخ الحجاوي فيما خالف فيه الشيخَ ابنَ النجار في كتابه «**المنتهىٰ**»، وفيه مسائل يسيرة خالف فيها الصحيح من المذهب.

الشرح الوحيد لـ«كافي المبتدي» هو «الروض الندي شرح كافي المبتدي»:

للشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد البعلي (ت: ١١٨٩هـ)، وهو شرح متوسط، دمج شرحه بالمتن، مع ذكر بعض القيود والتنبيهات، وينبه أحيانًا عن مخالفات المتن للمذهب، قال عنه ابن بدران: شرح لطيف محرر.

٥- «زاد المستقنع في اختصار المقنع»:

للشيخ موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ بن سالم بن عيسىٰ الحجاوي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي (ت: ٩٦٨هـ)، وكتاب «**الزاد**» أشهر من نار علىٰ علم، اختصر فيه مؤلفه كتاب «**المقنع**» للشيخ الموفق، مشىٰ فيه علىٰ قول واحد من المذهب في الغالب، وزاد عليه مسائل مهمة.

وليس في المتون ما يوازيه في المسائل كثرة، ومع ذلك فيه من المسائل المخالفة للمذهب أكثر من غيره، بل فيه مسائل خالف فيها المسائل التي مثلها في كتابه «**الإقناع**»، ونبه علىٰ ذلك غالب من شرحه.

ولعلَّ من أسباب كثرة مخالفته للمذهب كثرة مسائله، وقد فاق غيره من المتون المختصرة في ذكره لأهم أمهات المسائل في كل باب، وذكره للصفات بطريقة واضحة، إلَّا أنَّه ينقصه الترتيب في بعض أبوابه.

بعض شروح «زاد المستقنع» وحواشيه:

(١) «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، للشيخ منصور البهوتي (ت: ١٠٥١هـ)، وهو شرح نفيس، وسيأتي الكلام عليه بإذن الله.

(٢) «الشرح الممتع علىٰ زاد المستقنع»، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، وهو من أفضل ما يوصىٰ بقراءته، وقد اهتم فيه الشيخ بتصوير مسائله والاستدلال لها والتمثيل لها بطريقة سهلة، مع ذكره للقواعد الفقهية والفروق الفقهية.

(٣) «شرح زاد المستقنع للشيخ خالد بن علي المشيقح»، وهو شرح نفيس، بَيَّنَ فيه الشيخ المسائل تصويرًا واستدلالًا بعبارة رشيقة، وهو موجود في أشرطة صوتية، ويأتي في الأهمية بعد الشرح الممتع.

(٤) «شرح كتاب زاد المستقنع»، للشيخ حمد بن عبد الله الحمد، اهتم فيه ببيان العبارات والاستدلال، وأكثر من ذكر الأمثلة، وهو دال علىٰ فقه صاحبه، وعلو كعبه في علم الحديث، ويأتي في الأهمية بعد شرح الشيخ خالد المشيقح.

٦- «الروض المربع شرح زاد المستقنع»:

للشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ)، العالم الذي سخر جهده لشرح كتب المذهب المعتمدة، وقد تميزت شروحه بالسهولة والبيان، والتحرير والاستطراد في الاستدلال أحيانًا، ولم يكن في ذلك مجرد ناقل.

وكتاب **«الروض المربع»** من أفضل شروح الزاد علىٰ الإطلاق؛ فقد تميز بأنَّه فعل غالب ما يحتاجه متن **«زاد المستقنع»**، وزاد مسائل كثيرة هي أصول في بابها، تحتاج لشرح وتصوير، وهذا هو السبب الذي جعلني أذكره في آخر المرحلة الأولىٰ؛ لأنَّ الطريقة الصحيحة لدراسة متن ما: أن يهتم الطالب بمسائله فحسب؛ لئلَّا يتشتت ذهنه بكثرة المسائل.

بعض ما كتب على «الروض المربع» من حواشي:

(١) حاشية للشيخ عبدالوهاب بن الشيخ محمد بن فيروز الوهيبي التميمي الحنبلي الأحسائي (ت: ١٢٠٥هـ) -رحمه الله تعالىٰ-:

وهي حاشية نفيسة يذكر فيها آراء شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وكذا اختيارات شيخه الشيخ عيسىٰ بن مطلق، واختيارات والده.

(٢) حاشية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العنقري علىٰ **«الروض المربع»**، قاضي سدير (ت: **١٣٧٣**هـ):

وهي حاشية فيها فوائد جليلة، غالبها نقولات عن حواشي كبار الحنابلة المتأخرين.

(٣) تقريرات لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت: **١٣٨٩**هـ) علىٰ بعض مسائل **«الزاد»** و**«الروض المربع»** من الطهارة إلىٰ الإقرار:

جمعها من دروس الشيخ وفتاواه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم وفيها من الفوائد النفائس ما يتعجب منه.

(٤) حاشية الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ) -رحمه الله تعالىٰ-:

فيها نقولات مطولة في اللغة والخلاف وغير ذلك، ولا أعلم أكبر منها علىٰ متن من متون المذهب، لكن ينقصها العزو غالبًا.

*** تتمة المرحلة الأولى: مطالعةكتب المذهب المختصرة وغيرها**

١- بقية المتون المختصرة:

بعد أن ينتهي الطالب من المرحلة الأولى يحسن به أن يشرع في تتمة لها، وهي على ما يلي:

(١) **«بداية العابد وكفاية الزاهد في الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل»**، للشيخ عبدالرحمن بن عبدالله البعلي (ت: **١١٩٢**هـ).

(٢) **«مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل»**، لأبي بكر خوقير (ت: **١٣٤٩**هـ): وهو متن لطيف أملاه مؤلفه علىٰ أحد تلاميذه، تميز باعتماد متن **«المنتهىٰ»**.

٢- قراءة شروح المتون الأربعة الأولى:

(١) «**كشف المخدرات شرح أخصر المختصرات**».

(٢) «**هداية الراغب لشرح عمدة الطالب**»، للشيخ عثمان النجدي، و«**نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب**»، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (ت: ١٤٢٣هـ).

(٣) «**نيل المآرب بشرح دليل الطالب**»، للشيخ التغلبي.

(٤) «**الروض الندي شرح كافي المبتدي**»، للشيخ البعلي.

وتكون قراءتها بالتعليق عليها من «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**» وشرحيهما.

٣- قراءة كتب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر **السعدي** (ت: ١٣٧٦هـ) الفقهية كلها، ومن أهمها:

(١) «**إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب**»: وهو بطريقة السؤال والجواب في غالب أبواب الفقه، وضُمِّنَ بعض أبوابه فروقًا بين الفروع الفقهية.

(٢) «**المناظرات الفقهية**»: وهو عبارة عن عشرين مسألة مختارة من بعض أبواب الفقه، جعل بيانها بمناظرة بين شخصين.

المرحلة الثانية من

مراحل دراسة المذهب

وفيها تتم دراسة كتاب «منتهىٰ الإرادات»، وقراءة كتابي «الإقناع»، و«غاية المنتهىٰ».

أولًا: ترتيب دراسة كتب هذه المرحلة:

١- كتب هذه المرحلة:

(١) «منتهىٰ الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وزيادات»، لأبي البقاء محمد بن شهاب الدين الفتوحي المصري الحنبلي الشهير بـ(ابن النجار) (ت: ٩٧٢هـ).

(٢) «الإقناع لطالب الانتفاع»، لشرف الدين أبي النجا موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ المقدسي ثم الدمشقي الصالحي (ت: ٩٦٨هـ).

(٣) «غاية المنتهىٰ في جمع الإقناع والمنتهىٰ»، للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت: ١٠٣٣هـ).

٢- الهدف المراد تحقيقه:

(١) دراسة كتاب «المنتهىٰ»، ثم قراءة «الإقناع»، ثم «غاية المنتهىٰ».

(٢) دراسة كتاب «منتهىٰ الإرادات» وتكرار ذلك، ووقع الاختيار علىٰ دراسته دون «الإقناع»؛ لاعتبارات كثيرة:

منها: أنَّه الكتاب المعتمد عند متأخري الحنابلة، وأكثر عملهم عليه.

ومنها: أنَّه أكثر تحريرًا من «الإقناع»، وأقل مسائل منه.

ومنها: أنَّ كثيرًا من عباراته صعبة، فالتمرس علىٰ فتح المغلق منها، يجعل غيره ميسرًا.

وقراءة «**المنتهىٰ**» ينبغي أن تكون قراءة تحقيق وتدقيق، وأن تكون أكثر من مرة لكي تضبط مسائله، وينبغي أيضًا أن يجمع الطالب في قراءته للمنتهىٰ -بل وغيره من المتون- بين قراءته له لوحده وعلىٰ شيخ.

٣- **الكتب التي لا بُدَّ من توفرها لدراسة كتاب «منتهى الإرادات»**:

(١) «**معونة أولي النهىٰ شرح المنتهىٰ**»، لابن النجار.

(٢) «**شرح منتهىٰ الإرادات**»، للبهوتي.

(٣) «**الإقناع**»، وشرحه «**كشاف القناع**»، للبهوتي.

(٤) «**غاية المنتهىٰ**»، وشرحه «**مطالب أولي النهىٰ**»، لمصطفىٰ الرحيباني.

(٥) «**التوضيح**»، للشويكي.

(٦) «**التنقيح المشبع**»، للمرداوي.

(٧) «**الفروع**»، لابن مفلح، وتصحيحه للمرداوي.

(٨) «**الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**»، للمرداوي.

(٩) «**حاشية الشيخ البهوتي، والخلوتي، وعثمان النجدي علىٰ «المنتهىٰ»**».

(١٠) **حاشية الشيخ البهوتي، والخلوتي علىٰ «الإقناع»**.

(١١) «**المطلع علىٰ ألفاظ المقنع**»، للبعلي.

٤- طريقة دراسة «**المنتهى**»:

(١) يعتمد الطالب «**شرح منتهىٰ الإرادات**»، للبهوتي، طبعة الشيخ عبد الله التركي، ويجعله أصلًا يقرأه ويعلق في هوامشه.

(٢) ينظر لمعرفة معاني ألفاظ المتنِ في: «**معونة أولي النهىٰ**»، وشرح البهوتي، والمطلع، وحاشية عثمان النجدي علىٰ «**المنتهىٰ**».

(٣) يقرأ لفهم المسألة كلام البهوتي، ثم ابن النجار، ثم «**الكشاف**».

(٤) ثم ينظر المسألة في حاشية البهوتي، والخلوتي، والنجدي علىٰ «**المنتهىٰ**»،

وينقل تحريراتهم المهمة خاصة الخلوتي والنجدي.

(٥) ثم ينظر المسألة في حاشية البهوتي والخلوتي علىٰ «**الإقناع**» إن كانت موجودة فيه.

(٦) فإن اتضحت المسألة، وإلَّا فتراجع في «**الفروع**»، و«**الشرح الكبير**».

(٧) ثم ينظر المسألة في التوضيح و«**الإقناع**»، فإن كانت بصيغة أوضح من «**المنتهىٰ**» تقيد عليها، وكذا لو كانت مخالفة للمنتهىٰ.

(٨) ثم ينظر المسألة في «**غاية المنتهىٰ**» وهو في الغالب متابع لابن النجار، وتقيد متابعته للمنتهىٰ، وكذا مخالفة «**الإقناع**» للمنتهىٰ بقوله: خلافًا له، وكذا لو قال: خلافًا للمنتهىٰ، أو خلافًا لهما.

(٩) فإن حصل خلاف بين «**المنتهىٰ**»، و«**الإقناع**»، أو خلاف «**غاية المنتهىٰ**» لهما؛ فينظر في الكتب الثلاثة: «**الإنصاف**»، و«**تصحيح الفروع**»، و«**التنقيح**» مع حواشيه للحجاوي.

(١٠) ثم ينظر في اتجاهات صاحب «**غاية المنتهىٰ**» التي يذكرها بقوله: (ويتجه . . .)، وينظر أيضًا في موافقة الشيخ الرحيباني له، وكذا موافقة الشيخ حسن الشطي في تجريد الغاية والشرح للغاية في اتجاهاته، وهي أهم من موافقة الرحيباني؛ لأنَّ بها من التحريرات ما لا يوجد في شرح الشيخ الرحيباني، ويعلق كل ذلك في هوامش «المنتهىٰ» مع شرحه.

٥- ما ينبغي فعله أثناء دراسة «المنتهى»:

أولًا: دراسة المسائل وتحليلها بمثل ما تقدم في المرحلة الأولىٰ.

ومن الأمثلة علىٰ الإبهامات في الحكم من «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**»:

قول الشيخ الحجاوي في باب الهبة: «ولا ترد».

وبين الشيخ البهوتي الحكم بقوله: «أي: يكره رد الهدية».

وبيان الإبهامات في الحكم تؤخذ من أحد الكتابين لبيان إبهام الحكم في الآخر، ومن «**غاية المنتهىٰ**»، ومن شروح وحواشي الشيخ البهوتي، ومن حواشي الخلوتي، والنجدي، بل ومن المختصرات أحيانًا.

ثانيًا: استخراج الفروق الفقهية بين المسائل، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

في كتاب الجنائز: يسن أن يجعل تحت رأس الميت في قبره لَبِنَةٌ، ويكره مِخَدَّةٌ.

ثالثًا: استخراج النظائر الفقهية، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

لو أذن الزوج لزوجته في الاعتكاف، فله الرجوع في إذنه قبل الشروع فيه لا بعده.

ونظيرها: لو أذن الزوج لزوجته في فعل نسك نفل، فله الرجوع في إذنه قبل إحرامها.

ونظيرها أيضًا: لو وهب هبة لشخص باللفظ فله الرجوع فيها قبل القبض.

رابعًا: استخراج القواعد الفقهية التي تضم مسائل متنوعة علتها واحدة.

ومن أمثلة القواعد الفقهية:

القاعدة الأولىٰ: وقت النية في العبادات علىٰ المذهب: ما ذكره الشيخ مرعي الكرمي في «غاية المنتهىٰ»: وزمنها -أي: النية- أول العبادات أو قبيلها بيسير سوىٰ الصوم.

القاعدة الثانية - **الوسائل لها أحكام المقاصد**:

وأمثلة هذه القاعدة في المذهب أكثر من أن تحصى، ومن ذلك:

(١) تحرم مساومة ومناداة بعد نداء جمعة ثان؛ **لأنهما** وسيلة للبيع المحرم.

(٢) لا يجوز رهن المصحف؛ **لأنَّه** وسيلة لبيعه المحرم.

القاعدة الثالثة: العبرة في الكفارات وقت الوجوب:

أي: النظر لحال المكفر من عسر ويسر في وقت الوجوب.

القاعدة الرابعة: من قبض من غيره عينا وهو يختص بنفعها فيده يد ضمان وإن كان لا يختص بنفعها فيده يد أمانة.

خامسًا: استخراج القواعد الأصولية، ومن أمثلتها:

القاعدة الأولىٰ: الأصل في الأوامر أنَّها علىٰ الفور:

وفروع هذه القاعدة الأصولية كثيرة، منها: قضاء الصلوات، والزكاة.

القاعدة الثانية: النهي عن الشيء يقتضي فساده:

وكذلك فروع هذه القاعدة كثيرة، منها: بطلان الوضوء بالماء المغصوب، والصلاة في الدار المغصوبة.

ثانيًا: التعريف بكتب هذه المرحلة:

١- «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات»:

١/١ التعريف بالمؤلف والكتاب:

مؤلفه: أبو البقاء محمد بن شهاب الدين الفتوحي المصري الحنبلي الشهير بـ(ابن النجار)، (ت: **٩٧٢هـ**).

و«**المنتهىٰ**»: متن انتهىٰ المذهب إليه، وإلىٰ «**الإقناع**»، وإلىٰ «**الغاية**»، وقد ألف الشيخ ابن النجار كتاب «**المنتهىٰ**» جمع فيه بين «**المقنع**»، و«**التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع**»، وزاد مسائل مهمة، وحرره تحريرًا بالغًا، لم يؤلف مثله بعده.

وجعله الشيخ ابن بدران من المتون الثلاثة التي حازت اشتهارًا أيما اشتهار، والتي هي: «**مختصر الخرقي**»، و«**المقنع**»، و«**المنتهىٰ**».

وفرغ رَحِمَهُ اللَّهُ من تبييضه في (١٧ من شعبان سنة **٩٤٢هـ**).

١/ ٢ شروح «المنتهى»:

(١) «معونة أولي النهىٰ شرح المنتهىٰ»:

للمصنف نفسه ابن النجار، وهو من الشروح النفيسة الطويلة لغة واستدلالًا وخلافًا في المذهب، **ومن أهم ما فيه:** أنه مَيَّزَ بين المسائل التي أصلها رواية عن الإمام أحمد، والمسائل التي أصلها وجه للأصحاب.

(٢) شرح منتهىٰ الإرادات «دقائق أولي النهىٰ لشرح المنتهىٰ»:

للشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ)، وقد استمده من شرح ابن النجار السابق ذكره، ومن شرحه هو لكتاب «**الإقناع**»، ولا يذكر «**المنتهىٰ**» إلا بشرح للبهوتي، وهو وإن كان أكثره من شرح ابن النجار إلَّا أن فيه تحقيقًا في كثير من المواضع.

١/ ٣ حواشي «المنتهي»:

(١) «إرشاد أولي النهىٰ لدقائق المنتهىٰ»:

للشيخ منصور البهوتي، وقد كتبها قبل تأليفه لشرح «المنتهىٰ»، وقد أودعها من الفوائد ما لا يوجد في شرحه للمنتهىٰ، ويحيل عليها فيه.

وتتميز حواشي الشيخ منصور عن حواشي الشيخين: الخلوتي والنجدي، بأن لها مقدمة وخاتمة.

(٢) «حاشية الخلوتي علىٰ المنتهىٰ»:

للشيخ محمد بن أحمد البهوتي الخلوتي (ت: ١٠٨٨هـ)، وهو من علماء الفقه واللغة المتضلعين، وينقل كثيرًا من شرح الشيخ منصور، وأحيانًا من شرح ابن النجار، وتميزت حاشيته بفوائد كثيرة.

وهي من الحواشي المهمة علىٰ «**المنتهىٰ**» التي لا بُدَّ من قراءتها ونقل فوائدها علىٰ «**المنتهىٰ**».

(٣) «حاشية الشيخ النجدي علىٰ المنتهىٰ»:

للشيخ عثمان بن قائد النجدي (ت: ١٠٩٧هـ) وهو من تلاميذ الشيخ الخلوتي، وهي حاشية نفيسة جردها بعد موته تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن عوض، وهي من أفضل حواشي «**المنتهىٰ**» علىٰ الإطلاق.

ولا توجد حاشية توازي حاشيتي الخلوتي والنجدي في التحقيق، بل كل من أتىٰ بعدهما عالة عليهما، ما عدا ابن جاسر في كتابه المليء بالذخائر (مفيد الأنام)، وسيأتي الحديث عنه -بإذن الله تعالىٰ-.

هذا وللمنتهي حواشٍ كثيرة غير ذلك، منها: «**تحريرات علىٰ المنتهىٰ**»، لياسين ابن علي اللبدي (ت: ١٠٥٨هـ)، وحاشية حفيد ابن النجار عثمان بن أحمد بن محمد الفتوحي (ت: ١٠٦٤هـ)، وحواشي الشيخ عبد القادر الدنوشري (ت: ١٠٤٠هـ) وهو من تلاميذ الشيخ البهوتي.

٢- التعريف بكتاب «الإقناع لطالب الانتفاع»:

٢/ ١ التعريف بالمؤلف والكتاب:

مؤلفه: أبو النجا موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ الحجاوي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي (ت: ٩٦٨هـ).

و«**الإقناع**»: كتاب حاوٍ لمسائل كثيرة، بعبارة واضحة، متميز بتحرير النقول، والعناية بالدليل والتعليل، وبكثرة نقله لكلام ابن تيمية.

وقد استوعب مسائل «**التنقيح**»، وزاد عليه، وذكر الشيخ ابن بدران أن الشيخ الحجاوي جعل «**المستوعب**» مادة كتابه «**الإقناع**»، وليس الأمر كما قال؛ فمن تأمل الكتابين وجد بينهما فروقًا جوهرية ظاهرة.

ومن أهم الأسباب في قلة خدمته مقارنة بـ«**المنتهىٰ**»: كبر حجمه ووضوح عباراته.

٢/ ٢ شرحه «كشاف القناع عن الإقناع»:

للشيخ منصور بن يونس البهوتي، وهو من أفضل شروح الشيخ منصور، ويكفي أنه لم يتجاسر أحد علىٰ شرحه إلَّا هو -رحمه الله تعالىٰ-.

٢/ ٣ حاشيتان على «الإقناع»:

(١) «حواشي الإقناع»:

للشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ) علق علىٰ بعض مسائله، وفيها من الفوائد ما لا يوجد في شرحيه للإقناع والمنتهىٰ، كتبها بعد حواشي «**المنتهىٰ**»، وأشار في مقدمتها إلىٰ أن صاحب «**الإقناع**» قد يجزم في مسألة بحكم في موطن، ويخالفه في موطن آخر.

وهذه قاعدة في كيفية العمل فيما لو اختلف حكم مسألة في موضعين:

المعتبر والمعتمد هو الحكم الذي في الباب الذي المسألة أصل فيه، وتطبيقات هذه القاعدة في المذهب كثيرة.

(٢) «حاشية الخلوتي علىٰ الإقناع»:

وهي تعليقات علىٰ بعض مسائل «**الإقناع**»، وطريقته فيها كطريقته في حاشية «**المنتهىٰ**» من التحرير، والربط بين المسائل، وذكر الفروق بينها، وأجوبة الشيخ منصور التي في الدرس، وهي أقل من حاشية «**المنتهىٰ**».

٣- التعريف بكتاب «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى»:

٣/ ١ التعريف بالمؤلف والكتاب:

مؤلفه: الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت: ١٠٣٣هـ)، جمع فيه بين «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**»، مشيرًا لخلاف «**الإقناع**» بقوله: «**خلافًا له**» وهو كثير، ولخلاف «المنتهىٰ» بقوله: «خلافًا للمنتهىٰ»، وهو قليل، ولخلافهما بقوله: «خلافًا لهما» وهو قليل جدًّا، وقد زاد مسائل وبحوثًا يذكرها إذا كان جازمًا بها بقوله: «ويتجه»، فإن تردد قال: «ويتجه احتمال»، وتكون تلك الاتجاهات في الغالب مفهومة من كلامهما، أو كلام غيرهما.

٣/ ٢ شروحه:

(١) «**مطالب أولي النهىٰ في شرح غاية المنتهىٰ**»:

للشيخ مصطفىٰ بن سعد السيوطي الرحيباني (ت: ١٢٤٣هـ)، وهو الشرح الكامل الوحيد له، وقد جمع في شرحه ما قاله البهوتي في شرحه علىٰ «**المنتهىٰ**»، و«**الإقناع**»، مع تحريرات وبحوث جيدة، ونقولات عن «**التنقيح**»، و«**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**»، وتنبيهات علىٰ ما لم ينبه عليه صاحب «الغاية من الخلاف بين الإقناع والمنتهىٰ»، واستدراك عليه أيضًا، وأمَّا في اتجاهات الشيخ مرعي ففي حلِّه لكثير منها نظر ظاهر، وقد تعقبه فيها تلميذه الشيخ الشطي.

(٢) «**بغية أولي النهىٰ شرح غاية المنتهىٰ**»:

لابن العماد صاحب «**الشذرات**» أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العُكري (ت: ١٠٨٩هـ)، قال ابن بدران: «شرحه شرحًا لطيفًا، دل علىٰ فقهه وجودة قلمه، لكنَّه لم يتمه»، ثم أكمله الشيخ إسماعيل بن عبد الكريم الجراعي (ت: ١٢٠٢هـ) من باب الوكالة إلىٰ كتاب النكاح.

(٣) «**منحةُ مُوْلِي الفتح في تجريد زوائد الغاية والشرح**»:

للشيخ حسن بن عمر الشطي سنة (ت: ١٢٧٤هـ)، وقد تتبع اتجاهات الشيخ مرعي شرحًا ودراسة، واستدرك علىٰ شيخه الرحيباني وغيره، وهي من أهم ما يقرأه طالب العلم الحنبلي علىٰ «**غاية المنتهىٰ**».

المرحلة الثالثة من مراحل

دراسة المذهب الحنبلي

وفيها تنصرف عناية الطالب إلى تحرير المذهب عند المتأخرين:

أولًا: الكتب التي عليها مدار التصحيح في المذهب:

قبل تحرير المذهب عند متأخري الحنابلة لا بُدَّ من التعريف بالكتب التي عليها مدار التصحيح في المذهب، وهي الكتب الثلاثة:

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف.

(٢) تصحيح الفروع.

(٣) التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع.

ومؤلفها: الشيخ المرداوي (ت: ٨٨٥هـ)، سلك فيها مسلك المحررين للمذهب، وصار ما حرره هو المذهب، **وقد ألفها علىٰ الترتيب التالي**:

١- «**الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**»:

انتهىٰ منه قبل سنة (ت: ٨٧١هـ)، وقد بين في مقدمة «**تصحيح الفروع**» أن الذي أعانه عليه هو: إكمال «**الإنصاف**»، وهو من أوسع كتب التصحيح في المذهب، وقد عمله تصحيحًا لكتاب «**المقنع**» لابن قدامة.

عمل الشيخ المرداوي في «**الإنصاف**» مع «**المقنع**»:

(١) تصحيح الخلاف المطلق.

(٢) بيان المذهب.

(٣) بيان الإبهام في الحكم.

(٤) تقييد المطلق وتخصيص العام.

(٥) بيان المسائل المفردات في المذهب.

(٦) بيان المسائل الغريبة، وهي عنده: التي يعايا بها.

والمراد بالخلاف المطلق: الخلاف الذي يذكره ابن قدامة، ولم يجزم فيه بالمذهب أو باختيار إحدىٰ الروايات.

ومثاله: عبارته في الماء المسخن بالنجس هل يكره أو لا ؟: (وإن سخن بنجاسة فهل يكره، علىٰ روايتين).

فلم يبين ابن قدامة الرواية الراجحة، والمذهب: يكره.

ومثال عكس الخلاف المطلق: قول ابن قدامة: (ولكل واحد من الزوجين غسل صاحبه في أصح الروايتين)، أي: إذا مات أحد الزوجين.

فذكر ابن قدامة خلافًا، لكنَّه صحح إحدىٰ الروايتين وهي: المذهب.

ومثال بيان المبهم في الحكم: قول ابن قدامة في كتاب الحجر: (بيع الحاكم ماله وقسم ثمنه).

قال المرداوي: «يعني: يجب ذلك علىٰ الحاكم ويكون علىٰ الفور».

٢- «**تصحيح الفروع**»:

ثم ألف الشيخ المرداوي «**تصحيح الفروع**»، وهو كتاب يعجز القلم عن وصفه، قد اجتمع علىٰ تأليفه عالمان فحلان، فمؤلف «**الفروع**»: ابن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) إمام كذلك من أئمة الحنابلة.

ولا شكَّ أنَّ «**الفروع**» من أعظم وأوسع كتب المذهب، ومادة المرداوي الذي بنىٰ منه المذهب، فكل ما قدمه ابن مفلح هو المذهب المعتمد غالبًا.

وعمل المرداوي فيه قريب ممَّا عمله علىٰ «**المقنع**» من تصحيح الخلاف المطلق، واستدراك علىٰ خلل بعض العبارات، وغير ذلك، وقد صحح ألفين ومائتين وعشرين مسألة أطلق فيها الشيخ ابن مفلح الخلاف.

ويوجد في «**تصحيح الفروع**» مسائل مصححة ليست موجودة في «**الإنصاف**»، وكذا العكس.

٣- «التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع»:

ثم ألف الشيخ المرداوي «**التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع**»، وفرغ منه سنة (ت: ٨٧٨هـ)، وكرر النظر فيه لزيادة التحرير وإمعان النظر، وقد اختصره من «**الإنصاف**» ممَّا فيه خلاف فقط، وما فيه إبهام في لفظ أو حكم، وبيان القيود والشروط، وإصلاح ما فيه خلل في العبارة.

ومثال ذلك: قوله في «**المقنع**» في أركان الصلاة: (والتسليمةُ الأولىٰ).

وقال في «**التنقيح**»: «**والتسليمةُ الثانيةُ أيضًا**».

وقال في «**المنتهىٰ**»: «والتسليمتان».

فالذي انتهىٰ إليه الشيخ المرداوي:

(١) أنَّ ما صححه في «**التنقيح**» من الخلاف الذي في «**المقنع**» هو المذهب.

(٢) وما سكت عنه في «المقنع» ولم يأتِ له بذكر في «**التنقيح**» يكون هو المذهب أيضًا.

ثانيًا: تحرير المذهب عند المرداوي:

١- طريقة المرداوي في تحرير المذهب:

ملخص منهج المرداوي لتحرير المذهب، كما في مقدمة «**الإنصاف**»، و«**تصحيح الفروع**»:

(١) إن كان المذهب ظاهرًا أو مشهورًا أو اختاره جمهور الأصحاب، فهذا لا إشكال فيه.

(٢) وإن كان الترجيح مختلفًا بين الأصحاب فالاعتماد علىٰ ما قاله المصنف لاسيما في الكافي والمجد والشارح وصاحب الفروع والقواعد الفقهية والوجيز والرعايتين والنظم والخلاصة والشيخ تقي الدين وابن عبدوس في تذكرته.

(٣) فإن اختلفوا فالمذهب ما قدمه صاحب الفروع، فإن أَطْلَقَ الخلاف أو كان من غير المعظم الذي قدمه فالمذهب ما اتفق عليه الشيخان (المصنف والمجد) أو وافق أحدهما الآخر، فإن اختلفا فالمذهب مع من وافقه صاحب القواعد الفقهية أو الشيخ تقي الدين، وإلا فالمصنف لاسيما إن كان في الكافي ثم المجد.

(٤) فإن لم يكن لهما ولا لأحدهما في ذلك تصحيح فصاحب القواعد الفقهية، ثم صاحب الوجيز، ثم صاحب الرعايتين، فإن اختلفا فالكبرىٰ، ثم الناظم، ثم صاحب الخلاصة، ثم تذكرة ابن عبدوس، ثم من بعدهم وهذا قليل جدًّا.

٢- هل هناك من خالف المرداوي في هذا المنهج في تحرير المذهب؟

نعم يوجد من خالف المرداوي في طريقته، كابن عبد الهادي (ت: ٩٠٩هـ) في كتابه: «**مغني ذوي الأفهام**»، وجماعة ذكرهم المرداوي نفسه في مقدمة «**الإنصاف**»، و«**الفروع**»، وقال بعد أن حكىٰ أقوالهم: وكل هذه الأقوال ضعيفة علىٰ الإطلاق، لا يلتفت إليها.

٣- هل كل ما صححه المرداوي في كتبه الثلاثة متفق؟

الأصل أن المذهب في «**الإنصاف**» هو الذي في «**تصحيح الفروع**»، وهو كذلك الذي في «**التنقيح**»، لكن هناك مسائل فيها خلاف، وهذا الخلاف قد يكون سببه الخلاف بين «**المنتهىٰ**» و«**الإقناع**».

ومن الأمثلة علىٰ هذا الخلاف: تنجس الماء الطاهر الكثير.

صحح في «**الإنصاف**» أن حكمه كالماء الطهور لو كان كثيرًا، وصحح في «**التنقيح**» أنَّه ينجس مطلقًا، وهذا بناءً علىٰ خلاف بين «**المنتهىٰ**» و«**الإقناع**»، فذهب صاحب «**المنتهىٰ**» إلىٰ ما في «**التنقيح**»، وذهب صاحب «**الإقناع**» إلىٰ ما في «**الإنصاف**»، وقد نبه علىٰ ذلك البهوتي في «**شرح المنتهىٰ**».

والمقصود: أن المرداوي قد يختلف ترجيحه أحيانًا، والمعتمد عنده هو: ما في «**التنقيح**»، كما نص علىٰ ذلك فيه، ويدل عليه إعادة النظر فيه أربع مرات.

٤- هل صحح المرداوي في الإنصاف والتصحيح والتنقيح كل ما فيه خلاف؟

أول شيء اهتم به المرداوي هو تصحيح الخلاف المطلق الذي في «**المقنع**» و«**الفروع**»، لكن هناك مسائل تركها لأسباب كثيرة، وأحيانًا لا يصحح خلافًا في «**الإنصاف**» ويصححه في «**تصحيح الفروع**»، أو في «**التنقيح**».

ومن الأمثلة علىٰ ذلك: مسألة في إحياء الموات: هل يملك المسلم موات الحرم وعرفات بإحيائه؟

لم يجزم في «**الإنصاف**» بشيء، وجعل الْأَوْلَىٰ عدم ملكه، وصوب في «**تصحيح الفروع**» عدم ملكه، وجزم به في «**التنقيح**»، وهو ما مشىٰ عليه في «**المنتهىٰ**»، و«**الإقناع**».

وأحيانًا لا يصحح شيئًا لا في «**الإنصاف**»، ولا في «**تصحيح الفروع**»، ولا في «**التنقيح**»، ومثاله: حكم الإسراع في تفريق وصية الميت.

ثالثًا: منهج ابن النجار في كتابه «المنتهى» في اختيار المذهب:

لا يكاد يخرج ابنُ النجار عن «**التنقيح**» و«**المقنع**» إلَّا في القليل النادر، وقد أكد في مواضع علىٰ الأخذ بما في «**التنقيح**»، حتىٰ لو كان مخالفًا لِمَا صححه الشيخ المرداوي في «**الإنصاف**»، فقال في باب الشفعة: «ولا يشترط» لانتقال الملك إلىٰ الشفيع في الشقص المشفوع (رؤيته)، أي: رؤية ما منه الشقص المشفوع (لأخذه) بالشفعة قبل التملك.

وفي «**التنقيح**»: «ولا يعتبر قبل تملكه»، ومشىٰ في «الإنصاف» علىٰ اعتبار العلم بالشقص وبالثمن.

ومن المسائل النادرة التي خالف فيها ابنُ النجار التنقيح: في كتاب الاعتكاف، قال في «**التنقيح**»: ولا يصح ... من رجل إلَّا في مسجد تصلىٰ فيه الجمعة أو الجماعة.

ومقتضاه: صحة الاعتكاف في مسجد تقام فيه الجمعة، وإن لم تقم فيه الجماعة.

وعبارته في «**المنتهىٰ**»: ولا يصح ممَّن تلزمه الجماعة إلَّا بمسجد تقام فيه، ولو من معتكفين.

ومقتضاه: عدم صحة الاعتكاف في المسجد الذي تقام فيه الجمعة، ولا تقام فيه الجماعة، وهو المذهب.

رابعًا: منهج الحجاوي في كتابه «**الإقناع**» في اختيار المذهب:

ذكر الحجاوي في مقدمة كتابه أنَّه اعتمد كتب المرداوي الثلاثة، ولم يكن مجرد ناقل، أو مقدما لكل ما في «**التنقيح**» علىٰ كل حال، كما هو حال ابن النجار في

«**المنتهىٰ**»، ويظهر ذلك من خلال حواشيه علىٰ «**التنقيح**»؛ فإنَّه تتبع المنقح في كثير من المسائل التي خالفه فيها في «**الإقناع**»، ونجده كذلك قد تابع الشيخَ المرداوي علىٰ ما جزم به في «**التنقيح**»، في حين أن المرداوي صحح في «**الإنصاف**»، و«**تصحيح الفروع**» خلافَ ما صححه في «**التنقيح**» وذلك في المثال التالي:

قول المرداوي في «**التنقيح**»: «ويقتل عبد بمثله، لا مكاتب بعبده الأجنبي، ويقتل بعبده ذي الرحم المحرم».

قال الحجاوي: (قوله (ويقتل)، أي: المكاتب بعبده ذي الرحم المحرم، لأن حاله كحاله، إن عجز المكاتب ورق رق، وإن عتق عتق، وحكمه حكمه، بخلاف العبد الأجنبي؛ لأنَّ المكاتب إن أدىٰ وعتق لم يعتق، وإن بقي الرق رق، فهو رقيق في الحالين، فلم يقتل به سيده، وصحح في «**الإنصاف**»، و«**تصحيح الفروع**»: إنَّه لا يقتل بعبده ذي الرحم المحرم . . . ، وما صححه في «**التنقيح**» أصوب والله أعلم).

خامسًا: في الترجيح بين «المنتهى» و«الإقناع»:

١- في الترجيح بين «الإقناع» و«المنتهى» إذا اختلفا:

حاصل اختلاف العلماء المتأخرين في ذلك أن المذهب يكون علىٰ الترتيب التالي:

- إن اتفق «**الإقناع**»، و«**المنتهىٰ**»، فهذا هو المذهب بلا ريب.

- إن انفرد أحدهما، فالمذهب يكون في الذي انفرد بها.

- إن اختلفا، فالمذهب هو ما في «**المنتهىٰ**» في الغالب الأعم مع مراعاة ومراجعة ما يلي:

١ - «**التنقيح المشبع**»، للشيخ المرداوي.

٢ - ترجيحات الشيخ مرعي الكرمي في «غاية المنتهىٰ».

٣ - النظر فيما كتبه الشيوخ الثلاثة: البهوتي، والخلوتي، والنجدي.

٢- ذكر من اهتم ببيان المخالفات بين «المنتهى» و«الإقناع»:

ممَّن اهتم بذكر المخالفات بين «المنتهى» و«الإقناع»:

(١) الشيخ مرعي في كتابه «**غاية المنتهىٰ**»، ولكن لم يستوعبها.

(٢) الشيخ منصور البهوتي في كل كتبه، وهو من أفضل من اعتنىٰ بذلك مع مقارنة أقوالهما بالتنقيح و«**تصحيح الفروع**» و«**الإنصاف**».

(٣) الشيخ الخلوتي في حاشيتيه علىٰ «**المنتهىٰ**»، و«**الإقناع**».

(٤) الشيخ عثمان النجدي في حاشيته علىٰ «المنتهىٰ».

(٥) الشيخ عبد العزيز بن محمد الحجيلان في كتابه: «**المسائل التي اختلف فيها الإقناع والمنتهىٰ**»، فذكر فيه مائة وثمانية وسبعين مسألة، وذكر أيضًا من نص علىٰ تلك المخالفة، وحرر المذهب في كثير منها، معتمدًا علىٰ «**الإنصاف**»، و«**الفروع**»، و«**تصحيح الفروع**» فقط، وفاتَهُ أهمُّ كتاب للترجيح بينهما ألَا وهو: «**التنقيح**».

سادسًا: مكانة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مذهب الحنابلة:

لقد تبوأ شيخ الإسلام في مذهب الحنابلة منزلة عالية؛ إذ رزقه الله علمًا واسعًا، فصار كالبحر بلا ساحل، ولم يزل الحنابلة ينهلون من علمه، فكتبهم من أقواله مليئة، ولو رفعت أقواله منها لآض كثير من صفحاتها بيضاء نقية، ولا يزال الحنابلة إلىٰ يومنا هذا يتناقلون أقواله.

وكان -رحمه الله تعالىٰ- معظمًا للإمام أحمد ولأقواله، ولا أدل علىٰ ذلك من شرحه علىٰ عمدة الفقه، وليس ذلك في بداياته فحسب، بل حتىٰ آخر عمره وهو يعظم الإمام ويرفع من شأنه.

وممَّا يدل علىٰ اعتبار منزلة شيخ الإسلام ابن تيمية عند الحنابلة: أنَّه لـمَّا نقل المرداوي في كتابه «**التحبير شرح التحرير**» كلام النووي والرافعي: أنَّه لا مجتهد اليوم، قال: قال ابن مفلح لـمَّا نقل كلامهما: وفيه نظر. انتهىٰ، وهو كما قال؛ فإنَّه وجد من المجتهدين بعد ذلك جماعة، منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ونقل ذلك ابن النجار عن المرداوي في كتابه «**شرح الكوكب المنير**»، وقد أكثر النقل عن شيخ الإسلام: ابن مفلح والمرداوي والحجاوي، والشيخ مرعي الكرمي، وكذلك ابن النجار قد نقل عنه في المنتهىٰ من غير أن ينسبه له في مسائل صارت هي المذهب، وإذا كان هؤلاء قد نقلوا عن شيخ الإسلام، فأين مَنْ دونهم منهم؟

ومن مسائل كتاب «**منتهىٰ الإرادات**» التي أصلها أقوال لشيخ الإسلام: ما قاله في الغصب: (ومن اشترىٰ أرضًا فغرس أو بنىٰ فيها فخرجت مستحقة، وقلع غرسه أو بناؤه رجع علىٰ بائع بما غرمه).

قال الخلوتي: أي: غارٌّ كما نص عليه ابن نصر الله، وقواه واستظهره، فتدبر، والأصل للشيخ تقي الدين، ونقله عنه صاحب «الفروع».

فِقْهُ الدَّلِيلِ

وقد عبرتُ بهذا التعبير عن هذه الطريقة في ترتيب الدراسة الفقهية؛ لكونه تعبيرًا شائعًا، وإن كان لا يلزم منه تزكية لهذه الطريق، و«فقه الدليل»، أو «فقه الراجح» هو السمة الكاسحة لِمَا يمكن أن نسميه التفقه السلفي. اعتمدت السَّلفيَّة النظام التيمي في نبذ التقليد، وعمَّق الاتجاه الألباني ذلك المعنىٰ فيها، ويقوم الاشتغال الفقهي السلفي المعاصر علىٰ استعراض المذاهب -المشهورة والواضحة- في (أمهات) المسائل، والنظر لِمَا يقرب من الأدلة عليها، من الكِتَاب والسُّنَّة، وغيرها من الأدلة، ولكن في مرتبة ثانية، وربما ثالثة، ثم يقدّم الفقيه -والتسمية باعتبار الاشتغال بالفقه- السلفي القول الراجح، بحيثية أنه أقرب إلىٰ الدليل. ويعتمد إجراء فنيًّا متشابها في الغالب، يعتمد علىٰ تضعيف دليل المخالف ثبوتيًا، وهذا غالبًا ما يكون في الأدلة الحديثية، والاستدلال بدليل حديثي آخر، لم يورده المخالف، باعتباره فات المخالف، أو لم يطلع عليه، أو لم يعمل به لسبب غير جدير بالاعتبار، ومن ثَمَّ يجب المصير إلىٰ الدليل الجديد باعتباره نصًّا يرفع الخلاف في تلك المسألة. ولا يجري في غالب الأحوال اعتبار لأدلة أخرىٰ أقل وضوحًا بالنسبة للسَّلفي، كدلالة مركبة لإجماع، أو قياس، أو نوع من التفقه في معنىٰ الحديث عن طريق المفاهيم أو دلالات الألفاظ، أو حجية العمل المتعلقة به، ويعتبر ذلك مقابلة للحديث بالرأي، أو دليلًا ضعيفًا ينبغي إهماله والخضوع للحديث، موظفًا في سبيل ذلك عدة نصوصية من كلام السلف، ولاسيما أهل الحديث، أكثرها أورده الألباني في مقدمته المنهجيَّة المهمة المشار إليها لكتاب صفة الصلاة.

فقه الدليل، أو فقه الراجح، هو حالة مستنسخة من مشروع ابن تيمية الاجتهادي، مع افتقار ضخم، يصل إلىٰ حدِّ الانعدام في بعض الموضوعات؛ للعدة المعرفية والآلة الاجتهادية التيمية.

ومن زاوية أخرىٰ، هناك محاولة لاستبدال الفقه المذهبي بهذا النوع من الفقه التلفيقي؛ ولكن الإشكال أن تلك المحاولات راج لديها دعاوىٰ التقليديين، وصار في دعواها نوع من غلق الاجتهاد فعليًّا، ونوع من النشوة الذاتية والرضا عن الاشتغال بالكتب والمتون الفقهيَّة التي لا يفهمها أغلب السَّلفيِّين، دون أن ينتج

ذلك الاشتغال إلا مناوشات حول تفضيلات نسبية في مسائل المذهب، والمعتمد منها، دون تفعيل لتلك الآلة الفقهيَّة في المسائل المستجدة، أو حتىٰ تنمية الملكة الفقهيَّة في بحوث الخلاف العالي المقارن. فصار ذلك النوع من التفقه، بالإضافة لاستجلابه مضار التقليد العام القديمة؛ ضربًا من المعايرة لأصحاب فقه الدليل، دون نتيجة علمية حقيقية في مجال الاشتغال الفقهي.

وبما أنَّ فقه الدليل يقوم في الغالب علىٰ اعتبار أنَّ الدليل هو الحديث؛ فإن لكتب أدلة الأحكام: «**العمدة**»، **وشروحه**، و«**بلوغ المرام**»، **وشرحه** «**سبل السلام**»، و«**منتقىٰ الأخبار**»، **وشرحه** «**نيل الأوطار**»؛ أهمية كبيرة في الاشتغال الفقهي السلفي. فتقام حولهم الدروس، وتعتبر اختيارات الصنعاني والشوكاني، إلَّا ما فيه بعض المؤثرات الزيدية؛ أقوالًا رائجة في الدرس الفقهي السلفي. ويستغنىٰ بها في كثير من الأحيان عن كتب الفقه في التدريس الفقهي.

من زوايا النظر الأخرىٰ المتعلقة بفقه الدليل؛ ملاحظة الاعتماد الكبير، والكلي في كثير من الأحيان، علىٰ (الحديث) في البحث الفقهي، حتىٰ وإن استلزم ذلك بعض الأحيان إهمال دلالة القرآن علىٰ الأحكام الشرعية، ومن ثَمَّ قلة الاهتمام بآيات الأحكام بخلاف الحال مع أحاديث الأحكام، بحيث تقدم دلالة حديث، بمجرد صحته الظاهرية، ولو كان في دلالة القرآن ما يرجح عليه معنويًا، باعتبار أن هذا الحديث كاف لتخصيص النص أو تقييده، أو تفسيره، فضلًا عن: وهذا هو المقصود أصالة في ذلك المقام، إهمال كافة الأدلة الشرعية الأخرىٰ، التي ينبغي أن يشغلها الفقيه في الحديث، ولا يكتفي بمجرد صحته. حتىٰ إنَّ ابن عثيمين قد لاحظ هذه الآفة في الاشتغال الفقهي لبعض السَّلفيِّين: «ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا علىٰ أيدي العلماء نجد أن عندهم من الزلات شيئًا كثيرًا؛ لأنَّهم صاروا ينظرون بنظر أقل ممَّا ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلًا «**صحيح البخاري**»، فيذهبون إلىٰ ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام، ومخصص، ومطلق، ومقيد، وشيء منسوخ، لكنَّهم لا يهتدون إلىٰ ذلك، فيحصل بهذا ضلال كبير»[1].

(١) انظر: «**مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين**»، (٢٦/ ٧٢، ٧٣).

وهذا في حالة ثبوت الحديث في نفس الأمر، إلَّا أنَّ هذا يتعدىٰ في كثير من الأحيان إلىٰ الاكتفاء بمجرد الصحة الظاهرية الإسنادية له، دون الاعتبار بدرجة الصحة نفسها، وهل هي كافية للقيام بالفرع المبحوث فيه، وهل العمل القديم دال علىٰ اعتبار هذا الحديث أصلًا، أو اعتباره في الدلالة والشغل الفقهي علىٰ هذا الموضوع. فكثيرًا ما نرىٰ أبحاثًا سلفية فقهيَّة تقيم البحث في نتيجته النهائية، علىٰ لفظة من حديث مصحح بالشواهد، وهذه اللفظة في طريق من طرقه. لقد أشار شيخ الإسلام إلىٰ ذلك الأمر، وعدّه من الغلو في الاحتجاج بالحديث: «والناس في هذا الباب طرفان: طرف من أهل الكلام ونحوهم ممَّن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله، لا يميز بين الصحيح والضعيف، فيشك في صحة أحاديث أو في القطع بها مع كونها معلومة مقطوعًا بها عند أهل العلم به. وطرف ممَّن يدعي اتباع الحديث والعمل به كلما وجد لفظًا في حديث قد رواه ثقة أو رأىٰ حديثًا بإسناد ظاهره الصحة يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته، حتىٰ إذا عارض الصحيح المعروف أخذ يتكلف له التأويلات الباردة، أو يجعله دليلًا له في مسائل العلم. مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون أن مثل هذا غلط»[1]، ومن المعروف أنَّ ابن تيمية نفسه، في اشتغاله الفقهي، كثيرًا ما ردّ أحاديث، هي أقوىٰ ممَّا يستدل به كثير من السَّلفيِّين علىٰ مسائلهم، ومنها أحاديث في الصحيحين قد أعلها الشيخ، بمعارضة ما هو أقوىٰ منها، أو رجح كونها شاذة أو معلولة، بأدلة شرعية أعم منها، وأقوىٰ حجية.

والواقع أنَّ الاعتراض الأساسي علىٰ هذه الطريقة لا يرجع للرؤية الكامنة فيها، فالرؤية التي تستبطنها هذه الطريقة هي الدعوة إلىٰ الاستقلال في تحقيق ما هو الحق لدىٰ المجتهد في الفروع والأحكام دون تقيد في ذلك بمذهب فقهي معين سواء في الدراسة أو الترجيح.

والاعتراض ليس علىٰ هذه الرؤية، ولا يعترض عليها إلَّا الداعين للزوم مذهب من المذاهب الفقهية، وعدم الخروج عليه، أو عدم الخروج عن الأربعة، ولست أقول بأحد هذين القولين.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية، (١٣/ ٣٥٣).

وإنَّما يرجع الاعتراض علىٰ هذه الطريقة إلىٰ أربعة أمور:

الأول: أنَّ أصحابها كان يسعهم البدء في تصور مسائل الفقه وتصور أقوال العلماء فيها وفق مذهب من المذاهب، وهذا يعني الاستفادة من التراكم المعرفي الكبير الذي بنته المذاهب، كما أنَّه يعين علىٰ تربية ملكة التفقه وتدقيق المسائل وتفريعها، لكنَّهم عوضًا عن ذلك يشتغلون علىٰ ترتيب في التفقه فيه نقص كبير وفقد لمزايا كثيرة في كتب المذاهب.

الثاني: أنَّ كثيرًا منهم لم يبنوا طريق اجتهاد تحقيقي تشعر فيه بأنَّنا ازددنا من الفقهاء المحققين، وإنَّما صار حاصل أبنيتهم الفقهية أنَّها تقليد لبعض المتأخرين والمعاصرين، أو علىٰ حد قول البعض: صاروا شوكانيين أو ألبانيين.

الثالث: أنَّ بعضهم في طريق تفقههم اعتمدوا ما عليه تقعيدات وتأصيلات الأصوليين المتوسطين والمتأخرين، فصارت تنتهي به إلىٰ فقه رياضي لم ينسج الفقهاء المعتبرون فقههم علىٰ وفقه قطُّ.

وهذه الطريقة تُؤدِّي إلىٰ الاعتماد التام علىٰ المدونة الأُصوليَّة الكلامية، وقواعدها في تفسير النصوص، ومحاولة إنتاج فقه يرتكز علىٰ التطبيق الرياضي لهذه القواعد علىٰ النصوص.

والحقيقة: إنَّ معظم هذه القواعد الأُصوليَّة كُتب بتجريد ذهني، ونظر عقلي(١)، وكتب عقب استقرار معظم المذاهب الفقهيَّة، ولا يمكن ادعاء كون الفقهاء من الأئمة الأربعة ومن عاصرهم وسبقهم بنوا فقههم علىٰ تلك القواعد كلها ولا أنهم بنوا فقههم علىٰ استعمال رياضي لها = إلَّا بنوع من الادعاء الفارغ عن الحجة.

ولذلك؛ يكثر في ترجيحات هؤلاء آراء وأقوال لم يقل بها إلَّا القلة والندرة، وغالبًا تراهم حتىٰ لم يحققوا القول فيها من حيث قالت تلك القلة، وهي خلاف ما عليه غالب الفقهاء قولًا وعملًا، وما ذلك إلَّا لكون هذه القواعد وتطبيقها الرياضي لم يكن لها هذا الحضور قط، ولا يمكن لمنهج معرفي يريد تحقيق ما كان عليه السَّلف أن يبني نظامه الفقهي علىٰ هذا المرتكز الأصولي.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية، (٢٠/ ٤٠٢)، و(٣١/ ١٠٨).

الرابع: اعتماد ظواهر الأدلة وشذرات من آثار الصحابة، والجرأة علىٰ مخالفة المذاهب الفقهيَّة، المتتابعة منذ الصحابة، وبصورة متكررة تكاد تكون نهجًا، ولاحظ أنَّه في الوقت الذي يبنون فيه القول المخالف للجماهير علىٰ أثر أو أثرين، يغفلون عن دلالة شيوع القول الفقهي الذي يخالفونه، في الطبقات الفقهيَّة المتتالية، وما قد يكون معه من انتشار القول والعمل، علىٰ نحو قد لا تقوىٰ تلك الآثار علىٰ مقاومته.

* **المرحلة الأولى**:

* **يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية**:

(١) «**الدرر البهية**»، للشوكاني، طبعة دار العاصمة.

ومن شروحها:

١ - «**الدراري المضية**»، للشوكاني طبعة دار الآثار.

٢ - «**الروضة الندية**»، لصديق حسن خان طبعة دار الكوثر.

(٢) «**الوجيز في الفقه**»، للشيخ عبد العظيم بدوي.

(٣) «**فقه السنة الميسر**»، للشيخ عبد الله المطلق، نشر دار إشبيليا.

(٤) «**بداية المتفقه**»، للشيخ وحيد عبد السلام بالي.

وله شرحان لتلميذيْن من تلاميذ الشيخ، الأول نشر دار ابن عمر، والثاني نشر دار ابن رجب.

وهذا الكتاب الأخير هو ما أرشحه مع الاستعانة بالشرحين، والسبب في ذلك أنَّ فيه بعض مزايا الكتب المذهبية، مع كون شروحه تعتني عناية ظاهرة بالتدليل.

* **المرحلة الثانية**:

* **يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية**:

(١) «**فقه السنة**»، للشيخ سيد سابق، نشر دار الفتح للإعلام العربي.

(٢) «**تمام المنة**»، للشيخ عادل العزازي، نشر دار العقيدة.

(٣) «**صحيح فقه السنة**»، لأبي مالك كمال سالم نشر المكتبة التوفيقية.

(٤) «**الموسوعة الفقهية الميسرة**»، لحسين العوايشة، نشر دار ابن حزم.

(٥) «**فقه الكتاب والسنة**»، محمد صبحي حسن حلاق، نشر دار ابن حزم.

* **المرحلة الثالثة:**

* **يدرس فيها الطالب كتابًا واحدًا:**

(١) «**نيل الأوطار، وشرح منتقىٰ الأخبار**»، للشوكاني، نشر دار ابن الجوزي.

(٢) «**بداية المجتهد**»، ابن رشد الحفيد، نشر: دار ابن حزم.

قائمة المطالعة:

(١) «**سبل السلام**»، للصنعاني، نشر دار ابن الجوزي.

(٢) «**بداية المجتهد**»، لابن رشد، نشر مكتبة ابن تيمية.

(٣) «**التمهيد**»، لابن عبد البر، طبعة دار الفاروق.

(٤) «**فتح الباري**»، لابن حجر العسقلاني، نشر دار طيبة.

(٥) «**فتح الباري**»، لابن رحب الحنبلي، طبعة دار ابن الجوزي.

(٦) «**عمدة القاري**»، للبدر العيني.

(٧) «**شرح صحيح البخاري**»، لابن بطَّال، طبعة مكتبة الرشد.

(٨) «**شرح صحيح مسلم**»، للنووي، نشر دار ابن رجب أو مؤسسة قرطبة.

(٩) «**إكمال المعلم**»، للقاضي عياض، طبعة دار الوفاء.

(١٠) «**جامع أحكام النساء**»، لمصطفىٰ العدوي، نشر دار ابن عفان.

(١١) «**المصنفات الفقهية**» للشيخ الألباني، والشيخ عبد العزيز الطريفي، والشيخ عمرو عبد المنعم سليم.

(١٨)

عِلْمُ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ

مقاصد الشريعة هي المعاني الملحوظة في أحكام الشريعة، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني أحكامًا جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع في هدف واحد هو تقرير عبودية الله، ومصلحة الإنسان في الدارين.

وعلم مقاصد الشريعة: هو العلم بالمعاني الملحوظة في أحكام الشريعة وما يترتب علىٰ تلك المعاني من أحكام ومصالح ومآلات ومقاصد يُستفاد منها في معرفة أحكام الشريعة.

وترتيب دراسة هذا العلم يكون علىٰ النحو التالي:

المرحلة الأولى:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «**المختصر الوجيز في مقاصد التشريع**»، للدكتور عوض بن محمد القرني، نشر دار الأندلس الخضراء.

(٢) «**مقاصد الشريعة**»، نور الدين الخادمي، نشر: كنوز إشبيليا.

المرحلة الثانية:

يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتابين التاليين:

(١) «**مقاصد الشريعة**»، للدكتور مسعود اليوبي، نشر دار ابن الجوزي.

(٢) «**مقاصد الشريعة الإسلامية**»، للدكتور زياد محمد أحميدان، نشر مؤسسة الرسالة.

المرحلة الثالثة:

يُطالع فيها الطالب الكتب التالية:

(١) «**تكوين ملكة المقاصد**»، يوسف حميتو، مركز نماء للبحوث والدراسات.

(٢) «**مدخل تأسيسي في الفكر المقاصدي**»، عبد الرحمن العضراوي، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات.

(٣) «**إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة**»، عراك الشلال، مركز نماء للبحوث والدراسات.

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) «**مقاصد الشريعة**»، محمد الطاهر بن عاشور تحقيق محمد الميساوي. دار البصائر.

(٢) «**مقاصد الشريعة**»، علال الفارسي.

(٣) «**مقاصد الشريعة عند ابن تيمية**»، يوسف أحمد البدوي، دار النفائس.

(٤) «**قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي**»، عبد الرحمن الكيلاني. دار الفكر بدمشق.

(٥) «**مقاصد الشريعة عند الإمام الشاطبي**»، أحمد الريسوني، دار الكلمة.

(٦) «**الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي**»، مجدي عاشور دار البحوث والدراسات بدبي.

(٧) «**طرق الكشف عن مقاصد الشارع**»، نعمان جغيم. دار النفائس.

(٨) «**اعتبار المآلات، ومراعاة نتائج التصرفات**»، عبد الرحمن السنوسي دار ابن الجوزي.

(٩) «**الاجتهاد المقاصدي**»، نور الدين الخادمي، مكتبة الرشد.

(١٩)

عِلْمُ الْقَوَاعِدِ الْفِقْهِيَّةِ

تعريفه: هو العلم الذي يُبحث فيه عن القضايا الفقهية الكلية، التي جزئياتها فقهية كلية، من حيث معناها وما له صلة بها، ومن حيث بيان أركانها وشروطها، ومصدرها، وحجيتها، ونشأتها وتطورها، وما تطبق عليه من الجزئيات، وما يستثنىٰ منها[1].

*** المرحلة الأولى:**

*** يدرس فيها الطالب واحدًا من الكتب التالية:**

(١) «منظومة القواعد الفقهية»، لأنور الفضفري بشرحه عليها. وهي منظومة رائعة وهي ترشيحي الأساسي في هذه المرحلة.

(٢) «منظومة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي»، نشر دار أضواء السلف، بتحقيق أشرف عبد المقصود.

*** وهذه قائمة بشروحها المهمة:**

(١) شرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر دار التوعية الإسلامية بمصر، وهناك طبعة أخرىٰ لدار الحرمين بمصر، وأخرىٰ لدار البصيرة بمصر.

(٢) شرح الشيخ صالح بن محمد الأسمري، نشر دار الصميعي.

(٣) وللشيخ أحمد القعيمي شرح موسع عليها طالعته مخطوطًا، وأرجو لو صدر أن يغني عن بقية شروحها، وسيكون مهمًا جدًّا للمتفقه على مذهب الحنابلة.

(٣) «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة»، نشر مكتبة الرشد، بالشرح الصوتي للشيخ أحمد الحازمي.

وله ثلاثة شروح أخرىٰ:

(١) شرح الشيخ خالد المشيقح، نشر دار ابن حزم.

(٢) شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ونشرته مكتبة السنة.

(٣) شرح الشيخ عبد المحسن الزامل، نشر دار أطلس الخضراء.

---

(١) **«القواعد الفقهية»**، ليعقوب الباحسين، (ص/ ٢٥٦).

* **المرحلة الثانية:**

* **يدرس الطالب واحدًا من الكتب التالية:**

(١) «الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية»، للدكتور محمد صدقي البورنو، نشر مؤسسة الرسالة. **وهذا الكتاب هو ما أرشحه.**

(٢) «الوجيز في القواعد الفقهية»، للدكتور عبد الكريم زيدان، نشر مؤسسة الرسالة.

(٣) «القواعد الفقهية»، للشيخ علي الندوي، نشر دار الفكر بدمشق.

(٤) «القواعد الفقهية»، للشيخ أحمد الزرقا، نشر دار الفكر بدمشق، وينبغي أن يعتني به الطالب الحنفي.

* **المرحلة الثالثة:**

* **يدرس فيها الطالب كتابين:**

(١) «الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية»، لأبي بكر بن أبي قاسم الأهدل:

وقد شرحها عبد الله بن سليمان الجرهزي، شرحًا اسماه **«المواهب السَّنية»**، وقد نشره المكتب الإسلامي ببيروت.

وللشيخ محمد ياسين الفاداني رحمه الله حاشية جليلة علىٰ هذا الشرح أسماها **«الفوائد الجلية»**، وقد حقَّق الجميع الشيخ رمزي سعد الدين دمشقية. نشر دار البشائر بيروت، والمنظومة مهمة للطالب الشافعي، أما الطالب المالكي فيعتني إضافة إلى ما سبق ذكره في منهج الفقه المالكي، بكتاب: **«اليواقيت الثمينة»** للسلجماسي.

(٢) «المدخل الفقهي العام»، للشيخ مصطفىٰ بن أحمد الزرقا، نشر دار الفكر بدمشق.

* **المرحلة الرابعة:**

وهي مرحلة التأهل للتخصص، وتكون مطالعة الطالب فيها وَفقًا لمرحلتين:

الأولىٰ: جرد كتب القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر علىٰ اختلاف مذاهبهم، وليستعن بكتاب الندوي الآنف ذكره، وبكتاب **«القواعد الفقهية»**، للدكتور/ يعقوب

الباحسين، نشر مكتبة الرشد وهو مهم جدًّا.

الثانية: مطالعة البحوث العلمية والمميزة في هذا الباب وهذه قائمة بها:

(١) «**موسوعة القواعد الفقهية**»، محمد صدقي البورنو، مؤسسة الرسالة وابن حزم.

(٢) «**موسوعة القواعد الفقهية في المعاملات المالية**»، للدكتور/ علي أحمد الندوي، منشورات مصرف الراجحي.

(٣) «**القواعد الفقهية الخمس الكبرىٰ والقواعد المندرجة تحتها**»، جمع ودراسة من مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، إسماعيل بن حسن، دار ابن الجوزي.

(٤) «**القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين لابن القيم**»، عبد المجيد جمعة، دار ابن عفان.

(٥) «**القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب المدونة الكبرىٰ**»، أحسن زقور، دار ابن حزم.

(٦) «**القواعد الفقهية من خلال كتاب المغني لابن قدامة**»، عبد الواحد الإدريسي، ابن عفان.

(٧) «**مقاصد المكلفين**»، عمر سليمان الأشقر، دار ابن حزم.

(٨) «**قاعدة الأمور بمقاصدها**»، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

(٩) «**قاعدة اليقين لا يزول بالشك**»، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

(١٠) «**قاعدة العادة محكمة**»، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

(١١) «**العرف والعادة في رأي الفقهاء**»، أحمد فتحي أبو سنة، دار البصائر.

(١٢) «**العرف حجته وأثره في فقه المعاملات المالية عند الحنابلة**»، عادل عبد القادر قوته، المكتبة المكية.

(١٣) «**قاعدة المشقة تجلب اليسر**»، صالح سليمان اليوسف، المطابع الأهلية للأوفست.

(١٤) «**القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير**»، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

(١٥) «**رفع الحرج في الشريعة الإسلامية**»، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

(١٦) «**عموم البلوىٰ**»، مسلم بن محمد الدوسري، مكتبة الرشد.

(١٧) «**الضرر في الفقه الإسلامي**»، أحمد موافي، دار ابن عفان.

(١٨) «**الفعل الضار والتعويض عن الضرر فيه**»، مصطفىٰ الزرقا، دار الفكر بدمشق.

(١٩) «**نظرية الضرورة الشرعية**»، وهبة الزحيلي، دار الفكر بدمشق.

(٢٠) «**قاعدة إعمال الكلام أولىٰ من إهماله**»، محمود المرقوشي، المؤسسة الجامعية ببيروت.

(٢٠)

عِلْمُ التَّارِيخِ

أَوَّلًا: التَّعْرِيفُ بِعِلْمِ التَّارِيخِ

علم التاريخ من العلوم التي يزهد فيها طلبة العلم، ومن يطلبها منهم لا يأتيها من وجهها، أو يقصر في تتبع وجوهها فيقتصر منها علىٰ باب دون باب. وسنحاول في هذا الفصل استفياء وجوه النظر في طريق التدرج العلمي في هذا العلم، **لكن نبدأ أولًا بالتعريف به**:

* **مُصطلحُ التاريخِ والتطوراتِ الَّتي لحقت به**[١]:

في اللغة: تعريف الوقت، وتاريخ الشيء وقته وغايته، والتاريخ أيضًا علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية. **وحقيقته كما قال ابن خلدون**: «إنَّه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم علىٰ بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»[٢].

وقد مرَّت كلمة التاريخ بتطورات عديدة، فقد بدأت بمعنىٰ التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، واحتفظت بهذا المعنىٰ لفترة، ثم صارت بمعنىٰ آخر وهو تسجيل الأحداث علىٰ أساس الزمن، لتحل كلمة «التاريخ» تدريجيًا محلَّ ما كان، وصارت تطلق علىٰ عملية التدوين التاريخي، وعلىٰ حفظ الأخبار، بشكل متسلسل، متصل الزمن والموضوع، للدلالة علىٰ هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الإخبارية، منذ منتصف القرن الثاني الهجري.

---

(١) مستفاد من كتاب: «المنظر الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب»، د/ سالم أحمد محل.

(٢) «مقدمة ابن خلدون»، (ص/ ٥٧).

* وأصبحت كلمة «تاريخ»، تحمل خمسة معانٍ في العربية:

(١) **سير الزمن والأحداث**، أي: التطور التاريخي، كالتاريخ الإسلامي، وتاريخ اليونان، والتاريخ السوماري بالعراق.

(٢) **تاريخ الرجال** أو السير الشخصية.

(٣) **عملية التدوين التاريخي**، أو التأريخ، مع وصف لعملية التطور وتحليله.

(٤) **علم التاريخ والمعرفة به**، وكتب التاريخ.

(٥) **تحديد زمن الواقعة أو الحادثة**، باليوم والشهر والسنة.

ويُعرِّف الكافيجي التاريخ بأنَّه: «تعيين الوقت لينسب إليه زمان مطلقًا، سواء كان قد مضىٰ أو كان حاضرًا أو سيأتي . . .»، ثم يعطي الكافيجي بُعدًا حضاريًّا للتاريخ ضمن استطراده لتعريف التاريخ، **فيقول**: «وقيل: التاريخ تعريف الوقت، بإسناده إلىٰ أول حدوث أمر شائع، كظهور ملة، أو وقوع حادثة هائلة، من طوفان أو زلزلة عظيمة».

وعرفه السخاوي أنَّه: «تحديد وقائع الزمن من حيث التعيين والتوقيت»[(١)].

ولا يُعرف بالضبط متىٰ دخلت هذه الكلمة اللغة العربية؛ إذ إنَّها لم ترد في الشعر الجاهلي، أو في القرآن الكريم، أو في الحديث الشريف، ويبدو أنَّها استعملت لأول مرة في أخبار نشأة التقويم الهجري، ويرجح الباحثون المعاصرون أنَّها من أصل سامي، سرياني أو أكادي، أو من لغة عرب الجنوب، فكلمة ورخ، وأرخ، وأرخو، كلمات تعني عند عرب الجنوب، وفي السريانية، والأكادية: القمر، أو الشهر، ومن هنا، كان التأريخ هو «التوقيت بالقمر»، أو بتعبير آخر، بالشهر الذي يمثل دورة القمر، وبالليلة من الشهر، عن طريق تتبع هذه الدورة، ثم انتقل هذا المعنىٰ للدلالة علىٰ الليلة، والشهر، في الوثائق، ولم تلبث الكلمة أن اكتسبت معنىٰ «الكتابة التاريخية»[(٢)].

---

(١) «**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**»، للسخاوي، (ص/ ١٧)، ويُنظر: «**أبجد العلوم**»، (ص/ ٣١٥).

(٢) يُنظر: «فتح الباري»، (٧/ ٢٦٨).

وقد رسخت بهذا المضمون في القرن الثاني الهجري، ويظهر أنَّها قد أخذت دلالتها هذه من كتب التاريخ الأولىٰ، التي كانت تحوي تحديدًا زمنيًا معينًا، في تراجم الأشخاص، وسني ولادتهم ووفاتهم.

ثَانِيًا: مَنْهَجُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

* **أولًا: دراسة العقيدة بطريقة المتون:**

المتون في السيرة النبوية تتنوع بين المنظوم والمنثور، وأشهر المنظوم منظومتان:

(١) «**الأرجوزة الميئية في سيرة خير البرية**»، لها نسخة مضبوطة علىٰ الشبكة العنكبوتية ضبطها الأخ أبو مالك العوضي وقد شرحها الشيخ عبد الرزاق البدر.

(٢) «**ألفية العراقي في السيرة النبوية**»، نشر دار المنهاج بجدة.

أما المنثور فأكثر من ذلك ومنه:

(١) «**جوامع السيرة**»، لابن حزم، بتحقيق إحسان عباس.

(٢) «**الفصول في سيرة الرسول ﷺ**»، لابن كثير بتحقيق سليم الهلالي، نشر دار غراس.

(٣) «**السيرة**»، لابن سيد الناس، نشر دار المنهاج جدة.

(٤) «**السيرة**»، للنووي، بتحقيق خالد الشايع.

(٥) «**الخلاصة البهية في السيرة النبوية**»، لوحيد عبد السلام بالي، نشر دار ابن رجب.

* **ثانيًا: الكتب المدرسية:**

وأشهرها:

(١) «**الرحيق المختوم**»، للمباركفوري، وكل طبعاته متقاربة.

(٢) «**السيرة النبوية الصحيحة**»، لأكرم العمري، نشر مكتبة العبيكان.

(٣) «**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**»، لمهدي رزق الله، نشر دار إمام الدعوة.

(٤) «**مختصر سيرة ابن هشام**»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٥) «**تهذيب سيرة ابن هشام**»، لعبد السلام هارون.

والذي أختاره في منهج دراسة السيرة النبوية هو الالتزام بالخطوات التالية:

(١) قراءة كتاب: «**المستفاد من قصص الأنبياء في القرآن**»، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.

(٢) قراءة كتاب: «**السيرة النبوية**»، محمد الصوياني، نشر مكتبة العبيكان.

(٣) ضبط «**الأرجوزة الميئية**»، أو «**الخلاصة البهية**»، لوحيد بالي.

(٤) دراسة كتاب «**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**»، مهدي رزق الله، نشر دار إمام الدعوة.

(٥) قراءة كتاب: «**اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون**»، موسىٰ العازمي، دار الصميعي.

(٦) قراءة: «**مصادر دراسة السيرة النبوية**»، لمحمد يسري سلامة، نشر دار الجبرتي.

* **ثم الاطلاع على:**

(١) «**الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام**»، للسهيلي، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل، ونشر مكتبة ابن تيمية، ويحتاج لتحقيق جديد.

(٣) «**زاد المعاد**»، لابن القيم، نشر مؤسسة الرسالة.

(٤) «**قصص الأنبياء**»، لابن كثير، طبعة دار ابن خزيمة.

ثَالِثًا: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ

* يقرأ الطالب أولًا ثلاثة كتب:

(١) «**المدخل إلىٰ التاريخ الإسلامي**»، أحمد محمود وخالد فهمي، نشر مركز تراث.

(٢) كتاب: «**التاريخ الإسلامي الوجيز**»، محمد سهيل طقوش، نشر دار النفائس بيروت، ويكرر الطالب قراءته مرتين أو ثلاثة.

(٣) «**تاريخ المجتمعات الإسلامية**»، أيرا م. لابيدس، دار الكتاب العربي بيروت.

* ويقرأ بالتوازي معه:

(١) «**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**»، محمد أمحزون، نشر دار السلام.

(٢) «**الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية**»، حامد الخليفة، نشر دار القلم دمشق.

ويستمع الطالب لمحاضرات الدكتور أحمد يوسف الدعيج في التاريخ.

ثم يقرأ الطالب سلسلة التاريخ الإسلامي تأليف محمد سهيل طقوش، ونشر دار النفائس بيروت، وهي أفضل السلاسل التاريخية الموجودة حاليًّا، مع ملاحظة أنَّه لا توجد سلسلة تاريخية مأمونة تمامًا من جهة التوثيق والتثبت التاريخي.

رابعًا: أُصُولُ التَّارِيخِ وَنَشْأَتُهُ وَتَدْوِينُهُ

* وأرى أن يقرأ فيها الطالب فيها:

(١) «**تأريخ التاريخ**»، وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات: الدوحة.

(٢) «**منهج كتابة التاريخ الإسلامي**»، لمحمد صامل السلمي، نشر دار ابن الجوزي.

(٣) «**مصطلح التاريخ**»، أسد رستم، مركز تراث.

(٤) «**منهج المحدثين في النقد**»، عبد الرحمن السلمي، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت.

(٥) «**المسلمون وكتابة التاريخ**»، لعبد العليم خضر، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٦) «**نشأة علم التاريخ عند العرب**»، لعبد العزيز الدوري. نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

(٧) «**الإعلان بالتوبيخ**»، للسخاوي، نشر مؤسسة الرسالة.

(٨) «**التاريخ والمؤرخون**»، شاكر مصطفىٰ، دار العلم للملايين بيروت.

(٩) «**فلسفة التاريخ**»، عبد الحليم مهورباشة، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت.

خامسًا: الْحَضَارَةُ

* وأرى أن يقرأ الطالب فيها:

(١) «**مدخل إلىٰ الحضارة الإسلامية**»، عماد الدين خليل، نشر: الدار العربية للعلوم.

(٢) «**النظم الإسلامية**»، صبحي الصالح، دار العلم للملايين.

(٣) «**التراتيب الإدارية**»، الكتاني، دار البشائر.

(٤) «**نشأة الكليات**»، جورج مقدسي، مدارات للنشر والتوزيع.

(٥) «**فجر الإسلام وضحاه وظهره**»، لأحمد أمين، نشر دار النهضة العربية.

(٦) «**حضارة العرب**»، لجوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر.

(٧) «**أوراق في التاريخ والحضارة**»، لعبد العزيز الدوري، نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

(٨) «**الفكر العربي في عصر النهضة**»، ألبرت حوراني، دار نوفل.

قَائِمَةُ الْقِرَاءَةِ

(١) **«تاريخ الطبري»**، نشر دار المعارف.

(٢) **«الكامل»**، ابن الأثير، دار صادر.

(٣) **«البداية والنهاية»**، نشر دار هجر أو دار ابن كثير.

(٤) **«سير أعلام النبلاء»**، نشر مؤسسة الرسالة.

(٥) **«وفيات الأعيان»**، ابن خلكان، دار صادر.

(٦) **«معجم الأدباء»**، ياقوت الحموي، دار صادر.

(٧) **«الدرر السنية في طبقات الحنفية»**، دار هجر.

(٨) **«طبقات الشافعية الكبرىٰ»**، السبكي، دار هجر.

(٩) **«طبقات الحنابلة»**، أبو يعلىٰ، مكتبة العبيكان.

(١٠) **«ذيل طبقات الحنابلة»**، ابن رجب، مكتبة العبيكان.

(١١) **«تاريخ الجبرتي»**، نشر دار الكتب المصرية.

(١٢) **«التاريخ الإسلامي»**، لمحمود شاكر السوري، المكتب الإسلامي، وهو مرجع مُركز في التاريخ المعاصر للدول العربية.

(١٣) **«التاريخ والمؤرخون»**، شاكر مصطفىٰ، دار العلم للملايين.

(١٤) **«موسوعة الحركات الإسلامية»**، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢١)

عِلْمُ الْـمَخْطُوطَاتِ وَالتُّـرَاثِ الْعَرَبِيِّ

وهذا علم يأتيه من الناس من غير الباب الذي يُؤتىٰ منه العلم، وإنَّما يأتونه بمجرد خبرات متلقاة أشتاتًا لا يجمعها نهج علمي.

وإنِّي أنصح من أراد الاشتغال بنشر الكتب المخطوطة أو ما يتصل بهذا الباب أن يلتحق بالخطة الدراسية التي يقيمها معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

* وفروع هذا العلم:

(١) تاريخ المخطوط العربي.

(٢) صناعة المخطوط.

(٣) التوثيق والتقييم.

(٤) الحفظ والصيانة والترميم والتصوير.

(٥) الفهرسة والضبط البيليوجرافي.

(٦) التحقيق والنشر.

وانظر عرضًا لتفاصيلها في الكتاب الرائد: «**نحو علم مخطوط عربي**»، لأستاذنا وبَلَدِينا الدكتور/ عبد الستار الحلوجي، نشر دار القاهرة.

وسأذكر في هذا العلم قائمة قراءة تغطي جانب الصنعة في هذا العلم، ولا غنى عن قراءتها جميعًا:

(١) «**تحقيق النصوص ونشرها**»، لعبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي.

(٢) «**تحقيق النصوص**»، لرمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي.

(٣) «**الوافي في أسس وخطوات تحقيق ونشر المخطوطات**»، لعبد الله الحوثي، نشر وزارة الثقافة بصنعاء في مجلدين جامعين.

(٤) «**مدخل لتاريخ نشر التراث العربي**»، لمحمود الطناحي، نشر مكتبة الخانجي.

(٥) «**المخطوط العربي**»، لعبد الستار الحلوجي، نشر الدار المصرية اللبنانية.

(٦) «**الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**»، لأيمن فؤاد سيد.

(٧) «**فهرسة المخطوطات العربية**»، لعابد المشوخي، نشر مكتبة المنار.

(٨) «**قبس من عطاء المخطوط المغربي**»، لمحمد المنوني، نشر دار الغرب الإسلامي.

(٢٢)

الدِّرَاسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

أولًا: مفهوم الدراسات الفكرية

الفكرُ في تحليلي لمفهومِه هو ضربٌ من البحث في الصلة بين الواقع الثقافي والمنهج؛ من حيث الرؤية والمعايير وضروب الإصلاح والموائمة التي تجعل الواقع الثقافي منضبطًا بمعايير المنهج، والواقعُ الثقافيُّ هو مظاهرُ ممارسات الناس الفردية والجماعية المتعلقة بالدين والقيم والعادات والآداب والفنون والسياسات في زمان أو مكان معينين؛ وعلىٰ هذا فالدراساتُ الفكريةُ هي الدراساتُ التي تعتني بمحاولة صياغة رؤية للواقع الثقافي، تصورًا وحكمًا وتغييرًا، من خلال منهج معين، فيُستعمل المنهج لقراءة الظواهر وتحليلها واستخراج المفاهيم والقضايا المتعلقة بها، ثم لصناعة النماذج التي يتم علىٰ أساسِها التعاملُ مع الواقع وقضاياه والمفاهيم المتعلقة به.

وباختلاف المناهج التي يتم بها محاكمة الواقع وظواهره وقضاياه = يتم تصنيفُ الدراسات الفكرية ومنطلقاتها المرجعية.

وفي الممارسة الفكرية الإسلامية انفصلت الدراساتُ الفكريةُ عن الجسد العقدي والفقهي التقليدي؛ نتيجة لزيادة التحدي الموجه للرؤية الإسلامية التي تعالج الواقع وقضاياه علىٰ أساس الوحي؛ وذلك بهجوم ثقافة علمانية ذات مرجعية غير إسلامية تريد معالجةَ الواقع وقضاياه معالجةً تنزع عنها مرجعية الوحي وسلطته.

وكان العاملُ الأساسيُّ في ازدياد التحدي هو اقتران الدراسات الفكرية ذات المرجعية غير الإسلامية بقوة غالبة احتلت أراضي المسلمين وسيطرت عليها بقوتها العسكرية وقرنت هذه السيطرة العسكرية بمحاولة بسط السيطرة الثقافية؛ بحيث يتم استبدالُ الثقافة الغربية ومرجعيتها الكلية المعلمنة وتياراتها الفكرية ومذاهبها

ومدارسها بالثقافة الإسلامية ومرجعيتها الكلية المتمثلة في الوحي ومدارس تفسيره والتفقه فيه ومعالجة الواقع وقضاياه علىٰ أساسه.

وهنا حصل الانفصالُ لفرع معرفي اصطُلح علىٰ تسميتِه بالفكر الإسلامي، وهو فرع معرفي يحاول معالجة الواقع المعاصر وقضاياه وتحدياته وإشكالياته الحضارية والثقافية والمجتمعية والسياسية علىٰ أساس ما يقتضيه الوحي وَفق مناهج تفسير هذا الوحي واستخراج الأحكام منه، مع الاستفادة في قراءة الواقع وظواهره وتحليلها من العلوم الإنسانية/ الاجتماعية والتطور الحاصل فيها في القرنين الأخيرين.

فالفكر الإسلامي بهذا يتقاطع مع الفلسفة وباقي العلوم الإنسانية في مناطق صناعة المفاهيم والنماذج وأدوات قراءة الظواهر وسبل تصور المذاهب الفكرية الوضعية، ومع علم الكلام في مناطق التأريخ للمذاهب الدينية ورد الشبه الكلامية والفلسفية التي توجه للإسلام ومع الفقه في مناطق تكييف وتغيير الممارسات المجتمعية الفردية والجماعية الثقافية والإصلاحية والدعوية بما يجعلها أكثرَ استقامةً مع المنهج.

ومعنىٰ تقاطعه أن الفكرَ يكون صورةً من البحث الفلسفي والدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية والسياسية في نشاطات/ مراحل معينة منه، ويكون صورةً من علم الكلام في نشاطات/ مراحل معينة منه، ويكون صورةً من علم الفقه في نشاطات/ مراحل معينة منه، وقد يكون البحثُ الفكريُّ في قضيةٍ ما مزيجًا من هذا كلِّه، وكلُّ هذا بحسب التعريفات الصناعية للفلسفة والكلام والفقه، وإلا فلو تركنا هذه التعريفات الصناعية = سنجد أن الفكرَ هو ضربٌ من ضروب الفقه بمعناه العام، وتركه لقطاعات من الفلسفة والكلام والفقه هو الذي يميِّزه عن تلك الأبواب، فيترك من الفلسفة والكلام ما ليس له صلة بالواقع المعين، ويترك من الفقه أحكامَ الأفعال الجزئية وكلَّ ما ليس له صلة بصياغة الرؤىٰ الكلية للظواهر الثقافية الضرورية للإصلاح والتغيير؛ ليأخذ منه أصولَه وكلياتِ قواعدِه وما لا بُدَّ منه من الجزئيات لفهمِ الواقع وتغييره.

فالفكرُ المنطلقُ من الرؤيةِ الإسلاميةِ إذًا هو بابٌ من أبواب العلم والفقه، بل هو

من شريفِ العلم والفقه؛ لعنايته بالمفاهيم والتصورات وإصلاح الواقع ونشر الحق وإبطال التصورات المغلوطة وكشف العلاقة بين الدين الحق وبين المذاهب والتصورات الشرقية والغربية، وبيان صلاحية هذا الدين لتأطير واقع الناس وإيجاد حلول لمشاكلهم أحيانًا، وإيجاد منطلقات وأطر عامة لحلِّ هذه المشاكل أحيانًا أخرىٰ.

ثَانِيًا: مَجَالَاتُ الدِّرَاسَاتِ الْفِكْرِيَّةِ

بقطع النظر عن المرجعية والمنهج المعرفي المعين الذي تنطلق منه الدراسةُ الفكريةُ؛ هل هو إسلامي أم غير إسلامي = يكون للدراسات الفكرية ثلاثةُ أبوابٍ رئيسيةٍ تشتغل عليها، وتشكِّل مجالات الدراسات الفكرية:

أولها: تحرير المنهج والبنية النظرية ومقومات تصور هذا المنهج للإله والإنسان والعالم، وسياسته المنهجية في النظر المعرفي في جزئيات القضايا وطريقته في التغيير والإصلاح.

الثاني: تصور واقع الناس والأشياء وظواهره الاجتماعية والسياسية والثقافية، والمفاهيم والأفكار المنتشرة بينهم والمؤثرة فيهم، وتصور تأريخ الناس والمفاهيم والأفكار الثقافية التي كانت سائدة بينهم وعلاقة هذه المفاهيم والأفكار بالحق وعلاقتها بالمفاهيم والأفكار والظواهر السائدة حاليًا.

الثالث: الاشتغال علىٰ إيجاد رؤىٰ معيارية، وإبداع طرائق وسياسات إصلاحية نظرية وعملية تنطلق من المنهج إلىٰ الواقع والظواهر؛ لتوضح ما ينبغي أن يكون، بعد أن أحسنت فهمَ وقراءةَ ما هو كائن، وهذه المرحلةُ يقترنُ فيها البناءُ بالممارسة النقدية التي تشتغل علىٰ نقد المناهج المختلفة معها ونقد واقع الناس والأشياء في الوقت نفسه، وطرح البدائل النظرية والعملية.

ثَالِثًا: أَهَمِّيَّةُ الْعِنَايَةِ بِالدِّرَاسَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

يُمكننا التأريخُ للدراسات الفكرية بطلائعها الأولىٰ التي تمثلت في كتابات رواد جيل النهضة كـ(**الطهطاوي، وخير الدين التونسي، والأفغاني، ومحمد عبده**)، والجيل الذي تلاهم من العلماء كـ(**مصطفىٰ صبري، ورشيد رضا**)، أو الكتاب والأدباء كـ(**الكواكبي، والرافعي، وشكيب أرسلان**)، وهي حزمةُ الكتابات التي اعتنت بأسئلة النهضة والإصلاح، ومناقشة ما يورده الغربيون من شُبَهٍ وطعونٍ علىٰ الإسلام.

في الفترة من الأربعينات للستينات تواصلت الكتابات الفكرية علىٰ يد أعلام هذه المرحلة، مثل: (**محمد الغزالي، ومحمد محمد حسين، وأنور الجندي، وسيد قطب**).

وفي نهاية الستينات، وعلىٰ يد نخبة من دول عربية عدة استقبلتهم المملكة العربية السعودية، تم إدخالُ مادة الثقافة الإسلامية لمعظم كليات الجامعات السعودية، ومادة المذاهب الفكرية المعاصرة لقسم العقيدة بجامعة أم القرىٰ؛ ليشهد هذا المجالُ تطورَه الأهم، ولتنتج أقسام العقيدة والثقافة الإسلامية بتلك الجامعات آلاف الطلاب ومئات الدراسات البحثية في المجالات الفكرية، وذلك بالتوازي مع عناية مماثلة بدراسات الفكر الإسلامي صدرت عن أقسام الفلسفة والدعوة بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، وكذلك قسم الفلسفة بكلية دار العلوم بالقاهرة.

هذا الاشتغال الطويل علىٰ مدىٰ مائة وخمسين عامًا هو أحد دلائل أهمية مجال الدراسات الفكرية؛ لأنه يدل علىٰ تحدٍّ حقيقيٍّ قام هذا الاشتغال كاستجابة له؛

فالدراسات الفكرية صارت مجالًا من أكثر المجالات الشرعية اتصافًا بالجدة والمعاصرة والمواكبة للإشكالات الآنية التي تواجهها ثقافةُ المجتمعات المسلمة.

ولعلنا نوافق جزئيًّا علىٰ تعريف الدراسات الفكرية بأنَّها نوع من الكلام الجديد؛ بمعنىٰ أنَّها علم كلام، لكنه لم يقصد به الاتجاهات العقدية التراثية المنحرفة أو الملل والأديان القديمة، وإنما قصد به الفلسفات والأفكار الوضعية التي بزغت في العصر الحديث؛ عصر الثقافة الغربية الغالبة؛ وبالتالي يَعرض لها ما يَعرض لعلم الكلام من توظيف لمناهج وأدوات محمودة أو مذمومة، ويَعرض لها أيضًا ما يَعرض لأبواب الجدل والكلام عند السلف من ذم إن اشتغل بها من ليس أهلًا لها، أو اتسع الاشتغال بها حتىٰ طغىٰ علىٰ تقرير الحق والدين ونشر الوحي، سواء كان هذا الطغيانُ باعتبار الواقع، أو باعتبار حال الشخص الذي يتصدىٰ لهذا الباب.

فنحن وإن كنا نقول: إنَّ الدراسات الفقهية ضرب من الفقه؛ إلَّا أنَّنا نعني بذلك: أصالة شطرها البنائي، أمَّا شرطُها النقديُّ الجدليُّ؛ فهو ضربٌ من الجدل، له حظٌّ من اسم الفقه؛ إلَّا أنَّه ينبغي أن يُجود المشتغل به أدواته وموازين تفعيله وشروط القيام به.

رَابِعًا: الْأَدَوَاتُ الضَّرُورِيَّةُ لِلْمُشْتَغِلِ بِالدِّرَاسَاتِ الْفِكْرِيَّةِ

الدراساتُ الفكريةُ مثلُها مثلُ أيِّ مجالٍ من مجالات العلم والبحث والنظر، بل مثلها مثل معظم الحرف والصناعات = لا يمكن أن يتمكن الإنسانُ منها ويدخل بابها بحقها إلا إذا حصَّل أولًا مجموعة من الأدوات والمهارات والمعارف، **وهذه الأدوات والمهارات والمعارف ترجع إلىٰ ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: الأدوات والمهارات المتعلقة بمنهج النظر وطرائق التفكير المستقيم.

النوع الثاني: الأدوات والمهارات المتعلقة بما هو ضروري للمفكر من العلوم الدينية والتراثية.

النوع الثالث: الأدوات والمهارات المتعلقة بما هو ضروري للمفكر من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وسأشير هنا إشارةً موجزةً إلىٰ كلِّ نوعٍ منها، وموضع ضرورته للمشتغل بالدراسات الفكرية.

النوع الأول: الأدوات والمهارات المتعلقة بمنهج النظر وطرائق التفكير المستقيم.

التفكير الذي يعتمد علىٰ تجويد جمع ما يتعلق بالمسألة، والنظر في أجزاء المسألة جزءًا جزءًا، مع جودة ترتيب المقدمات والنتائج، واختبار ما يتم إيراده من الحجج، والعمق في استقراء أسباب الظواهر، وصولًا إلىٰ تفسيرها مع الحذر من السطحية والتفسيرات الواحدية، ومع فتح النسق وتقدير احتمال الخطأ.

هذا هو التفكيرُ المستقيمُ الذي يقود للعلم ويُنقذ صاحبه من براثن المغالطات

والأوهام، وبمثل هذا التماسك المنهجي أقام الأئمة صروح العلم.

التفكيرُ المستقيمُ هو أحدُ الأدوات المهمة في العلوم عمومًا، وفي الدراسات الفكرية خصوصًا، وسواء في عملية البناء للمنظومات الفكرية أو في عملية هدم ونقد المنظومات الفكرية = لا غنىٰ عن هذه الأداة العظيمة.

ويتصل بهذا الباب أسس منهج تحصيل المعرفة في المجال المعين؛ فإنَّ ثَم أسسًا لتحصيل جنس المعارف لا بُدَّ منها، وهي مشتركة بين أنواع العلوم والمعارف، وهناك مجموعة أخرىٰ من الأسس المنهجية لتحصيل المعرفة تختص بباب معين، وتحديد مصادر ومناهج المعرفة في كلِّ بابٍ من الأبواب التي يشتغل عليها المفكر = لازم أساسي له، وهو ما تعتني بإمداد المفكر بأدواته كتبُ نظريةِ المعرفةِ وفلسفةِ العلومِ.

النوع الثاني: الأدوات والمهارات المتعلقة بما هو ضروري للمفكر من العلوم الدينية والتراثية.

تحصيل العلوم الدينية، والتمكن من الأدوات التراثية هو لبُّ العلمِ كله؛ ويُمكننا أن نرد أهميتَه في الدراسات الفكرية لثلاثة عوامل أساسية:

أولًا: لأنَّ تحصيل العلوم الدينية والتمكن من الأدوات التراثية هو طريقُ تحصيل الحقِّ الذي جاء به النبيُّ ﷺ، وهذا الحقُّ الذي جاء به النبيُّ هو -في حقيقة الأمرِ- الميزانُ الذي تُوزن به جميعُ التصورات والأفكار والآراء والأعمال، وكلُّ خللٍ يقع في تحقيق ما هو الحق أو في تحقيق ما هو الباطل = فلا بُدَّ أن يرجعَ بصورة أساسية للخطأ في ضبط هذا الميزان؛ إذ إنَّه هو معيار الوزن وثابت المحاكمة.

ثانيًا: إنَّ الناظر في كتابات أهل الباطل يجد أنَّ شطرًا عظيمًا منهم يحرص علىٰ التوسل لباطله عن طريق توليد الحجاج له من داخل التراث نفسه، ومحاولة إيجاد جذور له في طرح الفقهاء والمتكلمين والمحدثين، إما عن طريق إحياء بعض المذاهب الباطلة كالاعتزال، وإما عن طريق قراءة الوحي بأدوات العلوم الإنسانية والعبث بدلالته، وإما عن طريق التوسل لقبول بعض مفاهيم الثقافة الغربية بإيجاد مداخل لها في بعض الآراء الشاذة الفقهية.

وهذا النوعُ يكون أخفَىٰ وأشدَّ تلبيسًا من الباطل الذي يأتي صراحًا مكاشفًا في عداوته للتراث الإسلامي، ولا يمكن للباحث في الدراسات الفكرية أن يُقابِلَ هذا الباطلَ وهو مهيض الجناح ضعيف الآلة أعزل من نفس السلاح.

ثالثًا: إنَّ أحدَ أهم مجالات الدراسات الفكرية -كما سبق- هو مجالُ بحث وتحقيق ونقد القراءة الاستشراقية والعلمانية للتراث العربي والعلوم الدينية، ولا يمكن أن يخوض الباحثُ غمارَ هذا المحور من محاور الدراسات الفكرية دون أن يكون متمكنًا من الآلة التراثية.

ومن الأسئلة التي تدور علىٰ الألسنة كثيرًا سؤالُ الموازنة بين الاشتغال بالدراسات الفكرية وبين تحصيل العلم الشرعي. والحقيقة إنَّ هذا السؤال هو أحدُ تجليات الإشكالية التي عرضنا لها من قبل وهي اعتقاد أنَّ الفكر قسيم للعلم وليس قسمًا منه؛ فإنَّنا لو تصورنا أن الدراسات الفكرية هي أحد فروع العلوم الشرعية = سنجد أنَّ هذا السؤال يفقد كثيرًا من مضامينه الإشكالية؛ لأنَّك ستبدأ في التعامل مع الفكر كأي علم من العلوم الشرعية له وزنه النسبي وترتيبه المنطقي في الاشتغال قراءة ودرسًا وبحثًا.

طبيعةُ الفكرِ كأداةِ ربطٍ بين المتغيرات الواقعية وبين المفاهيم الشرعية = تستلزم أن يكون المشتغِلُ به قد حصَّل قدرًا صالحًا من أدوات العلوم التراثية، وهذا القدرُ سيتناسب مع طبيعة اشتغاله الفكري، فالذي سيشتغل فقط بقراءة الكتب والدراسات المحررة في الفكر الإسلامي = يمكنه أن يفعل ذلك بالتوازي مع دراسته للمرحلة الأولىٰ في العلوم الشرعية، أما الذي سينشغل بمطالعة الطرح الفكري العلماني أو التنويري فيحتاج إلىٰ رتبةٍ علميةٍ أعلىٰ، والذي سينشغل بالنقد سيحتاج لرتبة علمية أعلىٰ تصل إلىٰ درجة ضرورة كونه متخصصًا في المجال العلمي الذي سيتصدىٰ لنقد الأطروحات الفكرية المتعلقة به، وهكذا إلىٰ أن نصل إلىٰ أكثر رتبة من رتب الدراسات الفكرية احتياجًا للتمكن من الأدوات التراثية وغيرها؛ أعني رتبةَ بناء منظومة فكرية متكاملة في أحد فروع المعرفة الفكرية أو قضاياها.

إذا تقرر ما تقدم فهذا الفصل من كتابنا ليس معقودًا لبيان أدوات العلوم الدينية التي يحتاجها المفكرُ من حيث أصل التأسيس في العلوم الدينية؛ فهذه وظيفة كتب مناهج الطلب ونحوها، وليست وظيفة هذا الكتاب؛ فنحن في الأصل هاهنا نتعامل مع طالب علم له مسيرته في تعلم العلوم الشرعية، ونريد فقط أن ندله علىٰ ما ينبغي عليه الاعتناء به إن أراد الاشتغال بالدراسات الفكرية قراءةً أو نقدًا أو بناءً.

أقول: إنَّ البناء التأسيسي في العلوم الشرعية كلَّه مهمٌ للدراسات الفكرية، ويتناسب الضروري من العلوم الدينية مع المجال الفكري الذي يريد الدارسُ أن يشتغل به، لكن الغرض هاهنا هو التنبيهُ عن محاور معينة في التأسيس العلمي الديني ينبغي أن يوليها عنايتَه مريدُ الاشتغال بالدراسات الفكرية، وهذه المحاورُ -بصفة عامة- هي التي تتعلق بإبستمولوجيا كل علم من العلوم التراثية؛ أي: ما هي الأسس المنهجية لإنتاج المعرفة في العلم المعين، ثم تاريخ هذا العلم وتطوره وهم مدارس ومناهج البحث والنظر فيه.

النوع الثالث: الأدوات والمهارات المتعلقة بما هو ضروري للمفكر من العلوم الإنسانية والاجتماعية.

إذا كانت العلومُ التراثيةُ الدينيةُ هي طريقَ تحرير النظر في المنهج الذي ستتم بواسطته محاكمة الواقع وظواهره وقضاياه معياريًا = فإن العلومَ الإنسانيةَ هي طريقُ تحرير النظر في هذا الواقع وتبين ظواهره وقضاياه ومسائله توصيفًا وتشخيصًا.

إنَّ علمَ الاجتماع والأنثروبولوجيا من حيث اعتنائهما بالجماعات البشرية، وعلم النفس من حيث عنايته بالشخص الفرد وسلوكه ونوازعه ودوافعه، والتربية كعلم مهم جدًّا في مجالات العمل والإصلاح، وعلم الاقتصاد من حيث عنايته بالظاهرة الاقتصادية، وعلم السياسة من حيث عنايته بالظاهرة السياسية، والأدب كمجال للتعبير الإنساني الإبداعي عن الأفكار والقيم والرغبات، والتاريخ كوعاء للتجربة الإنسانية = كلُّ تلك المجالات العلمية شديدة الصلة بالدراسات الفكرية، عظيمة الفائدة من حيث كونها أدوات للنظر والتأمل، بقطع النظر عمَّا قد يقع فيه من خلل منهجي أو جزئي.

خَامِسًا: تَارِيخُ الْأَفْكَارِ

تاريخُ الأفكارِ هو الأداةُ الأساسيةُ التي تكاد تكون مختصةً بالمفكر؛ فهي أداةٌ له بالدرجة الأساسية، وتكون أداةً لغيره بصورةٍ فرعيةٍ، كما أنَّ أصولَ الفقهِ أداةٌ للفقيهِ بصورةٍ أساسيةٍ، ولغيرِه كالمُحدِّثِ -مثلًا- أو المُفسِّرِ بصورةٍ فرعيةٍ.

ولتحرير المراد بتاريخ الفكر أنقلُ هنا نصًا مؤسسًا لـ(**أرثر لفجوي**) أحد رواد هذا الميدان المعرفي.

يقول لفجوي: «للدراسة تاريخ الفكر، كما أود تحديده، خاصية أخرىٰ: هي أنه يدور خاصة علىٰ وجوه تجلي الوحدات الفكرية المعينة في التفكير العام لجماعات كبرىٰ من الأشخاص، لا علىٰ المذاهب أو الآراء الخاصة بنفر ضئيل من كبار المفكرين أو مشاهير الكتاب وحسب. وهو يعمل علىٰ تقصي آثار ذلك الضرب من العوامل التي عزلتها، بالمعنىٰ البكتريولوجي لهذه اللفظة، في باب المعتقدات والأهواء والعبادات والأذواق والأماني السائدة بين الطبقات المثقفة، ربما طوال جيل كامل أو عدة أجيال. وهو بالاختصار يُعنىٰ خاصة بالفكر التي تحظىٰ برواج واسع وتصبح جزءًا من ذخيرة أذهان كثيرة».

ويقول: «مؤرخ الفكر، علىٰ الرغم من أنه يبحث في معظم الأحيان عن ظهور مفهوم أو افتراض ما أوّل مرة في نظام فلسفي أو ديني، أو في نظرية علمية؛ فهو يبحث عن أدّل تجلياتها في الفن، ولاسيما في الأدب».

وربط **لفجوي** دراسةَ تاريخ الأفكار بتتبع مفهوم معين وأثره وتجلياته، لكن التآليف في تاريخ الأفكار لم تقتصر علىٰ هذا التصور، وإنَّما اعتنت برصدِ «نشاط الإنسان العقلي من حيث تأثيره في وجود الإنسان كله، أو تأثره بهذا الوجود؛ ومِن ثَم فهو لا يتعرض فقط للأفكار المجردة التي تولِّد غيرَها من الآراء المجردة. فهو

لا يتعرض -مثلًا- لتلك النظرية السياسية المجردة التي تعرف بالعقد الاجتماعي كأنَّها ناحية من نواحي التفكير المشروع فحسب، إنَّما هو يعالج حتىٰ أشد الأفكار تجريدًا عندما تتسرب هذه الأفكار إلىٰ الأفراد العاديين وقلوبهم. فهو يفسِّر ما كان يعني العقد الاجتماعي لأولئك الثوار في القرن الثامن عشر الذين قرَّ في نفوسهم أن الحكامَ قد خرقوه».

إنَّ تاريخ الأفكار -فيما نرىٰ- هو البنية التحتية التي لا بُدَّ من دراستها والعناية بها؛ كي يتم بعد ذلك علىٰ أرضيتها القيامُ بالاشتغال علىٰ المجالات الفكرية المختلفة بناءً ونقدًا. وسأحاول في الأجزاء القادمة من هذا الفصل تقديمَ قوائم قراءة وافية في تاريخ الأفكار؛ لأنَّه هو الفرع المعرفي الأول الذي يجب علىٰ المشتغل بالدراسات الفكرية أن يبدأ بالاعتناء به بعد اكتمال قدر معقول من أدواته في العلوم الشرعية والإنسانية، وسنسوق فيما يلي مجالات تاريخ الأفكار التي ينبغي أن يعتني بها طالب العلم المشتغل بالدراسات الفكرية:

أَوَّلًا: تَارِيخُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ

الكتبُ المؤلفةُ بالعربيةِ في هذا المجال تُعدُّ قليلةً جدًّا؛ قياسًا بما يكتبه الغربيون في تاريخ فكرهم أو حتىٰ في تاريخ فكرنا، ومجالُ التأريخ للفكر العربي يُعدُّ من ميادين البحث العلمي المهجورة في العالم العربي كما هو الحال في التأريخ للعلوم، والكتابةُ التي تتسم بالجدة والإبداع في هذا المجال شحيحةٌ جدًّا للأسف.

* تاريخ الفكر العربي القديم:

(١) **سلسة أحمد أمين: «فجر الإسلام»، و«ضحىٰ الإسلام»، و«ظهر الإسلام»**، نشر دار النهضة العربية، القاهرة.

(٢) **«تاريخ الفكر الإسلامي»**: دومينيك أورفوا، دار المشرق، بيروت.

(٣) **«تاريخ المجتمعات الإسلامية»**: أيرا م. لابيدس، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) **«الحياة العربية في الشعر الجاهلي»**: أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.

(٥) **«مذاهب الإسلاميين»**: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت.

(٦) **فلسفة المتكلمين**: هاري ولفنسون، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

(٧) **الإسلام في المغرب الكبير**: الطيب المنصوري، منشورات كلية الآداب، الرباط.

* تاريخ الفكر العربي الحديث:

(١) **«الفكر العربي في عصر النهضة»**: ألبرت حوراني، مكتبة نوفل، بيروت.

(٢) **«أسس التقدم عند مفكري الإسلام»**: فهمي جدعان، الشبكة العربي للأبحاث، بيروت.

(٣) «**الفكر العربي في القرن العشرين**»: شاكر النابلسي، المؤسسة العربية الحديثة للدراسات والنشر، بيروت.

(٤) «**الثقافة العربية في القرن العشرين**»، كتاب جماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(٥) «**واقعنا المعاصر**»، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة.

(٦) «**الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**»، محمد محمد حسين، دار الرسالة.

* تاريخ التيارات والحركات الإسلامية:

(١) «**الحركات الإسلامية في الوطن العربي**»، تأليف جماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(٢) «**الإسلاميون**»، تأليف جماعي، مركز الجزيرة للدراسات[1].

(٣) «**الظاهرة السلفية**»، تأليف جماعي، مركز الجزيرة للدراسات.

(٤) «**السلفية العالمية**»، تأليف جماعي، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت.

(٥) «**اختلاف الإسلاميين**»، أحمد سالم، مركز نماء، بيروت.

(٦) «**ما بعد السلفية**»، أحمد سالم، وعمرو بسيوني، مركز نماء، بيروت.

(٧) «**الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية**»، زكريا سليمان بيومي، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٨) «**زمن الصحوة**»، ستيفان لاكروا، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت.

(٩) «**السلفية في اليمن**»، أحمد الدغشي، مركز الجزيرة للدراسات.

(١٠) «**الحركات السلفية في المغرب**»، عبد الحكيم أبو اللوز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(١١) «**رماح الصحائف - السلفية الألبانية وخصومها**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

---

(١) كتب مركز الجزيرة للدراسات، توزعها: الدار العربية للعلوم: بيروت.

(١٢) «**الحركة الإسلامية في الجزائر**»، فاتن المعاضيدي، دار الانتشار العربي، بيروت.

(١٣) «**السلفية الجهادية**»، أكرم حجازي، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة.

(١٤) «**السلفية الجهادية، دار الإسلام ودار الكفر**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(١٥) «**الفتنة الغائبة، جماعة الجهاد في مصر**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(١٦) «**رائحة البارود، مراجعات الجماعة الإسلامية في مصر**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(١٧) «**الشعائر الدموية، جبهة الإنقاذ الجزائرية من التأسيس إلىٰ النكبة**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(١٨) «**الإسلاميون والعسكر**»، محمد سمراوي، تنوير للنشر والإعلان، القاهرة.

(١٩) «**البروج المشيدة، القاعدة والطريق إلىٰ ١١ سبتمبر**»، لورنس رايت، دار كلمات عربية، القاهرة.

(٢٠) «**القاعدة: الصعود والأفول**»، فواز جرجس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(٢١) «**القاعدة بعد ابن لادن**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(٢٢) «**الجهاد في السعودية**»، توماس هيغهامر، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت.

(٢٣) «**الدعاة الجدد**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(٢٤) «**إسلام السوق**»، باتريك هايني، مركز نماء، بيروت.

(٢٥) «**السلفية الجامية**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

(٢٦) «**الحركات الإسلامية في الأردن**»، كتاب جماعي، مركز المسبار، دبي.

ثَانِيًا: تَارِيخُ الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ

الكتبُ الأساسيةُ في تاريخِ الفكر الغربي سأحاول ترتيبَها بحسب التدرج المقترح في القراءة؛ نظرًا لكثرتها وتفاوت مستوى ترجمتها:

(١) «**دروس في تاريخ الفلسفة**»، يوسف كرم، دار عالم الأدب.

(٢) «**الغرب والعالم**»، كافين رايلي، عالم المعرفة، الكويت.

(٣) «**حكمة الغرب**»، برتراند راسل، عالم المعرفة، الكويت.

(٤) «**تاريخ الفكر الأوروبي الحديث**»، رونالد سترومبورج، دار القارئ العربي، بيروت. والكتاب رغم اقتصاره علىٰ الفكر الغربي منذ القرن السادس عشر؛ إلَّا أنَّه من أفضل كتب تاريخ الفكر الغربي وأكثرها نفعًا للقارئ المتخصص في الدراسات الفكرية وغيره، وحبذا لو كرر الطالب قراءته.

(٥) «**جذور الرومانتيكية**»، إيزيا برلين، دار جداول، بيروت.

(٦) «**قصة الفكر الغربي - أفكار ورجال**»، كرين برنتون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

(٧) «**آلام العقل الغربي**» ريتشارد تارناس، مكتبة العبيكان.

(٨) «**تكوين العقل الحديث**»، جون هرمان راندال، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

(٩) «**عصر الثورة**»، إريك هوبزباوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

(١٠) «**عصر رأس المال**»، إريك هوبزباوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

(١١) «**عصر الإمبراطورية**»، إريك هوبزباوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

(١٢) **«عصر التطرفات الكبرىٰ»**، إريك هوبزباوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

(١٣) **«تطور الفكر السياسي»**، جورج سابين، دار المعارف، القاهرة.

(١٤) **«الفن والمجتمع عبر التاريخ»**، أرنولد هاوزر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

تَرْتِيبٌ دِرَاسِيٌّ مُقْتَـرَحٌ

فِي الدِّرَاسَاتِ الْفِكْرِيَّةِ

بعد ذكر الأدوات السابقة، والتي هي بمثابة قوائم قراءة واطلاع لا بُدَّ أن تصاحب طالب العلم في دراسته لهذا الفرع المعرفي = أشير هنا إلىٰ المقرر الدراسي الأساسي الذي يتبع الطالب خطواته للتكوين العلمي في هذا الفرع:

* المرحلة الأولى:

يقدم عليها الطالب بعد أن ينهي المرحلة الأولى من مراحل الدراسات المنطقية فيقرأ هنا:

(١) «**تكوين المفكر**»، عبد الكريم بكار، دار السلام. (ويكرر الطالب قراءته من حين لآخر).

(٢) «**منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد**»، عثمان حسن، مكتبة الرشد.

(٣) «**العلمانية**»، سفر الحوالي، مكتب الطيب.

(٤) «**حقيقة الليبرالية**»، عبد الرحيم السلمي، مركز تأصيل.

(٥) «**النظريات العلمية الحديثة**»، حسن الأسمري، مركز تأصيل.

(٦) «**ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي**»، سلطان العميري، مركز تكوين.

(٧) «**تاريخ الفكر الأوروبي**»، رونالد سترومبورج.

(٨) «**تاريخ الفكر العربي في عصر النهضة**»، ألبرت حوراني، دار نوفل.

(٩) «**أعلام الفكر الإسلامي**»، أحمد سالم، دار عالم الأدب.

(١٠) «**الإسلاميون**»، بشير نافع، مركز الجزيرة.

(١١) «**اختلاف الإسلاميين**»، أحمد سالم، مركز نماء.

(١٢) «**الثقافة العربية في القرن العشرين**»، كتاب جماعي، نشر: مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.

* المرحلة الثانية:

يستعين الطالب بكتاب أعلام الفكر الإسلامي، ويحاول الاطلاع على أهم المشاريع الفكرية الإسلامية، ويقرأ الطالب على سبيل الخصوص الكتب التالية:

(١) «**الإسلام بين الشرق والغرب**»، علي عزت بيجوفيتش، دار الشروق.

(٢) «**حوارات المسيري**»، نشر دار الفكر.

(٣) «**التوحيد**»، إسماعيل الفاروقي، مدارات للنشر.

(٤) «**تجديد المنهج وتقويم التراث**»، طه عبد الرحمن، نشر المركز الثقافي العربي.

(٥) «**شروط النهضة**»، مالك بن نبي، دار الفكر.

(٦) «**تجديد الفكر الديني**»، محمد إقبال.

(٧) «**معالم علىٰ الطريق**»، سيد قطب، دار الشروق.

(٨) «**واقعنا المعاصر**»، محمد قطب، دار الشروق.

* المرحلة الثالثة:

يستعين الطالب بكتاب أعلام الفكر العربي ويحاول الاطلاع على أهم المشاريع الفكرية للمفكرين غير الإسلاميين خاصة:

(١) محمد عابد الجابري.

(٢) محمد أركون.

(٣) عبد الله العروي.

(٤) حسن حنفي.

(٥) نصر أبو زيد.

(٦) إدوارد سعيد.

(٧) هشام جعيط.

(٨) جورج طرابيشي.

بعد ذلك يستعين الطالب بكتابي: «دليل القراءات الفكرية»؛ ليتوسع ما شاء في هذا الحقل العلمي.

(٢٣)

الضَّرُورِيُّ مِنَ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِطَالِبِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

التَّعْرِيفُ بِالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ

العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي مجموعة من الحقول المعرفية التي تهدف إلىٰ البحث في حياة الإنسان ونشاطاته باستخدام مناهج بحثية ودراسية متنوعة تعمل علىٰ دراسة الخبرات، والأنشطة، والبُنىٰ، والصناعات المرتبطة بالبشر وتفسيرها. وتسعىٰ دراسة العلوم الإنسانية لتوسيع وتنوير معرفة الإنسان بوجوده، وعلاقته بالكائنات والأنظمة الأخرىٰ، والعلوم الإنسانية تتضمن دراسة اللغات القديمة والحديثة؛ الأدب، التاريخ، والفلسفة،والأديان، والفنون البصرية والتعبيرية كالموسيقىٰ والمسرح، والتاريخ، وعلم النفس، والاجتماع، والأنثروبولجي، أو علم الإنسان، وكذلك، الاقتصاد، والجغرافيا، وعلوم الاتصال، والثقافات، والقانون، واللسانيات.

فالعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية هي مجموعة من العلوم النظرية التي انفصلت كعلوم مستقلة بداية من القرن التاسع عشر، وكانت قبلها توجد كشذرات وفصول داخل علوم أخرىٰ، وبعضها كان يوجد مستقلًا، وأهم العلوم الإنسانية والاجتماعية التي نقصدها هنا: علم الاجتماع وعلم النفس والتربية واللسانيات والاقتصاد والسياسة.

والمعرفة عند التيارات الإسلاميَّة بصفة أساسيَّة هي المعرفة الدينية، مثل علوم التفسير والحديث والفقه والعقيدة/ الكلام، مع أسسها الإبستمولوجيَّة مثل أصول التفسير وعلوم القرآن، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والنحو والصرف والبلاغة.

وإذا كانت العلومُ التراثيةُ الدينيةُ هي طريقَ تحرير النظر في المنهج الذي ستتم بواسطته محاكمة الواقع وظواهره وقضاياه معياريًا = فإن العلومَ الإنسانيةَ هي طريقُ

تحرير النظر في هذا الواقع وتبين ظواهره وقضاياه ومسائله توصيفًا وتشخيصًا = فإن علمَ الاجتماع والأنثروبولوجيا من حيث اعتنائهما بالجماعات البشرية، وعلم النفس من حيث عنايته بالشخص الفرد وسلوكه ونوازعه ودوافعه، والتربية كعلم مهم جدًّا في مجالات العمل والإصلاح، وعلم الاقتصاد من حيث عنايته بالظاهرة الاقتصاديَّة، وعلم السياسة من حيث عنايته بالظاهرة السياسيَّة، والأدب كمجال للتعبير الإنساني الإبداعي عن الأفكار والقيم والرغبات، والتاريخ كوعاء للتجربة الإنسانية = كلٌّ تلك المجالات العلمية شديدة الصلة بالدراسات الشرعية، عظيمة الفائدة من حيث كونها أدوات للنظر والتأمل، بقطع النظر عمَّا قد يقع فيه من خلل منهجي أو جزئي.

يمكن القول: إن العلوم الإنسانية تقوم من معرفة الواقع وفهم الظواهر بنفس الوظيفة التي تقوم بها، علوم الآلة التراثية من معرف مراد الشارع وفهم نصوصه.

والواقع يشهد بأن مجالات العلوم الإنسانية وإمكانات تفعيلها سواء لفهم الواقع أو لخدمة العلوم الدينية = تُعد من أبرز وجوه الاشتغال العلمي المهجورة عندنا.

وأريد هنا أن أعالج قضية مهمة من أجل توازن النظر في هذا الباب، وهي أننا وإن كنا ندعو للاعتناء بالاشتغال المعرفي بالعلوم الإنسانية، وأن يشارك الإسلاميون عمومًا والسَّلفيُّون خصوصًا فيه = فنحن ندعو لنوعين من الاشتغال:

أولًا: أن يكون منهم نخب تتخصص في هذه العلوم.

ثانيًا: أن يشتغل المتخصصون بالعلوم الدينية بالقدر الضروري من العلوم الإنسانية.

ففهم الوحي وتفسيره وتحصيل أمثل ما يمكن من السعي لمعرفة الدين الأول الذي بعث به محمد ﷺ = هذا هو عمل الفقيه.

ونحن نؤكد كثيرًا علىٰ حاجة الفقيه لأدوات كثيرة من أجل هذا، سواء كانت أدوات تتعلق بالعلوم التراثية أو تتعلق بالعلوم الإنسانية أو حتىٰ تتعلق بالعلوم التطبيقية والبحتة، بحسب تنوع واختلاف درجات الاحتياج وإمكانات التحصيل.

لكن الشيء الذي نحتاج إلىٰ بيانه هنا: ضرورة أن يحسن الفقيه اختيار الجزء الذي يكفيه، وأن يعرف متىٰ يتوقف عن التوغل في هذا (الهايبر ماركت) الثقافي المتاح أمامه.

أنت لا تطلب من النحو ما تصير به نحويًا بل ما يعينك فحسب علىٰ تفسير النصوص.

أنت دخلت الفلسفة فقيهًا يريد أن يتمم شيئًا معينًا = لا تُضع الطريق من يدك وتتحول إلىٰ فيلسوف مشغول بنزاع هابرماس ودريدا وتصالحهما.

لدينا مثالان على التحصيل الثقافي الواعي:

الأول: شيخ الإسلام ابن تيمية.

فأنت تلاحظ فرقًا هائلًا بين دخوله في الفلسفة ودخول الأشاعرة والمعتزلة (لا نقصد من حيث الهداية والضلال)، وإنَّما من حيث جودة تعيين المراد، فقد استغرقت الفلسفة المعتزلة والأشاعرة حتىٰ صاروا -خاصة المعتزلة- يقيمون النزاع والبحث فيما هو من خصائص النزاع الفلسفي اليوناني والهيلنيستي بعد أن كان أول دخولهم بقصد الدفاع عن الدين ومجادلة أهل الكتاب والملحدين.

أمَّا ابن تيمية = فلا تكاد ترىٰ لديه بحثًا فلسفيًّا لا يتصل بتفسير الوحي، وتحرير ما هو الحق في الدين.

المثال الثاني: عبد الوهاب المسيري.

الرجل بالفعل ليس فيلسوفًا، وهو يعي هذا جيدًا ويقصده، وهو أحسن اختيار طريق الوصل بين الأدب والنقد وبين تاريخ الأفكار؛ بحيث يمده هذان الفرعان بأدوات مشروعه المعرفي، ولم يستغرقه الدخول الفلسفي المحض الذي يحاول قراءة فلسفة كانط (مثلًا) من حيث هي، وإنَّما نظر في القدر الضروري منها لفهم حركة الفكر في التاريخ وأثره في الإنسان.

وجودة تحديد المشروع والغاية والغرض، وجودة اختيار القدر المناسب والضروري من الأدوات لخدمة المشروع = هذا هو ما يحول بين الفقيه وبين فقدان البوصلة في طريق سيره إلىٰ معرفة ما أنزل الله علىٰ نبيه.

وبالتالي؛ فلسنا ندعو الاتجاهات السَّلفيَّة والإسلاميَّة إلىٰ استغراق زائد علىٰ ضرورة ما يحتاجونه في التحديات التي نصبوا أنفسهم لها.

فكلُّ قضية تَوقفَ الحكمُ الشرعي فيها علىٰ العلم بمقدمات من علوم غير دينية؛ كالطب، أو السياسة، أو الاقتصاد، أو الاجتماع = فإن من أفتىٰ فيها وهو جاهلٌ بتلك المقدمات، أو ناقصُ العلم بها؛ كانت فتواه حرامًا، وكان متصدرًا لِمَا لا يحسن، واضعًا نفسه في منزلة فوق منزلته.

ومثله كمثل من غَرَّه علمه بهذه المقدمات من العلوم الدنيوية، وكان جاهلًا بطرائق بناء الحكم الشرعي عليها.

وإنَّ **أعظم القول في الدين ضررًا**: ما كان عن علم ناقص، لا هو علم معدوم فيتورع صاحبه تورع الجاهل، ولا هو علم يكفي للنظر؛ فتكون معه -رحمة الله- بالمجتهدين وإن أخطؤوا.

وأعظم العمل للدين ضررًا: ما كان عن قدرة لا تُجزئ؛ لا هي معدومة فيقنع صاحبها بعجزه، ولا هي كافية مجزئة فيحصل الفعل بها علىٰ وجهه الذي يرضاه الله ويعذر صاحبه.

أَوَّلًا: الْفَلْسَفَةُ

الفلسفة هي أم العلوم الإنسانية، وظلت إلىٰ القرن الثامن عشر تحمل وحدها راية الكلام في الأخلاق والوجود والمعرفة والعلوم الطبيعية وما يتعلق بالإنسان ومشكلاته الفردية والمجتمعية، ثم بدأ كل ذلك يتناسل منها حتىٰ صارت الفلسفة تخوض معركة وجود وبحث عن وظيفة.

لكن تظل الفلسفة، سواء من جهة عملها في التاريخ أو من جهة وجودها في الواقع الحالي، أحد أهم المكونات لثقافة العصر، ومن هنا كان الاطلاع علىٰ طرف منها مهمًا لطالب الثقافة المتكاملة، وسأحاول في السطور القادمة بيان شيء من مفاتيح الاطلاع علىٰ الدرس الفلسفي.

(١)

يمكن النظر إلى الفلسفة والاشتغال بالدرس الفلسفي من ثلاث زوايا:

الزاوية الأولىٰ: أنَّها استقلال الإنسان بعملية البحث عن أسئلة المعرفة والوجود والأخلاق، بحيث لا يأخذ أجوبته من الوحي، والفلسفة حينها تكون مقابلة للنبوة ويكون الفيلسوف مقابلًا للنبي ومقابلًا أيضًا لمن يجعل الوحي مصدرًا للمعرفة كالفقيه والمتكلم، والحقيقة أنَّ هذا هو المعنىٰ التقني للفلسفة، وكل فلسفة جعلت الوحي بصورته المرجعية الملزمة مكونًا لها فحقيقتها أنَّها كلام وليست فلسفة.

والاعتناء بالدرس الفلسفي - إذا نظرنا للفلسفة من هذه الزاوية - سيكون غرضه الخاص بالإضافة للأغراض العامة للثقافة المتكاملة: هو البصيرة بأصناف الباطل المتشعبة في العلوم والأديان.

فإنَّ الفلسفة هي الميدان الأساسي لإنتاج الأفكار التي يراد لها أن تناوئ مفاهيم الوحي، وهي حين تعجز عن المناوءة أو حين يقبلها من لا يبغي بها المناوءة = فإنَّها تختلط بمفاهيم الوحي وتحرف شيئًا منها عن مراد الله منه، ولا يعود الفقيه بالوحي يبصر مفاهيم الدين الأول وحالتها التي كانت عليها قبل أن تحل بها المفاهيم الفلسفية، ومن لم يفقه الباطل = دخل حماه غافلًا في إزار من الحق مشتبه.

الزاوية الثانية: النظر إلىٰ الفلسفة من حيث احتواؤها علىٰ آلة لإنشاء المفاهيم وصياغة الأفكار ونحت الاستدلالات، سواء بمكوناتها المنطقية أو من جهة النظر للدرس الفلسفي باعتباره تدريبًا علىٰ عملية التفكر العقلاني المنظم.

ويمكن الانتفاع حينها بالدراسة الفلسفية من هذه الناحية خاصة مع انتشار عيوب التفكير والاستدلال في الناس، لكن ممَّا تجدر الإشارة إليه هاهنا: أنَّ هذا الغرض يمكن تحصيله من غير طريق القراءة الفلسفية الموسعة؛ حيث يمكن الاكتفاء فيه بالكتب الخاصة بالمنطق والتفكير والحجاج، بالإضافة للاشتغال بعلم أصول الفقه في صورته التراثية.

الزاوية الثالثة: النظر للفلسفة من حيث يؤدي الاشتغال بها إلىٰ البحث عن إجابات الوحي عن الأسئلة التي تثيرها الفلسفة، وهو ما يسميه سلطان العميري: «**المخزون الفلسفي في الإسلام**»، وبالتالي تستعمل الفلسفة هاهنا كمثير خارجي لفتح آفاق الذهن للتنقيب عن أبواب من الوحي والدين، لم يكن لِيُنتبه لها الباحث لولا مناوءة الباطل الفلسفي لها.

وتبقىٰ الإشارة أنَّ كل هذه الغايات الحسنة للدرس الفلسفي ينبغي أن توزن بخطر الدرس الفلسفي وما يمكن أن تؤدي إليه من مضلات عن الدين الأول، خاصة مع ضعف العلم بالوحي، وفقر المعرفة بالمخزون التراثي، وهو نفس الطريق الذي ضل منه أذكياء المتكلمين الإسلاميين، ولا يمكن الاتكاء هاهنا علىٰ محاولة تأجيل الاطلاع علىٰ الدرس الفلسفي لحين التمكن من الآلة التراثية إلَّا لمن كان معزولًا عن نوافذ الشبهات، والأفضل لعموم المشتغلين بالثقافة هو الاطلاع المتوازي مع أناة النفس عن العجلة للسكون للآراء والأقوال، ومفتاح

ذلك أن يكون طالب الثقافة في بنائه لمنهجه في التفكير ذا أناة وصبر، وألَّا يتعجل وأن ينتظر اكتمال منهجه في التفكير وأدواته في النظر، وإلىٰ أن يستوي هذا المنهج ينبغي عليه ألَّا يستعجل الاقتناع بالأفكار، وأن يقف منها دائمًا موقف القاضي الذي يؤجل القضية لمزيد من الاطلاع.

والحقيقة أنَّه لا يوجد حل سحري لهذه الإشكالية؛ فإنَّ بعض من ضل من المتكلمين كان عنده من العلم بالدين ما يفوق الرتبة التي يمكن أن يأذن بها المتحفظ لدارس الفلسفة، والمسألة تعتمد بدرجة كبيرة علىٰ هداية الله للإنسان وعلىٰ مدىٰ امتلاء قلبه بالإيمان والفقه بالوحي والدين الأول، وعلىٰ مدىٰ أناته وصبره وعدم عجلته للتسليم بالآراء التي تعرض عليه، وعلىٰ سياساته في التعامل مع الشبهات؛ هل يتشربها؟ أم يبقيها عنده في برزخ لا يبغي ما فيه علىٰ قلبه فيفسده؟

لذلك فإنَّ الاطلاع علىٰ شيء يسير من الدرس الفلسفي يكفي طالب الثقافة المتكاملة، ولتتوازىٰ إرادته التوسع مع توسعه في أبواب التفسير والحديث وكلام فقهاء أهل السنة وعلمائهم، وليسأل الله الهداية والتوفيق والسلامة من الفتن.

ولم يعد منهج الحمية التامة والعزلة يصلح للمشتغلين بالعلم والدعوة والمنغمسين في الشأن العام؛ إذ إنَّ الضلالة لم تعد تكتفي بالسكون داخل صفحات الكتب؛ بل صارت تطل عليك من نوافذ شتىٰ، فلم نعد نتكلم عن جرثومة في طعام يسهل الانتهاء عنه، وإنما صرنا نتكلم عن هواء ملوث يعسر التوقي منه.

لذلك يبقىٰ الحل الأقرب للفعالية هو أن يضطلع الباحثون المتقنون من أهل السنة بالكتابة النقدية في الدرس الفلسفي؛ بحيث تحصل مصلحة الاطلاع علىٰ تفاصيل هذا الدرس في إطار من المقد المبرز لأخطائه وضلالاته.

وقد تجاوزت هاهنا مناقشة الأقوال التي يوردها بعضهم يحذر فيها من العلوم الفلسفية وينهى عن النظر فيها بإطلاق؛ فإنَّ هذا النهي يصلح في حالتين:

الأولىٰ: قوة السنة وانقماع الضلالة وانحسارها كما كان ذلك في أول الإسلام.

الثاني: أن يكون ذلك خطابًا للعامة وأشباههم.

أمَّا طلبة العلم والمشتغلون بالشأن العام وأهل الاطلاع الثقافي من المسلمين =

فإنَّ نهيهم عن هذا ضعيف الجدوىٰ قليل الأثر، كما أنَّه يشبه الاستغناء عن الجهاز المناعي بالحجر الصحي؛ فإنَّ الحجر لا يدوم ولا يمكن أن يدوم، وإنَّه معرض للزوال في أي لحظة، ثم هو حين يزول يدع هذا الذي حجرت عليه عاري المناعة أمام جحافل الضلالات تغزوه ولا يستطيع لها دفعًا.

يقول شيخ الإسلام: «**ونحن -ولله الحمد- قد تبيَّن لنا بيانًا لا يحتمل النقيض فساد الحجج المعروفة للفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم التي يعارضون بها كتاب الله، وعلمنا بالعقل الصريح فساد أعظم ما يعتمدون عليه من ذلك وهذا -ولله الحمد- ممَّا زادنا الله به هدىً وإيمانًا؛ فإنَّ فساد المعارض ممَّا يؤيد معرفة الحق ويقويه، وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق، ويروىٰ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه قال: «إنَّما تُنقض عُرىٰ الإسلام عروة عروة: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية». وهذا حال كثير ممَّن نشأ في عافية الإسلام وما عرف ما يعارضه ليتبين له فساده؛ فإنَّه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين**».

قلت: وهذا حسن جدًّا، وجدير أن يلتفت له أهل الحق، مع إقرارنا بخطره، ولكن هذا الباب من جنس الجهاد، ولو كان الجهاد يترك لخطره وعوارضه = لما رفعت راية الحق.

أمَّا الطريق؛ فقد أشرت إليه من قبل أن يسير هذا بتوازٍ مع الاشتغال التراثي والاطلاع علىٰ الوحي وتفسيره وكتابات أهل السنة، مع حض المتقنين من الباحثين علىٰ الكتابات النقدية في الدرس الفلسفي، وقد ذر قرن هذا النوع من الكتابات بالفعل فيما يكتبه أخونا سلطان العميري، وبعض كتابات الطيب بوعزة، ومن قبله طه عبدالرحمن، وعبد الوهاب المسيري، مع وجود مواطن اختلاف بين ما يكتبونه وما نريده.

وأمَّا الكفاية، فهي بقدر الحاجة؛ فلا يدخل الإنسان هذا الطريق فقيهًا ليخرج منه فيلسوفًا، وعليه فإن كثيرًا من مضامين الدرس الفلسفي لا حاجة لها ولا للتوسع فيها.

(٢)

من الإشكالات المعروفة في الدرس الفلسفي، هل يقام علىٰ درس تاريخ الفلسفة عبر تطوره التاريخي واستعراض مذاهب الفلاسفة في كل عصر؟ أم يقام علىٰ بحث القضايا الفلسفية باستعراض مذاهب الفلاسفة في نظرية المعرفة، ونظرية الوجود، وفلسفات الأخلاق والسياسة والفن والجمال؟

والذي أراه كمفتاح للثقافة المتكاملة هو الجمع بين الطريقتين، بقراءة كتاب في تاريخ الفلسفة، وبعده كتاب في الفلسفة وقضاياها.

*** فترشيحي لطالب العلم في هذا هو أن يقرأ الطالب الكتب التالية:**

(١) «**دروس في تاريخ الفلسفة**»، يوسف كرم، نشر دار عالم الأدب.

(٢) «**المدخل إلىٰ الفلسفة**»، أُزفلِد كُولپه، نشر دار عالم الأدب.

(٣) «**مشاكل الفلسفة**»، برتراند راسل، نشر دار عالم الأدب.

(٤) «**أسس الفلسفة**»، توفيق الطويل، دار النهضة العربية.

(٥) «**تاريخ الفلسفة**»، يوسف كرم، ثلاثة أجزاء، نشر دار عالم الأدب.

عِلْمُ الاجْتِمَاعِ

علم الاجتماع هو أبو العلوم الاجتماعية، وهو أهم العلوم الإنسانية، وأكثرها التصاقًا بالحياة وواقعها وتغيراتها.

أول من استخدم هذا المصطلح هو الفيلسوف الوضعي أوجست كومت (١٧٩٨-١٨٥٧م)، وذلك في (عام ١٨٣٩م) بدلًا عمَّا كان يسميه الفيزياء الاجتماعية، وعرفه بأنَّه علم دراسة الظاهرة الاجتماعية، أي: دراسة الظواهر الاجتماعية بنفس الموضوعية والصرامة والمنهجية التي تتسم بها العلوم الطبيعية. وبالرغم من تعدد التعاريف لعلم الاجتماع عبر مساره؛ إلَّا أنَّها تدور علىٰ هذا المعنىٰ: دراسة المجتمع الإنساني دراسة علمية.

ويعرفه أنطوني غيدنز بقوله: «العلم الذي يدرس الجماعات والمجتمعات البشرية».

نشأ علم الاجتماع إبان التغيرات الاجتماعية التي خلفتها الثورة الفرنسية والثورة الصناعية في أوروبا، وكان الغرض منه فهم ظروف هذه التغيرات والآثار المترتبة عليها، من ظهور للرأسمالية والانقسامات الطبقية للمجتمع، والتغيرات الأسرية.

ويُمكننا أن نقول إنَّ العوامل التي أنتجت في خاتمة مسار تفاعلها نشأة هذا العلم تتلخص في:

أولًا: تحرر العقل الغربي من سلطة الكنيسة، وانطلاق التفكير العقلي بعيدًا عن قيود اللاهوت المسيحي والبحوث الإسكولائية.

ثانيًا: الحراك الفكري الذي أحدثه فلاسفة التنوير.

ثالثًا: الكشوف الجغرافية والثورات السياسية والصناعية في أوروبا وما أنتجه

كل ذلك من تغير في بنية المجتمع الأوروبي وظهور الدولة القومية الحديثة واضمحلال الإقطاع وازدهار الصناعة والتجارة وبزوغ الإمبريالية.

رابعًا: التقدم الذي شهدته العلوم الطبيعية، بحيث أوحىٰ تقدمها بإمكان فهم الظواهر الاجتماعية الجديدة، وتفسيرها والتنبؤ بمسارها وفق قوانين من جنس قوانين الظواهر الطبيعية.

لما كان علم الاجتماع يروم دراسة المجتمع في كليته فقد تعددت المجالات التي يتناولها بالدراسة ومن ثم تعددت فروعه ومجالات درسه داخل علم الاجتماع العام، **وأهم هذه المجالات**:

(١) علم الاجتماع السياسي.

(٢) علم اجتماع الثقافة.

(٣) علم الاجتماع الديني.

(٤) علم الاجتماع المعرفي.

(٥) علم الاجتماع الاقتصادي.

(٦) علم الاجتماع الصناعي.

(٧) علم الاجتماع العائلي.

(٨) علم اجتماع الريف والحضر.

(٩) علم اجتماع الجسد.

(١٠) علم اجتماع الجريمة.

أمَّا عن أهم الموضوعات التي يدرسها علم الاجتماع داخل هذه المجالات، **فيمكننا أن نشير إلىٰ مجموعة منها فيما يلي**:

(١) الثقافة والمجتمع والعولمة.

(٢) التفاعل الاجتماعي والحياة اليومية.

(٣) الجنوسة.

(٤) الجريمة والانحراف.

(٥) العرق والإثنية.

(٦) الطبقات الاجتماعية.

(٧) الفقر والرفاه.

(٨) المنظمات الحديثة.

(٩) الحكم والسياسة والسلطة.

(١٠) وسائل الإعلام والاتصالات.

(١١) التربية والتعليم.

(١٢) الدين.

(١٣) المدن والفضاءات الحضرية.

(١٤) النمو السكاني والأزمة الإيكولوجية.

(١٥) الدين.

(١٦) العمل والحياة الاقتصادية.

وقد أدَّىٰ تاريخ اشتغال علماء الاجتماع بهذه المجالات وتلك القضايا إلىٰ نشأة تراث عريض من النظريات الاجتماعية، بحيث إنَّ عالم الاجتماع أو المدرسة المعينة من مدارس علم الاجتماع تنطلق في تحليلها للظواهر، سواء كان تحليلا بغرض السيطرة علىٰ الظاهرة أو بغرض فهمها وتفسيرها = من إطار نظري معين، وتهدف النظرية الاجتماعية بصفة عامة إلىٰ تجريد تصور ما تنتظم فيه الظاهرة الاجتماعية، وهو تصور يهدف إلىٰ تفسير وفهم الواقع الاجتماعي بشكل منطقي، وربما يطمع أيضًا في التنبؤ بمستقبل الظاهرة.

* **والنظريات الاجتماعية تنقسم بحسب نطاق تغطيتها إلى:**

- **نظريات ماكرو سوسيولوجية**: وهي النظريات التي تتناول الوحدات الكبرىٰ كالمجتمعات أو الثقافات في كليتها، **ومن أمثلتها**: النظرية البنائية الوظيفية.

- **نظريات ميكرو سوسيولوجية**: وهي النظريات التي تهتم بالوحدات الصغيرة كالجماعات.

* والنظريات الكبرى غالبًا ما تقسم إلى نوعين كبيرين:

- **نظريات الفعل الاجتماعي**: وهي النظريات التي تركز علىٰ الفرد.

- **نظرية النسق الاجتماعي**: وهي النظريات التي نركز علىٰ المجتمع.

* وترشيحي لطالب العلم في هذا هو أن يقرأ الطالب الكتب التالية:

(١) «**أسس علم الاجتماع**»، د. محمد عودة، دار النهضة العربية.

(٢) «**علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية**»، جون سكوت، الشبكة العربية للأبحاث.

(٣) «**علم الاجتماع**»، أنتوني غيدنز، نشر المنظمة العربية للترجمة.

وأرىٰ أن يكرر طالب العلم قراءة الكتاب الأخير ويحاول مزجه بمشكلات واقعه العام والخاص، وتوليد أفكار إصلاحية، واختبارها بالنقاش مع زملائه.

* **ويُمكن دمج الأنثروبولوجيا ليقرأها الطالب بعد علم الاجتماع مباشرة، فيقرأ فيها**:

(١) «**قصة الأنثروبولوجيا**»، عالم المعرفة.

(٢) «**تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**»، منشورات ضفاف، ونشره أيضًا المركز القومي للترجمة.

عِلْمُ النَّفْسِ

* هو العلم الذي يدرس العقل والسلوك البشريين، ويتفرع منه عدد كبير من الفروع بحسب موضوع الاشتغال، وأهمها:

(١) **علم النفس العلاجي**: الدراسة العلمية والتطبيقية لعلم النفس، بغرض فهم ومنع وعلاج أي مشاكل نفسية تعترض الشخص.

(٢) **علم النفس المعرفي**: يتناول وظائف العقل وقدراته كالذاكرة والتعلم والتفكير والخيال واللغة.

(٣) **علم نفس النمو**: وهو الذي يدرس مراحل تطور الإنسان الحياتية من الطفولة حتىٰ الشيخوخة.

(٤) **علم النفس التطوري**: وهو يدرس علم النفس من منظور نظرية التطور.

(٥) **علم النفس الجريمة**: وهو تطبيق لعلم النفس في مجال الجريمة.

(٦) **علم النفس الاجتماعي**: يدرس سلوك الإنسان الاجتماعي.

(٧) **علم النفس التعليمي**: يهتم بالنواحي التعليمية للإنسان.

ويُمكن القول: إنَّ ميلاد علم النفس كعلم مستقل كان في (١٨٧٩م) علىٰ يد الألماني فيلهلم فونت. وبعده أتىٰ الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس بكتابه الرائد «مبادئ علم النفس»، والمنشور في (١٨٩٠م).

بعد ذلك أتت مدرسة التحليل النفسي مع سيجموند فرويد وكارل جوستاف يونج، وهي من أشهر مدارس علم النفس اعتمدت علىٰ اللاوعي في تفسير كل سلوكيات الإنسان، وأبرزت دور الرغبة الجنسية التي تتطور معه منذ الطفولة في تفسير هذا السلوك.

وثمة مدرس أخرىٰ أهمها: البنيوية - الوظيفية - السلوكية.

* والذي أرشحه ككفاية لطالب العلم في هذا الفرع المعرفي:

(١) «**أصول علم النفس**»، أحمد عزت راجح، دار المعارف.

(٢) «**علم النفس العام**»، مجموعة مؤلفين، دار المسيرة: الأردن.

(٣) «**مدارس علم النفس**»، روبرت ودورث، دار النهضة العربية.

(٤) «**الطب النفسي المبسط**»، ترجمة: طارق الحبيب، نشر: دار الحضارة.

السِّيَاسَةُ

تختلف تعريفات السياسة وتحديد ماهية الظواهر السياسية تبعًا لاختلاف الأطر المعرفية والمعتقدات؛ إلَّا أنَّها تجمع علىٰ معنىٰ جوهري للسياسة: السياسة هي إدارة الشؤون الاجتماعية والإنسانية أو هي إدارة التجمعات البشرية وتنظيمها في تفاعلاتها الداخلية والخارجية. وبناءً علىٰ هذا المعنىٰ الجوهري تعددت تعاريف السياسة.

ويُمكننا أن نجمع هذا التنوع في اتجاهين رئيسيين: السياسة في التقليد الغربي، والسياسة في التقليد الإسلامي(١).

* **السياسة في التقليد الغربي:**

حيث تدور السياسة حول مفاهيم: الصراع والقوة والسلطة والسيادة والسيطرة. وعلىٰ أساس هذه المفاهيم تنوعت التعريفات من زمن لآخر؛ فالسياسة هي: علم الدولة، ثم هي علم القوة (أو السلطة). ثم هي علم التخصيص السلطوي للقيم، أي: تحديد من يأخذ ماذا ومتىٰ وكيف، أي: هي العلم الذي يتناول الظواهر المتعلقة بتوزيع القيم الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية في المجتمع. ومن هذه التعريفات نستشف أنَّ السياسة في التقليد الغربي هي علم التحكم بالآخرين.

* **السياسة في التقليد الإسلامي:**

حيث تدور السياسة حول مفاهيم: الإصلاح والمصلحة والحفظ. فجوهر

---

(١) نصر عارف، ضمن: «**مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية**»، نشر: الشبكة العربية للأبحاث.

العمل السياسي هنا هو تحقيق مصالح الناس العاجلة والآجلة.

أمَّا عن القضايا الكبرى التي ينشغل بها علم السياسة فيمكن حصرها في الأسئلة التالية:

(١) من يحكم؟

أي عدد من يحكم وخصائص من يحكم وقد جاء الجواب عن هذا التساؤل في الآتي:

- **حكم الفرد**: ملكية، ملكية دستورية، طغيان.
- **حكم المجموعة الصغيرة**: أرستوقراطي، أولجاركي.
- **حكم الشعب**: ديمقراطية مباشرة وديمقراطية تمثيلية.

(٢) لمصلحة من يكون الحكم؟

- لمصلحة العائلة.
- مصلحة مجموعة صغيرة (دينية أو عرقية).
- مصلحة طبقة معينة.
- لمصلحة عامة المجتمع.

(٣) كيف يكون الحكم؟

- رأس الدولة هي من ينظم العملية السياسية كاملة.
- مؤسسات تضع قواعد الحكم وقوانينه.
- مؤسسات تضع القوانين وتمارس الحكم.

(٤) ما هي القيم التي تضبط نظام الحكم؟

أمَّا عن موضوعات علم السياسة اليوم فهي:

(١) الفكر السياسي.

(٢) النظرية السياسية.

(٣) النظم السياسية.

(٤) التنمية السياسية.

(٥) الرأي العام.

(٦) العلاقات الدولية.

(٧) القانون الدولي.

* **والذي أرشحه ككفاية لطالب العلم في هذا الفرع المعرفي:**

(١) «**مبادئ علم السياسة**»، نظام بركات وزميلاه، نشر مكتبة العبيكان.

(٢) «**موسوعة الفكر السياسي عبر العصور**»، علي عباس مراد وزميلاه، دار ابن النديم.

(٣) «**النظام السياسي الإسلامي**»، منير البياتي، دار النفائس.

الْأَدْيَــانُ

ودراسة الأديان كفرع من فروع العلوم الإنسانية، تختلف عن دراستها كفرع من فروع العقيدة، من حيث إنَّ موقف الدارس والكاتب فيها يخلو من الأحكام القيمية، ويتسم بنوع من الحياد التعليمي وليس الذاتي، والغرض أن ننتفع بالكتب المصنفة علىٰ هذه الطريقة، **ومن أهمها**:

(١) «**الدين**»، محمد عبد الله دراز.

(٢) «**المصنف الوجيز في الأديان**»، ترجمة محمد الحداد، نشر تونس.

(٣) «**تراثنا الروحي**»، مايكل درافيس وزميلاه، نشر دار الساقي.

(٤) «**الأديان العامة في العالم الحديث**»، خوسيه كازانوفا، المنظمة العربية للترجمة

(٥) «**فلسفة الدين**»، كتاب جماعي، تحرير علي عبود محمداوي، منشورات ضفاف.

التَّارِيخُ

والمقصود هنا ما يتعلَّق بالتاريخ العام ليس مختصًا بالتاريخ الإسلامي، والذي يكفي طالب العلم هنا هو ما يلي:

(١) «**موجز تاريخ العالم**»، هربرت جورج ويلز.

(٢) «**تاريخ الحضارات العام**»، منشورات عويدات.

(٣) «**العصور الحديثة**»، بول جونسون، نشر مركز نماء للبحوث والدراسات.

وعناية طالب العلم بالعصور الحديثة يجب أن تكون حاضرة؛ إذ تاريخها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري = هو الذي أسس لواقع اليوم.

ويمكن أن يقرن الطالب اطلاعه التاريخي بالاطلاع علىٰ أي كتاب في الجغرافيا العامة، وجغرافية العالم العربي.

اللِّسَانِيَّاتُ

واللسانيات فرع معرفي مهم، خاصة للمشتغل بالتفسير وأصول الفقه، وأنا أذكر هاهنا قائمة موجزة بالضروري لطالب العلم منه:

(١) «**مبادئ اللسانيات**»، أحمد محمد قدور، دار الفكر.

(٢) «**مدخل إلىٰ علم اللغة**»، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي.

(٣) «**علم اللغة: مقدمة إلىٰ القارئ العربي**»، محمود السعران، دار النهضة العربية: بيروت.

(٤) «**مدخل إلىٰ اللسانيات**»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد.

(٥) «**في اللسانيات العامة**»، مصطفىٰ غلفان، دار الكتاب الجديد.

الْأَدَبُ وَالنَّقْدُ

والمعرفة بالأدب العالمي وبالأدب عمومًا وبالثقافة عمومًا لها دور كبير في إصلاح النظر، والمعرفة الحقة بالتاريخ والواقع.

فالأصل أنَّ الله ﷺ بعث نبيه بالحق التام والنور الصافي، ونثر دلائل هذا الحق في الوحي وسيرة نبيه وسيرة وأقوال القرون المفضلة.

ومذ أخذ الله ميثاقنا، ثم نسلنا من أبينا آدم وفي قلب كل واحد منا شعبة أو أكثر من الحق الذي تأتي به الأنبياء، فطرنا الله عليها، وبهذه الشعبة التي في قلوبنا وغيرها نعرف صدق النبي وصدق ما معه وأنَّه خبر السماء.

حتىٰ إذا سحنا في الأرض وفي قلوبنا الحق الأول الذي فطرنا عليه وفيها الحق الذي أتت به الأنبياء = وجدنا مع سائر الخلق وفي أقوالهم وأعمالهم بعضًا ممَّا معنا من هذا الحق؛ ففيهم بقايا فطرة، وبقايا من رسالات الأنبياء الذين أرسلوا إليهم سلمت من التحريف = فيكون ما بقي معهم من الحق مذكرًا لنا ومحييًا في قلوبنا بعض ما يكون قد اندرس؛ فالحق يذكر بعضه بعضًا أو يؤكد بعضه بعضًا.

وقد نجد في أقوالهم وأعمالهم بعض ما يسوء ممَّا يخالف الحق، فتكون تلك المخالفة إذا رأيناها باعثًا لنا علىٰ التمسك بالحق ومحبته وشكر الله علىٰ نعمته، والضد يظهر حسنه الضد.

فكل ما كان من أبواب الفن والأدب أو ثقافات وأخبار الأمم ورجالها مباحًا في نفسه مذكرًا أو مؤكدًا أو محييًا أو منبهًا لما في قلوبنا من هذا الحق الأول = كان من هذا الوجه، من العلم النافع الذي يُطلب ما لم يشتمل علىٰ مفسدة تغلب مصلحته.

ولا يقال فليُطلب هذا التذكير من نفس الوحي؛ لأنَّ النفوس تتباين وكثرة الواردات من الدلائل تتعاضد، وكما يتذكر القلب بمعرفة وقراءة نفس الأمر والنهي = فإنَّه يتذكر ويحيا إذا ما رأىٰ وقرأ وسمع عملًا أدبيًّا فنيًّا يعلي من قيم الحق والخير والجمال أو يدل عليها أو يصف نقائضها.

ولأمر ما طلب صحابة رسول الله أن يقص عليهم ولأمر ما قيل إن في القصص عبرة.

ونعم في القصص الحق كفاية في الجملة، ومن أسرف في غيرها = زهد فيها وهي أنفع.

ولكن القلوب أوعية وما لم يُذهلها المفضول عن الفاضل = لم يكن جمع الفاضل والمفضول لها معيبًا، وكلامنا هو في الجواز وإمكان النفع والأجر، لا في أن يسرف الرجل في هذا أو يقبل منه ما يفسد عليه دينه.

دع عنك بابًا آخر من جوازه بين جدًّا، وهو طلب هذه الأبواب طلبًا هو من جنس إجمام النفس المؤمنة باللهو المباح، ثم نفع الناس وإجمام نفوسهم ببعض الفوائد المحصلة من هذا اللهو، وقد كتب بعض علماء الأمة في هذا فصولًا لا تنكر، ومن جعل لهوه في الازدياد المعرفي والقراءة التي قد تنفع ولو بوجه = كان حقًّا علينا مدحه وشكره ولا ريب.

الرواية والقصة بصفة عامة تحتل في نفسي مساحة عظيمة جدًّا من الإعجاب والإكبار.

الرواية دروس مكثفة ومتتابعة حول الحياة ومعناها، والناس ونفوسهم، والخير وصوره، والشر وطبيعته.

إنها إثراء متنوع لخبراتنا، يزيد من فهمنا للحياة، وللقيم، وللمعاني وللنفوس والأفكار والطبائع.

إنها فن العرض الانتقائي للحياة، تصنع بالحياة ما تصنعها لآلات بالصور، فتجعل الحياة أبطأ عند نقطة معينة، وتبرزها لك بصورة معينة، وتقف بك طويلًا؛ لتقول لك دقق بصورة أعمق مما اعتدت، وأكثر أناة مما تفعل في حياتك اليومية.

إن الروائي ينتزع لك من الحياة، ويعيد إنتاج ما انتزعه بصورة تجعلك تقف عنده، وهذا سيجعلك تنتبه لأشياء كثيرة تغفل عنها في زحمة الحياة وإيقاعها المتسارع، والانتباه أول عتبات الفهم، والفهم أول عتبات العمل.

ربما لأجل هذا أرفض ما يقال إن السينما ستلغي الرواية، وأنها تعرض عبرة الرواية في ساعتين فتوفر لك أسبوعًا من القراءة وتعطيك النتيجة نفسها.

لا . . . ؛

السينما تعرض الحياة أسرع مما هي عليه، فقط تختلف عن الحياة في تركيز الزاوية وزيادة عوامل التأثير، ولكن السرعة نفسها هي ما تجعل هذا التأثير تآكل سريعًا.

كلتا الوسيلتين السينما والرواية يهدف إلىٰ الشيء نفسه، ولكل واحدة منهما أدواته، وسيظل للرواية ببطئها هذا وأناتها تلك، وظيفة لا يحل محلها شيء ولأجل ذلك نادرًا ما يكون الفيلم المأخوذ عن رواية أفضل من الرواية.

الرواية تجربة نادرة لعيش الحياة، وربما أكثر من حياة، وربما تعيش بالرواية أكثر ممَّا يستوعبه عمرك.

وترتيب الدراسة الأدبية يبدأ أولًا بشقها النظري، وأرىٰ أن يبدأ الطالب فيه بعد أن يكون قد أنهىٰ المرحلة الأولىٰ من مراحل دراسة الأدب التي سبق ذكرها، **وحينها يقرأ الطالب:**

(١) «**فنون الأدب**»، نبيل راغب، الدار المصرية للنشر.

(٢) «**المدخل إلىٰ الآداب الأوربية**»، فؤاد المرعي، دار عالم الأدب.

(٣) «**قصة الأدب في العالم**»، زكي نجيب محمود، لا يتوفر إلا مصورًا.

(٤) «**الأدب المقارن**»، الطاهر مكي، دار المعارف.

(٥) «**مناهج النقد الأدبي**»، وليد قصاب، دار الفكر.

(٦) «**المدارس الأدبية الغربية**»، وليد قصاب، دار الألوكة.

(٧) «**نظرية الأدب**»، شكري عزيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

* أما الاطلاع الأدبي فأذكر فيه القوائم التالية:

أولًا: عيون الأدب قبل العصر الحديث.

(١) «**الوصايا**»، لبتاح حوتب.

(٢) «**أنشودة التوحيد**»، لإخناتون.

(٣) «**الإلياذة والأوديسا**»، لهوميروس، نسخة مهذبة بعناية دريني خشبة، الدار المصرية اللبنانية.

(٤) تراجيديات أسخيلوس، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٥) مسرحية «**الضفادع**»، لأرستوفانيس.

(٦) «**أوديب ملكًا**»، لسوفوكليس.

(٧) «**ملحمة**»، جلجاميش.

(٨) «**الشاهنامة**»، للفردوسي، ترجمة: عبد الوهاب عزام.

(٩) «**الإينياذة**» فرجيلوس.

(١٠) «**غزليات**» أوفيديوس.

(١١) «**كليلة ودمنة**»، تحقيق عبد الوهاب عزام، نشر دار المعارف.

(١٢) «**اعترافات أوغسطين**»، منشورات بيت الحكمة: تونس.

(١٣) «**الفردوس المفقود**»، لجون ملتون، ترجمة محمد عناني.

(١٤) «**الكوميديا الإلهية**»، دانتي، ترجمة حسن عثمان، نشر دار المعارف.

(١٥) «**الديكاميرون**»، لبوكاتشيو، نشر: دار المدىٰ.

(١٦) «**مثنوي**» جلال الدين الرومي.

(١٧) «**مسرحيات شكسبير**»، ترجمة محمد عناني، نشر الهيئة العامة للكتاب، وترجمات دار المعارف فيما لم يترجمه محمد عناني.

(١٨) «**فاوست**»، لجوتة، نشر: المركز القومي للترجمة.

(١٩) «**دون كيخوتة**»، سرفانتس، ترجمة عبد الرحمن بدوي.

* ثانيًا: أعلام القصة القصيرة.

(١) إدجار ألن بو.

(٢) أنطون تشيخوف.

(٣) مارك توين.

(٤) جي دي موباسان.

(٥) أناتول فرنس.

(٦) أو. هنري.

(٧) وليم فوكنر.

(٨) عزيز نيسين.

(٩) راي برادبوري.

(١٠) هربرت جورج ويلز.

(١١) يوسف إدريس.

(١٢) نجيب محفوظ.

* ثالثًا: من أعلام الشعر العالمي.

(١) والت ويتمان.

(٢) كوليردج.

(٣) وردزورث.

(٤) وليم بليك.

(٥) شيلي.

(٦) طاغور.

(٧) بودلير.

(٨) آرثر رامبو.

(٩) ت. سإليوت.

(١٠) لوركا.

(١١) بورخيس.

(١٢) رسول حمزاتوف.

* رابعًا: من أعلام المسرح العالمي.

(١) صمويل بيكيت.

(٢) برتولدبريشت.

(٣) أنطون تشيكوف.

(٤) يوجين أونيل.

(٥) هنريك أبسن.

(٦) ايوجينايونيسكو.

(٧) آرثر ميلر.

(٨) جورج برنارد شو.

(٩) تينيسي وليامز.

(١٠) لويجيبيرانديللو.

في الأنواع الأدبية السابقة اكتفيت بذكر أعلامها، وعلىٰ من أراد القراءة لهم أن يبحث عن أعمالهم بوسائل البحث المعروفة، أو يرجع لكتابي الذي يصدر قريبًا عن دار عالم الأدب: «**دليل القراءات الأدبية**».

خامسًا: ستون رواية عربية مقترحة.

(١) «**يوتوبيا**»، أحمد خالد توفيق.

(٢) «**قرية ظالمة**»، محمد كامل حسين.

(٣) «**حكايات حارتنا**»، نجيب محفوظ.

(٤) «**المرايا**»، نجيب محفوظ.

(٥) «**حديث الصباح والمساء**»، نجيب محفوظ.

(٦) «**أرض النفاق**»، يوسف السباعي.

(٧) «**كفاح طيبة**»، نجيب محفوظ.

(٨) «**الأيام**»، طه حسين.

(٩) «**عصفور من الشرق**»، توفيق الحكيم.

(١٠) «**أديب**»، طه حسين.

(١١) «**قنديل أم هاشم**»، يحيىٰ حقي.

(١٢) «**عبث الأقدار**»، نجيب محفوظ.

(١٣) «**رادوبيس**»، نجيب محفوظ.

(١٤) «**وا إسلاماه**»، علي أحمد باكثير.

(١٥) «**اللص والكلاب**»، نجيب محفوظ.

(١٦) «**خان الخليلي**»، نجيب محفوظ.

(١٧) «**زقاق المدق**»، نجيب محفوظ.

(١٨) «**السمان والخريف**»، نجيب محفوظ.

(١٩) «**الثلاثية**»، نجيب محفوظ.

(٢٠) «**حضرة المحترم**»، نجيب محفوظ.

(٢١) «**الحرافيش**»، نجيب محفوظ.

(٢٢) «**الحرام**»، يوسف إدريس.

(٢٣) «**البحث عن وليد مسعود**»، جبرا إبراهيم جبرا.

(٢٤) «**شرف**»، صنع الله إبراهيم.

(٢٥) «**الحرب في بر مصر**»، يوسف القعيد.

(٢٦) «**رجال في الشمس**»، غسان كنفاني.

(٢٧) «**كوابيس بيروت**»، غادة السمان.

(٢٨) «**المجوس**»، إبراهيم الكوني.

(٢٩) «**الشراع والعاصفة**»، حنا مينة.

(٣٠) «**الزيني بركات**»، جمال الغيطاني.

(٣١) «**لا أحد ينام في الإسكندرية**»، إبراهيم عبد المجيد.

(٣٢) «**الأفيال**»، فتحي غانم.

(٣٣) «**وكالة عطية**»، خيري شلبي.

(٣٤) «**سلطانة**»، غالب هلسا.

(٣٥) «**مالك الحزين**»، إبراهيم أصلان.

(٣٦) «**رباعية بحري**»، محمد جبريل.

(٣٧) «**دعاء الكروان**»، طه حسين.

(٣٨) «**السقا مات**»، يوسف السباعي.

(٣٩) «**بعد الغروب**»، محمد عبد الحليم عبد الله.

(٤٠) «**السائرون نيامًا**»، سعد مكاوي.

(٤١) «**خماسية مدن الملح**»، عبد الرحمن منيف.

(٤٢) «**قمر علىٰ سمرقند**»، محمد المنسي قنديل.

(٤٣) «**يوم غائم في البر الغربي**»، محمد المنسي قنديل.

(٤٤) «**الحب في المنفىٰ**»، بهاء طاهر.

(٤٥) «**ساق البامبو**»، سعود السنوسي.

(٤٦) «**أصوات**»، سليمان فياض.

(٤٧) «**الحي اللاتيني**»، سهيل إدريس.

(٤٨) «**موسم الهجرة إلىٰ الشمال**»، الطيب صالح.

(٤٩) «**رأيت رام الله**»، مريد البرغوثي.

(٥٠) «**كنت هنا كنت هناك**»، مريد البرغوثي.

(٥١) «**تلك العتمة الباهرة**»، الطاهر بن جلون.

(٥٢) «**القوقعة**»، مصطفىٰ خليفة.

(٥٣) **«ثلاثية غرناطة»**، رضوىٰ عاشور.

(٥٤) **«عمارة يعقوبيان»**، علاء الأسواني.

(٥٥) **«مدارات الشرق»**، نبيل سليمان.

(٥٦) **«ذاكرة الجسد»**، أحلام مستغانمي.

(٥٧) **«عزازيل»**، يوسف زيدان.

(٥٨) **«دروز بلغراد»**، ربيع جابر.

(٥٩) **«رامة والتنين»**، إدوارد الخراط.

(٦٠) **«لعبة النسيان»**، محمد برادة.

خامسًا: ستون رواية أجنبية مقترحة.

(١) **«المعلم ومارجريتا»**، ميخائيل بولغاكوف.

(٢) **«البؤساء»**، هيجو.

(٣) **«قصة مدينتين»**، تشارلز ديكنز.

(٤) **«آمال عظيمة»**، تشارلز ديكنز.

(٥) **«العجوز والبحر»**، هيمغواي.

(٦) **«لمن تقرع الأجراس»**، هيمنغواي.

(٧) **«العمىٰ»**، جوزيه ساراماغو.

(٨) **«الحرب والسلم»**، تولستوي.

(٩) **«موت إيفان إيلتش»**، تولستوي.

(١٠) **«أنا كارنينا»**، تولستوي.

(١١) **«فهرنهايت ٤٥١»**، راي برادبوري.

(١٢) **«الأحمر والأسود»**، ستاندال.

(١٣) **«كائن لا تحتمل خفته»**، ميلان كونديرا.

(١٤) **«الجريمة والعقاب»**، ديستوفيسكي.

(١٥) «**الإخوة كرامازوف**»، ديستوفيسكي.

(١٦) «**المقامر**»، ديستوفيسكي.

(١٧) «**الدم الحكيم**»، فلانريأوكونور.

(١٨) «**السفراء**»، هنري جيمس.

(١٩) «**صورة سيدة**»، هنري جيمس.

(٢٠) (**١٩٨٤**)، جورج أورويل.

(٢١) «**العاري والميت**»، نورمان ميلر.

(٢٢) «**أليس في بلاد العجائب**»، لويس كارول.

(٢٣) «**ميدل مارش**»، جورج إليوت.

(٢٤) «**غاتسبي العظيم**»، سكوت فيتزجالد.

(٢٥) «**عالم جديد شجاع**»، ألدوسهكسلي.

(٢٦) «**حفنة من تراب**»، إيفيلنووه.

(٢٧) «**الجبل السحري**»، توماس مان.

(٢٨) «**كبرياء وهوىٰ**»، جين أوستن.

(٢٩) «**إما**»، جين أوستن.

(٣٠) «**القضية**»، كافكا.

(٣١) «**مائة عام من العزلة**»، ماركيز.

(٣٢) «**التصحيحات**»، جوناثان فرانزن.

(٣٣) «**الدرويش والموت**»، ميشاسليموفيتش.

(٣٤) «**لعبة الكريات الزجاجية**»، هيرمان هيسة.

(٣٥) «**مزرعة الحيوانات**»، جورج أورويل.

(٣٦) «**آن الجملونات الخضراء**»، لوسي لورد مونتغمري.

(٣٧) «**الساعات**»، مايكل كننجهام.

(٣٨) «**جامع الفراشات**»، جون فاولز.

(٣٩) «**ابن فرجينيا**»، أوين وستر.

(٤٠) «**الصخب والعنف**»، وليم فوكنر.

(٤١) «**كأس من ذهب**»، جون شتاينبك.

(٤٢) «**عناقيد الغضب**»، جون شتاينبك.

(٤٣) «**لوليتا**»، نابوكوف.

(٤٤) «**كتاب الرسائل**»، ميخائيل شيشكين.

(٤٥) «**ابنة الحظ**»، إيزابيل الليندي.

(٤٦) «**امرأة الضابط الفرنسي**»، جون فاولز.

(٤٧) «**قلب الظلام**»، جوزيف كونراد.

(٤٨) «**موبي ديك**»، هيرمان ميلفيل.

(٤٩) «**عداء الطائرة الورقية**»، خالد حسيني.

(٥٠) «**مدام بوفاري**»، فلوبير.

(٥١) «**الدفتر الذهبي**»، دوريس ليسنج.

(٥٢) «**حياة باي**»، يان مارتل.

(٥٣) «**ثلاثية نيويورك**»، بول أوستر.

(٥٤) «**أشياء تتداعىٰ**»، تشينوا أتشيبي.

(٥٥) «**جسر علىٰ نهر درينا**»، إيفوأندريتش.

(٥٦) «**زوربا اليوناني**»، نيكولاس كازانتزاكيس.

(٥٧) «**طبل الصفيح**»، غونتر غراس.

(٥٨) «**اسم الوردة**»، أمبرتو إيكو.

(٥٩) «**ملائكة وشياطين**»، دان براون.

(٦٠) «**شيفرة دافنشي**»، دان براون.

تبقىٰ إشارة أخيرة: وهي أنَّ بعض القراء ربما تأثم ممَّا يرد في بعض النصوص الأدبية من تصوير لما يكون بين الرجل والمرأة، أو ما يذكر فيها من ألفاظ لا تخلو من فحش، وما قد يوجد حتىٰ في بعض الروايات من تجديف ديني أجراه مبدعه علىٰ لسان شخوصه.

والأصل أنَّ قراءة الأدب والاطلاع عليه لا تُمنع لأجل ذلك ما دامت هذه القراءات الروائية لها حظ من وقت الإنسان ليس كثيرًا ولا غالبًا، وما دام ما يقع من هذاالسوء لا يجعله الإنسان غالب قراءته الروائية، وقد تداول أهل العلم أشعار العرب ومنثورهم علىٰ ما فيها، ولم يتأثَّموا منها، بل تناشد بعض الصحابة شعرًا لم يخلُ من بعض ذلك، وما يراه القارئ من مصلحة تنفعه في نص أدبي = لا يمكن ردها ببعض الباطل الذي قد يوجد في بعض النصوص الأدبية، جرىٰ علىٰ يد مبدعها لا يد للقارئ فيه؛ إلَّا إن كان ما سيقرأه سيفسده هو ويكون بحيث يثير منه شهوة تقود لمعصية، أو شبهة تحمل علىٰ ضلالة فمن كان يؤذيه هذا أو يضره علىٰ هذا النحو = فهو في سعة من تركه، لكن لا يجعل هذا حكمًا عامًا علىٰ الناس، وإنَّما يُنهىٰ عن مستثنيات من ذلك بحسبها؛ فإنَّ أقل الناس الذين يبتدئ فسادهم من هذا.

قال ابن قتيبة: «وسينتهي بك كتابنا هذا إلىٰ باب المزاح والفكاهة وما روي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مرَّ بك، أيها المتزمّت، حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به.

واعلم أنَّك إن كنت مستغنيًا عنه بتنسكك؛ فإن غيرك ممَّن يترخَّص فيما تشدَّدت فيه محتاج إليه، وإنَّ الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيهيَّأ علىٰ ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقّي المتزمِّتين = لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك.

وإنَّما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين، وإذا مرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة؛ فلا يحملنَّك الخشوع أو التخاشع علىٰ أن تصعِّر خدَّك وتعرض بوجهك؛ فإنَّ أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنَّما المأثم في شتم الأعراض، وقول الزّور

والكذب، وأكل لحوم الناس بالغيب . . . ولم أترخّص لك في إرسال اللسان بالرّفث على أن تجعله هجيّراك على كل حال وديدنك في كل مقال، بل الترخّص منّي فيه عن دحكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقّصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السّلف الصالح في إرسال النّفس على السجيّة والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع، ولا تستشعر أنّ القوم قارفوا وتنزّهت وثلموا أديانهم وتورّعت»[1].

والواقع أنَّ العامة من الناس يقرأون ولا يبالون؛ فإن اطلع طالب العلم علىٰ مثل هذا = انتفع منه بما ينتفعه الناس من الأدب، ووقف أيضًا علىٰ إشكالات يعلم أن عين العام ستقع عليها فيكون هو متهيئًا لكشفها وعلاجها، شريطة ألا يُسرف في هذا فيصرفه عمَّا هو فيه من الطلب، أو يصرفه عن الوحي الصادق، وإنما يصرف لهذا أوقات السفر والفتور والإجمام ونحوها.

(١) «عيون الأخبار»، (١/ ٤٥) وما بعدها.

قَوَائِمُ كُتُبٍ مُقْتَـرَحَةٍ لِلِاطِّلَاعِ الثَّقَافِـيِّ فِـي مُخْتَلَفِ الْعُلُومِ

هذه قائمة كتب مقترحة للاطلاع الثقافي، يمكن أن يكتفي بها من يريد الاطلاع علىٰ مسائل علم من العلوم أو مباحث موضوع من الموضوعات؛ بغرض تكوين ثقافة عن العلم، أمَّا الدراسة العلمية بصورة أعمق؛ فتسلسلها في العلوم الدينية الإسلام علىٰ نحو ما بيناه هنا في «**السبل المرضية**»، وتسلسل الدراسة العلمية في العلوم الإنسانية خصصناه له كتاب: «**دليل دراسة العلوم الإنسانية**»، وسيُنشر قريبًا بإذن الله.

وطريقة ترتيب القائمة في العلوم الدينية واللغوية والإنسانية = أنَّه يمكن الاكتفاء دائمًا بالكتاب الأول، وأمَّا ما يُذكر بعده؛ فهو لمن أراد توسعة الاطلاع، أمَّا القوائم التي تلي هذه القوائم الثلاث، فهي قوائم موضوعية في موضوعات يعتني بها بعض القراء وربما احتاج قارئوها للاطلاع علىٰ معظمها.

أَوَّلًا

كُتُبُ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ

(١) التفسير:

١ - «**المختصر في التفسير**»، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

٢ - «**التحرير والتنوير**»، الطاهر ابن عاشور، مكتبة مصر.

٣ - «**التفسير والمفسرون**»، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة.

(٢) علوم القرآن:

١ - «**المقدمات الأساسية في علوم القرآن**»، عبد الله الجديع، مؤسسة الريان.

٢ - «**علوم القرآن بين الإتقان والبرهان**»، حازم حيدر، دار الزمان.

(٣) أصول التفسير:

١ - «**المحرر في أصول التفسير**»، مساعد الطيار، معهد الإمام الشاطبي.

٢ - «**مقدمة في أصول التفسير**»، **شرح مساعد الطيار، دار ابن الجوزي**.

(٤) التجويد:

١ - «**الملخص المفيد في علم التجويد**»، محمد أحمد معبد، دار السلام، القاهرة.

٢ - «**شرح المقدمة الجزرية**»، **غانم قدوري الحمد، معهد الإمام الشاطبي**.

(٥) علوم الحديث:

١ - «**تيسير علوم الحديث**»، لعمرو عبد المنعم، دار ابن عفان.

٢ - «**تحرير علوم الحديث**»، عبد الله الجديع، مؤسسة الريان.

(٦) السنة النبوية:

١- «**شرح الأربعين النووي**» لابن عثيمين.

٢- «**المختار من كنوز السنة النبوية**»، محمد عبد الله دراز.

٣- «**شرح بلوغ المرام**»، ابن عثيمين، دار مدار الوطن.

٤- «**شرح صحيح مسلم**»، النووي، دار المعرفة.

٥- «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»، ابن حجر، دار طيبة.

(٧) العقيدة:

١- «**الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد**»، صالح الفوزان، دار ابن الجوزي.

٢- «**منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد**»، عثمان حسن، مكتبة الرشد.

٣- «**معارج القبول**»، حافظ حكمي، دار ابن الجوزي.

٤- «**شرح الطحاوية**»، ابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة.

(٨) الفقه:

١- «**الفقه الميسر**»، نخبة من العلماء، شرح وتعليق محمد محمود عبد الهادي.

٢- «**فقه السنة**»، السيد سابق، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٩) أصول الفقه:

١- «**الوجيز في أصول الفقه**»، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.

٢- «**الحكم الشرعي**»، عبد الرقيب الشامي، مركز نماء للبحوث والدراسات.

(١٠) القواعد الفقهية:

١- «**القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**»، شرح خالد المشيقح، دار ابن حزم.

٢- «**المُفصَّل في القواعد الفقهية**»، يعقوب الباحسين، دار التدمرية.

(١١) التاريخ الإسلامي:

١- «**التاريخ الإسلامي الوجيز**»، سهيل طقوش، دار النفائس.

٢- «**منهج كتابة التاريخ الإسلامي**»، محمد صامل السلمي، دار ابن الجوزي.

٣- **سلسلة محمد سهيل طقوش**، نشر دار النفائس.

٤- «**التاريخ الإسلامي**»، محمود شاكر، المكتب الإسلامي.

ثَانِيًا

الْعُلُومُ اللُّغَوِيَّةُ

(١) النحو:

١- «**النحو الواضح**»، مؤسسة الرسالة، أو دار المعارف.

٢- «**الوسيط في النحو**»، كاملة الكواري، دار ابن حزم.

٣- «**نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**»، الطنطاوي، دار المعارف.

٤- «**أصول النحو عند ابن مالك**»، مكتبة الآداب.

(٢) الصرف:

١- «**التطبيق الصرفي**»، عبده الراجحي، دار المعارف، الرياض.

٢- «**المغني في تصريف الأفعال**»، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث.

(٣) البلاغة:

١- «**البلاغة الواضحة**»، مؤسسة الرسالة، أو دار المعارف.

٢- «**البلاغة تطور وتاريخ**»، شوقي ضيف، دار المعارف.

٣- «**علم المعاني والبيان والبديع**» ثلاثة كتب، بسيوني فيود، مؤسسة المختار.

٤- «**مدخل إلىٰ كتابي عبد القاهر**»، محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.

(٤) فقه اللغة:

١- «**فقه اللغة**»، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة.

٢- **اللغة العربية: مهناها ومبناها**، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة.

٣- «**فصول في فقه العربية**»، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي.

٤- «**المعجم العربي**»، حسين نصار، مكتبة مصر.

(٥) علم الدلالة:

١- «**علم الدلالة**»، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة

٢- «**مقدمة في علمَي الدلالة والتخاطب**»، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد.

(٦) الأدب وتاريخه:

١- «**التوجيه الأدبي**»، طه حسين وزملاؤه، دار عالم الأدب.

٢- «**مدخل إلىٰ تاريخ الأدب العربي**»، أحمد عبد الباقي، دار عالم الأدب، القاهرة.

٣- «**المنتخب من أدب العرب**»، طه حسين وزملاؤه، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٤- «**سلسلة شوقي ضيف في عصور الأدب**»، دار المعارف.

(٧) النقد العربي:

١- «**تاريخ النقد الأدبي عند العرب**»، إحسان عباس، دار الشروق، عمان.

٢- «**في النقد والأدب**»، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٨) العروض والقافية:

١- «**ميزان الذهب**»، السيد أحمد الهاشمي، دار المعرفة، بيروت.

٢- «**المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب**»، عبد الله الطيب، دار الفكر.

ثَالِثًا

الْعُلُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ

(١) الفلسفة:

١- «**دروس في تاريخ الفلسفة**»، يوسف كرم، دار عالم الأدب.

٢- «**مشاكل الفلسفة**»، برتراند راسل، دار عالم الأدب.

٣- «**دراسات في الفلسفة المعاصرة**»، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر.

٤- «**أسس الفلسفة**»، توفيق الطويل، مصورة بسور الأزبكية.

٥- «**الفلسفة أنواعها ومشكلاتها**»، هنتر ميد، مكتبة نهضة مصر.

(٢) علم الاجتماع:

١- «**أسس علم الاجتماع**»، محمود عودة، دار النهضة العربية.

٢- «**علم الاجتماع**»، أنطوني جيدنز، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣- «**المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**»، الشبكة العربية للأبحاث.

٤- «**خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا**»، (جزءان)، الشبكة العربية للأبحاث.

٥- «**منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية**»، محمد امزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، كتبه عند منتدىٰ المعارف.

(٣) علم النفس:

١- «**مدخل إلىٰ علم النفس**»، فيصل عباس، دار المنهل.

٢- «**أصول علم النفس**»، أحمد عزت راجح، دار المعارف المصرية.

٣- «**علم النفس العام**»، مجموعة مؤلفين، دار المسيرة: الأردن.

٤- **«التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية»**، دار السلام.

(٤) اللغة واللسانيات:

١- **«مدخل إلىٰ اللسانيات»**، أحمد محمد قدور، دار الفكر دمشق.

٢- **«مدخل إلىٰ اللسانيات»**، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي.

٣- **«في اللسانيات العامة»**، مصطفىٰ غلفان، دار المدار الإسلامي.

٤- **«قاموس علوم اللغة»**، فرانك نوفو، المنظمة العربية للترجمة.

(٥) التاريخ وفلسفته:

١- **«موجز تاريخ العالم»**، ويلز، سور الأزبكية.

٢- **«معالم تاريخ الإنسانية»**، ويلز، سور الأزبكية وكلاهما مصورًا علىٰ الشبكة.

٣- **«تاريخ الحضارات العام»**، مجموعة مؤلفين، عويدات للنشر.

٤- **«فلسفة التاريخ»**، عبد الحليم مهورباشة، مركز نماء للبحوث والدراسات.

٥- **«تأريخ التاريخ»**، وجيه كوثراني، المركز العربي للدراسات.

(٦) الأنثروبولوجيا:

١- **«قصة الأنثروبولوجيا»**، عالم المعرفة.

٢- **«تاريخ النظريات الأنثروبولوجية»**، منشورات ضفاف.

(٧) الأدب ونقده:

١- **«مدخل إلىٰ الآداب الأوربية»**، فؤاد المرعي، دار عالم الأدب.

٢- **«قصة الأدب في العالم»**، زكي نجيب محمود، يتوفر مصورًا.

٣- **«الأدب المقارن»**، الطاهر مكي، مكتبة الآداب.

٤- **«النقد الأدبي الحديث»**، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر.

٥- **«نظرية الأدب»**، شكري عزيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٨) الفلسفة والفكر العربي:

١- **«فجر الإسلام»**، و**«ضحىٰ الإسلام»**، و**«ظهر الإسلام»**، جميعها لأحمد أمين، نشر دار النهضة العربية.

٢- «**تاريخ الفكر العربي والإسلامي**»، دومينيك أورفوا، نشر المكتبة الشرقية.

٣- «**تاريخ فلاسفة الإسلام**»، لمحمد لطفي، جمعة نشر دار عالم الكتب.

٤- «**مذاهب الإسلاميين**»، لعبد الرحمن بدوي، نشر دار العلم للملايين.

٥- «**تاريخ الفكر العربي في عصر النهضة**»، لألبرت حوراني، نشر دار نوفل.

٦- «**أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**»، فهمي جدعان، الشبكة العربية للأبحاث.

٧- «**موسوعة الحركات الإسلامية**»، مركز دراسات الوحدة العربية.

٨- «**واقعنا المعاصر**»، محمد قطب، دار الشروق.

٩- «**مناهج الفكر العربي المعاصر**»، لشاكر السمحودي، نشر مركز التأصيل.

١٠- «**ظاهرة التأويل الحديثة**»، خالد السيف، مركز التأصيل.

١١- «**الثقافة العربية في القرن العشرين**»، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٩) المنطق ونظرية المعرفة:

١- «**التفكير الناقد**»، عمرو صالح ياسين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٢- «**ضوابط المعرفة**»، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم.

٣- «**المعرفة**»، عبد الله القرني، دار عالم الفوائد.

٤- «**بناء المفاهيم**»، مجموعة باحثين، دار السلام.

٥- «**المنهجية الإسلامية**»، مجموعة باحثين، دار السلام.

(١٠) الفن:

١- «**موجز تاريخ الفن العام**»، صالح الألفي، دار المعارف.

٢- «**موجز تاريخ الفن الإسلامي**»، صالح الألفي، دار المعارف.

٣- «**الفن والمجتمع عبر التاريخ**»، أرنولد هاوزر، دار الكتاب العربي.

(١١) تاريخ الفكر الغربي:

١- «**تاريخ الفكر الأوربي الحديث**»، سترومبرج، دار القارئ العربي.

٢- «**آلام العقل الغربي**»، تارناس، العبيكان.

٣- «**قصة الحضارة**»، ول ديورانت، دار الجيل.

(١٢) الاقتصاد:

١- «**دليل الرجل العادي إلىٰ تاريخ الفكر الاقتصادي**»، حازم الببلاوي، دار الشروق.

٢- «**الاقتصاد عاريًا**»، مؤسسة كلمات.

٣- «**الاقتصاد**»، سامو يلسن، الدار الأهلية.

٤- «**فلسفة علم الاقتصاد**»، جلال أمين، دار الشروق.

٥- «**خرافة التقدم والتخلف**»، جلال أمين، دار الشروق.

٦- «**كشف الأقنعة**»، جلال أمين، دار الشروق.

٧- «**المدخل إلىٰ الاقتصاد الإسلامي**»، علي محيي الدين القره داغي، دار البشائر الإسلامية.

٨- «**اقتصادنا**»، محمد باقر الصدر، دار التعارف.

٩- «**مدخل إلىٰ أصول التمويل الإسلامي**»، سامي السويلم، مركز نماء للبحوث والدراسات.

رَابِعًا

قَائِمَةٌ مَوْسُعَةٌ فِي الْعُلُومِ السِّيَاسِيَّةِ

* أولًا: كتب تمهيدية في علم السياسة:

(١) «مباديء علم السياسة»، تأليف حسن نافعة، نشر مكتبة الشروق الدولية.

(٢) «**المفاهيم الأساسية في السياسة**»، تأليف أندرو هايوود، ترجمة منير محمود بدوي، نشر جامعة الملك سعود.

(٣) «**مدخل إلىٰ علم السياسة**»، تأليف موريس دوفرجيه، ترجمة الدكتور/ جمال الأتاسي، والدكتور، سامي الدروبي، نشر المركز الثقافي العربي.

(٤) «**علم اجتماع السياسة**»، تأليف موريس دوفرجيه، ترجمة سليم حداد، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

* ثانيًا: تاريخ الفكر السياسي الغربي:

(١) «**موسوعة الفكر السياسي عبر العصور**»، علي عباس مراد وزملاؤه، دار ابن النديم.

(٢) «**الفلسفة السياسية**»، علي عبود محمداوي، دار ابن النديم.

(٣) «**تاريخ الفكر السياسي**»، تأليف جورج سابين، ترجمة حسن العروسي، نشر دار المعارف، خمسة أجزاء في مجلدين، وقد نشرته مؤخرًا الهيئة العامة للكتاب في خمسة أجزاء.

(٤) «**تاريخ الأفكار السياسية**»، تأليف جان توشار وآخرين، ترجمة ناجي الدراوشة، نشر دار التكوين، ثلاثة مجلدات.

(٥) «**تاريخ الفكر السياسي**»، جان جاك شوفالييه، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، جزءان.

(٦) «**الفكر السياسي في القرن العشرين**»، نشر المركز القومي للترجمة.

* **ثالثًا: الأنظمة السياسية:**

(١) «**النظم السياسية**»، ثروت بدوي، نشر دار المعارف.

(٢) «**المؤسسات السياسية والقانون الدستوري ... الأنظمة السياسية الكبرىٰ**»، موريس دوفريجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(٣) «**الأحزاب السياسية**»، موريس دوفريجيه، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

* **رابعًا: العلاقات الدولية:**

(١) «**المستجدات الفقهية في العلاقات الدولية**»، دايرو يوسف صديقي، نشر دار النفائس.

(٢) «**مشروع العلاقات الدولية في الإسلام**»، نشر المعهد العامي للفكر الإسلامي.

* **خامسًا: تراث النظرية السياسية في الإسلام:**

(١) «**الغياثي**»، إمام الحرمين، نشر دار المنهاج.

(٢) «**الأحكام السلطانية**»، الماوردي، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية.

(٣) «**الأحكام السلطانية**»، أبو يعلىٰ، نشر مطبعة السنة المحمدية.

(٤) «**السياسة الشرعية**»، ابن تيمية، نشر دار عالم الفوائد.

(٥) «**الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية**»، ابن القيم، نشر دار عالم الفوائد.

(٦) «**مقدمة ابن خلدون**»، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نشر نهضة مصر.

* **سادسًا: دراسات حول تاريخ نظرية السياسة في الإسلام:**

(١) «**مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي**»، تحرير حامد ربيع، نشر مكتبة الشروق الدولية.

(٢) «**مفاهيم الجماعات في الإسلام**»، رضوان السيد، دار جداول.

(٣) «**الأمة والجماعة والسلطة**»، رضوان السيد، دار جداول.

(٤) «**الجماعة والمجتمع والدولة**»، رضوان السيد، دار الكتاب العربي.

* **سابعًا: النظام السياسي الإسلامي فقهًا ومقارنة مع النظم الغربية:**

(١) «**النظام السياسي الإسلامي مقارنًا بالدولة القانونية**»، منير البياتي، نشر دار النفائس.

(٢) «**الدولة والسيادة**»، فتحي عبد الكريم، نشر مكتبة وهبة.

(٣) «**النظريات السياسية في الإسلام**»، ضياء الدين الريس، دار التراث.

(٤) «**الإمامة العظمىٰ في الإسلام**»، عبد الله الدميجي، نشر دار طيبة.

(٥) «**الخلافة في الفكر الإسلامي الحديث**»، نشر دار العلياء.

* **ثامنًا: فقه المستجدات الفقهية السياسية:**

(١) «**فقه النوازل السياسية**»، عطية عدلان، نشر دار اليسر.

(٢) «**الانتخابات وأحكامها**»، فهد العجلان، نشر دار كنوز إشبيليا.

(٣) «**دراسات حول التعددية الحزبية والتحالفات مع الأحزاب العلمانية**»، هشام برغش، نشر دار اليسر.

* **تاسعًا: تجارب اجتهادية في السياسة الشرعية:**

(١) «**الدين والسياسة**»، يوسف القرضاوي، دار الشروق.

(٢) «**من فقه الدولة في الإسلام**»، يوسف القرضاوي، دار الشروق.

(٣) «**فقه الجهاد**»، يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة.

(٤) «**النظام السياسي للدولة الإسلامية**»، محمد سليم العوا، دار الشروق.

(٥) «**في الفقه السياسي الإسلامي**»، فريد عبد الخالق، دار الشروق.

(٦) «**في الفقه السياسي الإسلامي**»، حسن الترابي، نشر الدار العربية للعلوم.

(٧) «**مواطنون لا ذميون**»، فهمي هويدي، نشر دار الشروق.

(٨) «**الحرية أو الطوفان**»، حاكم المطيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٩) «**تحرير الإنسان من دعاوىٰ الطغيان**»، حاكم المطيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(١٠) «**الحريات العامة في الدولة الإسلامية**»، راشد الغنوشي، نشر دار الشروق.

* عاشرًا: أسلمة العلوم السياسية:

(١) «**نظريات السياسة المقارنة**»، نصر عارف، نشر جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية.

(٢) «**نظريات التنمية السياسية المعاصرة**»، نصر عارف، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

* **حادي عشر: الأنظمة السياسية العربية المعاصرة:**

(١) «**المدخل المنهاجي لدراسة النظم السياسية العربية**»، منىٰ أبو الفضل، نشر دار السلام.

(٢) «**النظم السياسية العربية.. الاتجاهات الحديثة في دراستها**»، حسنين توفيق إبراهيم، نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

* ثاني عشر: أمهات كتب النظرية السياسية الغربية:

(١) «**الجمهورية**»، أفلاطون، ترجمة فؤاد زكريا.

(٢) «**القوانين**»، أفلاطون، ترجمة حسن ظاظا.

(٣) «**السياسة**»، أرسطو، نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

(٤) «**الأمير**»، ميكافيلي، ترجمة خيري حماد.

(٥) «**اللفياثان**»، توماس هوبز، نشر دار الفارابي.

(٦) «**رسالتان في الحكم المدني**»، جون لوك، نشر الدار اللبنانية لنشر الروائع.

(٧) «**رسالة في التسامح**»، جون لوك، ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٨) «**رسالة في اللاهوت والسياسة**»، اسبينوزا، ترجمة حسن حنفي، نشر دار جداول.

(٩) «**رسالة في التسامح**»، فولتير، ترجمة هنري عبود.

(١٠) «**العَقد الاجتماعي**»، جون جاك روسو، نشر مركز دراسات الوحدة العربية.

(١١) «**أسس الليبرالية السياسية**»، جون ستيوارت ميل، نشر مدبولي.

* ثالث عشر: المعاجم والموسوعات:

(١) «**موسوعة السياسة**»، عبد الوهاب الكيالي، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٢) «**معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية**»، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

* رابع عشر: قضايا الحداثة السياسية:

(١) الديمقراطية.

١ - «**ما هي الديموقراطية؟**»، آلان تورين، دار الساقي.

٢ - «**الجذور الفكرية للديموقراطية الغربية**»، المنتدىٰ الإسلامي بلندن.

٣ - «**الديموقراطية والحداثة**»، إيليا حريق، دار الساقي.

(٢) حقوق الإنسان:

١ - «**حقوق الإنسان**»، أحمد الرشيدي، مكتبة الشروق الدولية.

٢ - «**حقوق الإنسان في الفكر العربي**»، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣ - «**الحريات العامة في الدولة الإسلامية**»، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية.

٤ - «**المصطلحات الوافدة**»، الهيثم زعفان، مركز الرسالة.

٥ - «**الحرية في الإسلام**»، سلطان العميري، المركز العربي للدراسات الإنسانية.

(٣) الدولة المدنية والمجتمع المدني:

١ - «**الدولة المدنية مفاهيم وأحكام**»، أحمد سالم، المكتبة العصرية.

٢ - «**المجتمع المدني**»، جون اهزنبرج، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣ - «**المصطلحات الوافدة**»، الهيثم زعفان، مركز الرسالة.

خَامِسًا

قَائِمَةٌ فِي الْمَذَاهِبِ الْفِكْرِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ

* أولًا: كتب عامة:

(١) «**مذاهب فكرية معاصرة**»، محمد قطب، الشروق.

(٢) «**كواشف زيوف**»، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم.

(٣) «**المدرسة الإسلامية**»، محمد باقر الصدر، دار الكتاب المصري.

(٤) «**الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**»، المسيري، دار الفكر بدمشق.

* ثانيًا: العلمانية:

(١) «**العلمانية**»، سفر الحوالي، مكتب الطيب.

(٢) «**العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**»، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق.

(٣) «**سقوط الغلو العلماني**»، محمد عمارة، دار الشروق.

(٤) «**روح الدين**»، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي.

* ثالثًا: الليبرالية:

(١) «**حقيقة الليبرالية**»، عبد الرحيم السلمي، مركز التأصيل.

(٢) «**نقد الليبرالية**»، الطيب بوعزة، دار تنوير.

(٣) «**الفكر الليبرالي تحت المجهر الشرعي**»، محمود الصاوي.

* رابعًا: القومية:

(١) «**نظريات القومية**»، المركز العربي للأبحاث.

(٢) «**عصر القومية**»، هانز كوهن، المركز القومي للترجمة.

(٣) «**الأحزاب والحركات القومية**»، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٤) «**نقد الخطاب القومي**»، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٥) «**علمنة المشروع القومي**»، محمد شيا، الهيئة العامة للكتاب.

* خامسًا: الاشتراكية:

(١) «**المذاهب الاشتراكية**»، أحمد جامع، دار المعارف.

(٢) «**الإسلام والمذاهب الاقتصادية**»، أحمد يوسف كمال، دار الوفاء.

(٣) «**اقتصادنا**»، محمد باقر الصدر، دار التعارف.

* سادسًا: الماركسية والمادية الجدلية:

(١) «**أصول الفلسفة الماركسية**»، بوليتزر، المكتبة العصرية.

(٢) «**الماركسية الغربية**»، كتاب جماعي، تحرير: علي عبود محمداوي، منشورات ضفاف.

(٣) «**الأسس الأخلاقية للماركسية**»، أوجين كامنكا، دار الآداب.

(٤) «**الحركة الماركسية في مصر**»، جيناروجيرفازيو، المركز القومي للترجمة.

(٥) «**معجم ماركس**»، المنظمة العربية للترجمة.

(٦) «**معجم الماركسية**»، دار الفارابي.

(٧) «**ألف باء المادية الجدلية**»، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة.

(٨) «**نقض المادية الجدلية**»، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق.

* سابعًا: الحداثة وما بعد الحداثة:

(١) «**الحداثة وما بعد الحداثة**»، عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي، دار الفكر.

(٢) «**الحداثة وما بعد الحداثة**»، محمد سبيلا، الشبكة العربية للأبحاث.

(٣) «**جذور الرومانتيكية**»، إيزيا برلين، دار جداول.

(٤) «**من أجل حداثة متعددة الأصوات**»، الزواوي بلغورة، دار الطليعة.

(٥) «**فلسفة الحداثة**»، فتحي التريكي، معهد الإنماء القومي.

(٦) **«قراءات معرفية في الحداثة الغربية»**، عبد الوهاب المسيري، مكتبة الشروق الدولية.

(٧) **«نقد الحداثة»**، آلان تورين، المركز القومي للترجمة.

*** ثامنًا: التنوير:**

(١) **«الفكر الأوروبي في القرن الخامس عشر»**، بول هازار.

(٢) **«التنوير»**، روتردام، دار الفارابي.

(٣) **«الفكر العربي في عصر النهضة»**، ألبرت حوراني، دار نوفل.

(٤) **«التنوير الزائف»**، جلال أمين، دار العين.

*** تاسعًا: الماسونية.**

(١) **«المحافل الماسونية»**، دار صفحات.

(٢) **«الماسونية في العالم العربي»**، مكتبة الأنجلو.

(٣) **«الماسونية والماسون في مصر»**، دار الكتب المصرية.

سَادِسًا

التَّنْمِيَةُ الذَّاتِيَّةُ وَالْإِدَارِيَّةُ

(١) «**أعظم مائة فكرة للنجاح الشخصي**»، جون آدير، منشورات جرير.

(٢) «**مبادئ النجاح**»، جاك كانفيلد، منشورات جرير.

(٣) «**أعظم مائة فكرة للإبداع الرائع**»، جون آدير، منشورات جرير.

(٤) «**إدارة الوقت في لحظة**»، كارين ليلاند، منشورات جرير.

(٥) «**كيف تذاكر**»، رون فراي، منشورات جرير.

(٦) «**القراءة السريعة الرائعة**»، فيل تشامبرز، منشورات جرير.

(٧) «**الموهبة لا تكفي أبدًا**»، جون ماكسويل، منشورات جرير.

(٨) «**تنمية الشخصية**»، لعبد الكريم بكار، في خمسة أجزاء، نشر دار الأعلام.

(٩) «**فصول في التفكير الموضوعي**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار القلم.

(١٠) «**تجديد الوعي**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار القلم.

سابعًا: كُتبٌ في الحضارة والفكر والدعوة والإصلاح العام

(١) «**نحو انطلاقة حضارية شاملة**»، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق.

(٢) «**فقه الدعوة**»، لعبد الرحمن حسن حبنكة، نشر دار القلم.

(٣) «**إحياء فقه الدعوة**»، و«**منهجية التربية الدعوية**»، لمحمد أحمد الراشد، سلسلة تصدرها دار البشير، مع الحذر من بعض الأخطاء المبنية علىٰ أصول فكرية وتنظيمية لجماعة الإخوان المسلمين تحتاج لمراجعة نقدية.

(٤) «**منهج الدعوة في ضوء الكتاب والسنة**»، عدنان عرعور.

(٥) «**أسس منهج السلف في الدعوة إلي الله**»، للسحيمي، نشر دار ابن عفان.

(٦) «**هكذا ظهر جيل صلاح الدين**»، لماجد الكيلاني، نشر دار القلم.

(٧) «**الثوابت والمتغيرات**»، لصلاح الصاوي، نشر دار الأندلس الخضراء.

(٨) «**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**»، لأبي الحسن الندوي، نشر دار القلم.

(٩) «**النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**»، لمحمد رجب البيومي، نشر دار القلم.

(١٠) «**أصول الدعوة**»، للدكتور/ محمد يسري، نشر دار اليسر.

(١١) «**أمة واحدة**»، لسلمان العودة، نشر مؤسسة الإسلام اليوم.

(١٢) «**مغالطات**» و«**شبهات حول الإسلام**»، كلاهما لمحمد قطب، نشر دار الشروق.

ثَامِنًا

تَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ

(١) «**التربية المثالية**»، منشورات: جرير.

(٢) «**التهذيب الإيجابي**»، منشورات جرير.

(٣) «**كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظامًا**»، آلانديفيدسون، منشورات جرير.

(٤) «**دليل التربية الأسرية**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار الأعلام.

(٥) «**بناء الأجيال**»، لعبد الكريم بكار، نشر المنتدىٰ الإسلامي.

(٦) «**القواعد العشر في تربية**»، الأبناء لعبد الكريم بكار، نشر دار السلام.

(٧) «**المراهق**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار السلام.

(٨) «**مسار الأسرة**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار السلام.

(٩) «**التواصل الأسري**»، لعبد الكريم بكار، نشر دار السلام.

(١٠) «**مسؤولية الأب المسلم**»، لعدنان باحارث، نشر دار المجتمع.

(١١) «**منهج التربية النبوية للطفل**»، محمد سويد، نشر دار الوفاء في مجلدين.

(١٢) «**تربية المرهق في رحاب الإسلام**»، نشر دار المعالي.

(١٣) «**تربية الموهوب في رحاب الإسلام**»، نشر دار المعالي.

تَاسِعًا

الثَّقَافَةُ وَالْعَوْلَمَةُ

(١) «**مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**»، دنيس كوش، المنظمة العربية للترجمة.

(٢) «**نظرية الثقافة**»، مجموعة كتاب، عالم المعرفة (٢٢٣).

(٣) «**المسألة الثقافية في العالم العربي**»، رضوان السيد وأحمد برقاوي، دار الفكر بدمشق.

(٤) «**ثقافة العولمة وعولمة الثقافة**»، برهان غليون، وسمير أمين، دار الفكر بدمشق.

(٥) «**صِدَام الحضارات**»، صامويل هاتنتجتون، نشر سطور.

(٦) «**الصِّدَام داخل الحضارات**»، دييترسنغاس، دار العين.

(٧) «**تعايش الثقافات**»، هارالدموللر، دار الكتاب الجديد.

(٨) «**العولمة**»، عبد الكريم بكار، دار الأعلام.

(٩) «**العولمة**»، جلال أمين، دار الشروق.

(١٠) «**السيارة ليكساس وشجرة الزيتون**»، توماس ل. فريدمان، دار العبيكان.

(١١) «**العولمة**»، كلاوس موللر، المركز القومي للترجمة.

(١٢) «**ميثاق العولمة**»، روبرت جاكسون، مكتبة العبيكان.

(١٣) «**فرص العولمة**»، نورمان فان شربنبرغ، مكتبة العبيكان.

(١٤) «**العولمة**»، المفاهيم الأساسية الشبكة العربية للأبحاث.

(١٥) «**الإغواء بالعولمة**»، ألكسندر بانارين، اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

(١٦) «**العولمة الطوفان أم الإنقاذ**»، مجموعة كتاب، مركز دراسات الوحدة العربية.

عَاشِرًا

فَهَارِسُ الْكُتُبِ وَأَدِلَّتُهَا

* أولًا: ما صُنِّف لرصد الكتب بقطع النظر عن طباعتها من عدمها:

(١) «**الفهرست**»، للنديم، نشر مؤسسة الفرقان، بتحقيق أيمن فؤاد سيد.

(٢) «**كشف الظنون**»، للحاج خليفة.

(٣) «**جامع الشروح والحواشي**»، لعبد الله الحبشي.

(٤) «**معجم الموضوعات المطروقة**»، لعبد الله الحبشي.

(٥) «**فهرس مصنفات تفسير لقرآن الكريم**»، نشر مجمع الملك فهد.

* ثانيًا: فهارس المخطوطات:

(١) «**تاريخ الأدب العربي**»، لكارل بروكلمان.

(٢) «**تاريخ التراث العربي**»، لفؤاد شزكين.

(٣) «**الفهرس الشامل**»، نشر مؤسسة أهل البيت.

* ثالثًا: فهارس المطبوعات:

(١) «**المعجم الشامل للتراث العربي المخطوط**»، نشر معهد المخطوطات في سبعة أجزاء.

(٢) «**جمهرة تصانيف العرب**»، أحمد الشال، نشر مكتبة السنة ببورسعيد.

(٣) «**التراث العربي المطبوع في مصر حتىٰ القرن التاسع عشر**»، محمود الطناحي، نشر دار الهلال.

(٤) «**دليل المكتبة العقدية**»، محمد الشايع، نشر دار زدني.

(٥) «**دليل مؤلفات الحديث الشريف**»، نشر دار ابن حزم.

(٦) «**المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف**»، نشر مكتبة الرشد.

(٧) «**التصنيف في السنة النبوية وعلومها**»، خلدون الأحدب، نشر مؤسسة الريان.

(٨) «**الدليل الجامع إلىٰ كتب أصول الفقه**»، لشامل شاهين، نشر دار غار حراء.

(٩) «**مصادر السنة النبوية**»، لمحمد يسري سلامة، نشر دار الجبرتي.

(١٠) «**معجم ما طبع من مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية**»، لمحمد يسري سلامة نشر دار الجبرتي.

مِنْ أَهَمِّ السِّيَرِ الذَّاتِيَّةِ

(١) «**الاعتبار**»، لأسامة بن منفذ.

(٢) «**التحدث بنعمة الله**»، للسيوطي.

(٣) «**الأيام**»، لطه حسين.

(٤) «**الذكريات**»، علي الطنطاوي.

(٥) «**حياتي**»، لأحمد أمين.

(٦) «**سيرة حياتي**»، لعبد الرحمن بدوي.

(٧) «**اعترافات**»، لجان جاك روسو.

(٨) «**كفاحي**»، لهتلر.

(٩) «**السيرة الذاتية**»، لبرتراند راسل.

(١٠) «**قصة عقل**»، لزكي نجيب محمود.

(١١) «**قصة نفس**»، لزكي نجيب محمود.

(١٢) «**أنا**»، للعقاد.

(١٣) «**قصة قلم**»، للعقاد.

(١٤) «**سبعون: حكاية عمر**»، ميخائيل نعيمة.

(١٥) «**قصة حياتي**»، لأحمد لطفي السيد.

(١٦) «**مذكرات طالب بعثة**»، لويس عوض.

(١٧) «**قصة حياتي**»، لخالد محمد خالد.

(١٨) «**زهرة العمر**»، لتوفيق الحكيم.

(١٩) «معي»، لشوقي ضيف.

(٢٠) «رحلتي الفكرية»، لعبد الوهاب المسيري، نشر دار الشروق.

(٢١) «ماذا علمتني الحياة»، لجلال أمين.

(٢٢) «رحيق العمر»، لجلال أمين، نشر دار الشروق.

(٢٣) حلقات برنامج: «شاهد علىٰ العصر» يذاع علىٰ قناة الجزيرة.

(٢٤) حلقات برنامج: «زيارة خاصة» يذاع علىٰ الجزيرة.

(٢٥) حلقات برنامج: «ذكريات»، أذيع علىٰ قناة دليل.

(٢٦) حلقات برنامج: «سيرة أدبية»، أذيع علىٰ قناة دليل.

(٢٧) حلقات برنامج: «سوانح الذكريات»، أذيع علىٰ قناة دليل.

(٢٨) حلقات برنامج: «قصة حياة» أذيع علىٰ قناة المجد.

كُتُبُ الرَّحَلاتِ

(١) «**رحلة ابن جبير**».

(٢) «**ملء العيبة**»، لابن رشد الفهري.

(٣) «**مستفاد الرحلة والاغتراب**»، لقاسم التجيبي.

(٤) «**رحلة ابن بطوطة**».

(٥) «**في مهبط الوحي**»، لمحمد حسين هيكل.

(٦) «**تلخيص الإبريز**»، لرفاعة الطهطاوي.

(٧) «**الرحلة الحجازية**»، لشكيب أرسلان.

(٨) «**الرحلة إلىٰ البلد الحرام**»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

(٩) «**أرض النبوة**»، لعلي الطنطاوي.

(١٠) «**رحلة الحجاز**»، لمحمد رشيد رضا.

(١١) «**رحلات محمد العبودي**».

مُلْحَقٌّ فِيهِ قوائمُ

كتبٍ مُقترحةٌ في أبوابٍ مختلفةٍ

باعتباراتٍ أخرى مُتعدِّدةٍ

* قائمة قراءة تسبق مناهج العلوم وتصلح لعامة القراء والمثقفين:

كثير من طلبة العلم يبدأ في الدراسة المنهجية للعلوم الشرعية بعد أن يمر علىٰ تجارب مختلفة، ودراسات متفرقة، وقراءات ناقصة ولكن متنوعة، وهذه الفوضىٰ التي يمر بها ويحدثك بعد ذلك عن كراهته لها = لها أثر مفيد، وهي أنها تكسر الحاجز بينه وبين العلوم الشرعية، وتترك فيه نوعًا من الألفة للغة العلوم الشرعية وموضوعاتها، وأحيانًا قد تؤهله لتجاوز المرحلة الأولىٰ من بعض العلوم أو يكفيه منها المرور السريع.

لكن نفرًا آخر لا يكون قد مر بهذه التجارب، فهذا النوع لا أنصحه بأن يبدأ مباشرة في المرحلة الأولىٰ من العلوم الشرعية، بل أنصحه بأن يقرأ قائمة الكتب التالية أولًا، وبالترتيب إن أمكنه:

(١) «**خلق المسلم**»، محمد الغزالي، دار القلم.

(٢) «**المشوق إلىٰ القرآن**»، عمرو الشرقاوي، مركز تفكر.

(٣) «**جدد حياتك**»، محمد الغزالي، دار القلم.

(٤) «**أعمال القلوب**»، محمد صالح المنجد. صوتية أو مكتوبة.

(٥) «**مع الله**»، سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ونشرته دار السلام.

(٦) «**مع المصطفىٰ**»، سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ونشرته دار السلام.

(٧) «**مع الأئمة**»، سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ونشرته دار السلام.

(٨) «**سلطة الثقافة الغالبة**»، إبراهيم السكران، مركز تفكر.

(٩) «**الفقه الميسر**»، نخبة من العلماء، شرح وتعليق محمد محمود عبد الهادي.

(١٠) «**العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**»، عمر الأشقر، دار النفائس.

قائمة متون مختصرة

يمكن أن يكتفي بحفظها من لا يطيق حفظ مطولات المتون

من ثَقُلَ عليه حفظ المتون، يمكنه حفظ متن صغير في كل علم ويجعله هو المرحلة الأولىٰ ولا يحفظ غيره، ومن أمثلة المتون الصغيرة:

(١) العقيدة: [«سُلَّمُ الوصول»، للشيخ حافظ حكمي وتتمتها للعمري].

(٢) الفقه: [«الدُّرر البهية» للشوكاني، أو «أخصر المختصرات»، أو «متن أبي شجاع»].

(٣) الحديث: [«مختصر ابن أبي حمزة»].

(٤) التفسير: [«كلمات القرآن»].

(٥) علوم القرآن: [«منظومة الزمزمي»].

(٦) علوم الحديث: [«نُخبة الْفِكَرِ»، أو نظمها].

(٧) أصول الفقه: [«الورقات»، أو نظمها].

(٨) النحو: [«الآجرومية» أو نظمها للشنقيطي].

(٩) الصرف: [«نظم المقصود»].

(١٠) البلاغة: [«الجوهر المكنون»].

(١١) القواعد الفقهية: [«منظومة الفضفري»].

(١٢) المنطق: [«السُّلم الْمُنَوْرَقُ»].

وكل ذلك لن يستغرق منه في حفظه ما تستغرقه أَلْفِيَّانِ أو «زاد المستقنع» مثلًا . . .

تنبيه: لا أحبذ حفظ أكثر من متنين في كل علم، فمختصر ومطول، وإنَّما يطلب المتن المختصر مُريد التفنن، أو من كان تخصصه قريبًا من العلم الذي سيحفظ فيه المتن المطول.

كتاب عمدة للمتخصص

والمطالع يكرر قراءته ويزيد عليه فوائد مطالعته

(١) التفسير: «زاد المسير».

(٢) علوم القرآن: «الإتقان».

(٣) أصول التفسير: «التحرير»، لمساعد الطيار.

(٤) العقيدة: مجلدات العقيدة من: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام».

(٥) أصول الفقه: «إرشاد الفحول».

(٦) الفقه: «المغني»، لابن قدامة.

(٧) شروح الحديث: «فتح الباري»، لابن حجر.

(٨) علوم الحديث: «تحرير علوم الحديث».

(٩) القواعد الفقهية: «الأشباه والنظائر»، للسيوطي.

(١٠) مقاصد الشريعة: «إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة».

(١١) التاريخ الإسلامي: (سلسلة سهيل طقوش).

(١٢) النحو: «أوضح المسالك»، لابن هشام.

(١٣) أصول النحو: «الاقتراح»، للسيوطي.

(١٤) الصرف: «المستقصىٰ»، للخطيب.

(١٥) البلاغة: «الإيضاح»، للخطيب القزويني.

(١٦) فقه اللغة: «المزهر»، للسيوطي.

(١٧) علم الدلالة: «المعنىٰ وظلال المعنىٰ»، محمد يونس علي.

(١٨) الأدب: «تاريخ الأدب العربي»، إيليا حاوي.

مصادر تراثيَّة

يجب أن يعتني بها طلبة العلم

كتب التراث العربي والإسلامي ليست رتبة واحدة، بل تتفاوت تفاوتًا عظيمًا سواء من جهة فرق ما بينها في العلم والتحقيق، أو من جهة فرق ما بينها في الحشد والجمع، أو من جهة فرق ما بينها لا في صناعة العقل ومساعد القارئ علىٰ النمو العلمي.

وقد سمينا تحت كل علم من العلوم قائمة قراءة تحوي إلىٰ جانب البحوث والدراسات المعاصرة عيونَ المصادر التراثية في كل فرع معرفي، وإنَّما سأخص هذا المبحث بذكر كتب محققة محررة أرشح طلبة العلم لمطالعتها وتكرار قراءتها؛ فإن الكتب المهمة والمؤسِسة يتناسب انتفاعك بها -زيادة ونقصًا- مع المحصول الثقافي، ودرجة الإدراك والوعي التي عندك، ويظهر ذلك جليًّا حين تعيد قراءة أحدها بعد مرور سنوات علىٰ القراءة الأولىٰ = ستشعر أنك تقرأه لأول مرة، وتتعجب من كم الفوائد التي حصلتها منه، كأن لم تمر عليها بالأمس!

* **أولًا: كتب يمكن لطالب العلم أن يبدأ في مطالعتها منذ إنهائه للمرحلة الأولى في العلوم، وتساعده على تطوير أفكاره وتفعيلها:**

(١) «**التسهيل لعلوم التنزيل**»، لابن جزي الكلبي.

(٢) «**جامع العلوم والحكم**»، لابن رجب الحنبلي.

(٣) «**شرح رياض الصالحين**»، محمد بن صالح العثيمين.

(٤) «**الإرشاد إلىٰ معرفة الأحكام**»، عبد الرحمن السعدي.

(٥) «**الفوائد**»، «**الوابل الصيب**»، «**الداء والدواء**»، «**إغاثة اللهفان**»، جميعها لابن قيم الجوزية.

* ثانيًا: كتب يمكن لطالب العلم أن يبدأ في مطالعتها منذ إنهائه للمرحلة الثانية في العلوم، وتساعده على تطوير أفكاره وتفعيلها:

(١) **«فتح القدير»**، الشوكاني.

(٢) **«الوافي بما في الصحيحين»**، صالح الشامي.

(٣) **«الكفاية»**، للخطيب البغدادي.

(٤) **«الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع»**، للخطيب البغدادي.

(٥) **«جامع بيان العلم وفضله»**، لابن عبد البر.

(٦) **«زاد المعاد»**، لابن القيم.

(٧) **«اقتضاء الصراط المستقيم»**، لابن تيمية.

(٨) **«الاستغاثة»**، لابن تيمية.

(٩) **«الاعتصام»**، للشاطبي.

(١٠) **«سبل السلام»**، للصنعاني.

(١١) **«طرح التثريب»**، للعراقي.

(١٢) **«نيل الأوطار»**، للشوكاني.

(١٣) **«إحكام الأحكام»**، لابن دقيق العيد.

(١٤) **«زاد المسير»**، ابن الجوزي.

(١٥) **«شرح ابن بطال علىٰ البخاري»**.

(١٦) **«شرح النووي علىٰ مسلم»**.

(١٧) مجموع مؤلفات العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني.

* ثالثًا: كتب يمكن لطالب العلم أن يبدأ في مطالعتها منذ إنهائه للمرحلة الثالثة في العلوم، وتساعده على تطوير أفكاره وتفعيلها:

(١) **«تفسير الطبري»**.

(٢) **«تفسير ابن عطية»**.

(٣) **«فتح الباري»**، لابن حجر العسقلاني.

(٤) «فتح الباري»، لابن رجب الحنبلي.

(٥) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية».

(٦) «منهاج السنة النبوية».

(٧) «بيان تلبيس الجهمية».

(٨) «تهذيب السنن»، لابن القيم.

(٩) «المحلىٰ»، لابن حزم.

(١٠) «السنن الكبرىٰ»، للبيهقي.

(١١) «الأصل لمحمد بن الحسن».

(١٢) «السير الكبير»، لمحمد بن الحسن.

(١٣) «الأم»، للشافعي.

(١٤) «جامع علوم الإمام أحمد بن حنبل»، دار الفلاح.

(١٥) «الفتح الرباني جامع رسائل الشوكاني»، مؤسسة الرسالة.

(١٦) «جامع رسائل الصنعاني»، دار ابن كثير.

(١٧) «العواصم من القواصم»، لابن الوزير اليماني.

(١٨) «العلم الشامخ»، لصالح المقبلي.

(١٩) «إيثار الحق علىٰ الخلق».

المُهِمُّ من كتب الشيخين الإمامين

* أولًا: (ابن تيمية):

(١) «**مجموعة الفتاوىٰ**»، طبعة ابن قاسم، في سبعة وثلاثين مجلدًا.

(٢) «**منهاج السنة**»، بتحقيق محمد رشاد سالم، في تسعة مجلدات.

(٣) «**درء التعارض**»، بتحقيق محمد رشاد سالم، في أحد عشر مجلدًا.

(٤) «**بيان تلبيس الجهمية**»، نشر مجمع الملك فهد، في عشرة مجلدات.

(٥) «**الجواب الصحيح**»، نشر دار العاصمة، في سبعة مجلدات.

(٦) «**الصارم المسلول**»، طبعة دار رمادي، في ثلاثة مجلدات.

(٧) «**الاستقامة**»، نشر دار الفضيلة، في مجلد ضخم.

(٨) «**بيان الدليل**»، نشر دار ابن الجوزي.

(٩) «**شرح الأصبهانية**»، طبعة دار المنهاج بالرياض.

(١٠) «**اقتضاء الصراط المستقيم**»، بتحقيق ناصر العقل.

*** لا تشترِ أيَّ طبعة هي إعادة تنضيد وصف للطبعة التي ذكرناها هاهنا.**

* ثانيًا: (ابن القيم):

(١) «**زاد المعاد**»، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) «**بدائع الفوائد**»، نشر دار عالم الفوائد.

(٣) «**الكافية الشافية**»، نشر دار عالم الفوائد.

(٤) «**الطرق الحكمية**»، نشر دار عالم الفوائد.

(٥) «**كتاب الصلاة وحكم تاركها**»، نشر دار عالم الفوائد.

(٦) «**الصواعق المرسلة**» نشر دار العاصمة، و«**مختصره**»، نشر دار أضواء السلف.

(٧) «**شفاء العليل**»، نشر مكتبة العكيبان.

(٨) «**تهذيب السنن**»، نشر دار المعارف بالرياض.

(٩) «**مفتاح دار السعادة**»، نشر دار عالم الفوائد.

(١٠) «**الداء والدواء**»، نشر دار عالم الفوائد.

مقترح لدراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية

دراسة متوسطة لا تختص بالاعتقاد

* أولًا: كتب لا يشترط لها شروط قبل القراءة إلَّا أن يكون طالب علم انتهىٰ من المرحلة الأولىٰ في الفقه وأصوله وعلوم الحديث وأصول التفسير والمرحلة الثانية في العقيدة، وحبذا لو كان قرأ: «الداء والدواء»، و«الوابل الصيب»، و«إغاثة اللهفان»، و«منهج ابن تيمية في تقرير التوحيد للعباد»، و«منهج ابن تيمية في التكفير»، لعبد المجيد المشعبي.

(١) «التحفة العراقية».

(٢) «العبودية».

(٣) «القاعدة المراكشية».

(٤) «اقتضاء الصراط».

(٥) «الاستغاثة».

(٦) «الإخنائية».

(٧) «مقدمة أصول التفسير».

(٨) «الفرقان بين أولياء الله».

(٩) «قاعدة جليلة في التوسل».

(١٠) «الصارم المسلول».

(١١) المجلد السابع من «مجموع الفتاوىٰ»، وقبل قراءته يقرأ الطالب: «الإيمان عند السلف»، لمحمد محمود آل خضير.

* ثانيًا: كتب لا بُدَّ قبل دراستها من إنهاء المرحلة الثانية في الفقه، وأصوله، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث، وأصول التفسير، ودراسة شيء منفصل عن التصوف الإسلامي وتاريخه، وحبَّذا لو كان قرأ قبلها: «إعلام الموقعين»، و«مدارج السالكين»، و«طريق الهجرتين»، و«زاد المعاد»، و«تهذيب السنن»، و«الطرق الحكمية» لابن القيم:

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، من المجلد التاسع وحتىٰ الأخير، و«شرح العمدة»، و«مجموعات الرسائل»، التي نشرتها عالم الفوائد، أو نشرها محمد رشاد سالم.

(٢) «الاستقامة».

(٣) «القواعد النورانية».

(٤) «قاعدة في العقود».

(٥) «الرد علىٰ السبكي».

(٦) «تفسير آيات أشكلت».

وهذه المرحلة من مراحل كتب شيخ الإسلام يعتني بها المتخصص في الدراسات الفقهية، ويمكن فصلها وتقديمها أو تأخيرها عن المرحلتين التاليتين.

* ثالثًا: كتب لا بُدَّ قبلها من دراسة «شرح التدمرية»، لفخر الدين المحسي، و«شرح ابن أبي العز علىٰ الطحاوية»، ودراسة «الصواعق»، و«مختصر الصواعق»، لابن القيم، و«شفاء العليل»، لابن القيم، و«الأصول التي بنىٰ عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات»، لعبد القادر صوفي، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، للمحمود، و«حقيقة التوحيد عند المتكلمين»، لعبد الرحيم السلمي، ومقدمة في المنطق، ومقدمة في الفرق الإسلامية:

(١) المجلدات من الثالث إلىٰ السادس من «الفتاوىٰ».

(٢) «بيان تلبيس الجهمية».

* رابعًا: كتب لا بُدَّ قبلها من إنهاء ما سبق ودراسة مقدمة في الفلسفة الإسلامية خاصة فلسفة ابن سينا وابن رشد، ودراسة أوسع للفرق، ودراسة كتاب مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي، وفلسفة المتكلمين لولفنسون:

(١) المجلد الثاني والثامن من «**الفتاوىٰ**».

(٢) «**الصفدية**».

(٣) «**السبعينية**».

(٤) «**الجواب الصحيح**».

(٥) «**شرح الأصفهانية**».

(٦) «**درء التعارض**».

(٧) «**منهاج السنة**».

(٨) «**تنبيه الرجل العاقل**».

الشَّبَكَةُ الْعَنْكَبُوتِيَّةُ

بحرٌ لا ساحل له، مَن أصاب موضع الفائدة منها رُزق الانتفاع بالعلم والاتساع في الأفق، ومَن عام فيها أكلت وقته، وأرته حسنًا ما ليس بالحسن.

وهذه وصايا تُعين علىٰ هذا الهداية لموضع الفائدة من غير إضاعة وقت.

(١) اعتنِ بالمواقع الجادَّة كلٌّ في تخصصه، ولا تنظر في غيرها إلَّا للضرورة.

(٢) اعتنِ بالقراءة لمشاركين من طلبة العلم المتقنين.

(٣) تصفح المواقع تكفي له ساعة يوميًّا، واجعلها آخر اليوم؛ كي لا تأخذ زهرة وقتك، ولتكن في وقت محكوم مغلق لا يسمح بالتوسع كبين المغرب والعشاء، أو قبل خروجك لموعد مهم بساعة، ويمكن جعل تصفحها في أحد أيام الأسبوع بمعدل ثلاث ساعات، ومن الطرق التي جربتها بعد انتشار الهواتف الذكية: قصر التصفح علىٰ أوقات الانتظار والمواصلات ونحوها.

(٤) إذا كنت تكتب؛ فلا تكتب إلَّا للفائدة، وقلِّل الجدال ما استطعت.

(٥) لا تبتئس بمن يقع فيك؛ فهذا عالم مفتوح، والتواصي بالحقِّ يلزم له التواصي بالصبر.

* قائمة بالمواقع المهمة:

(١) ملتقىٰ أهل التفسير.

(٢) ملتقىٰ أهل الحديث.

(٣) المجلس العلمي بموقع الألوكة، والموقع ككل.

(٤) ملتقىٰ العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(٥) الملتقىٰ الفقهي.

(٦) طريق الإسلام. [لتحميل المواد الصوتية ونحوها].

(٧) الإسلام سؤال وجواب. [للفتوىٰ].

(٨) الشبكة الإسلامية. [للفتوىٰ].

(٩) الإسلام اليوم. [موقع متنوع وفيه مقالات ومتابعات فكرية ودعوية مهمة].

(١٠) صيد الفوائد. [موقع علمي ودعوي مفيد جدًّا خاصة للدعاة والخطباء].

(١١) موقع مركز نماء للبحوث والدراسات.

الدروس والسلاسل الصوتية

في النحو والصرف والبلاغة والإملاء، والعروض على اليوتيوب

(١) سلسلة أحب لغتي (١٤٨ درسًا) (قناة استمتع باللغة العربية).

(٢) سلسلة روائع لغتي (٤٥درسًا) (قناة استمتع باللغة العربية).

(٣) سلسلة عجائب لغتي (٣٢ درسًا) (قناة استمتع باللغة العربية).

(٤) سلسلة دقائق لغتي (٢٨ درسًا) (قناة استمتع باللغة العربية).

(٥) سلسلة وثائق لغتي (قناة وثائق اللغة العربية).

(٦) سلسلة مفاتح الشعر (قناة أوزان الشعر العربي).

(٧) شرح كتاب سيبويه - د/ محمود شرف الدين.

(٨) شرح كتاب الجمل في النحو للزجاجي - د/ خالد فهمي إبراهيم (قناة جمعية الترتيل للخدمات الثقافية والدينية)

(٩) شرح التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري - للشيخ فتحي عبد التواب (قناة أزهر تي في).

(١٠) دورة الإعراب وقضاياه في الحديث النبوي الشريف - كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك - نموذجًا) - للأستاذ/ السيد أحمد إبراهيم (٥ دروس) (قناة مركز السعد لخدمة الحديث الشريف).

(١١) دورة شرح كتاب قواعد الإملاء (عبد السلام هارون) للأستاذ/ السيد أحمد ابراهيم (٥ دروس) (قناة مركز السعد لخدمة الحديث الشريف).

(١٢) دورة البلاغة في الحديث النبوي الشريف وشيء من قضاياها وتطورها - مناقشة كتاب: البديع لابن المعتز والخصائص البلاغية للبيان النبوي - للأستاذ/ السيد أحمد إبراهيم (٥ دروس) (قناة مركز السعد لخدمة الحديث الشريف).

(١٣) شرح كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني - للدكتور محمد محمد أبي موسىٰ (أزهر تي في).

(١٤) شرح كتاب دلائل الإعجاز - د/ محمد محمد أبو موسىٰ (قناة دليل الفضائية).

(١٥) شرح كتاب دلائل الإعجاز د/ إبراهيم الهدهد (قناة أزهر تي في).

(١٦) شرح المعلقات العشر - للأستاذ محمد رشيد (علىٰ موقع أرشيف).

(١٧) شرح كتاب كليلة ودمنة للشيخ علي صالح الأزهري (قناة أزهر تي في).

قائمة مختصرة

في كتب مداخل العلوم وتاريخها

(١) «**التفسير والمفسرون**»، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة.

(٢) «**تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**»، محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية.

(٣) «**الدرس العقدي**»، عمرو بسيوني، مركز نماء.

(٤) «**مدخل إلى علم الكلام**»، حسن الشافعي، مكتبة وهبة.

(٥) «**تاريخ علوم الحديث**»، محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية.

(٦) «**تاريخ النحو العربي**»، محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية.

(٧) «**المدارس النحوية**»، شوقي ضيف، دار المعارف.

(٨) «**مناهج الصرفيين**»، حسن هنداوي، دار القلم.

(٩) «**البلاغة تطور وتاريخ**»، شوقي ضيف، دار المعارف.

(١٠) «**التفكير البلاغي عند العرب**»، حمادي صمود، دار المدار الإسلامي.

(١١) «**التفكير اللساني في الحضارة العربية**»، عبد السلام المسدي، دار المدار الإسلامي.

(١٢) «**اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**»، حافظ علوي، دار المدار الإسلامي.

(١٣) «**تاريخ الأدب العربي**»، أحمد عبد الباقي، دار عالم الأدب.

(١٤) «**أصول الفقه: النشأة والتطور**»، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

(١٥) «**مدرسة المتكلمين**»، مسعود الفلوسي، مكتبة الرشد.

(١٦) «**تطور أصول الفقه الحنفي**»، هيثم خزنة، دار الرازي.

(١٧) «**تاريخ الفقه الإسلامي**»، إلياس دردور، دار ابن حزم.

(١٨) «**الصياغة الفقهية في العصر الحديث**»، هيثم الرومي، دار التدمرية.

(١٩) «**تأريخ التاريخ**»، وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث.

(٢٠) «**تاريخ العلوم الإسلامية**»، كتاب جماعي، نشر الرابطة المحمدية: المغرب.

(٢١) «**دروس في تاريخ الفلسفة**»، يوسف كرم، عالم الأدب.

(٢٢) «**الثقافة العربية في القرن العشرين**»، كتاب جماعي، مركز دراسات الوحدة العربية.

مركز تفكر للبحوث والدراسات

مركز بحثي يعتني بالدراسات الدينية، والثقافية، وكل ما يساهم في عملية ربط المفاهيم والتصورات بالوحي وإخضاعها له.

(١) في بناء الوعي.................................... د. خالد صقر

(٢) لا أعلم هُويتي.. حوار بين متشكك ومتيقن.................. د. حسام الدين حامد

(٣) تدعيم الفكر الإسلامي.................................... سلطان العميري

(٤) إضاءات في التحرير العقدي.................................... سلطان العميري

(٥) اختلاف الإسلاميين.. الخلاف الإسلامي الإسلامي (حالة مصر نموذجًا)........ احمد سالم

(٦) مآلات الخطاب المدني.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(٧) صناعة الواقع.. الإعلام وضبط المجتمع........... تأليف: محمد علي/ تحرير: علاء عوض

(٨) وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس/ إسحاق نيوتن..... هيثم سمير وآخرون

(٩) العلمنة من الداخل.. رصد تسرب التأصيلات العلمانية إلى فكر التيارات الإسلامية المعاصرة.... د. البشير عصام المراكشي

(١٠) التأويل الحداثي للتراث.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(١١) رقائق القرآن.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(١٢) سلطة الثقافة الغالبة.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(١٣) مسلكيات.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(١٤) كن جميلاً.................................... محمود توفيق

(١٥) ظل النديم.. أوراق وأسمار شيخ العربية أبي فهر
محمود محمد شاكر رحمه الله التي لم تُنشَرْ من قبل.................. وجدان العلي

(١٦) الإلحاد.. وثوقية التوهم وخواء العدم.................. د. حسام الدين حامد

(١٧) المشوق إلى القرآن.................................... عمرو صبحي الشرقاوي

(١٨) الماجَرَيات.................................... إبراهيم بن عمر السكران

(١٩) التحيز وضرره على الفقه والمعرفة.................. أحمد سالم / عمرو بسيوني

(٢٠) السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية.................. أحمد سالم

مركز تفكر للبحوث والدراسات

السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية

مصنف يجمع شتات خرائط تلقي العلوم الشرعية.

ويرسم طرائق تأسيس التخصص في مجالات المعرفية الدينية.

ويرصد إشكالات راغبي التعلم، ويكشف مواطن التشتت في مناهج التلقن.

ينتخب درر مآثر طلب العلم وفضل الاشتغال به وأنواع المعوقات دونه.

يحدد سمات الطالب وخصائص الطلب ومنهجية الوصول للمطلوب بعبارة جزلة رائقة سهلة.

يسعى المؤلف في هذا الإصدار الذي يصدر عن مركز تفكر للبحوث والدراسات- للإجابة عن جملة من الأسئلة التي تعترض طريق الساعين لسد حاجاتهم العلمية ورغباتهم المعرفية، بالإضافة إلى عرض مناهج مقترحة لطلب كل فرع من فروع العلوم الشرعية، متدرجة متنوعة.

كما لم يغفل المؤلف في كتابه بيان ما يعين طالب العلوم الشرعية من علوم إنسانية متنوعة، مع توضيح المصنفات وقوائم القراءة في مختلف المجالات المعرفية والثقافية، مع بيان الفروق والتمايزات بين فروع العلوم المختلفة، ليضع بين أيدي طلبة العلم والمثقفين مرجعا منهجيا متكاملا في مختلف مجالات العلم والمعرفة والثقافة.

دار العصرية للنشر والتوزيع
002 010 052 264 04

www.tfakkor.com
tfakkor@gmail.com